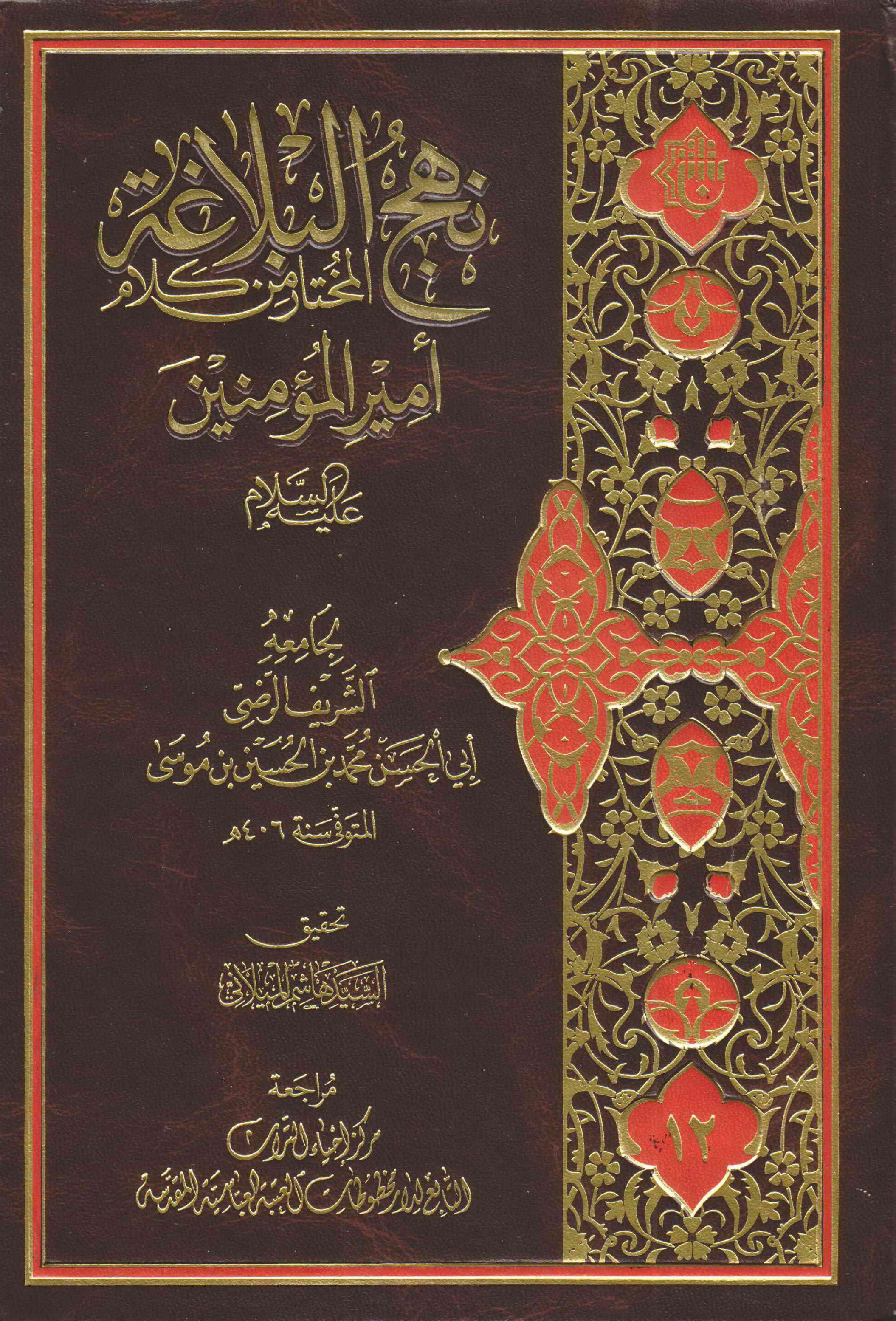
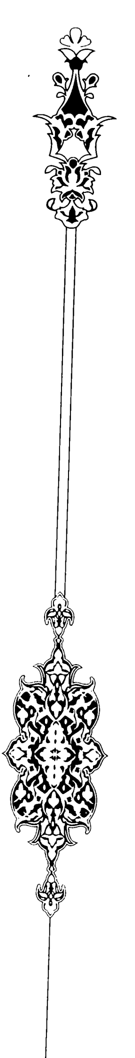


نهج البلاغة
المختار من كلام
أمير المؤمنين
عليه السلام
لجامعه
الشريف الرضي
أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى
المتوفى سنة ٤٠٦هـ
تحقيق
السيد هاشم الميلاني
مراجعة
مركز إحياء التراث
التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
١٢




نهج البلاغة




بسم الله الرحمن الرحيم



قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة المكتبة



نهج البلاغة

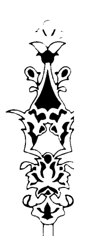
المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام

لجامعه الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى ٤٠٦هـ



تحقيق

السيد هاشم الميلاني





قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ شعبة المكتبة

كربلاء المقدسة/ ص.ب. (٢٣٣)/ هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ٢٥١

www.alkafeel.net
library@alkafeel.net
abbas_library@yahoo.com

علي بن أبي طالب (ع)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجريا

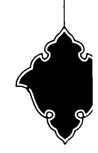
نهج البلاغة : المختار من كلام أمير المؤمنين / لجامعه الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى ؛ تحقيق هاشم الميلاني ؛ مراجعة مركز إحياء التراث التابع لدار ومخطوطات العتبة العباسية المقدسة . - الطبعة الثانية. - كربلاء، العراق: مكتبة العتبة العباسية المقدسة، ١٤٣٧ هـ. = ٢٠١٦.

٦١٢ صفحة؛ ٢٤ سم. - (مكتبة و دار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة ؛ ١٢)

المصادر : ص. ٥٦٧ - ٥٧٩ ؛ وكذلك في الحاشية .

١. علي بن أبي طالب (ع) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجريا - خطب. ٢. علي بن أبي طالب (ع) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجريا - رسائل . ٣. علي بن أبي طالب (ع) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجريا - كلمات قِصار. ألف . الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩ - ٤٠٦ هجريا، جامع. ب. الحسيني الميلاني، هاشم، محقق. ج.العتبة العباسية المقدسة. مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة. مركز إحياء التراث. د. عنوان .

BP193.1.A2 N3 2016
الفهرسة والتصنيف في مكتبة العتبة العباسية المقدسة





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



مقدمة التحقيق

هناك الكثير ممّن كتب عن نهج البلاغة شرحاً وتعليقاً وتحقيقاً، وما زال هذا الكتاب منهلاً عذباً لرواد العلم والمعرفة، وعشّاق الحقّ والحقيقة.

وبما انّ كتاب نهج البلاغة مترامي الأطراف، ومتشعب العلوم والفنون، تشعبت الدراسات حوله، فترى من تناوله من الجانب اللغوي، أو البلاغي، أو الكلامي، أو التاريخي، وهناك من حاول الجمع بين هذه الجوانب كما حاول أن يفعله ابن أبي الحديد في شرحه، غير أنّ من الصعب الوقوف التام على جميع هذه الشروح والدراسات وجردها.

كما قال العلّامة المغفور له السيّد عبد العزيز الطباطبائي، في «نهج البلاغة عبر القرون» الذي نشر منه حلقات في مجلة تراثنا:

«لقد حظي (نهج البلاغة) من أول يوم بعناية العلماء والأدباء، فجلب أنظارهم، واستقطب جهودهم، فبادروا إلى روايته وقراءته وإجازته واستنساخه ومقابلته والتعليق عليه، فلم نرَ في تراثنا الخالد ما يوازيه في كثرة المخطوطات القديمة، ولا ما يدانيه أو يبلغ نصف ذلك قيمة، وكذلك تناوله العلماء والأُدباء بالشرح منذ القرن السادس الهجريّ وحتى يومنا هذا، بحيث



يتعذّر أو يتعسّر إحصاء شروحه جميعها...»[1].

وكانت غبطتنا ـ بعد أن تشرّفنا بادارة مكتبة الروضة الحيدرية بجوار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ـ في أن نشارك مع مَنْ كتب عن نهج البلاغة وعلّق عليه تشرّفاً وتبركاً، وإن لم نَزِد شيئاً جديداً محاولين نظم يواقيته في عِقْدٍ بين العقود، والله الموفِّق.

وسنوجز القول في هذه المقدّمة بتعريف المؤلِّف والمؤلَّف، ومنهجية التحقيق والنسخ المعتمدة، جاعلين ما كتبه علماؤنا الأعلام، سنخاً لهذه الدراسة.

❋❋❋



(١) مجلة تراثنا، العدد ٣٥ صفحة ١٥٤.







ولادته وأُسرته:

هو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام أبي إبراهيم موسى الكاظم عليه السلام.

وأُمه السيدة فاطمة بنت الحسين بن أبي محمد الحسن الأطروش بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف ابن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام.

ولد في بغداد عام ٣٥٩ هـ وتوفي عام ٤٠٦ هـ.

وكان للشريف الرضي شقيق واحد وهو السيد المرتضى رحمه الله (ت ٤٣٦هـ) وشقيقتان وهما زينب وخديجة، توفيت إحداهما في حياته فتأثّر لوفاتها ورثاها بقصيدة طويلة، وتوفيت الأُخرى بعد وفاته أي أواخر شعبان عام ٤١٩ هـ.

وله رحمه الله ولد واحد هو أبو أحمد عدنان، وهو الملقّب بالطاهر ذي المناقب، قال عنه ابن عنبة في عمدة الطالب: «فولد الرضي أبو الحسن محمد، أبا أحمد عدنان، يلقّب الطاهر ذا المناقب، لقب جدّه أبي أحمد الحسين بن موسى، تولّى نقابة الطالبيين ببغداد على قاعدة جدّه وأبيه وعمه،

قال أبو الحسن العمري: هو الشريف العفيف المتميّز في سداده وصونه...»[١].

ألقابه ومناصبه:

لقد لقّبه بهاء الدولة سنة (٣٨٨هـ) بالشريف الأجل، وفي سنة (٣٩٢هـ) بذي المنقبتين، وفي سنة (٣٩٨هـ) بالرضي ذي الحسبين، وفي سنة (٤٠١هـ) أمر أن تكون مخاطباته ومكاتباته بعنوان الشريف الأجل، وهو أوّل من خوطب بذلك من الحضرة الملوكيّة.

وتولّى من المناصب نقابة الطالبيين، وإمارة الحج، والنظر في المظالم سنة (٣٨٠هـ) وهو ابن (٢١) عاماً على عهد الطائع، وصدرت الأوامر بذلك من بهاء الدولة وهو بالبصرة سنة (٣٩٧هـ)، ثم عهد إليه في (١٦) محرم سنة (٤٠٣هـ) بولاية أُمور الطالبيين في جميع البلاد، فدُعي نقيب النقباء، وأُتيحت له إمارة الحاجّ على الحرمين على عهد القادر.

أساتذته ومشايخه:

أمّا أساتذته ومشايخه فقد عدّهم العلّامة السيد محمد حسين الجلالي في مقدّمة كتاب إرشاد المؤمنين ١ : ٣٩ كما يلي:

١ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري الفقيه المالكي (ت ٣٩٩هـ) ذكره سبطُ ابن الجوزيّ في تذكرة الخواص[٢].

٢ ـ أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ) عزّاه الرضي بولد توفي له كما في ديوانه[٣].

---

(١) عمدة الطالب: ٢١١.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٩٣.

(٣) ديوان الرضي ٢ : ٤٨٨، وانظر الفهرست لابن النديم: ٩٥.





٣ ـ أبو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي (ت ٣٦٨هـ)[١].

٤ ـ سهل بن أحمد بن عبدالله بن سهل الديباجي (ت ٣٨٥هـ)[٢].

٥ ـ قاضي القضاة أبو الحسن عبدالجبار بن أحمد الهمداني البغدادي الشافعي المعتزلي، كان شيخ المعتزلة في عصره، قرأ عليه الشريف كتابيه: تقريب الأُصول وشرح الأصول الخمسة[٣].

٦ ـ أبو اليُمْنِ عبدالرحيم بن محمد بن نباتة، صاحب ديوان الخُطَب (ت٣٩٤هـ)[٤].

٧ ـ القاضي أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله الأسدي، ابن الأكفاني الحنفي (ت ٤٠٥هـ)[٥].

٨ ـ أبو الفتح عثمان ابن جنّي الرومي الموصلي (ت ٣٩٢هـ)[٦]، وقال فيه الرضي قصيدة منها:

فدىً لأبي الفتح الأفاضل إنّه ... يبزّ عليهم إن أَرمّ وقالا[٧]

٩ ـ أبو الحسن علي بن عيسى الرماني الرَّبَعِيُّ البغداديُّ النحويُّ (ت٤٢٠هـ)[٨].

---

(١) حقائق التأويل: ٨٧، الفهرست لابن النديم: ٩٣.

(٢) المجازات النبوية: ٢٤١ و٢١٧.

(٣) حقائق التأويل: ٢٠٤ و٢٣٤، تلخيص البيان: ٩٩،١٢٧، المجازات النبوية:٢٨، و١١٤ و٢٣٣.

(٤) الدرجات الرفيعة: ٤٥٦، روضات الجنات: ٣٧٦.

(٥) حقائق التأويل: ٣٤٦.

(٦) تلخيص البيان: ٢٦، ٧٧، ١٠٧، المجازات النبوية: ٢٥٠، حقائق التأويل: ١٤٠، ٣٢١.

(٧) ديوان الشريف الرضي ٢: ١٦٧.

(٨) حقائق التأويل: ٨٧، تلخيص البيان: ٢٥٠.



١٠ ـ أبو حفص يحيى بن إبراهيم الكتاني (ت ٣٩٠هـ)[١].

١١ ـ أبوالقاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح (ت٣٩١هـ)[٢].

١٢ ـ أبو عُبيدالله محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤هـ)[٣].

١٣ ـ أبو بكر محمد بن موسى بن محمد الخوارزمي الحنفي (ت ٤٠٣هـ)[٤].

قال في (المنتظم): «وكان من تلامذته الرضي»[٥].

١٤ ـ الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ)[٦].

١٥ ـ الفقيه أبو عبدالله محمد بن يحيى بن مهدي الجرجاني (ت ٣٩٨هـ).

١٦ ـ أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني (ت ٣٩٠هـ)[٧].

١٧ ـ أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري (ت ٣٨٥هـ)[٨].

١٨ ـ أبو عبدالله ابن الإمام المنصوري اللغوي (ت ٣٩١هـ)[٩].

وما أصدق محمد عبد الغني المصري حين قال: «ومن هذا الثَّبت

---

(١) المجازات النبوية: ١٥٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٣٧.

(٤) المصدر نفسه: ١٤٥، وتلخيص البيان: ١٦٢.

(٥) المنتظم ١٥: ٩٧.

(٦) روضات الجنات: ٥٤٧، المستدرك: ٥١٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٣.

(٧) تلخيص البيان: ١٠٢.

(٨) حقائق التأويل: ٢٤، ٣٣، ٤١، ٤٢، ٤٨، ٨١.

(٩) ذكره محمد عبد الغني حسن في كتابه الشريف الرضي: ٣٠.



نعرف أنّ الشريف الرضي كان واسع العقل، رحب الصدر، حرّ الفكر، فلم يتعصّب لرجال مذهب على رجال مذهب آخر، لقد كان من شيوخه الشيعي، والسني، والمعتزلي، والرافضي، والشافعي، والحنفي، والمالكي، فلم يتحرّج أن يأخذ العلم من أيّ مصدر، وقد رأينا أنّ أبا إسحاق الطبري الذي منحه داره ليقيم فيها، كان فقيهاً سنيّاً على مذهب الإمام مالك»[١].

وصدق الدكتور زكي مبارك في قوله: «والواقع أنّ الشريف كان قليل الرعاية للعصبية المذهبية، والظاهر أنّه كان حرّ العقل إلى حدّ بعيد، فقد كان يدرس جميع المذاهب الإسلامية ليمدّ عقله بالأنوار التي يُرسلها اختلاف الفقهاء»[٢].

تلامذته والرواة عنه:

ويروي عنه جمعٌ من أعيان الطائفة وأعلام الجمهور ذكرهم العلّامة الأميني في الغدير، منهم:

١ ـ شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفّى (٤٦٠).

٢ ـ الشيخ جعفر بن محمد الدوريستي.

٣ ـ الشيخ أبو عبدالله محمد بن علي الحلواني، كما في الإجازات.

٤ ـ القاضي أبو المعالي أحمد بن علي بن قدامة المتوفّى (٤٨٦) كما في كثير من إجازات أعلام الدين.

٥ ـ أبو زيد السيد عبدالله بن علي كيابكي ابن عبدالله الحسيني الجرجاني، كما في إجازة الشهيد الثاني لوالد الشيخ البهائي العاملي، وإجازة المولى المجلسي الأول لولده العلّامة المجلسي.

---

(١) الشريف الرضي: ٣٠.

(٢) عبقرية الشريف الرضي ١: ١٢٥.

٦ ـ أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابوري الخزاعي، وهو من أجلّاء تلامذة المترجَم له وأخيه الشريف المرتضى كما في المقابيس للعلّامة الحجّة التستري.

٧ ـ أبو منصور محمد بن أبي نصر محمد بن أحمد بن الحسين بن عبدالعزيز العكبري المعدّل، كما في قصص الأنبياء للراوندي[١].

٨ ـ القاضي السيد أبو الحسن علي بن بندار بن محمد الهاشمي، يروي عن المترجم له وأخيه علم الهدى المرتضى، كما في إجازة الشيخ عبدالله السماهيجي الكبيرة للشيخ ياسين، وإجازته للشيخ ناصر الجارودي سنة (١١٢٨).

٩ ـ الشيخ المفيد عبدالرحمن بن أحمد بن الحسين النيسابوري، يروي عن المترجم له وأخيه علم الهدى جميع مصنّفاتهما بلا واسطة، كما في إجازة الشيخ عبدالله السماهيجي الكبيرة المذكورة.

تأليفاته:

١ ـ نهج البلاغة.

٢ ـ أخبار قضاة بغداد[٢].

٣ ـ كتاب الأمثال (مطبوع) وهو كتاب فيه مختارات شعرية لعدّة شعراء من امرئ القيس إلى المتنبي في مواضيع شتى.

٤ ـ تلخيص البيان عن مجازات القرآن [٣]، ويسمى بالمجازات القرآنية، وبمجاز القرآن.

٥ ـ تعليق خلاف الفقهاء[٤].

---

(١) قصص الأنبياء ٩٦: ٨٩.

(٢) عمدة الطالب: ٢٠٨.

(٣) رجال النجاشي: ٣٩٨.

(٤) المصدر نفسه: ٣٩٨.



٦ ـ تعليقته على كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي[١].

٧ ـ الحسَن من شعر الحُسَيْن بن الحجاج (ت٣٩١) [٢].

٨ ـ حقائق التأويل.

٩ ـ خصائص الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام.

١٠ ـ ديوان شعر.

١١ ـ الرسائل، وهي مجموعة مختلفة المواضيع والمناسبات، وصرّح ابن عنبة أنّها في ثلاثة مجلّدات[٣].

١٢ ـ كتاب زيادات شعر ابن الحجاج وكتاب زيادات شعر أبي تمام الطائي.

١٣ ـ سيرة والده[٤]، الشريف الطاهر أبي أحمد الحسين.

١٤ ـ مختار أشعار أبي إسحاق الصابي[٥].

١٥ ـ المجازات النبوية[٦].

١٦ ـ كتاب رسائله المنثورة المسجوعة.

١٧ ـ كتاب الرسائل الشعرية التي دارت بينه وبين أبي إسحاق الصابي.

١٨ ـ كتاب معاني القرآن.

مقامه العلمي والأدبي:

يشهد لمقام الشريف العلمي تلمذته على جلّة من أساطين العلماء لدى

---

(١) المصدر نفسه: ٣٩٨.

(٢) رجال النجاشي: ٣٩٨، وعمدة الطالب: ٢٠٧.

(٣) عمدة الطالب: ٢٠٨.

(٤) المصدر نفسه: ٢٠٧.

(٥) رجال النجاشي: ٣٩٨.

(٦) رجال النجاشي: ٣٩٨.

الفريقين الشيعة والسنة في مختلف العلوم، وهو وإن لم يكثر في التأليف لكن مراجعة ما خلّفه لنا من تراث قيّم يكشف عن براعته وطول باعه، قال ابن الجوزي: «حفظ القرآن في مدّة يسيرة بعد أن جاوز ثلاثين سنة، وعرف من الفقه والفرائض طرفاً قوياً، وكان عالماً فاضلاً...»[١].

وقال النسابة العمري في (الـمَجْدِي): «قد قرأ على أجلّاء الرجال، وشاهدت له جزءاً مجلّداً من تفسير منسوب إليه في القرآن مليح حسن يكون بالقياس في كبر تفسير أبي جعفر الطبري أو أكبر...»[٢].

أمّا مقامه الأدبي وشاعريته فممّا لا يحتاج إلى بيان، حتى عُدّ أشعر قريش، وابتدأ ينشد الشعر بعد أن جاوز عشر سنوات بقليل[٣]، ووصفه النجاشي بأنّه كان شاعراً مبرزاً[٤].

قال الخطيب البغدادي: «سمعت أبا عبدالله محمد بن عبدالله الكاتب بحضرة أبي الحسين محفوظ ـ وكان أحد الرؤساء ـ يقول: سمعت جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون: الرضي أشعر قريش، فقال ابن محفوظ: هذا صحيح، وقد كان في قريش من يجيد القول إلّا أنَّ شعره قليل، فأمّا مُجيد مكثر فليس إلّا الرضي»[٥].

عقيدته:

اتفقت كتب التاريخ والرجال والتراجم على أنَّ الشريف الرضي شيعي إمامي، فما ذكره ابن عنبة: «ووجدت في بعض الكتب أنَّ الرضي زيدي

(١) المنتظم ١٥: ١١٥ رقم ٣٠٦٥.

(٢) المجدي في الأنساب: ١٢٦.

(٣) يتيمة الدهر للثعالبي ٣: ١٥٥.

(٤) رجال النجاشي: ٣٩٨.

(٥) تاريخ بغداد ٢: ٢٤٦.

المذهب»[١] لا نتفق معه، إذ انّه أوّلاً لم يذكر المصدر الذي نقل عنه هذه المعلومة ولا اسم المؤلّف لننظر فيه، وثانياً لو كان مستند هذا القول بعض أشعاره التي توحي بذلك، فله أبيات أُخرى يصرّح بمذهبه وتشيّعه، لا سيما وأنَّه ألّف كتاب (خصائص الأئمّة) وإن لم يتمّه ـ كما صرّح في مقدّمة (نهج البلاغة) ـ، وثالثاً تصريح علماء السنّة بتشيّعه وأنّه رافضي.

قال السيوطي في (حسن المحاضرة) في والد الرضي رحمه الله: «وكانت فيه كل الخصال الحسنة، إلّا أنّه كان رافضياً هو وأولاده على مذهب القوم»[٢].

وجاء في (النجوم الزاهرة) في وصف الشريف الرضي رحمه الله: «عالي الهمة متديناً، إلّا انّه كان على مذهب القوم إماماً للشيعة هو وأبوه وأخوه»[٣].

ومن المحتمل أنّ هذه التهمة أُلصقت به من قبل آبائه لأُمّه، قال الشيخ عبد الحسين الحلي في مقدّمة كتاب (حقائق التأويل): «أرى أنّ تلك التهمة ـ الزيدية ـ قد لُصقت به من قبل آبائه لأُمّه، بني الناصر الكبير أبي محمد الحسن الأطروش صاحب الديلم، لكن قد ثبت لدى علماء الرجال من الإمامية، وفي طليعتهم السيد الشريف المرتضى علم الهدى في كتابه (شرح المسائل الناصريات) نزاهته ونزاهة جميع بنيه عن تلك العقيدة المخالفة لعقيدة أسلافهم، سوى أَنّ اصطلاح الكتّاب أخيراً جرى على تسمية الثائر في وجه الخلافة زيدياً، ولمن كان بريئاً من عقائد الزيدية، يريدون أَنّه زيدي النزعة لا العقيدة، وربما تطرّفوا فجعلوا لفظ (زيدي) لقباً لكلّ من تحمّس للثورة، وطالب بحقّ زعم أنّه أهله، وإن لم يجرّد سيفاً، ولم يحد قيد شعرة عن مذهب الإمامية في الإمامة ولا عن طريقة الجماعة.

ولقد كان أبو حنيفة في نقل أبي الفرج الأصبهاني زيدياً، وكذا أحمد

---

(١) عمدة الطالب: ٢١٠.

(٢) نقلاً عن مجلة تراثنا، العدد الخامس ص ٢٦٥.

(٣) النجوم الزاهرة ٤: ٢٤٠.

وسفيان الثوري وأضرابهم من معاصريهم، ومراده من زيد يّتهم أَنّهم يرون الخلافة الزمنية جائرة، وأَنّ الخارج آمراً بالمعروف أحق بالاتبّاع والبيعة»[1].

وفاته:

توفي الشريف الرضي رَحِمَهُ الله في السادس من شهر محرم عام (٤٠٦ هـ)، ورثاه الكثير من الشعراء والأُدباء، وعند وفاته حضر إلى داره الوزير أبو غالب فخر الملك والوزراء والأعيان والأشراف والقضاة حفاة ومشاة، وصلّى عليه فخر الملك ودفن في داره الكائنة في محلّة الكرخ[2]، ولم يشهد جنازته أخوه الشريف المرتضى ولم يصلّ عليه، ومضى من جزعه عليه إلى مقابر قريش حيث مشهد الإمام موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنّه لم يستطع النظر إلى تابوته.

وذكر الكثير من المؤلّفين نقل جثمانه إلى كربلاء المشرفة بعد دفنه في داره بالكرخ، فدفن عند أبيه أبي أحمد الحسين بن موسى.

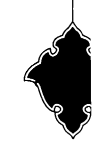
ويظهر من التاريخ أَنَّ قبره كان مشهوراً معروفاً في الحائر الحسيني المقدس[3].

❊❊❊

(١) مقدّمة حقائق التأويل: ٧٥ ـ ٧٦.

(٢) محلّة الكرخ في أيام العباسيين (الدولة العباسية) (١٣٢هـ ـ ٦٥٦هـ) كانت في موضع محلّة الجعيفر والرحمانية إلى نهر دجلة من الجانب الغربي من بغداد. ولم يُطلق يومئذٍ هذا الاسم على الجانب الغربي كلّه. وفي أعلى الكرخ كانت محلَّةُ (العتيقة) وتسمّى (سُوْنايا) التي هي اليوم موضع (مشهد المنطقة) وفوق (العتيقة) محلة (باب البصرة) وكان أهلها من الحنابلة ثمّ مدينة المنصور المدوّرة... إلخ.

(٣) راجع الغدير للعلّامة الأميني ٤: ٢١٠.





بعدما أوجزنا القول عن المؤلِّف، فجدير بنا أن نتناول المؤلَّف بالكلام، وسنوجز القول حوله أيضاً في عدّة نقاط:

١ ـ تدوين خطب أميرالمؤمنين عليه السلام قبل نهج البلاغة.

٢ ـ من هو جامع نهج البلاغة.

٣ ـ الشبهات المثارة.

٤ ـ النسخ المعتمدة.

١ ـ تدوين كلام أميرالمؤمنين عليه السلام قبل نهج البلاغة:

هناك الكثير ممّن دوّن خطب أميرالمؤمنين عليه السلام وكلامه وحفظها قبل الرضي رحمه الله وكتابه (نهج البلاغة)، قال المسعودي: «والّذي حفظ الناس من خطبه من سائر مقاماته أربعمائة ونيف وثمانون خطبة»[١]، وقال ابن نباتة (ت ٣٧٤): «حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلّا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي ابن أبي طالب»[٢].

---

(١) مروج الذهب ٢: ٤٣١.

(٢) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٢٥.

ولعل أقدم ما وصل في ذلك ممّن اهتمّ بتدوين وكتابة خطب أمير المؤمنين عليه السلام، هو الحارث الـهَمْداني، كما جاء في الكافي عن أبي إسحاق السبيعي عن الحارث الأعور قال: «خطب أميرالمؤمنين عليه السلام خطبة بعد العصر فعجب الناس من حسن صفته، وما ذكره من تعظيم الله جلّ جلاله، قال أبو إسحاق: فقلت للحارث: أوما حفظتها؟ قال: قد كتبتها، فأملاها علينا من كتابه...»[١].

وقد جمع السيد عبدالزهراء الحسيني رحمه الله في (مصادر نهج البلاغة) (٢٢) شخصاً دوّنوا خطب أميرالمؤمنين عليه السلام كلّهم قبل زمن الرضي، أمثال علي بن محمد المدائني، والواقدي، والمنقري، والسيّد عبدالعظيم الحسني، وغيرهم.

وللأسف أنّ الكثير من هذه الكتب التي استفاد منها الشريف الرضي رحمه الله قد احترقت وتلفت فلم تصل إلينا، قال الحموي في (معجم البلدان): «بين السورين ـ تثنية سورالمدينة ـ اسم لمحلّة كبيرة كانت بكرخ بغداد، وكانت من أحسن محالّها وأعمرها، وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة ابن عضد الدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلّها بخطوط الأئمّة المعتبرة وأُصولهم المحرّرة، واحترقت فيما أحرق من محالّ الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلجوقية إلى بغداد سنة ٤٤٧»[٢].

٢ ـ نهج البلاغة لمن؟!

والحديث عن هذا الموضوع يبرز في مسألتين، فأمّا المسألة الأولى

(١) الكافي ١: ١٤١ ح ٧.

(٢) معجم البلدان ١: ٥٣٤.





ففي صحة انتساب ما في النهج إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، وأمّا الثانية ففي جمع الكتاب هل جمعه الرضي أو غيره.

المسألة الأولى:

ونكتفي هنا بما قاله ابن أبي الحديد في شرحه فقد أفاد وأجاد، إذ قال بعد ذكر خطبة ابن أبي الشخباء[1]: «هذه أحسن خطبة خطبها هذا الكاتب، وهي كما تراها ظاهرة التكلّف بيّنة التوليد، تخطب على نفسها، وإنّما ذكرت هذا لأنّ كثيراً من أرباب الهوى يقولون: إنّ كثيراً من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة، وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره، وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم، فضلّوا عن النهج الواضح وركبوا بُنيّات[2] الطريق ضلالاً، وقلّة معرفة بأساليب الكلام، وأنا أُوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الخلط، فأقول: لا يخلو إمّا أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً أو بعضه.

والأول باطل بالضرورة؛ لأنّا نعلم بالتواتر صحّة إسناد بعضه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد نقل المحدّثون كلّهم أو جلّهم والمؤرّخون كثيراً منه، وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرضٍ في ذلك.

والثاني يدلّ على ما قلناه؛ لأنّ من قد أنس بالكلام والخطابة، وشدا طرفاً من علم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب لابدّ من أن يفرّق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والأفصح، وبين الأصيل والمولّد، وإذا وقف على كرّاسٍ واحدٍ يتضمّن كلاماً لجماعة من الخطباء أو لاثنين منهم فقط فلابدّ من أن يفرّق بين الكلامين، ويميّز بين الطريقتين، ألا ترى أنّا مع معرفتنا بالشعر ونقده لو تصفّحنا ديوان أبي تمام، فوجدناه قد كتب في

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٠ : ١٢٧، الخطبة: ١٨٤.

(٢) بُنيّات الطريق هي الطرقَة الصغار تتشعب من الجادة وهي التُرّهات / صحاح (بنا).

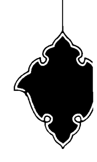
أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره، لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونَفَسه وطريقته ومذهبه في القريض، ألا ترى أنّ العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه لمباينتها لمذهبه في الشعر، وكذلك حذفوا من شعر أبي نواس شيئاً كثيراً لما ظهر لهم أنّه ليس من ألفاظه ولا من شعره، وكذلك غيرهما من الشعراء، ولم يعتمدوا في ذلك إلّا على الذوق خاصّة.

وأنت إذا تأمّلت نهج البلاغة وجدته كلّه ماءً واحداً، ونَفَساً واحداً، وأسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهيّة، وكالقرآن العزيز أوّله كأوسطه وأوسطه كآخره، وكلُّ سورة منه وكلّ آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفنّ والطريق والنظم لباقي الآيات والسور، ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك، فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أنّ هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أميرالمؤمنين عليه السلام.

واعلم أنّ قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قِبَل له به، لأنّا متى فتحنا هذا الباب وسلّطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو، لم نثق بصحّة كلام منقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبداً، وساغ لطاعن أن يطعن ويقول: هذا الخبر منحول، وهذا الكلام مصنوع، وكذلك ما نُقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك، وكلّ أمر جعله هذا الطاعن مستنداً له فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة الراشدين والصحابة والتابعين والشعراء والمترسّلين والخطباء، فلناصري أميرالمؤمنين عليه السلام أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة وغيره، وهذا واضحٌ».

وقال في آخر الخطبة الشقشقية[1]: «حدّثني شيخي أبو الخير مصدّق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمائة، قال: قرأت على الشيخ أبي محمد

(١) شرح نهج البلاغة ١: ٢٠٥ خطبة ٣.



عبدالله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب المتوفّى (٥٦٨هـ) هذه الخطبة ـ يعني الشقشقية ـ فلمّا انتهيت إلى هذا الموضع ـ يعني قول ابن عباس: فوالله ما أسفت... الخ ـ قال لي: لو سمعت ابن عبّاس يقول هذا لقلت له: وهل بقي في نفس ابن عمّك أمر لم يبلغه في هذه الخطبة لتتأسّف أن لا يكون بلغ من كلامه ما أراد؟! والله ما رجع عن الأوّلين ولا عن الآخرين، ولا بقي في نفسه أحدٌ لم يذكره إلّا رسول الله ﷺ.

قال مصدّق: وكان ابن الخشّاب صاحب دعابة وهزل، قال: فقلت له: أتقول إنّها منحولة؟! فقال: لا والله وإنّي لأعلم أنّها كلامه كما أعلم أنّك مصدّق. قال: فقلت له: إنّ كثيراً من الناس يقولون: إنّها من كلام الرضي رحمه الله. فقال: أنّى للرضي ولغير الرضي هذا النَّفَسُ وهذا الأسلوب؟! قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور، وما يقع من هذا الكلام في خلّ ولا خمر.

ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخُطْبة في كتب صُنّفت قبل أن يُخلقَ الرضيُّ بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي.

قلت: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يُخلق الرضي بمدّة طويلة، ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر ابن قبة أحد متكلّمي الإمامية، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الانصاف، وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي موجوداً».

المسألة الثانية:

أمّا المسألة الثانية فهي أَنَّ الشريف الرضي هوا لذي جمع (نهج

البلاغة) من مطاوي الكتب التي كانت آنذاك، وكان جمعه في غاية الدقة والأمانة مع الحفاظ على أصل الكلام، ولم يتصرّف فيه إلّا بالاختصار وانتخاب الكلام البليغ كما أشار إليه في مقدّمة (النهج) من أَنَّه يورد النكت واللمع ولا يقصد التتالي والنسق، ومع هذا كرّر بعض الخطب والحِكَم لورودها بأنحاء مختلفة، وهذا ممّا يدلّ على ضبطه وحرصه على نقل الكلام بصورته.

ويشهد لكون الشريف الرضي رحمه الله هو جامع نهج البلاغة مايلي:

١ ـ إحالات الشريف الرضي إلى (نهج البلاغة) في سائر كتبه، من قبيل (المجازات النبوية)، و(حقائق التأويل)، وكذلك إحالته في (نهج البلاغة) إلى كتاب (خصائص الأئمّة) و(المجازات النبوية).

قال رحمه الله في (حقائق التأويل): «ومن أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه من ذلك، فلينعم النظر في كتابنا الذي ألّفناه وسمناه (بنهج البلاغة)، وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع الأنحاء والأغراض والأجناس والأنواع من خطب وكتب ومواعظ وحكم، وبوبناه أبواباً ثلاثة، ليشتمل على هذه الأقسام مميّزة مفصّلة، وقد عظم الانتفاع به وكثر الطالبون له، لعظيم قدر ما ضمنه من عجائب الفصاحة وبدائعها، وشرائف الكلم ونفائسها...»[١].

٢ ـ نسبة الجمع إلى الرضي في كتب التراجم، أمثال (رجال النجاشي)، و(معالم العلماء) لابن شهرآشوب، و(خلاصة الأقوال) للعلّامة الحلي وغيرها.

٣ ـ سلاسل الإجازات الموصولة إلى الشريف الرضي بطرق كثيرة،

(١) حقائق التأويل: ١٦٧.

وقد ذكرها العلّامة السيّد محمد حسين الجلالي في مقدّمة كتاب «إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين».

٤ ـ الاهتمام البالغ من الكتّاب والمؤلّفين بشرح (النهج) والتعليق عليه عبر القرون من دون غمز في جامعه.

وعليه فلا قيمة لما ذكره ابن خلكان من قوله: «اختلف الناس فيه، هل أنَّ الشريف أبا القاسم علي بن الحسين الطاهر المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ جمعه من كلام علي بن أبي طالب عليه السلام، أو جمعه أخوه الشريف الرضي البغدادي، وقد قيل: إنّه ليس من كلام علي، وإنّما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه»[١].

٣ ـ الشبهات المثارة:

لقد أُثيرت حول كتاب نهج البلاغة شبهات كثيرة، تهدف إلى التشكيك في صحة نسبته، وقد أجاب عنها علماؤنا الأعلام بأجوبة كافية شافية، ونحن نورد هنا أهمّها مع الإجابة عنها.

أ ـ الشبهة السندية:

قال الذهبي في ترجمة الرضي: «هو جامع نهج البلاغة المنسوب ألفاظه إلى الإمام علي، ولا أسانيد لذلك...»[٢].

وقد غلا علي السالوس في كتابه «مع الشيعة الاثني عشرية»[٣]، وكذلك الزعبي في كتابه «البينات في الرد على أباطيل المراجعات»[٤] حيث قال: إنّ النهج حتى لو كان مسنداً فلا عبرة به لأنّه رواه الرضي، وهو شيعي جلد لا يحتج بروايته.

---

(١) وفيات الأعيان ١: ٤٧١.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧: ٥٨٩.

(٣) مع الشيعة الاثنى عشرية ١: ٢٢٦.

(٤) البينات في الرد على أباطيل المراجعات ١: ٣٦.

ونقول: إنّ الشريف الرضي رحمه الله لم يكن بصدد تأليف كتاب روائي أو فقهي استدلالي ليهتم بالأسانيد، بل كان غرضه إيراد «النكت واللمع» البلاغية من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام، ولذا سمّاه (نهج البلاغة). وكان «دأبه فيه أن يروي ما كان مقبول الطرفين»(١).

ولا أحد يستطيع ممّن ترجم للرضي أن يقدح بسيرته إطلاقاً، وهو عَلَمٌ من أعلام طائفةٍ يرون أنّ الكذب على الله وعلى رسوله، أعظم جرماً وأكبر إثماً من شارب الخمر الذي عندهم كعابد وثن(٢).

ومن شدّة حرصه كان ربما كرّر الخطبة والكلام بألفاظ مختلفة كما وجده في المصادر، كما قال في المقدمة: «فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه، ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير موضعه الأول إما بزيادة مختارة، أو لفظ أحسن عبارة، فتقتضي الحال أن يعاد استظهاراً للاختيار، وغيرة على عقائل الكلام».

ومع هذا فنحن لاندّعي في (نهج البلاغة) ـ كما ادّعى القوم بالنسبة إلى صحاحهم ـ أَنَّ كل ما جاء فيه فهو صحيح مقطوع بصحته بل نقول: «الخُطَبُ والكَلِمُ المرويات في نهج البلاغة حالها كحال الخطب المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي بعضها متواتر قطعي الصدور، وبعضها غير متواتر فهو ظنّي السند لا نحكم عليه بالانتحال والافتعال إلّا بعد قيام الدليل»(٣).

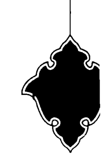
ولو سلمت المصادر الأولية التي نقل عنها الرضي رحمه الله من عَوادِي الزمان وأبنائه، لوقفنا على تلك الأسانيد، ولكن في الباقي كفاية أيضاً حيث وردت كثير من هذه النصوص ـ ولو بألفاظ مختلفة ـ في مطاوي الكتب المتقدّمة والمتأخرة عن الرضي رحمه الله.

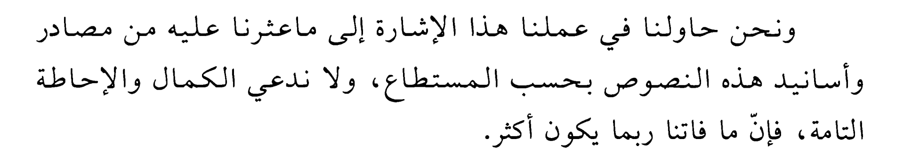
---

(١) البحار للمجلسي: ٥٥: ٢٥٨.

(٢) ينظر في ذلك الأنوار النعمانية ٣: ٦٠ ـ٦٥.

(٣) ماهو نهج البلاغة للسيّد هبة الدين الشهرستاني: ٥١.





ونحن حاولنا في عملنا هذا الإشارة إلى ماعثرنا عليه من مصادر وأسانيد هذه النصوص بحسب المستطاع، ولا ندعي الكمال والإحاطة التامة، فإنّ ما فاتنا ربما يكون أكثر.

ب ـ ذم الصحابة:

قال الذهبي: «ففيه السب الصراح والحط على السيدين ...»[١].

نقول: إنّ مبحث عدالة جميع الصحابة مبحث ساخن بين الشيعة والسنّة، بينما يرى أهل السنّة عدالة جميعهم وعدم جواز التكلّم عمّا جرى وما دوّن في الكتب بينهم، ترى الشيعة لزوم الخوض في ذلك إذ إنّه من صميم الدين.

وهذا ما يوافقنا عليه القرآن والسنّة وسيرة الصحابة أنفسهم،أمَّا القرآن فما ورد في ذم المتخلّفين عن رسول الله ﷺ أو المؤذين له وما شاكل، وخطابات القرآن ـ مدحاً وذماً ـ كانت متوجهة لمجتمع الصحابة، ويكفي سورة براءة التي تسمّى بالفاضحة، فحالهم حال غيرهم من الأُمم في الصلاح والفساد، وأمّا السنّة فيكفينا حديث الحوض الوارد في (الصحاح) والدال بصريحه على ارتداد بعض الصحابة القهقرى[٢]، وأمّا سيرة الصحابة أنفسهم، فانّنا نرى أنَّ بعضهم ينتقد البعض الآخر بل وحتى يلعنه، وكان الملاك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن حاد عن المعروف كان

---

(١) ميزان الاعتدال ٣: ١٢٤.

(٢) وهو ما ورد في صحيح البخاري ٧: ٢٠٦ من قول الرسول ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، وليرفعنّ رجال منكم ثم ليختلجنّ دوني فأقول: يارب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» ونحوه عند مسلم في صحيحه ٧: ٦٨، وابن ماجة في سننه ٢: ١٠١٦.
وفي لفظ آخر عند البخاري في صحيحه ٧: ٢٠٨: «إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى».

يتعرّض للنقد واللعن والقتل من قبل الصحابة أنفسهم، كما حدث للخليفة الثالث عثمان بن عفان.

وبعد هذا فنحن لا نعتقد في أميرالمؤمنين عليه السلام أَنَّه كان سباباً، كيف وهو الذي منع أصحابه من سب معاوية وأصحابه، وأمرهم بذكر معايبهم وزلّاتهم كي لا يفتتن بهم أحد، وهذا هو الذي التزم به عليه السلام ونراه أيضاً في (نهج البلاغة)، إذ كان عليه السلام يعتقد أنّ كَشْف ما جرى من خطوب في تلك البرهة للأجيال القادمة وظيفة دينية لم يجز التخلّي عنها، وإن كان فيه مساس أو حطٌّ من مقام معين، فالحقّ أحق أن يُتبّع.

والعجب من المشكّكين حيث يعترضون علينا بإيراد الخطبة الشقشقية، التي يصف فيها أمير المؤمنين عليه السلام مَنْ تقدّمه بأوصاف يشهد التاريخ بصحتها، ويعتبرونها سبّاً وحطاً لمقام الصحابة، ولا يعترضون على أنفسهم في إيراد كلام الخليفة الأول حين عرّض بعلي وبالزهراء بضعة الرسول صلى الله عليه وآله[1] والخليفة الثاني عمر بن الخطاب قُبيل وفاته لمّا غمز في المبشرين بالجنّة ـ عندهم ـ ووصفهم بصفات يلوح منها الطعن وعدم الأهلية للخلافة![2]

ج ـ التناقض:

قال الذهبي: «وفيه من التناقض...»[3].

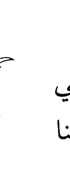
---

(١) وذلك حيث قال: «إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه، مرب لكل فتنة... يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء، كأم طحال أحب أهلها إليه البغي». شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١٥.

(٢) وذلك كما رواه ابن شبة في تاريخ مدينة: ٣: ٨٨٣، حيث وصف علياً عليه السلام بأنّ «فيه بطالة وفكاهة» وطلحة بأنّه «الاكتع ما كان الله ليعطيها إياه، مازلت أعرف فيه بأو مذ أصيبت يده» وعبد الرحمن بأنّه «ضعيف» وسعد بأنّه «صاحب فرس وقوس» والزبير بأنّه «وعقة لقس» وعثمان بأنه «يحمل بني أبي معيط على رقاب الناس».

(٣) ميزان الاعتدال ٣: ١٢٤، ولسان الميزان لابن حجر ٤: ٢٥٦.





نقول: لا يمكن تفسير النص أو الحدث بمعزل عن الملابسات التي كانت تحيط به، ولا سيّما لو ابتعدت الحادثة عنّا قروناً متطاولة، وإلّا وقعنا في خبط وتشويش في فهم النصوص والحوادث الواقعة.

وهذا ما حدث بالفعل لمناوئي الإسلام حيث رموا القرآن أو سيرة النبي ﷺ ـ والعياذ بالله ـ بالتناقض، إذ فسّروا النص بمَعْزِلٍ عن مُلابسات الحدث واللغة، وما كان يحيط به من استحقاقات سياسية أو إجتماعية أو عرفية، وذلك كما يقال بالنسبة إلى تعامل النبي ﷺ مع المؤلّفة قلوبهم حيث كان يهب لهم أحياناً أكثر ممّا يهب لأصحابه الخلّص من العطاء، أو نظير تعامله مع المنافقين حيث صلّى على رأس المنافقين أُبيّ لمّا مات رعاية لمصالح عامة، مع ذمه للمنافقين وتحذيره منهم.

وهذا ما غاب عن الذهبي وأضراب الذهبي، فرموا نهج البلاغة وكلام أميرالمؤمنين عليه السلام بالتناقض، ولم يفطنوا إلى أنَّ كلامه عليه السلام ـ بعدما ثبتت نسبته إليهـ لا يحمل على التناقض وإن كان ظاهره ذلك، بل لابدّ من تفسيره مع لحظ الملابسات والظروف التي كان يعيشها الإمام عليه السلام آنذاك، مع تقديم الأهم فالمهم ورعاية مصالح المسلمين وحفظ بيضة الإسلام، وأيضاً مع لحظ الكلام الذي كان يتداوله عليه السلام مع خواصه وبمنأى عن الرأي العام، والكلام الذي كان بمرأى ومسمع الناس، وعادة يوجد بعض التفاوت في هذين الخطابين، وعليه فلا تناقض إذ لكلّ مقام مقال.

د ـ استعمال السجع:

أشار ابن أبي الحديد إلى هذه الشبهة وقال: «واعلم أنَّ قوماً من أرباب علم البيان عابوا السجع، وأدخلوا خطب أميرالمؤمنين عليه السلام في جملة ما عابوه، لأنّه يقصد فيها السجع، وقالوا: إنَّ الخطب الخالية من السجع والقرائن والفواصل، هي خطب العرب وهي المستحسنة الخالية من التكلّف، كخطبة النبي ﷺ في حجة الوداع.

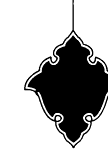


ثم أجاب عنها قائلاً: واعلم أنَّ السجع لو كان عيباً لكان كلام الله سبحانه معيباً، لأنّه مسجوع كلّه ذو فواصل وقرائن، ويكفي هذا القدر وحده مبطلاً لمذهب هؤلاء. فأمّا خطبة رسول الله ﷺ هذه [إشارة إلى خطبة ذكرها] فإنّها وإن لم تكن ذات سجع، فإنّ أكثر خطبه مسجوع، كقوله: إنّ مع العزّ ذُلاً، وإنّ مع الحياة موتاً، وإنّ مع الدنيا آخرة، وإنّ لكلّ شيء حساباً، ولكلّ حسنة ثواباً، ولكلّ سيئة عقاباً، وإنّ على كل شيء رقيباً، وأنّه لابدّ لك من قرين يُدفن معك هو حي وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلّا معك، ولا تبعث إلّا معه، ولا تُسأل إلّا عنه، فلا تجعله إلّا صالحاً، فإنّه إن صلح أنست به، وإن فسد لم تستوحش إلّا منه، وهو عملك.

فأكثر هذا الكلام مسجوع كما تراه، وكذلك خطبه الطوال كلّها، وأمّا كلامه القصير، فإنّه غير مسجوع، لأنّه لا يحتمل السجع، وكذلك القصير من كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

فأمّا قولهم: إنّ السجع يدلّ على التكلّف، فإنّ المذموم هو التكلّف الذي تظهر سماجته وثقله للسامعين، فأمّا التكلّف المستحسن، فأيّ عيب فيه! ألا ترى أنّ الشعر نفسه لابدّ فيه من تكلّف إقامة الوزن، وليس لطاعن أن يطعن فيه بذلك.

واحتج عائبو السجع بقوله عليه السلام لبعضهم منكراً عليه: «أسجعاً كسجع الكهان!». ولولا أنّ السجع منكر لما أنكر عليه السلام سجع الكُهّان وأمثاله، فيقال لهم: إنّما أنكر عليه السلام السجع الذي يسجع الكهّان أمثاله، لا السجع على الإطلاق، وصورة الواقعة أنّه عليه السلام أمر في الجنين بغرّة، فقال قائل: أَأَدِي من لا شَرِب ولا أكل، ولا نطق ولا استهلّ، ومثل هذا يُطَلُّ! فأنكر عليه السلام ذلك، لأنّ الكهان كانوا يحكمون في الجاهلية بألفاظ مسجوعة كقولهم: حبة بُرّ، في إحليل مُهْر، وقولهم: عبد المسيح، على جمل مُشِيح، لرؤيا الموبذان،





وارتجاس الإيوان، ونحو ذلك من كلامهم، وكان عليه السلام قد أبطل الكهانة والتنجيم والسحر، ونهى عنها، فلما سمع كلام ذلك القائل أعاد الإنكار، ومراده به تأكيد تحريم العمل على أقوال الكهنة. ولو كان عليه السلام قد أنكر السجع لما قاله، وقد بيّنا أنّ كثيراً من كلامه مسجوع، وذكرنا خطبته»[١].

ثم أورد نماذج من السجع الوارد في كلام النبي صلى الله عليه وآله.

هـ ـ المشتركات في نهج البلاغة:

وهي أَنَّ هناك بعض النصوص الواردة في (نهج البلاغة) مروية عن النبي صلى الله عليه وآله أو غيره من الصحابة والتابعين.

ونقول: إنَّ رواية بضع فقرات من (نهج البلاغة) منسوبة لغير علي في بعض المراجع والكتب التراثية، أمر لا يدلّ على نفي نسبة أو تلفيق سند، كيف وقد حدث مثلها في بعض ما نسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وإلى عدد من الصحابة من جمل وفقرات، كما حدث مثلها في عدد كبير من الشعر العربي القديم.

وليس معنى نسبة فقرة نبوية إلى غير النبي في كتاب ما، أو نسبة بيت من الشعر إلى شاعر ما وغيره، أنّ الحديث النبوي أصبح محلّ شك أو إشكال، أو أنّ ديوان الشاعر الفلاني قد أصبح مرفوض النسبة والسند.

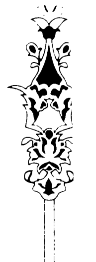
هذا كلّه بالإضافة إلى تلك الحملة الشعواء التي شنّها الحكم الأموي، وعدد من الحكّام العباسيين على شخص علي بفضائله ومناقبه وأحاديثه وتاريخه، ممّا حدا بالكثير إلى كتمان ما يعلمه أولئك عن علي، وإلى الاستشهاد بكلامه من دون تصريح باسمه في معظم الأحيان»[٢].

---

(١) شرح النهج ١: ١٢٦ ـ ١٢٩.

(٢) نهج البلاغة لمن للشيخ محمد حسن آل ياسين: ٥٩ ـ ٦٠.





و ـ العلم بالغيب:

قيل ورد في بعض خطب (نهج البلاغة) الإنباء بالغيب، وهذا ممّا يخصُّ الله بعلمه وحده.

قلنا: إنّ علم الغيب بصورة عامة خاص بالله تعالى، كما هو الحال في الخلق والرزق وما شاكل ذلك، ولكن هذا لا ينافي أن يُطْلِعَ اللهُ تعالى أنبياءه، ومن شاء من عباده على شيءٍ من غيبه المكنون، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[2].

كما هو الحال بالنسبة إلى الخلق، فالله تعالى هو الخالق الواحد، ولكن هذا لاينافي إقداره للغير على الخلق بإذنه، كما ورد عن لسان عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[3].

فلا ضير أن يخبر الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله ببعض الغيب، ويخبر الرسول وصيّه بشيء منه أيضاً، كما صرّح علي عليه السلام بذلك لمّا سُئل: أُعطيت يا أميرالمؤمنين علم الغيب؟ فأجاب عليه السلام: ليس هو بعلم غيب وإنّما تَعلُّمٌ مِنْ ذِيْ عِلْمٍ.

هذه هي أهم الشبهات المثارة حول نهج البلاغة، تركنا بعضها وأجبنا عن البعض الآخر في مطاوي الكتاب.

٤ ـ النسخ المعتمدة:

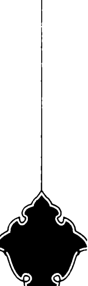
اعتمدنا في التحقيق على أربع نسخ قديمة نورد مواصفاتها فيما يلي:

---

(١) سورة الجن، الآية: ٢٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.





١ ـ نسخة طبعتها مكتبة آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي رحمه الله في قم بتاريخ ١٤٠٦ هـ مصوّرة، عن نسخة ثمينة قديمة كتبها الحسين بن الحسن بن الحسين المؤدب، وأتم الكتابة في شهر ذي القعدة سنة (٤٩٩هـ) كما هو مثبت في نهاية الجزء الأول من المخطوطة ص: ١٧٤.

والنسخة موجودة في مكتبة السيد المرعشي رحمه الله برقم (٣٨٢٧) وهي بخط نسخ واضح ومعرب، وفي هوامشها قيود مختصرة أكثرها لغوية، وعلى الورقة الأُولى تملكات وأختام يعود أكثرها إلى القرن الحادي عشر.

٢ـ نسخة قديمة من مصوّرات مركز إحياء التراث الإسلامي في قم وبرقم(٢)، والأصل في مكتبة مدرسة نواب بمشهد المقدسة. وهي بخط نسخ معرب كتبها محمد بن محمد بن أحمد النقيب في شهر صفر عام (٥٤٤هـ) في قصبة السانزولة، وفي الهامش تصحيحات.

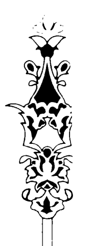
٣ ـ نسخة أُخرى من مصوّرات مركز إحياء التراث الإسلامي في قم وبرقم ١٠٦٣ ، وأصل المخطوطة في المكتبة الوطنية (ملك) بِطِهْران. هذه النسخة بخط سليمان بن محمود بن محمد بن قرابكي (قرابك) البدري، بتاريخ ١١ شوال عام (٥٦٦هـ) وعليها بلاغات ومقابلة عبد الصمد الجبعي.

٤ ـ أمّا النسخة الرابعة وهي من مخطوطات مركز إحياء التراث الإسلامي في قم وبرقم ٥٠٨.

والنسخة بخط نسخ معرب من أوائل القرن السادس، وعليها تصحيحات وحواشٍ بخطوط مختلفة.

أمّا منهجنا في العمل لهذه الطبعة فهو: الشرح والتوضيح لبعض الكلمات المبهمة، ذكر مصادر الخطب والكتب وقصار الحكم بحسب التسلسل الزمني، زائداً معالجة بعض الشبهات التي ربّما تثار حول بعض



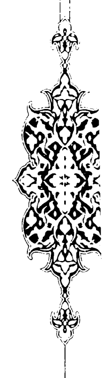


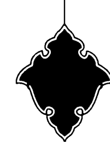
النصوص الواردة، وحذفنا في هذه الطبعة ذكر اختلاف النسخ وبعض التعليقات التي ذكرناها في الطبعات السابقة، روماً للاختصار.

وختاماً لا يفوتني أن أتقدّم بالشكر الجزيل لكلّ من ساعدني في إنجاز هذا العمل من مراجعة وتصحيح وإضافة تعليق، فللّه درّهم وعلى الله أجرهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..











بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدَ حَمْدِ الله الذي جعلَ الحمدَ ثمناً لنعمائِه، ومَعاذاً من بَلائِه، ووسيلاً إلى جِنانه، وسبباً إلى زيادة إحسانه. والصلاةُ على رسوله نبيّ الرحمة، وإمام الأئمة، وسِراجِ الأمة، المنتخَب مِن طينة الكَرَم، وسُلالةِ المجد الأقدَمِ، ومَغرِس الفَخار المُعْرِق، وفرع العَلاء الـمُثمر المورِق. وعلى أهلِ بيته مصابيح الظُّلَم، وعِصَم الأُمَم، ومَنَار الدِّين الواضِحَة، ومثاقيلِ الفضل الراجِحة صلّى الله عليهم أجمعين، صلاةً تكون إزاءً لفضلِهم، ومُكافأة لعملِهم، وكِفاءً لِطيب فرعهم وأصلهم، ما أنارَ فجرٌ ساطع، وخوى نجم طالع.

فإنّي كنتُ في عنفوان شبابي، وغضاضة الغصن، ابتدأتُ بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم، وجواهر كلامهم، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته إمام الكلام.

وفرغت من الخصائص التي تخصّ أميرالمؤمنين علياً عليه السلام، وعاقت عن إتمامِ بقية الكتابِ مُحاجزاتُ الأيام، ومُماطلات الزّمان، وكنتُ قد بوّبتُ ما خرجَ من ذلك أبواباً، وفصّلتُه فصولاً، فجاء في آخرِها فصلٌ يتضمّن محاسنَ

ما نقل عنه عليه السلام من الكلامِ القَصير في المواعِظِ والحِكمِ والأمثال والآدابِ، دون الخطبِ الطويلة، والكتب المبسوطة، فاستحسن جماعةٌ من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصلُ المقدّم ذكره، معْجَبين ببدائِعِه، ومتعجِّبين من نواصعه. وسألوني عند ذلك أن أبتدئ بتأليف كتابٍ يحتوي على مُختارِ كلامِ مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام في جميعِ فُنونه، ومتشعّبات غُصونه: من خُطبٍ، وكُتبٍ، ومواعظَ وأدبٍ.

علماً أنّ ذلك يتضمّن من عجائب البلاغةِ، وغرائبِ الفصاحةِ، وجواهر العربية، وثواقبِ الكَلِم الدينية والدُّنياويَّة، ما لا يوجدُ مجتمعاً في كلامٍ، ولا مجموعَ الأطراف في كتاب إذ كان أميرالمؤمنين عليه السلام مَشْرَعَ الفصاحة ومَوْرِدَها، ومَنشأ البلاغةِ ومَوْلِدَها، ومنه عليه السلام ظهر مكنُونُها، وعنه أُخِذَتْ قوانينُها، وعلى أمثلتِه حَذَا كلّ قائِلٍ خطيبٍ، وبكلامه استعانَ كلّ واعظٍ بليغ(١).

ومع ذلك فقد سبق وقصّروا، وتقدّم وتأخّروا، لأنّ كلامَه عليه السلام الكلامُ



---

(١) قال المسعودي (ت ٣٤٦) في مروج الذهب ٢: ٤٣١ في ترجمة أميرالمؤمنين عليه السلام: «والذي حفظ الناس من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانين خطبة يوردها على البديهة، و تداول الناس ذلك عنه قولا وعملا».

وقال ابن أبي الحديد (ت٦٥٦) في مقدمة شرح النهج: ١: ٢٤: «وأما الفصاحة فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيّد البلغاء وفي كلامه قيل: «دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين» ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة، قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثمّ فاضت. و ابن نباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلّا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ عليّ ابن أبي طالب. ولما قال مخفن بن أبي مخفن لمعاوية: جئتك من عند أعيا الناس، قال له: ويحك كيف يكون أعيا الناس؟ والله ماسنّ الفصاحة لقريش غيره».

ويذكر الشهيد المطهري في كتابه معرفة العلوم الإسلامية [٢: ١٣٣] أنّ للحسن البصري (ت١١٠هـ) كتاباً باسم «رعاية حقوق الله» [توجد نسخة منه في مكتبة آكسفورد] ضمّن فيه الكثير من كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام.



الذي عليه مَسْحةٌ من الكلام الإلهي، وفيه عَبْقَةٌ من الكلام النبويّ. فأجَبتُهم إلى الابتداءِ بذلك، عالماً بما فيه من عظيم النَّفعِ، ومَنشورِ الذِّكرِ، ومَذْخورِ الأجرِ.

واعتمدتُ بِه أن أبيّن عن عظيم قَدْر أميرالمؤمنين عليه السلام في هذِهِ الفضيلةَ، مُضافةً إلى المحاسنِ الدّثِرَة، والفضائل الجمّة، وأنّه عليه السلام انفرَدَ ببلوغ غايتها عن جَميع السَّلفِ الأوَّلين الذين إنّما يُؤْثَرُ عنهم منها القليلُ النَّادِرُ، والشَّاذّ الشارِد، فأمّا كلامُه عليه السلام فهو البحرُ الذي لا يُساجَل، والجمّ الذي لا يُحافَل، وأردتُ أن يسوغَ لي التمثُّل في الإفتخارِ بِه عليه السلام بقول الفرزدق:

أولئِك آبائي فجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إذا جَمعَتْنا يا جَريرُ المَجَامِعُ

ورأيتُ كلامَه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة:

أوّلها: الخطب والأوامِر.

وثانِيها: الكُتُب والرسائلُ.

وثالِثُها: الحِكَم والمواعظ.

فأجمعتُ بتوفيقِ اللهِ جلّ جلاله على الابتداء باختيار محاسِن الخُطبِ، ثم مَحاسنِ الكُتُب، ثم محاسن الحِكَم والأدبِ، مُفرِداً لكلّ صِنْفٍ من ذلك باباً، ومُفَصِّلاً فيه أوراقاً، لتكون مقدّمة لاستدراكِ ما عَساهُ يشذّ عَنِّي عاجِلاً، ويَقَعُ إليّ آجلاً.

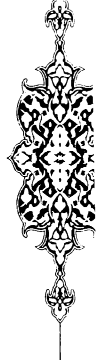
وإذا جاء شيءٌ من كلامِه عليه السلام الخارجِ في أثناءِ حِوارٍ، أو جوابِ سؤالٍ، أو غرضٍ آخرَ من الأغراض في غَيْر الأنحاء التي ذكرتُها، وقرّرْتُ القاعدَة عليها، نَسَبْتُه إلى أَلْيَق الأبوابِ بِهِ، وأشدِّها ملامحةً لغَرَضِهِ. وربّما جاء فيما أختارُهُ من ذلك فصولٌ غيرُ مُتّسِقة، ومَحاسنُ كَلِمٍ غير مُنتظمة، لأني أوردُ النُّكَتَ واللُّمَعَ، ولا أقصِد التَّتالي والنَّسَقَ.

ومن عجائِبه عليه السلام التي انفرد بها، وأمِنَ المشاركةَ فيها، أنّ كلامه الوارد





في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر، إذا تأمّله المتأمِّل، وفكّر فيه المفكِّر، وخلَع من قلبهِ أنّه كلامُ مثلِه ممن عَظُم قَدْرُه، ونفَذ أمرُه، وأحاطَ بالرّقاب مُلْكه، لم يعترضْه الشكّ في أنّه من كلام من لا حظّ له في غير الزّهَادة، ولا شُغْل له بغيرِ العِبادة، قد قَبَع في كِسْر بيتٍ، أو انقطع إلى سَفْح جبلٍ، لا يَسْمعُ إلّا حسَّه، ولا يرى إلّا نفسَه، ولا يكاد يوقِن بأنّه كلامُ من يَنْغَمِس في الحربِ مُصْلِتاً سيفَه، فَيقُطّ الرّقابَ، ويُجَدِّلُ الأبطالَ، ويعودُ به يَنْطُفُ دَماً، ويقطُر مُهَجاً، وهو مع تلك الحالِ زاهدُ الزّهاد وبَدَلُ الأبْدال. وهذه من فضائله العجيبة، وخَصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد، وألّف بين الأشتَاتِ، وكثيراً ما أُذاكِرُ الإخوان بها، وأستخرجُ عَجَبُهم منها؛ وهي موضع للعبْرة بها، والفكرة فيها.



وربّما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظُ المردد، والمعنى المكرّر، والعُذْر في ذلك أنّ رواياتِ كلامه عليه السلام تختلفُ اختلافاً شديداً: فربّما اتفق الكلامُ المختارُ في روايةٍ فنُقِلَ على وجهه، ثم وُجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير موضعه الأوّل: إمّا بزيادة مختارة، أولفظ أحسن عبارة، فتقتضي الحالُ أن يُعاد، استظهاراً للاختيار، وغَيْرةً على عقائل الكلام. وربّما بَعُدَ العهدُ أيضاً بما اختير أوّلاً فأُعيدَ بعضُه سهواً أونسياناً، لا قَصْداً واعتماداً.

ولا أدّعي مع ذلك أنّي أحِيطُ بأقطارِ جميع كلامِه عليه السلام حتّى لا يشِذّ عنّي منه شاذّ، ولا يَنِدُّ نادّ، بل لا أبعِد أن يكون القاصِرُ عنّي فوق الواقع إليّ، والحاصلُ في رِبْقتي دون الخارج من يديّ، وما عليّ إلا بذلُ الجهد، وبلاغ الوسع، وعلى الله سبحانَه نهج السبيل، وإرشاد الدليل، إن شاء الله تعالى.

ورأيتُ من بعد تسمية هذا الكتاب بـ «نهج البلاغة» إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها، ويقرّب عليه طِلابَها، وفيه حاجةُ العالِم والمتعلّم، وبُغية البليغ





والزاهد، ويمضي في أثنائه من عجيب الكلام في التَّوحيد والعدل[١]، وتنزيه الله سبحانه عن شَبَهِ الخلْق، ما هو بِلال كلّ غُلّة[٢]، وشِفاء كُلّ عِلّة، وجِلاء كلّ شبهة. ومن الله سبحانه أستمدّ التوفيق والعِصمة، وأتنجّزُ التسديد والمعونة، وأستعيذه من خطأ الجَنان قبل خطأ اللسان، ومِن زلّة الكَلِم قبل زلّة القدمِ، وهو حَسْبِي ونِعمَ الوكيلُ.



(١) قال ابن أبي الحديد في شرح الخطبة٨٣: «اعلم أنّ التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية ما عرفت إلّا من كلام هذا الرجل، وإنّ كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمّن شيئاً من ذلك أصلاً، ولا كانوا يتصوّرونه، ولو تصوّروه لذكروه، وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله».

(٢) البلّة: النداوة، والمراد هنا: الارتواء. والغلّة: حرارة العطش.











ويدخل في ذلك الجاري مجرى الخطب
والمختار من كلامه في المقامات المحصورة
والمواقف المذكورة والخطوب الواردة







[١] ومن خطبة له عليه السلام
يذكر فيها ابتداءَ خلق السماءِ والأَرض، وخلق آدم عليه الصلاة والسلام(١)

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ القَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ العَادُّونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الهِمَمِ، وَلا يَنَالُهُ غَوْصُ الفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلا أَجَلٌ مَمْدُودٌ.

فَطَرَ الخَلائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ.

أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ

---

(١) رواها مسندة قطب الدين الراوندي (ت٥٧٣) في منهاج البراعة ١: ١٠٧ عن الشيخ أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسن الحلبي، عن الشيخ أبي جعفر الطوسي، عن الشيخ المفيد أبي عبدالله الحارثي، أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمّد الكاتب، أخبرنا الحسن بن عليّ الزعفراني، أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمّد الثقفي، أخبرنا أبو الوليد العباس بن بكار الضبي، حدّثنا أبو بكر الهذلي، عن الزهري وعيسى بن زيد، عن صالح بن كيسان، عن أميرالمؤمنين عليه السلام. وقال الراوندي: «ولو أردت ذكر ما حذفه الرضي من الخطبة لطال هذا الكتاب».
هذا وقد وردت بعض النصوص المشابهة لهذه الخطبة في مختلف المصادر، فقد روى الكليني (ت٣٢٨) في الكافي ١: ١٣٤ ح٢ وابن شعبة الحراني (ق٤) في تحف العقول: ٦١، بعض الفقرات المشابهة لما ورد في هذه الخطبة مع اختلاف في الألفاظ والترتيب.



تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّها غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَد جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ [وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ]، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ: «فِيمَ» فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ: «عَلَامَ؟» فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ.

كائِنٌ لا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شيءٍ لا بِمُزَايَلَةٍ، فَاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ.

أَنْشَأَ الخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَلا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا، وَلا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا، وَلا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا.

أَجَالَ الأشياءَ لِأَوْقَاتِهَا، وَلَاءَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَغَرَّزَ غرائِزَهَا، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطاً بِحُدُودِها وَانْتِهَائِهَا، عَارِفاً بِقَرَائِنِها وَأَحْنَائِهَا.

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الأَجْوَاءِ، وَشَقَّ الأَرْجَاءِ، وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ[1]، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلاطِماً تَيَّارُهُ[2]، مُتراكِماً زَخَّارُهُ[3]، حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَالزَّعْزَعِ[4] الْقَاصِفَةِ، فَأَمَرَها بِرَدِّهِ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ،

(١) السكاك والسكاكة: الهواء بين السماء والأرض، أو أعلى الفضاء.

(٢) التيار: الموج.

(٣) الزخار: الذي يَزْخَر، أي يمتدّ ويرتفع.

(٤) الريح الزعزع: الشديدة الهبوب.





وَقرنَهَا إِلَى حَدِّهِ، الهَوَاءُ مِنْ تَحْتِها فَتِيقٌ، وَالمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ.

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا[١]، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا[٢]، وَأَعْصَفَ مَجْرَاها، وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا، فَأَمَرَها بِتَصْفِيقِ[٣] الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ البِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالفَضَاءِ، تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ[٤]، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ[٥]، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ[٦]، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ، جَعَلَ سُفْلاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً[٧]، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، وَلا دِسَارٍ يَنْتَظِمُهَا. ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ، وَضِياءِ الثَّوَاقِبِ، وَأَجْرَى فِيها سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وَقَمَراً مُنِيراً فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ[٨].

ثُمَّ فَتَقَ[٩] مَا بَيْنَ السَّمواتِ العُلَا، فَمَلأَهُنَّ أَطْواراً مِنْ مَلائِكَتِهِ؛ مِنْهُمْ سُجُودٌ لا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ لا يَتَزَايَلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ

---

(١) اعتقم مهبّها: أي جعل هبوبها عقيماً، والريح العقيم التي لا تُلقح سحاباً ولا شجراً.
(٢) أدام مربها: ملازمتها.
(٣) التصفيق: ضرب الشيء بعضه على بعض.
(٤) الساجي: الساكن. والمائر: الذي يذهب ويجيئ.
(٥) ركامه: أي متراكمه.
(٦) المنفتق: المنشق، والمنفهق: المفتوح والمتّسع.
(٧) الموج المكفوف: الممنوع من السيلان.
(٨) رقيم مائر: أي لوح متحرك، سُمّي الفلك رقيماً تشبيهاً باللوح، لأنّه مسطح فيما يبدو للناظر.
(٩) قال الفخر الرازي في تفسيره ٢ : ١٧٩ سورة البقرة آية ٣٠ المسألة الرابعة، عندما أورد كلام أميرالمؤمنين عليه السلام هذا في وصف الملائكة: «واعلم أنّه ليس بعد كلام الله وكلام رسوله كلام في وصف الملائكة أعلى وأجلّ من كلام أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام، قال في بعض خطبه: ثم فتق ما بين السماوات العلى... الخ».



لا يَسْأَمُونَ، لا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ العُيُونِ، وَلا سَهْوُ العُقُولِ، وَلا فَتْرَةُ الأَبْدَانِ، ولا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ.

وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ، وأَلسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ. وَمِنْهُمُ الحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ. وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ في الأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالمَارِقَةُ مِنَ السَّماءِ العُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، والخَارِجَةُ مِنَ الأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ العَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ[1] تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ العِزَّةِ، وَأَسْتَارُ القُدْرَةِ، لا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ المَصْنُوعِينَ، وَلا يَحُدُّونَهُ بِالأَماكِنِ، وَلا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.

منها: في صفة خلق آدم عليه السلام

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ[2] الأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلَاطَهَا[3] بِالبَلَّةِ حَتَّى لَزُبَتْ[4]، فَجَبَلَ مِنْها صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ، أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ[5]، لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَجَلٍ مَعْلُومٍ.

ثُمَّ نَفَخَ فِيها مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْساناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، والأَذْوَاقِ والْمَشَامِّ، وَالأَلوَانِ وَالأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الأَلوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالأَشْبَاهِ المُؤْتَلِفَةِ، وَالأَضْدَادِ المُتَعَادِيَةِ، وَالأَخْلاطِ المُتَبَايِنَةِ،

---

(١) متلفّعون: أي ملتحفون، أو مشتملون.

(٢) الحَزْن: ما غلظ من الأرض.

(٣) لاطها: أي مزجها.

(٤) لَزُبت: أي التصقت وثبتت.

(٥) أصلدها: جعلها صَلْداً أي صُلباً متيناً. وصلصلت: يَبُست.





مِنَ الحَرِّ والبَرْدِ، وَالبَلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَالمَساءَةِ وَالسُّرُورِ. وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ المَلائِكَةَ[1] وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، في الإِذْعَانِ بالسُّجُودِ لَهُ، وَالخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ عَزَّ مِن قائِلٍ: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ وَقَبِيلَهُ[2]، اعْتَرَتْهُمُ الحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ، وَتَعَزَّزُوا بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ تعالَى النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ، وَاسْتِتْماماً لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجازاً لِلْعِدَةِ، فَقَالَ: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾.

ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ داراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدارِ الْمُقَامِ، وَمُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَالعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً[3]، وَبِالاغْتِرَارِ نَدَماً.

ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ في تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، وَوَعَدَهُ المَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ[4].

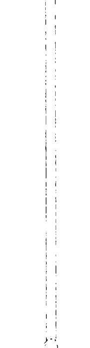
---

(١) استأدى الله الملائكة: طلب منهم الأداء.

(٢) القبيل: الجماعة من ثلاثة فصاعداً من قوم شتى.

(٣) الجذل: الفرح والسرور. والوجل: الخوف.

(٤) قد يُتصوّر أنّ ظاهر كلام أمير المؤمنين عليه السلام هنا يخالف معتقد الإمامية في عصمة الأنبياء عليهم السلام المطلقة ـ كما ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرحه ١ : ١٠٣ وغيره ـ فجعلوه ذريعة للطعن على عقائد الشيعة. لكن نقول: لم يكن كلام أمير المؤمنين عليه السلام هنا عن آدم عليه السلام بأكثر ممّا ورد في القرآن الكريم، حيث إنّه عليه السلام اقتبس كلامه منه، وبعد ما أوّل علماؤنا ظاهر النصوص القرآنية المخالفة للعصمة المطلقة بما يوافق مقتضى العقل ومقتضى الحكمة الإلهية، كان تأويل كلام أمير المؤمنين عليه السلام أولى وأحرى.
والعمدة في الدليل على العصمة المطلقة هو حكم العقل بوجوبها ولزومها، حيث إنّ الغرض من إرسال الأنبياء إنّما هو هداية الناس وإيصالهم إلى الله تعالى وإلى كمالهم المطلوب، فلا يجوز أن يصدر منهم ما يخالف غرض إرسالهم وبعثتهم، ممّا ينفّر الناس ويبعدهم عنهم. أمّا في خصوص قصة آدم عليه السلام فيقال: إنّ النهي عن أكل الشجرة كان نهياً تنزيهياً لا تحريمياً، ولذا كان مخالفته كالمخالفة للاولى ولأيّ =



وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ[(١)] الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ[(٢)]، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ[(٣)] تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ.

= أمر تنزيهي أو إرشادي آخر ممّا لا يستلزم العقاب والعذاب والخذلان الإلهي. أمّا قوله عليه السلام: «فباع اليقين بشكّه» فقد قيل: إنّه مثل قديم للعرب يضرب لمن عمل عملاً لا يفيده وترك ما ينبغي له أن يفعله، أو يُراد من اليقين اليقين بعداوة إبليس وبالشك الشك فيها. أمّا التوبة فهي بمعنى الندم والرجوع، فكما تصحّ على صدور الذنب تصحّ أيضاً على ترك المندوب، مضافاً إلى أنّ التوبة تحسن أن تقع ممّن لا يعهد في نفسه قبيحاً على سبيل الانقطاع إلى الله والرجوع، ويكون وجه حسنها استحقاق الثواب، أو كونها لطفاً له ولغيره.

هذا هو المشهور عند الإمامية، نعم شذّ عنه بعض المتقدّمين والمتأخّرين، فمن المتقدّمين الشيخ المفيد رحمه الله حيث قال في أوائل المقالات: ٦٢ رقم٣٢: «... وأمّا ما كان من صغير لايستخفّ فاعله فجائز وقوعه منهم قبل النبوّة وعلى غير تعمّد، وممتنع منهم بعدها على كلّ حال» وقال في تصحيح الاعتقاد: ١٢٩:

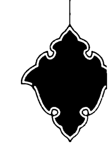
«... والعقل يجوّز عليهم ترك مندوب إليه على غير التعمّد للتقصير والعصيان». ومن المتأخرين الشيخ محمّد تقي التستري رحمه الله في كتابه بهج الصباغة ١: ٥٩٦ حيث وافق الشيخ المفيد، وقال بعدما ذكر كلامه من أوائل المقالات: «وما قاله الصواب، وعليه يحمل أكل آدم من الشجرة، فإنّه لم يكن عن تعمّد، لقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾».



(١) اجتالتهم: أدارتهم، أو عدلت بهم، أو اعترتهم.

(٢) أي ليطلبوا منهم أداء ما ألزمهم من الميثاق والعهد.

(٣) الأوصاب: الأمراض.



وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ؛ رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ[1] عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ. عَلَى ذَلِكَ نُسِلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ.

إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ وَتَمامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيماً مِيلادُهُ. وَأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ للهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ في اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ.

ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صلّى الله عليه لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، فَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِالدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ البَلْوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ في أُمَمِها، إِذْ لَم يَترُكُوهُمْ هَمَلاً، بِغَيْرِ طَرِيقٍ واضِحٍ، ولَاعَلَمٍ قَائِمٍ.

كِتَابَ رَبِّكُمْ مُبَيِّناً حَلَالَهُ وَحرامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ[2]، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّراً جُمَلَهُ، وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى العِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الكِتَابِ فَرْضُهُ، [وَ] مَعْلُوم في السُّنَّةِ نَسْخُهُ، وَوَاجِبٍ في السُّنَّةِ أَخْذُهُ، مُرَخَّصٍ في الكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ، وَزَائِلٍ في مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايَنٍ بَيْنَ

(١) الغابر: الباقي.

(٢) المرسل: المطلق، والمحدود: المقيد المظهر حدّه وغايته.

مَحَارِمِهِ[1]، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ في أَدْنَاهُ، ومُوَسَّعٍ في أَقْصَاهُ.

ومنها: [في ذكر الحجّ]

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنْعَامِ، وَيأْلَهُونَ[2] إِلَيْهِ وُلُوهَ الحَمَامِ.

جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ المُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ.

جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ لِلإِسْلامِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ[3]، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٢] ومن خطبة له عليه السلام بعد انصرافه من صفين[4]
[وفيها حال الناس قبل البعثة وصفة آل النبيّ ثمّ صفة قوم آخرين]

أَحْمَدُهُ اسْتِتْماماً لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِسْلَاماً لِعِزَّتِهِ، واسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ،

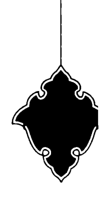
---

(١) المباينة بين المحارم: تقسيمها إلى كبيرة وصغيرة.

(٢) يألهون إليه: يشتدّ شوقهم إليه حتى تكاد تذهب عقولهم من شدّة الاشتياق، كاشتياق الحمام إلى وكرها.

(٣) الوفادة: القدوم والورود.

(٤) روى ذيلها الطبري الإمامي المتوفّى أوائل القرن الرابع أي من قوله عليه السلام: «لا يقاس بنا آل محمّد» إلى قوله: «فيهم الوصية والوراثة» باختلاف في الألفاظ. نعم رواها قطب الدين الراوندي (ت٥٧٣) في منهاج البراعة ١: ١١٦ مسندة عن أبي عليّ =



وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلا يَئِلُ[1] مَنْ عَادَاهُ، وَلا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ؛ فَإِنَّهُ أَرْجَحُ ما وُزِنَ، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَاإِلهَ إِلَّا اللهُ، شَهَادَةً مُمْتَحناً إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا[2]، نَتَمَسَّكُ بِها أَبَداً ما أَبْقَانَا، وَنَدَّخِرُهَا لأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّها عَزِيمَةُ الإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمٰنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالعِلْمِ المأْثُورِ، وَالكِتَابِ المسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالآيَاتِ، وَتَخْوِيفاً لِلْمَثُلَاتِ[3]، وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ[4] فِيها حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي[5] اليَقِينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ[6]، وَتَشَتَّتَ الأَمْرُ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ، وَعَمِيَ المَصْدَرُ، فَالْهُدَى خَامِلٌ، وَالعَمَى شَامِلٌ. عُصِيَ الرَّحْمنُ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ، وَخُذِلَ الإِيمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَتَنكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ[7]. أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلامُهُ، وَقَامَ لِوَاؤُهُ، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى

= الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد، عن الشيخ الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله ابن أحمد بن إسحاق، أخبرنا أبو بكر عبدالله بن محمّد، أخبرنا ابن أبي عاصم، حدّثنا أبو هاشم الرماني محمّد بن فضيل السري بن إسماعيل، عن سفيان بن أميل، عن الحسن بن عليّ عن أبيه عليهما السلام.

(١) لا يئل: لا ينجو.
(٢) المُصاص: خالص كلّ شيء.
(٣) المثلات: العقوبات.
(٤) انجذم: انقطع.
(٥) السواري: جمع سارية، وهي الدعامة يدعم بها السقف.
(٦) النجر: الطبع والأصل.
(٧) الشُرُك: الطرائق، جمع شِراك.



سَنَابِكِهَا[١]، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُون حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، في خَيْرِ دَارٍ، وَشَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُها مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُها مُكْرَمٌ.

ومنها: ويعني آل النبيّ ﷺ

هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِه، بِهِمْ أَقَامَ انْحِناءَ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ[٢].

ومنها: في المنافقين

زَرَعُوا الفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ[٣]، لا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ (عليهم السلام) مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبداً[٤].

هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ اليَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الغَالي، وَبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلايَةِ، وَفِيهِمُ الوَصِيَّةُ وَالوِرَاثَةُ، الآنَ إِذْ رَجَعَ الحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ.

[٣] ومن خطبة له عليه السلام المعروفة بالشِّقْشِقِيَّة[٥]

[وتشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له]

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَ

---

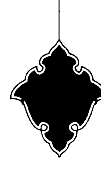
(١) السنبك: طرف مقدّم الحافر.

(٢) الفرائص: جمع فريصة، وهي اللحمة بين الجنب والكتف ترعد عند الفزع.

(٣) الثبور: الهلاك والخسران.

(٤) وذلك انّ المنعَم عليه لا يمكن أن يكون مساوياً للمنعِم، والنبي وأهل بيته عليهم السلام هم المنعمون علينا بالهداية والايمان في الدنيا، والشفاعة والغفران في العقبى.

(٥) واعلم أنّ هذه الخطبة من أهم الدواعي لإنكار من أنكر نسبة ما ورد في كتاب نهج البلاغة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، وحكم بوضعه أو وضع معظمه من قبل الشيعة، ويبدو أنّه لولاها لما تعرّض أحد للنهج والتشكيك في صحة انتسابه، وأسّ=





. . . .

= الاشكالات يدور تارة حول السند وتارة حول الدلالة، ونحن هنا نحاول تسليط الضوء على كلا القسمين بقدر المستطاع.

أما النقطة الأُولى وهي المناقشة السنديّة ـ والتي جعلها ابن تيمية في منهاجه [٧: ٨٧ ـ ٨٨] الأساس في ردّ الخطبة ـ فقد رواها جمع من المحدّثين والمتكلّمين بأسانيد مختلفة أو بدون سند ولكن مع الاشارة إلى شهرتها قبل الرضي وبعده، وذكرها أيضاً واستشهد بها أصحاب المعاجم اللغوية ممّا يدلّل على شهرتها وكثرة تداولها، وفيما يلي نوردهم حسب التسلسل الزمني:

(١) أبو القاسم البلخي (ت٣١٨) شيخ المعتزلة. قال ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٠٥: «وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة».

(٢) أبو جعفر محمّد بن عبد الرحمن الرازي المعروف بابن قبة (المتوفى أوائل القرن الرابع) في كتاب الانصاف. ذكره ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٠٦، وابن ميثم في شرحه ١: ٢٥٢.

(٣) رواها الشيخ الصدوق (ت٣٨١) في علل الشرايع ١: ١٥١ ح١٢: «عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن محمّد بن أبي القاسم، عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس» ورواها في معاني الأخبار: ٣٦٠ ح١ بنفس السند وزاد اسناداً آخر: «محمّد ابن ابراهيم ابن اسحاق الطالقاني، عن عبد العزيز بن يحيى الجلودي، عن أحمد بن عمار ابن خالد، عن يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن عيسى بن راشد، عن عليّ ابن خزيمة، عن عكرمة، عن ابن عباس». وذكر الصدوق شرح ألفاظها عن الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري من علماء العامة، والعسكري توفي في ٣٩٥ هـ، والكلام في (الصناعتين): ٢٨٥ ومواضع أخر شرح فيها العسكري ألفاظ الخطبة في الكتاب نفسه طبع في القاهرة/ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١٩٧١م.

(٤) رواها الشيخ المفيد (ت٤١٣) في الارشاد ١: ٢٨٧ وقال: «روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس». وقال في كتاب الجمل: ٦٢: «فأمّا خطبته التي رواها عبدالله بن عباس فهي أشهر من أن ندلّ عليها لشهرتها».

(٥) ذكرها القاضي عبد الجبار (ت٤١٥) في المغني، وتصدّى لتأويل بعض كلماتها التي فيها طعن على الخلفاء، ولم ينكر نسبتها إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

(٦) رواها الوزير أبو سعيد الآبي (ت / ٤٢٢ هـ) في كتابيه (نثر الدرر) و(نزهة الأديب) والشقشقية في الباب الثالث، والفصل الأول من كتابه (نثر الدرر)، و(نزهة الأديب). =



. . . .

= (٧) رواها الشيخ الطوسي (ت٤٦٠) في الأمالي: ٣٧٢ ح٨٠٣ «عن الحفّار، عن أبي القاسم الدعبلي، عن أبيه، عن أخيه دعبل، عن محمّد بن سلامة الشامي، عن زرارة، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ، عن ابن عباس، وعن محمّد عن أبيه عن جدّه».

(٨) استشهد بها الميداني (ت٥١٨) في مجمع الأمثال ٢: ١٧٠ رقم ١٩٨٧.

(٩) رواها الطبرسي (ت٥٦٠) في الاحتجاج ١: ٢٨١ وقال: «روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس».

(١٠) ذكرها ابن الخشّاب (ت٥٦٧) وقال: «والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صُنّفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط مَن هو مِن العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي». ذكره ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٠٥.

(١١) رواها قطب الدين الراوندي (ت٥٧٣) في منهاج البراعة ١: ١٣١: «عن الشيخ أبي نصر الحسن بن محمّد ابن ابراهيم بن اليونارتي، عن الحاجب أبي الوفا محمّد بن بديع وأبي الحسين أحمد بن عبد الرحمن الذكواني، عن الحافظ أبي بكر ابن مردويه الاصفهاني، عن سليمان بن أحمد الطبراني، أخبرنا أحمد بن عليّ الأبّار، أخبرنا اسحاق بن سعيد أبو سلمة الدمشقي، أخبرنا خليد بن دعلج، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس».

(١٢) استشهد بها ابن الأثير (ت٦٠٦) في النهاية ٢: ٤٩٠ وفسّر كثيراً من فصولها في ضمن كتابه.

(١٣) رواها سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤) في تذكرة الخواص: ١٢٤ وقال: «ذكر صاحب نهج البلاغة بعضها وأخلّ بالبعض، وقد أتيت بها مستوفاة، أخبرنا بها شيخنا أبو القاسم النفيس الأنباري باسناده عن ابن عباس».

(١٤) ذكر ابن ميثم البحراني (ت٦٧٩) انّه رآها في نسخة عليها خطّ الوزير أبي الحسن عليّ بن محمّد بن فرات، وكان وزير المقتدر بالله، وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة.

(١٥) استشهد بها ابن منظور (ت٧١١) في لسان العرب ١٠: ١٨٥ (مادة شقشق).

(١٦) استشهد بها الفيروزآبادي (ت٨١٧) في القاموس ٣: ٢٥١.

هذا عدا من شرحها أمثال السيد المرتضى، وعلاء الدين گلستانه محمد بن أبي تراب الحسيني الأصفهاني صاحب كتاب نهج اليقين، وابراهيم الجيلاني من أعاظم العلماء. هذا كلّه من حيث السند و ما عثرنا عليه من هذه الجهة.

أمّا النقطة الثانية، وهي المناقشة الدلالية، فالأصل فيها ما تضمّنته الخطبة من اظهار =





. . . .

= التظلم من قبل أميرالمؤمنين عليه السلام، وهذا حقّ لا شبهة فيه ولا غبار عليه، ولسنا بصدد إنكاره أو تأويله، فإنّ التاريخ خير شاهد عليه، ولا سيما ما جرى من أمر السقيفة، والفتن الواقعة بعدها، وإجبار الناس على البيعة، مما أدّى إلى المنافرة والمباغضة بين الطرفين، حتى أَنّ فاطمة الزهراء عليها السلام هجرت الخليفة الأوّل ولم تكلّمه [صحيح البخاري ٤: ٤٢، ٥: ٨٢، ٨: ٣، صحيح مسلم ٥: ١٥٣].

وأدّى إلى تخلّف عليّ عليه السلام عن البيعة لستة أشهر، ثمّ حينما جيء به للبيعة قال ـ على ما رود في صحاح أهل السنة ـ: «كنّا نرى لنا في هذا الأمر نصيباً، فاستبدّ علينا فوجدنا في أنفسنا» [صحيح البخاري ٥: ٨٣، صحيح مسلم ٥: ١٥٥] نحن وإن كنّا لا نعتقد بصحة ما تضمّنته رواية البخاري ومسلم من أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال لأبي بكر: «إنّا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك. . .» وذلك للمعارضة الحاصلة بين هذا الكلام وبين ذيل الرواية التي ذكرناها آنفاً. فلو كان أميرالمؤمنين عليه السلام يعرف فضل أبي بكر، وأنّ الله تعالى هو الذي أعطاه هذا المنصب وساقه إليه، فلماذا لم يبايعه من أوّل الأمر وترك البيعة لستة أشهر، ولماذا استعمل كلمة «الاستبداد بالأمر»، ولكن غرضنا من إيراد هذا النصّ إنّما هو الاحتجاج بقوله: «فاستبدّ علينا فوجدنا في أنفسنا» ممّا يدلّ بصراحة على تضجّره عليه السلام ممّا حدث وعدم رضائه به، ولكن الذي دعاه للتنازل إنّما هو رعاية مصلحة الإسلام لا كما توهّموه.

فلا عجب لو هاجت تلك الأحزان الدفينة طيلة أعوام مرّةً أُخرى في زمن خلافته عليه السلام، سيما وأنّه عليه السلام كان في حشد من الناس، وقد سئل عن أمر الخلافة ـ كما جاء في المصادر ـ فكان لزاماً عليه إظهار ما ربما خفي على من لم يشهد تلك الأيّام، مع أنّه عليه السلام لم يكن بصدد سرد جميع ما جرى عليه إلّا بقدر ما يقيم به الحجة ولا يبقي لأحد عذراً، وعلى كلّ حال فهي نفثة مصدور وشقشقة هدرت ثمّ قرّت ـ كما عبّر عنها عليه السلام ـ.

وبالجملة إنّ تظلّم أميرالمؤمنين عليه السلام بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله وفي فترة خلافته الظاهرية ثبت بالتواتر المعنوي عند الشيعة والسنة، ممّا لا يدع مجالاً للشك في عدم صحة ما تفرّد بروايته إخواننا أهل السنة من أخبار آحاد في مدح أميرالمؤمنين عليه السلام لمن تقدّمه وتفضيلهم على نفسه، لتكون معارضة لهذه الخطبة وأمثالها المتضمّنة للتظلّم والشكوى عمّن تقدّم.

أمّا الأوصاف التي وردت لكلّ واحد من الخلفاء، فهي أوصاف صادقة يشهد التاريخ بصحّتها، وسنشير إليها في موردها.



مِنهَا مَحلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحا، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ[1] دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً[2]، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ[3]، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ[4] عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيْهَا الكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ.

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرتُ وَفي الْعَيْنِ قَذًى، وَفي الحَلْقِ شَجاً، أرى تُرَاثي نَهْباً، حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلانٍ بَعْدَهُ.

ثم تمثّل بقول الأعشى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا ... وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَا عَجَباً! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُها[5] في حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا[6]!

---

(١) سدلت الثوب: أرخيته.

(٢) الكشح: ما بين الخاصرة إلى أقصر الأضلاع، يقال: فلان طوى كشحه: أي أعرض مهاجراً ومال عنّي.

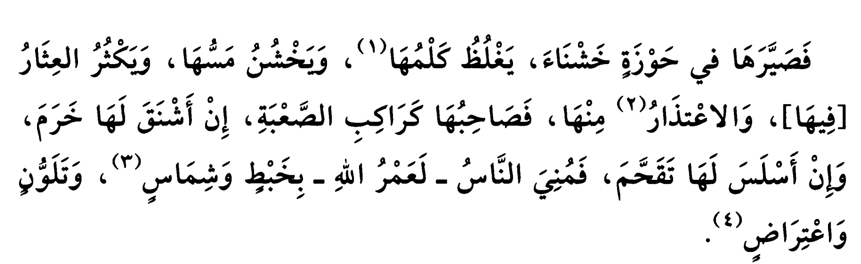
(٣) الجذّاء: المقطوعة. قال ابن الأثير في النهاية: في حديث عليّ عليه السلام: «أصول بيد جذّاء» كنّى به عن قصور أصحابه وتقاعدهم عن الغزو، فإنّ الجند للأمير كاليد.

(٤) الطخية: الظلمة.

(٥) روى خبر الإقالة كثير من الناس ـ كما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه ١ : ١٦٩ ـ منهم أحمد بن حنبل (ت٢٤١) في فضائل الصحابة ١ : ١٥١ ح١٣٣ وفيه: «أنّه أغلق بابه ثلاثاً يقول: أيّها الناس أقيلوني بيعتكم، كل ذلك يقول له عليّ لا نقيلك ولا نستقيلك» نحن وإن لم نؤيّد صحة ذيل الحديث، ولكنّما أوردناه كشاهد لما ورد عندهم. وروى خبر الاستقالة أيضاً ابن قتيبة (ت٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١ : ٣١، والقرطبي (ت٦٧١) في تفسيره ١ : ٢٧٢، هذا بالاضافة إلى ما ورد عن أبي بكر من انه ندم عند موته على أمور وودّ لو تركها، منها انّه يترك الخلافة يوم السقيفة، كما ورد في تاريخ الطبري ٢ : ٦١٩، وكنز العمال ٥ : ٦٣٢ ح١٤١١٣ عن عدة مصادر.

(٦) تشطّرا ضرعيها: أي كلّ واحد منهما أخذ نصفاً من ضرعي الخلافة. وقد قال عليه السلام =





فَصَيَّرَهَا في حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا(١)، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ العِثَارُ [فِيهَا]، وَالاعْتِذَارُ(٢) مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ ـ لَعَمْرُ اللهِ ـ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ(٣)، وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ(٤).

فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ المِحْنَةِ، حَتَّى إِذا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا في جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ؛ فَيَا لِلّهِ وَلِلشُّورَى!

مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هذِهِ

= لعمر يوم السقيفة: «احلب حلباً لك شطره» رواه ابن قتيبة (ت٢٧٦) في الامامة والسياسة ١: ٢٩، والبلاذري (ت٢٧٩) في أنساب الأشراف ٢: ٧٧١ في أمر السقيفة.

(١) الكَلْم: الجرح.

والتاريخ يحدثنا عن بعض صفاته أكان قبل الإسلام أم بعده، فقبل الإسلام ما صدر عنه من إيذاء المسلمين حتى يتركوا دينهم، كما فعل بأُخته وختنه حيث أدمى رأسه [أُسد الغابة ٥: ٥١٩] وكما ضرب جارية حتى ملّ من ضربها [سيرة ابن هشام ١: ٢١١]، أمّا بعد إسلامه وفي زمن النبيّ صلى الله عليه وآله ما حدث عنه في صلح الحديبية من المحاولة لنقض مصالحة النبيّ صلى الله عليه وآله [راجع صحيح ابن حبان ١١: ٢٢٤ حيث صرّح بأنّ عمر عمل أعمالا لنقض الصحيفة] وما صدر من ضرب أبي هريرة حتى خرّ لأسته، كما ورد في صحيح مسلم ١: ٤٤، وما صدر من شنيع قوله عند مرض النبيّ صلى الله عليه وآله واتهامه بغلبة الوجع والهجر ـ والعياذ بالله ـ، أو ما صدر منه بعد زمن النبيّ صلى الله عليه وآله من إرادة قتل سعد بن عبادة في السقيفة، أو الهجوم على دار أميرالمؤمنين عليه السلام، أو خرق الصحائف وتمزيقها، إلى غيرها من الموارد الكثيرة التي أثبتتها الصحاح والمسانيد، فأوصاف عمر هذه ثبتت بالتواتر ولامجال للشكّ فيها، أو جعلها ذريعة لانكار نسبة هذه الخطبة إلى الإمام عليه السلام.

(٢) يعني انّه كان كثيراً ما يحكم بالأمر ثمّ ينقضه، ويفتي بالفتيا ثمّ يرجع عنها، ويعتذر ممّا أفتى به أولا، حتى إنّه قال: «كلّ الناس أفقه من عمر» [راجع السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٢٣٣، وابن كثير في تفسيره ١: ٤٧٨ والسيوطي في الدرّ المنثور ٢: ١٣٣].

(٣) الشِماس: التلوّن في الإنسان بأن لا يثبت على خلق واحد.

(٤) الاعتراض: السير على غير استقامة، كأنّه يسير عرضاً.

النَّظَائِرِ! لكِنَّنِي أَسففْتُ[١] إِذْ أَسَفُّوا، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِه، وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ[٢].

إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ القَوْمِ، نَافِجاً حِضْنَيْهِ[٣] بَيْنَ نَثِيلِهِ[٤] وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ[٥] مَالَ اللّهِ خَضْمَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ؛ إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ[٦]، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ[٧].

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعُرْفِ الضَّبُعِ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِىءَ الحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطَافِي، مُجْتَمِعِينَ حَوْلي كَرَبِيضَةِ الغَنَمِ. فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَفَسَقَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ

---

(١) أسفّ الطائر: إذا دنا من الأرض في طيرانه.

(٢) أي مع أمور يكنّي عنها ولا يصرّح بذكرها.

(٣) الحِضن: مادون الإبط إلى الكَشح، والنفج: الرفع. يقال لمن امتلأ بطنه طعاماً: جاء نافجاً حضنيه.

(٤) النثيل: الروث.

(٥) الخَضم: الأكل بجميع الفم.

(٦) انتكث فتله: أي انتقض.

(٧) أما أمر عثمان وما فعل في خلافته من استئثار بني أبيه بالملك والأموال والهدايا، فممّا لا شك فيه، ولا يحتاج إلى مزيد توضيح بعدما ملأت أحداثه كتب السير والتاريخ، وقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً» [المستدرك للحاكم ٤: ٤٨٠ وصححه] وأيضاً: «إنّي أُريت في منامي كأنّ بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة» [المستدرك للحاكم ٤: ٤٨٠ وصححه].
وقد تحقّقت هذه الرؤيا التي أزعجت النبيّ ﷺ وأقلقته على يد عثمان، واستمرّ الحال هكذا إلى أن نقم عليه المسلمون وفي صدارتهم الصحابة. روى الطبري أنّه لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب مَن بالمدينة من أصحاب النبيّ ﷺ إلى من بالآفاق منهم، وكانوا قد تفرّقوا في الثغور: «إنّكم إنّما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزّ وجلّ تطلبون دين محمّد ﷺ، فإنّ دين محمّد قد أُفسد من خلفكم وترك، فهلمّوا فأقيموا دين محمّد ﷺ، فأقبلوا من كلّ أُفق حتى قتلوه» [تاريخ الطبري ٣: ٤٠٠]. =





لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ **بَلَى! وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا.**

أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ[1]، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ[2] ظَالِمٍ، وَلا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا[3]، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِها، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ.

قالوا: وقام إِليهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عِنْدَ بُلُوغِهِ إلى هذا المَوْضِعِ مِن خُطْبَتِهِ، فَنَاوَلَهُ كِتَاباً، فأقْبَلَ ينظرُ فيهِ، فلمّا فَرَغَ من قراءَتِهِ قَالَ لَهُ ابنُ عَبّاس رَحمةُ الله عَلَيهِ: يَا أميرَالمؤمنين، لَو اطَّرَدَتْ مَقالَتُكَ مِنْ حَيْثُ أَفضيتَ! فَقَالَ عليه السلام: **هَيْهَاتَ يَابْنَ عَبَّاس! تِلْكَ شِقْشِقَةٌ[4] هَدَرَتْ[5] ثُمَّ قَرَّتْ.**

قال ابن عباسٍ: فَوَاللّهِ ما أَسِفْتُ على كلامٍ قطُّ كأَسَفِي عَلَى ذلك الكلام أَلّا يكون أَمِيرُ المؤمنين عليه السلام بَلَغَ مِنهُ حيثُ أَرادَ.

قوله عليه السلام في هذه الخُطبةِ: «**كراكبِ الصعبةِ إنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وإن أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ**» يُريدُ: أنَّه إذا شدَّد عليها في جَذْبِ الزِّمام وهي تُنازِعُهُ رأْسها خَرَمَ أَنْفَها، وإن أرْخَى لَهَا شَيْئاً مَعَ صُعُوبَتِها تَقَحَّمَتْ به فَلَم يَمْلِكْها، يُقال: أَشْنَقَ النَّاقَةَ: إذا جَذَبَ رأْسَها بالزِّمام فَرَفَعَهُ، وَشَنَقَها أيضاً، ذَكَر ذلك ابنُ السكّيتِ في «إصلاح المنطق». وإنّما قال عليه السلام: «**أَشْنَقَ لها**» ولم يقل: «أَشْنَقَها»، لأنَّه جَعَلَه في مُقَابَلة قَوْلِه: «**أَسْلَسَ لَها**»، فكَأَنَّه عليه السلام قال: إِنْ رَفَعَ لَها رأْسَها

(١) النسمة: النفس والروح.

(٢) الكِظَّة: ما يعتري الإنسان من الامتلاء من الطعام.

(٣) الغارب: ما بين السنام والعنق.

(٤) الشِقشقة: ما يخرجه البعير من فيه إذا هاج.

(٥) هدير الجمل: ترديده الصوت في حنجرته.





بالزِّمام يعني أَمْسَكَهُ عَلَيها. وفي الحديث: إنّ رسول الله ﷺ خَطَبَ الناس وهو على ناقةٍ قَدْ شَنَقَ لَهَا وهي تَقْصَعُ بِجِرّتها.

ومن الشاهد على أَنَّ أشْنَقَ بمعنى شَنَقَ قولُ عَدِيٍّ بنِ زيدٍ العِبَادِيّ:

سَاءَهـا مَـا لَـهَـا تَـبَـيَّـنَ فـي الأيْـ ـدِي وإشْـنَـاقُـهـا إلَـى الأَعْـنَـاقِ

[٤] ومن خطبة له عليه السلام [١]

[وهي من أفصح كلامه عليه السلام، وفيها يعظ الناس ويهديهم من ضلالتهم، ويقال: إنه خطبها بعد قتل طلحة والزبير]

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ في الظَّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمُ[٢] الْعَلْيَاءَ، وبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ[٣]. وُقِرَ[٤] سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الوَاعِيَةَ؛ كَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ[٥] مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ؟ رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الخَفَقَانُ.

---

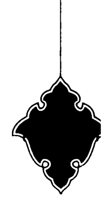
(١) ذكرها الطبري الإمامي المتوفّى أوائل القرن الرابع في المسترشد: ٤٠٨ من قوله عليه السلام: «لم يوجس موسى من نفسه خيفة» باختلاف في الألفاظ. ورواها الشيخ المفيد (ت٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٥٤ باختلاف أيضاً. ورواها قطب الدين الراوندي (ت٥٧٣) في منهاج البراعة ١: ١٤٢ عن جماعة عن جعفر الدوريستي، عن أبيه محمّد بن العباس، عن أبي جعفر ابن بابويه، أخبرنا محمّد بن عليّ الاسترابادي، عن عليّ بن محمّد بن سيار، عن أبيه، عن الحسن العسكري، عن آبائه، عن أميرالمؤمنين عليه السلام. امّا ابن أبي الحديد (ت٦٥٥) فهو قد صحّح هذه الفقرات لكثرة روايتها من جهة، وزعم أنّ في أصل الخطبة زيادات لم تكن لأمير المؤمنين عليه السلام من جهة ثانية، محتجّاً بأنّ ألفاظها لا توافق طريقته وفصاحته في الخطب، وخفي عليه أنّ المرء في كلامه قد يستعمل البلاغة وقد لا يستعملها، وحتى في خطبة واحدة تكون بعض أجزائها أبلغ من الأجزاء الاُخرى، ولذا قام الرضي رحمه الله بالتقاط الكلام البليغ من الخطبة الواحدة، وعمله هذا لا يدلّ على أنّ ما تركه غير صحيح، كما توهّم ابن أبي الحديد في شرحه [١: ٢٠٨].

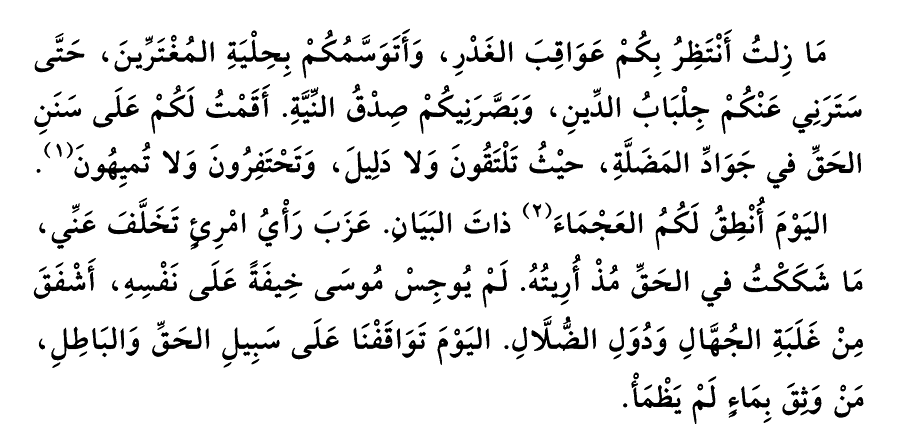
(٢) تسنّمتم: أي علوتم، يقال: تسنّم أي علا.

(٣) سرار الشهر: آخر ليلة منه، ويخفى القمر ليلة السرار.

(٤) وُقر السمع: أي صُمّ.

(٥) النبأة: الصوت الضعيف.





مَا زِلتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الغَدْرِ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ المُغْتَرِّينَ، حَتَّى سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ، وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ. أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الحَقِّ فِي جَوَادِّ المَضَلَّةِ، حيْثُ تَلْتَقُونَ وَلا دَلِيلَ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلا تُمِيهُونَ[1].

اليَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ العَجْمَاءَ[2] ذاتَ البَيَانِ. عَزَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي، مَا شَكَكْتُ فِي الحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ. لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ، أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الجُهَّالِ وَدُوَلِ الضُّلَّالِ. اليَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ.

[٥] ومن كلام له عليه السلام لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله

وخاطبه العباس وأبو سفيان ابن حرب في أن يبايعاه بالخلافة[3]:

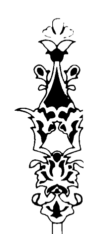
أَيُّها النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ المُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ المُفَاخَرَةِ. أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ. مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا، وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ.

---

(١) لا تُميهون: لا تصلون إلى الماء.

(٢) العجماء: البهيمة، وسمّيت بذلك من حيث إنّها لا تبين عن نفسها بالعبارة. وهذا إشارة إلى الرموز التي تتضمّنها هذه الخطبة، يقول: هي خفية غامضة، وهي مع غموضها جليّة لُاولي الألباب، فكأنّها تنطق كما ينطق ذوو الألسنة.

(٣) رواه سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤) في تذكرة الخواص: ١٣٧ بسنده عن مجاهد عن عكرمة عن ابن عباس، علماً بأنّه ذكر في الباب السادس من كتابه هذا أنّه لا ينقل من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام إلّا ما اتّصل إليه اسناده. ورواه بغير سند الحلواني (ق٥) في نزهة الناظر: ٥٦، وأورد الطبرسي (ت٥٦٠) في الاحتجاج ١ :١٢٨ بعض جمله وألفاظه في رسالة أميرالمؤمنين عليه السلام إلى أبي بكر بعد منع فدك. واستشهد كلّ من ابن الأثير (ت٦٠٦) في النهاية ٢ : ١٣٢، وكذلك ابن منظور (ت٧١١) في لسان العرب ٢ :٢٧٥، والزبيدي (ت١٢٠٥) في تاج العروس ٢ : ٤٥ بقوله عليه السلام : «بل اندمجت على مكنون علم ... في الطوي البعيدة» ممّا يدلّ على شهرتها آنذاك.



فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ، هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي! وَاللهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ(١) فِي الطَّوِيِّ البَعِيدَةِ(٢)!

[٦] ومن كلام له عليه السلام لمّا أشير عليه بألا يتبع طلحةَ والزبيرَ ولا يُرصدَ لهما القتال(٣)

وَاللهِ لا أَكُونُ كَالضَّبُعِ(٤): تَنَامُ عَلى طُولِ اللَّدْمِ(٥)، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا

---

(١) الأرشية: جمع الرشاء، حبل يُستقى به من البئر.

(٢) الطويّ البعيدة: البئر العميقة.

(٣) رواه الشيخ الطوسي (ت٤٦٠) مسنداً في أماليه: ٥١ ح٦٨ بأدنى اختلاف هكذا: «أخبرنا محمّد بن محمّد، قال: أخبرني أبو الحسن عليّ بن محمّد الكاتب، قال: أخبرني الحسن بن عليّ بن عبد الكريم، قال: حدّثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمّد الثقفي، قال: أخبرني أبو نُعَيْم الفضل بن دكين، قال: حدّثنا أبو عاصم، عن قيس بن مسلم، قال: سمعت الطارقَ بن شهاب يقول...».

نعم ورد صدر هذا الكلام، أي قوله عليه السلام: «لا أكون كالضبع ...» الذي يشرح فيه كيفية صيد الضبع في مصادر متقدّمة على الرضي، فممّن رواه وأسنده أيضاً لكن باختلاف في اللفظ: ابن أبي شيبة (ت٢٣٥) في المصنف ٨: ٦٣٣، والنميري (ت٢٦٢) في تاريخ المدينة ٤: ١٢٥٧، والطبري (ت٣١٠) في تاريخه ٣: ٤٧٥. واستشهد به أيضاً أصحاب المعاجم اللغوية وغريب الحديث قبل الرضي وبعده ممّا يدلّل على اشتهاره عندهم، فمنهم الهروي (ت٢٢٤) في غريب الحديث ٣: ٤٣٦، والجوهري (ت٣٩٣) في الصحاح ٥: ٢٠٢٨ وإن لم يسنده إلى عليّ عليه السلام، والزمخشري (ت ٥٣٨) في الفائق ٣: ١٩٨، وابن الأثير (ت٦٠٦) في النهاية ٤: ٢٤٦، وابن منظور (ت ٧١١) في لسان العرب ١٢: ٥٣٩، وغيرهم.

وورد ذيل الحديث في المسترشد: ٤٠٣ للطبري الإمامي (ق٤) بلفظ: «يا بني ما زال أبوك مدفوعاً عن حقّه مستأثراً عليه منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا».

(٤) الضَبُع: سبع كالذئب يأكل الأشلاء والجيف.

(٥) اللّدم: صوت الحجر أو العصا أو غيرهما، تضرب به الأرض ضرباً ليس بشديد.





طَالِبُهَا، وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُها، وَلكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ العَاصِيَ المُرِيبَ أَبَداً، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي؛ فَوَاللهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي، مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ، مُنْذُ قَبَضَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هذَا.

[٧] ومن خطبة له عليه السلام يذم فيها أتْباع الشيطان(١)

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلاكاً(٢)، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلسِنَتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الخَطَلَ(٣)، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ في سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالبَاطِلِ عَلى لِسَانِهِ!

[٨] ومن كلام له عليه السلام يعني به الزبير(٤)

[ويدعوه للدخول في البيعة ثانية]

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ، وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقَرَّ بِالبَيْعَةِ، وَادَّعَى الوَلِيجَةَ، فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ، وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ.

---

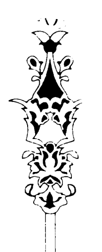
(١) رواها الواسطي (ق٦) في عيون الحكم والمواعظ: ٢٢٣، وكذلك الباعوني الشافعي (ت٨٧١) في جواهر المطالب ٢: ١٦٣ من دون سند وبأدنى اختلاف. واستشهد كلّ من ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٢: ٥٠، وابن منظور (ت٧١١) في لسان العرب ١١: ٢٠٩ بقوله عليه السلام: «فركب بهم الزلل وزيّن لهم الخطل».

(٢) ملاك الأمر: ما به قوامه.

(٣) الخطل: القول الفاسد.

(٤) اعلم أنّ الشيخ المفيد (ت٤١٣) أورد هذا الكلام في كتابه الجمل: ١٧٥ بأدنى اختلاف ونسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام، ولا يبعد أن يكون الإمام الحسن عليه السلام أخذه من بعض خطب أبيه وضمّنه كلامه هذا. وممّا يدلّ على صحة استناد هذا الكلام إلى أميرالمؤمنين عليه السلام استشهاد ابن الأثير (ت٦٠٦) في النهاية ٥: ٢٢٤، وابن منظور (ت٧١١) في لسان العرب ٢: ٤٠٠ به، حيث قالا: وفي حديث عليّ: «أقر بالبيعة وادعى الوليجة».





[٩] ومن كلام له عليه السلام

[في صفته وصفة خصومه ويقال إنّها في أصحاب الجمل][١]

وقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا، وَمَعَ هٰذَيْنِ الأَمْرَيْنِ الفَشَلُ، وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ، وَلا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ.

[١٠] ومن خطبة له عليه السلام[٢]

[يريد الشيطان أو يكنّي به عن قوم]

أَلَا وإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ وَاسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجِلَهُ، وإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتي؛ مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي، وَلا لُبِّسَ عَلَيَّ. وَايْمُ اللهِ لَأُفْرِطَنَّ[٣] لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ[٤]، لا يَصْدِرُونَ عَنْهُ، وَلا يَعُودُونَ إِلَيْهِ[٥].



---

(١) رواه الشيخ المفيد (ت٤١٣) في الجمل: ١٧٧ بلفظ: «قد أرعد وصاحبه وأبرقا، وهذان الأمران معهما الفشل... ولسنا نرعد حتى نوقع، ولا نسيل حتى نمطر».

(٢) يبدو أنّ هذه الخطبة ملتقطة من خطبة طويلة خطبها أميرالمؤمنين عليه السلام لما بلغه نكث طلحة والزبير بيعته ـ كما ذكره ابن ميثم ـ ولذا نرى أنّ الرضي رحمه الله أعاد بعض فصولها في خطبة ٢٢ و١٣٧، وعذره ما قاله في مقدّمة النهج من اختلاف كلام أميرالمؤمنين عليه السلام، فربّما رآه في رواية بلفظ ثمّ وجده في رواية أُخرى بلفظ آخر أبلغ فيعيده، وربّما كانت الإعادة سهواً ونسياناً.

وعلى كلّ حال، فقد رواها الشيخ المفيد (ت٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٥١، والواسطي (ق٦) في عيون الحكم والمواعظ: ١١٠، والباعوني (ت٨٧١) في جواهر المطالب ١: ٣٢٤، باختلاف في الألفاظ، عدا رواية الواسطي فإنّها تتّفق مع ما في النهج.

(٣) لأفرطنّ: إمّا بفتح الهمزة بمعنى أسبقهم، وإمّا بضمّها بمعنى لأملأنّ.

(٤) الماتح: المستقي من البئر.

(٥) ومعناه كما قال ابن أبي الحديد ١: ٢٤٠: «لأملأنّ لهم حياض الحرب التي هي دُربتي وعادتي، أو لأسبقنّهم إلى حياض حرب أنا متدرّب بها مجرّب لها، إذا وردوها لا يصدرون عنها، يعني قتلهم وإزهاق أنفسهم، ومَن فرّ منهم لا يعود إليها».



[١١] ومن كلام له عليه السلام

لابنه محمّد ابن الحنفية لمّا أعطاه الراية يوم الجمل(١)

تَزُولُ الجِبَالُ وَلا تَزُلْ، عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ(٢)، أَعِرِ اللهَ جُمجُمَتَكَ، تِدْ(٣) في الأرْضِ قَدَمَكَ، إرْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى القَوْمِ، وَغُضَّ بَصَرَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

[١٢] ومن كلام له عليه السلام لما أظفره الله تعالى بأصحاب الجمل(٤)

وقد قال له بعض أصحابه: وددت أنّ أخي فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك، فقال له عليه السلام:

أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنا؟ قال: نَعَم. قالَ: فَقَدْ شَهِدَنَا، وَلَقَدْ شَهِدَنَا في عَسْكَرِنَا هذَا قَوْمٌ في أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعُفُ بِهِمُ الزَّمَانُ(٥)، ويَقْوَى بِهِمُ الإيمَانُ.

---

(١) رواه الزمخشري (ت٥٣٨) في ربيع الأبرار ٤: ١٠٢ ح٢٣ ـ على ما أفاده السيد عبد الزهراء في مصادر نهج البلاغة ـ، ورواه أيضاً ابن شهر آشوب (ت٥٨٨) في المناقب ٢: ٣٤١.

(٢) الناجذ: أقصى الأضراس.

(٣) تد: أمر من وَتَد قدمه في الأرض، أي أثبتها فيها كالوتد.

(٤) هذا الكلام صحيح في المعنى، ويؤيّده ما رواه البخاري (ت٢٥٦) في صحيحه ٧: ١١٣ عن رجل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحبّ قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المرء مع من أحبّ». وروى البرقي(ت٢٧٤) في المحاسن١: ٢٦٢ عن أميرالمؤمنين عليه السلام ما يؤيّد كلام النهج، حيث قال عليه السلام لمن شاركه في قتل الخوارج: «والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، لقد شهدنا في هذا الموقف أُناس لم يخلق الله آباءهم ولا أجدادهم بعد، فقال الرجل: وكيف يشهدنا قوم لم يخلقوا، قال: بلى قوم يكونون في آخر الزمان يشركوننا فيما نحن فيه ويسلّمون لنا، فأُولئك شركاؤنا فيما كنّا فيه حقاً حقاً».

(٥) يرعف بهم الزمان: يوجدهم ويخرجهم، كما يرعف الإنسان بالدم الذي يخرجه من أنفه.

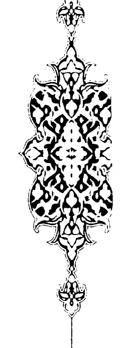




[١٣] ومن كلام له عليه السلام

في ذم البصرة وأهلها [بعد وقعة الجمل][1]

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ، ....



(١) لم نعثر على كلامه عليه السلام بهذه الكيفية إلّا عند الخوارزمي (ت٥٦٨) في المناقب: ١٨٩. لكن ورد مضمونه في مصادر كثيرة قبل الرضي وبعده بألفاظ مختلفة وبزيادة ونقصان، شأنه شأن سائر ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أو الصحابة، إذ انّ الرواة كانوا تارة يأخذون من الحديث كلّه وتارة يأخذون بعضه لأسباب مختلفة.

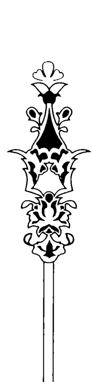
أمّا مَن رواه قبل الرضي رحمه الله: ابن قتيبة (ت٢٧٦) في عيون الأخبار ١: ٢١٦ في ذكر الأمصار، والدينوري (ت٢٨٢) في الأخبار الطوال: ١٥١، وابن عبد ربه (ت٣٢٨) في العقد الفريد ٤: ٨١ عن ابن عباس، والقمي (ت٣٢٩) في تفسيره ٢: ٣٣٩ في قوله تعالى: «والمؤتفكة أهوى»، والمسعودي (ت٣٤٦) في مروج الذهب ٢: ٣٧٧.

أمّا من رواه بعد الرضي، فمنهم: الشيخ المفيد (ت٤١٣) في الجمل: ٢١٧ «عن نصر ابن عمر بن سعد، عن أبي خالد، عن عبدالله بن عاصم، عن محمّد بن بشير الهمداني، عن الحرث بن سريع»، والشيخ الطوسي (ت٤٦٠) في الأمالي: ٧٠٢ ح٦ عن موسى بن بكر، والطبرسي (ت٥٦٠) في الاحتجاج ١: ٢٥٠ عن ابن عباس، وابن شهرآشوب (ت٥٨٨) في المناقب ٢: ١١٠ من قوله عليه السلام: «وأيم الله لتغرقنّ بلدتكم ...»، وياقوت الحموي (ت٦٢٦) في معجم البلدان ١: ٤٣٦، وسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤) في التذكرة: ٧٩. واستشهد كلّ من ابن الأثير (ت٦٠٦) في النهاية ١: ٢٢٥، وابن منظور (ت٧١١) في لسان العرب ١: ٤٢ بقوله عليه السلام: «وكأنّي أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة أو نعامة جاثمة أو كجؤجؤ طائر في لجة بحر».

أمّا ما تضمّنه هذا الكلام من ذمّ البصرة وأهلها، ومن معرفة الغيب الذي يقال إنّه مختصّ بالله تعالى، والذي تمسّك به بعض أهل السنة لردّ نهج البلاغة، فنقول: أمّا بالنسبة إلى ذمّ البصرة وأهلها فإنّها قضية في واقعة، ولم يرد الإمام عليه السلام ذمّها بصورة مطلقة وفي جميع الأزمان، كيف وهو الذي يمدحهم أيضاً بقوله: «يا أهل البصرة إنّ الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطة شرف ولا كرم، إلّا وقد جعل فيكم أفضل ذلك وزادكم من فضله بمنّه ما ليس لهم ...» [البحار ٣٢: ٢٥٦] ولكن ورد كلامه عليه السلام الذامّ لهم مورد التوبيخ كما قال عليه السلام في ذيل الخطبة: «وأُقسم لكم يا أهل البصرة ما الذي ابتدأتكم به من التوبيخ إلّا تذكير وموعظة لما بعد، لكي لا تسرعوا إلى الوثوب في مثل الذي وثبتم».

وأمّا ما يدلّ على معرفة الغيب، وإخباره عليه السلام بغرق البصرة، فهذا ممّا لا إشكال فيه، فإنّه إظهار من الله تعالى وتعليم من ذي علم، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].





رَغَا[1] فَأَجَبْتُم، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ. أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ[2]. المُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ؛ كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ[3]، قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْها العَذَابَ مِنْ فَوْقِها وَمِنْ تَحتِها، وَغَرِقَ مَنْ في ضِمْنِها.

وفي رواية أُخرى: وَأَيْمُ اللهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ، أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ[4].

ويُروى: كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ في لُجَّةِ بَحْرٍ[5].

[١٤] ومن كلام له عليه السلام في مثل ذلك[6]

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ المَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّماءِ[7]، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ، وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَأُكْلَةٌ لِآكِلٍ، وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ.

---

(١) الرغاء: صوت البعير، رغا البعير إذا ضجّ.

(٢) الزعاق: الماء المالح، أو المرّ.

(٣) الجؤجؤ: عظم الصدر، وجؤجؤ السفينة: صدرها.

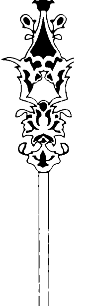
(٤) جثم الطائر: أي تلبّد بالأرض.

(٥) وردت في بعض الشروح المطبوعة هذه الزيادة: «بلادكم أنتن بلاد الله تربة، أقربها من الماء وأبْعَدُها مِن السَّماء؛ وبها تسْعَةُ أعْشار الشَّرِّ. المُحتَبَسُ فيها بِذَنْبِهِ، والخارِجُ بِعفْوِ الله. كأني أنظرُ إلى قَرْيَتِكمْ هذه قد طَبَّقَها الماءُ، حتى ما يُرى فيها إلّا شُرَفُ المسجِدِ؛ كأنّهُ جُؤجُؤ طير في لُجَّةِ بحرٍ» ولم نوردها في المتن لخلوّ النسخ الخطية المعتمدة منها.

(٦) يبدو أنّ هذا الكلام متحد مع ما قبله، التقطه الرضي رحمه الله وأورده لاختلاف الروايات، ولو راجعت المصادر التي ذكرناها آنفاً من قبيل الأخبار الطوال للدينوري، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والجمل للشيخ المفيد، لرأيت تشابههما الكثير. علماً بأنّ الواسطي (ق٦) رواها في عيون الحكم: ٢٤٣ بأدنى اختلاف.

(٧) ذهب الراوندي في منهاج البراعة ١ :١٦٣ لتأويل قوله عليه السلام: «بعيدة من السماء» بمعنى أنّه لا يُستجاب دعاؤهم، لكن فسّرها ابن أبي الحديد ١ : ٢٦٨ على ظاهرها أي بعدها الجيولوجي وقال: «وهذا الموضع من خصائص أميرالمؤمنين عليه السلام، لأنّه أخبر عن أمر لا تعرفه العرب ولا تهتدي إليه، وهو مخصوص بالمدقّقين من الحكماء، وهذا من أسراره وغرائبه البديعة».





[١٥] ومن كلام له عليه السلام
فيما ردّه على المسلمين من قطائع عثمان(١)

وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَمُلِكَ بِهِ الإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ؛ فَإِنَّ في العَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ العَدْلُ، فَالجَوْرُ عَلَيْهِ أَضيَقُ!

[١٦] خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة(٢)
[وفيها يخبر الناس بعلمه بما تؤول إليه أحوالهم وفيها يقسمهم إلى أقسام]

ذِمَّتي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ: إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ(٣) لَهُ العِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ المَثُلاتِ(٤)، حَجَزَهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ.

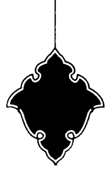
---

(١) ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٦٩ بأنّ الكلبي (ت١٤٦) ذكرها مروية مرفوعة إلى أبي صالح عن ابن عباس، ورواها القاضي النعمان المغربي (ت٣٦٣) في كتابيه دعائم الإسلام ١: ٣٩٦ وشرح الأخبار ١: ٣٧٣ من دون سند، وكذلك رواها ابن شهر آشوب (ت٥٨٨) في المناقب ١: ٣٧٧ بدون سند.

(٢) رويت هذه الخطبة بألفاظ مختلفة، راجع: الجاحظ (ت٢٥٥) في البيان والتبيين ٢: ٦٥، وابن قتيبة (ت٢٧٦) في عيون الأخبار ٢: ٢٣٦، وابن عبد ربه (ت٣٢٨) في العقد الفريد ٤: ٦٨، والكليني (ت٣٢٩) في الكافي ٨: ٦٧ ح٢٣، عن عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عليّ بن رئاب ويعقوب السراج، عن أبي عبدالله عليه السلام، والقاضي النعمان (ت٣٦٣) في شرح الأخبار ١: ٣٧١، والنعماني (ت ٣٨٠) في الغيبة: ٢٠١ ح١ بنفس سند الكليني، والشيخ المفيد (ت٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٣٩ وقال: «رواه الخاصة والعامة وذكر ذلك أبو عبيدة معمّر بن المثنّى وغيره ممّن لا يتّهمه خصوم الشيعة» وقال ابن أبي الحديد (ت٦٥٦) في شرحه للنهج ١: ٢٧٥: «وهذه الخطبة من جلائل خطبه عليه السلام ومن مشهوراتها، قد رواها الناس كلّهم، وفيها زيادات حذفها الرضي إمّا اختصاراً أو خوفاً من إيحاش السامعين، وقد ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب البيان والتبيين على وجهها، ورواها عن أبي عبيدة معمر ابن المثنى». واستشهد ابن الأثير (ت٦٠٦) في النهاية ٥: ١٨٩، وابن منظور (ت٧١١) في لسان العرب ١٢: ٦٣٩ بقوله عليه السلام: «والله ما كتمت وشمة»، ورواها المتّقي الهندي (ت٩٧٥) في كنز العمال ٥: ٧٥ ح١٤٢٨٢ عن محمّد بن الحنفية.

(٣) صرحت: كشفت.

(٤) المثلات: العقوبات.





أَلا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً[1]، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ القِدْرِ[2]. حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاكُمْ، وَأَعْلاكُمْ أَسْفَلَكُمْ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا.

وَاللهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً[3]، وَلا كَذَبْتُ كِذْبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهذا المَقَامِ وَهذَا اليَوْمِ.

أَلَا وَإِنَّ الخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُها، وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ. أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأُعْطُوا أَزِمَّتَها، فَأَوْرَدَتْهُمُ الجَنَّةَ، حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ، فَلَئِنْ أَمِرَ البَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ، وَلَئِنْ قَلَّ الحقُّ لَرُبَّما وَلَعَلَّ، وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيءٌ فَأَقْبَلَ.

ومن هذه الخطبة

شُغِلَ مَنِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ! سَاعٍ سَرِيعٌ نَجا، وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجا، وَمُقَصِّرٌ في النَّارِ هَوَى. اليَمِينُ وَالشِّمالُ مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيقُ الوُسْطَى هِيَ الجَادَّةُ، عَلَيْهَا بَاقِي الكِتَابِ، وَآثَارُ النُّبُوَّةِ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ العَاقِبَةِ.

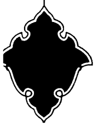
هَلَكَ مَنِ ادَّعَى، وَخَابَ مَنِ افْتَرَى، مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ عِنْدَ جَهَلَةِ النَّاسِ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ، لا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ[4]، وَلايَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ؛ فَاسْتَتِرُوا بِبُيُوتِكُمْ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ

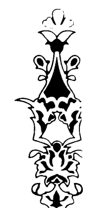
(١) تبلبلت الألسن: أي اختلطت.

(٢) ساط القدر يسوطه سوطاً: قلّب ما فيها من الطعام حتى اختلطت أجزاؤه.

(٣) وشمة: كلمة.

(٤) السنخ من كلّ شيء أصله، وفي لسان العرب: وفي حديث عليّ عليه السلام: «ولا يظمأ على التقوى سنخ أصل» والسنخ والأصل واحد، فلمّا اختلف اللفظان أضاف أحدهما على الآخر.





بَيْنِكُمْ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ، وَلا يَحْمَدْ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلا يَلُمْ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ.

وأقول: إنّ في هذا الكلام الأَدْنى من مواقِعِ الإحسانِ ما لا تبلُغُهُ مواقعُ الاستِحسانِ، وإنّ حَظَّ العجبِ مِنه أكثر من حَظِّ العُجْبِ بِهِ، وفيه ـ مَعَ الحالِ التي وَصفْنا ـ زوائِدُ من الفصاحةِ لا يقُومُ بها لِسانٌ، ولا يَطَّلعُ فَجَّها إنسانٌ، ولا يَعْرِف ما أقُولُه إلّا من ضَرَب في هذه الصناعةِ بحقٍّ، وجَرَى فيها عَلَى عِرقٍ، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ .

[١٧] ومن كلام له عليه السلام

في صفة من يتصدّى للحكم بين الأُمة وليس لذلك بأَهل(١)

إِنَّ أَبْغَضَ الخَلائِقِ إِلَى اللهِ تعالى رَجُلانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ؛

(١) ورد هذا الكلام في عدة مصادر وبألفاظ مختلفة، فممّن رواه: أبو جعفر الاسكافي (ت٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٨٩، وابن قتيبة (ت٢٧٦) في عيون الأخبار ١: ٦٠ قال: «حدّثني عليّ بن محمّد، قال: حدّثنا إسماعيل بن إسحاق الأنصاري، عن عبدالله بن لهيعة، عن عبدالله بن هُبيرة، عن عليّ عليه السلام» وكذلك رواه في غريب الحديث ١: ٣٦٠، ورواه اليعقوبي (ت٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢١١، والكليني (ت٣٢٩) في الكافي ١: ٥٤ ح٦ عن محمّد بن يحيى عن بعض أصحابه، وعليّ بن إبراهيم عن أبيه عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام، وعليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب رفعه عن أميرالمؤمنين، وروى أيضاً من قوله عليه السلام: «إلى الله أشكو من معشر...» في الكافي ٨: ٣٨٧ ح٥٨٦ عن أحمد بن محمّد، عن سعد بن المنذر بن محمّد، عن أبيه عن جدّه، عن محمّد بن الحسين عن أبيه عن جدّه عن أبيه. ورواه القاضي النعمان (ت٣٦٣) في دعائم الإسلام ١: ٩٧، والشيخ المفيد (ت٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٣٢ وقال: «رواه ثقات أهل النقل عند الخاصة والعامة»، والشيخ الطوسي (ت٤٦٠) في الأمالي: ٢٣٥ ح٤١٦ قال: «أخبرنا محمّد بن محمّد، قال: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن خالد المراغي، قال: حدّثنا أحمد بن الصلت، قال: حدّثنا حاجب بن الوليد، قال: حدّثنا الوصاف بن صالح، قال: حدّثنا أبو إسحاق، عن خالد بن طليق، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ...» ورواه الطبرسي (ت٥٦٠) في الاحتجاج ١: ٣٩١ بألفاظ النهج أو قريباً منها.





فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هُدَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ.

وَرَجُلٌ قَمَشَ(١) جَهْلاً، مُوضِعٌ(٢) في جُهَّالِ الأُمَّةِ، غَارٌّ فِي أَغْبَاشِ(٣) الفِتْنَةِ، عَمٍ(٤) بِمَا في عَقْدِ الهُدْنَةِ، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً؛ وَلَيْسَ بِهِ. بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ، مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ، وَأَكْثَرَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا التَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ. فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثّاً مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ العَنْكَبُوتِ: لا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، إِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ. جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَلاتٍ، عَاشٍ(٥) رَكَّابُ عَشَوَاتٍ(٦)، لَمْ يَعَضَّ عَلَى العِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ، يُذرِي الرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الهَشِيمَ، لا مَلِيءٌ(٧) وَاللهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ [وَلا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوِّضَ إِلَيْهِ]، لا يَحْسَبُ العِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مِنْهُ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ، وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ، وَتَعِجُّ مِنْهُ المَوَارِيثُ.

---

(١) قَمَش: جمع.
(٢) موضِع: مسرع، أوضع البعير: أسرع.
(٣) الأغباش جمع الغبش: ظلمة آخر الليل.
(٤) عمٍ: وصف من العمى، والمراد: جاهل.
(٥) عاش: خابط في ظلام.
(٦) ركّاب عشوات: أي حيرات وظلمات.
(٧) المليّ بالشيء: القيّم به الذي يجيد القيام عليه.



إِلَى اللهِ [أَشْكُو] مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً، وَيَمُوتُونَ ضُلَّالاً؛ لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً[1] وَلا أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ المَعْرُوفِ، وَلا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ!

[١٨] ومن كلام له عليه السلام في ذمّ اختلاف العلماء في الفتيا[2]
[وفيه يذم أهل الرأي ويكل أمر الحكم في أمور الدين للقرآن]

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ القَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الأَحْكَامِ



(١) أنفق بيعاً: أي أروج وأكثر ربحاً.

(٢) رواه الشيخ الطبرسي (ت٥٦٠) في الاحتجاج ١: ٣٨٩ من دون سند.

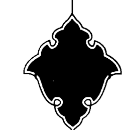
وقد زعم ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٩٠ انتحال هذا الكلام من قبل الإمامية; لأنّه يوافق مذهبهم في نفي القياس والرأي، ذكر ذلك نقلاً عن أصحابه ولم يغمز فيه ممّا يدلّ على تبنّيه له أيضاً، ويتلخّص كلامهم في نقاط: ١ ـ إجماع الصحابة على صحة الاجتهاد والقياس ٢ ـ أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان يجتهد ويقيس ٣ ـ أنّه معارض بما ترويه الزيدية عنه وعن أبنائه في صحة القياس والاجتهاد، ولا فرق بين الزيدية والإمامية في مخالطتهم للأئمة ومعرفتهم بأقوالهم ٤ ـ إذا تعارضت الروايتان تساقطتا وعدنا إلى الأدلّة المذكورة في هذه المسألة.

ويلاحظ عليه أولاً: إنّ ادّعاءه انتحال هذا الكلام معارض بما ادّعاه أولاً من أنّ نهج البلاغة من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام، وأنّه عرف ذلك بتعرّفه على الأُسلوب الذي يتميّز به أميرالمؤمنين عليه السلام في الكلام.

ثانياً: إنّ فحوى هذا الكلام الدالّ على حرمة العمل بالرأي والقياس في الأحكام الشرعية متواتر عن الأئمة عليهم السلام، فلا داعي للإماميّة إلى انتحاله ونسبته إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، ففي الموجود الثابت عندهم كفاية.

ثالثاً: لا نسلّم وجود إجماع من قبل الصحابة على صحة العمل بالرأي والقياس في الأحكام الشرعية، نعم عمل به بعض الصحابة ممّن أعرض عن الثقلين ـ الكتاب والعترة ـ ولا ضير عليهم لأنّه كان يلهيهم عن محضر النبيّ صلى الله عليه وآله وسماع الأحكام الصفق بالأسواق [سنن أبي داود ٢: ٥١٥ ح٥١٨٢].

رابعاً: الادّعاء بأنَّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان يجتهد ويقيس ثمّ يتراجع إلى غيره غير =





. . . .

= مسلّم، نعم ذهب النظام وبعض أهل السنة إلى ذلك محتجّين بروايات موضوعة أو لها محامل صحيحة، ولقد ناقشها الشيخ المفيد في الفصول المختارة [٢: ١٦٧ ـ ١٧١] وردّ على النظام بما لا مزيد عليه، وقال في آخره: «والذي يدلّ على بطلان جميع ما حكاه هذا الرجل عنه أنّه لو كان له أصل لكان أوكد الحجج لأعدائه من الخوارج وغيرهم، ممّن رأى حربه بالبصرة أو صفين، ومن قعد عن نصرته، ولشيعة عثمان خاصة، حتى كانوا يحتجّون به عليه في المقامات، ويشنّعون به على رؤوس الجماعات، وقد أحطنا علماً باحتجاج جميع من خالفه، أو قعد عنه أو نازعه وحاربه، فلم نجد فيه أنّهم قالوا له: تناقضت أحكامك، واختلفت آراؤك، ولا فضل لك في علم، لأنّ زيداً نازعك فأفحمك، وعثمان خالفك فأسكتك، وتحكم بشيء ثمّ تندم عليه، وتخطئ في أمر وتعترف بخطئك فيه ثمّ تقيم عليه، بل وجدنا جماعة من ذكرنا معترفين بفضله عليه السلام في العلم والشجاعة والحكم والقرابة بالنبي والزهد، وإنّما كان بعضهم يتعلّق عليه بايوائه قتلة عثمان ـ وهم أهل البصرة والشام ـ وبعضهم بتحكيم الرجال ـ وهم أهل النهروان ـ وبعضهم بقتال أهل القبلة ـ وهم المعتزلة للقتال ـ وقد اجتهدت بنو أُميّة السفيانية والمروانية في نحت مثالب له عليه السلام، فلم يحفظ عن أحد منهم في سلطانه سقط له في العلم، ولا تجهيل في الأحكامووو ولو كان شيء مما حكاه إبراهيم عنه محفوظاً لنشره من ذكرناه، وفي عدول الكافة عنه سيّما الخوارج ـ وقد جرت بينه وبينهم المناظرات ـ دليل على وقاحة إبراهيم وبهته وعناده».

هذا بالإضافة إلى ما ورد عنه عليه السلام قوله: «لو قضيت بين رجلين بقضيّة ثمّ عادا إليّ من قابل، لم أزدهما على القول الأوّل لأنّ الحقّ لا يتغيّر» [التهذيب للطوسي ٦: ٢٩٦ ح٣٢].

خامساً: ما ذكره من الزيدية ومخالطتهم للأئمّة عليهم السلام ورواية ما يدلّ على العمل بالقياس غير صحيح، وقد ردّ عليه السيد يحيى بن إبراهيم الجحّاف (ت١١٠٢) من أعلام الزيدية في كتاب «إرشاد المؤمنين ١: ٤٣٥» وقال: «إنّ أئمة أهل البيت عند الإمامية هم اثنا عشر خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله كما قال: «سيكون بعدي اثنا عشر خليفة» آخرهم المهدي عجل الله فرجه، في حين أنّ الزيدية لا يحصرون الأئمة بعدد خاص، وهم يفترقون في إمامة أهل البيت عن الإمامية في زيد بن عليّ وأبنائه، فإنّ الزيدية تدّعي انه الإمام بعد أبيه زين العابدين، والإمامية ترى أنّ =



فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ القَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيها بِخِلَافِ قَوْلِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ القُضَاةُ بِذلِكَ عِنْدَ إمامِهِمُ الَّذِي اسْتَقْضَاهُم، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً، وَإِلَهُهُمْ وَاحِدٌ، وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ، وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ.

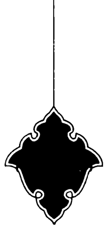
أَفَأَمَرَهُمُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ بِالاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ! أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ! أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ! أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى! أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ؛ وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ وَفِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَذَكَرَ أَنَّ الكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَنَّهُ لا اخْتِلَافَ فِيهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾.

وَإِنَّ القُرآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَاتَنْقَضِي غَرَائِبُهُ، وَلا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ.

= الإمامة لأخيه الإمام محمّد الباقر عليه السلام، فكيف يكون مخالطة الزيدية لأئمة أهل البيت كمخالطة الإمامية لهم، إنّ ما ينقله الزيدية من نصوص القياس والاجتهاد فهو مرويّ عن أئمتهم لا عن أئمة أهل البيت، فانظر وراجع وتبصّر».

سادساً: ادّعاء المعارضة فرع ثبوت كلا الطرفين من الأخبار، ولا معارضة مع ما تواتر عن الأئمة عليهم السلام من حرمة العمل بالرأي والقياس، وإنّ أوّل من قاس إبليس، فلا تساقط.

وختاماً: إنّ الاجتهاد المرفوض في كلام أميرالمؤمنين، هو الاجتهاد المرادف للرأي والقياس، لا الاجتهاد الذي بمعنى استفراغ الوسع وبذل الجهد في استنباط الأحكام من أدلّتها الشرعية، فلا إشكال في هكذا اجتهاد، بل أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا يعلّمون أصحابهم كيفية الاجتهاد الصحيح كما أجاب الإمام الصادق عليه السلام لمن سأله أنّه عثر وانقطع ظفره وجعل عليه مرارة فما يصنع للوضوء، فقال له ﷺ: «يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ إمسح عليه». [الكافي ٣: ٣٣ ح٤] وورد أيضاً: «إنّما علينا أن نلقي الاُصول وعليكم أن تفرعوا». [الوسائل ١٨: ٤١ ح٥١].





[١٩] ومن كلام له عليه السلام

قاله للأشعث بن قيس(١) وهو على منبر الكوفة يخطب(٢)

فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث، فقال: يا أميرالمؤمنين، هذه عليك لا لك، فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال:

ومَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي! عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ؛ حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ! مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ. وَاللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الكُفْرُ مَرَّةً وَالإِسْلَامُ أُخْرَى، فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلا حَسَبُكَ. وَإِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الحَتْفَ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ الأَقْرَبُ، وَلا يَأْمَنَهُ الأَبْعَدُ.

يريد عليه السلام: أنّه أُسِرَ في الكفر مرّةً وفي الإسلام مرّةً.

وأمّا قولُهُ: «**دَلَّ على قومِهِ السيفَ**»، فأرادَ به: حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة، غرَّ فيه قومَهُ ومكر بِهِم حتى أوقَعَ بهم خالدٌ، وكان قومَهُ بَعْدَ ذلك يُسَمُّونَهُ «عُرْفَ النَّارِ»، وهو اسمٌ للغادر عندهم.

[٢٠] ومن خطبة له عليه السلام(٣)

[وفيها ينفّر من الغفلة وينبّه إلى الفرار لله]

فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ..............

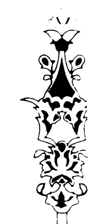
---

(١) ومن عجيب أمره وشؤمه ما روي في الكافي ٨: ١٦٧ ح١٨٧ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الأشعث بن قيس شرك في دم أميرالمؤمنين عليه السلام وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام، ومحمّد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام».

(٢) رواه أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦) في الأغاني ٢١: ٢٠ عن أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري، قالا: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثنا محمّد بن أبي رجاء، قال: حدّثنا إبراهيم بن سعد، قال: قال عبدالله بن عديّ بن الخيار ...» وذكر الخطيب البغدادي (ت٤٦٣) في كتابه الرحلة في طلب الحديث: ١٣١ قوله عليه السلام: «قبحك الله ما يدريك ما عليّ لا لي»، وكذلك ابن عساكر (ت٥٧١) في تاريخ مدينة دمشق ٣٨: ٤٦ ح٤٤٦٨، وفيهما عن عبيد الله بن عديّ بن الخيار.

(٣) روى الكليني (ت٣٢٩) صدر الخطبة في الكافي ١: ٤٠٥ ح٣ «عن محمّد بن يحيى=





لَجزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ[1]، وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَلكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا عَايَنُوا، وَقَرِيبٌ مَّا يُطْرَحُ الحِجَابُ. وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ؛ وَبِحَقٍّ أَقولُ لَكُمْ: لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ العِبَرُ، وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّماءِ إِلَّا البَشَرُ.

[٢١] ومن خطبة له عليه السلام[2]

[وهي كلمة جامعة للعظة والحكمة]

فإِنَّ الغَايَةَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ، تَخَفَّفُوا تَلْحَقوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

أقول: إنَّ هذا الكلام لو وُزِن بَعْدَ كلام اللهِ سُبحانه وكلام رسوله صلى الله عليه وآله بكل كلام لَمَالَ بِهِ راجحاً، وَبَرَّزَ عليه سَابقاً[3].

فأمّا قولُه عليه السلام: «**تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا**»، فما سُمِع كلام أَقَلُّ منه مسموعاً، ولا

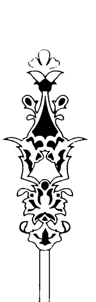
= العطار، عن بعض أصحابنا، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام...». وقال المحقق الخوئي في منهاج البراعة ٣: ٢٥٩ «المستفاد من الكافي أنّ هذه الخطبة ملتقطة من خطبة طويلة، وروى صدرها هناك باختلاف لما أورده السيد هنا».

(١) الوهل: الفزع.
قال ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٩٩ «ويمكن أن يعني به ما كان عليه السلام يقوله عن نفسه: إنّه لا يموت ميّت حتى يشاهده عليه السلام حاضراً عنده، والشيعة تذهب إلى هذا القول وتعتقده ... وليس هذا بمنكر إن صحّ أنّه عليه السلام قاله عن نفسه، ففي الكتاب العزيز ما يدلّ على أنّ أهل الكتاب لا يموت منهم ميّت حتى يصدّق بعيسى ابن مريم عليه السلام، وذلك قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾».

(٢) رواها الطبري (ت٣١٠) في تاريخه ٣: ٤٥٧ بأدنى اختلاف.

(٣) برّز الرجل: فاق على أصحابه، وكذلك الفرس إذا سبق.





أكثَرُ منه محصولاً، وما أبْعَدَ غَوْرَها من كلمةٍ! وأنْقَعَ[1] نُطْفَتَها[2] مِن حِكْمَةٍ! وقد نبّهنا في كتابِ «الخصائصِ» على عِظَم قَدْرِها، وشَرَف جَوْهَرِها.

[٢٢] ومن خطبة له عليه السلام[3]

[حين بلغه خبر الناكثين ببيعته]

أَلا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ[4] حِزْبَهُ، وَاسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ[5]، لِيَعُودَ الجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ البَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ. وَاللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، وَلا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصَفاً.

وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ، فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَئِنْ كَانُوا وَلوهُ دُونِي؛ فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ. وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ؛ يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ[6]، وَيُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ.

يا خَيْبَةَ الدَّاعِي! مَنْ دَعَا! وَإِلَامَ أُجِيبَ! وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَعِلْمِهِ فِيهِمْ. فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ البَاطِلِ،

---

(١) نقع الماء العطش نقعاً ونقوعاً: أي سكّنه.

(٢) النطفة: الماء الصافي.

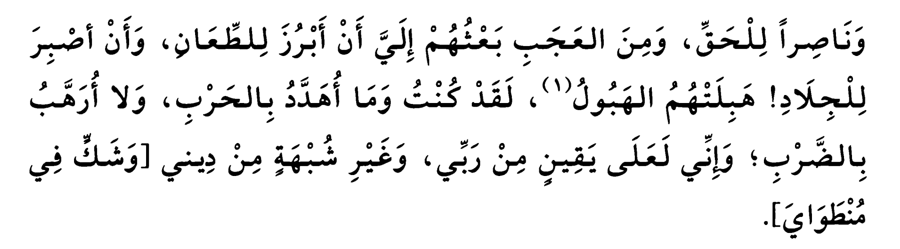
(٣) وردت هذه الخطبة في مصادر مختلفة بزيادة ونقصان، راجع: الكليني (ت٣٢٩) في الكافي ٥: ٥٣ ح٤، والمفيد (ت٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٥١، والطوسي (ت٤٦٠) في الأمالي: ١٦٩ ح٢٨٤، واستشهد ابن الأثير (ت٦٠٦) ببعض فقراتها في النهاية ٢: ١٦٧ (ذمر) و٥: ٢٤٠ (هبل) وكذلك ابن منظور (ت٧١١) في لسان العرب. وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١: ٣٠٥: «قد ذكر كثيراً منها أبو مخنف رحمه الله تعالى».

(٤) ذمّر: حثّ.

(٥) الجَلَب: ما يُجلب، كما يقال: جَمَعَ جَمْعه.

(٦) أي يطلبون الشيء بعد فواته، لأنّ الأمّ إذا فطمت ولدها فقد انقضى إرضاعها.





وَنَاصِراً لِلْحَقِّ، وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ، وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ! هَبِلَتْهُمُ الْهَبُولُ(١)، لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ؛ وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي [وَشَكٍّ فِي مُنْطَوَايَ].

[٢٣] ومن خطبة له عليه السلام(٢)
[وتشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد وتأديب الأغنياء بالشفقة]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ كَقَطرِ المَطَرِ إِلَى كُلِّ

---

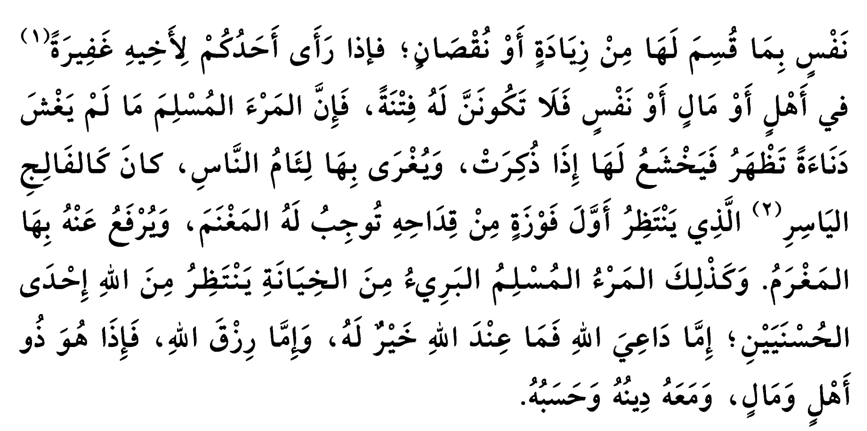
(١) هبلته أُمّه: ثكلته، والهبول: الثكول التي لم يبق لها ولد.

(٢) يُستفاد من المصادر أنّ المصنف رحمه الله جمع هذه الخطبة من خطبتين، الأولى تنتهي إلى قوله عليه السلام: «ومرافقة الأنبياء»، والثانية تبدأ من قوله عليه السلام: «أيّها الناس انّه لا يستغني الرجل ...» إلى تمام الخطبة، ـ كما أشار إليه المحقّق التستري في بهج الصباغة ٩: ٥٩ ـ وعلى كلّ حال فقد رواها جمع من المتقدّمين والمتأخّرين بزيادة ونقصان، منهم:

الحسين بن سعيد الكوفي (ق٣) في كتاب الزهد: ١٠٦ ح٢٨٨ إلى قوله: «يجمعهما الله لأقوام» رواها عن عليّ بن النعمان، عن ابن مسكان، عن أبي حمزة، عن يحيى، عن عقيل، عن حبشي. والثقفي (ت٢٨٣) في الغارات: ٨٠ إلى قوله: «يجمعهما الله لأقوام» قال: «حدّثنا محمّد، قال: حدّثنا الحسن، قال: حدّثنا إبراهيم، قال: وحدّثني محمّد بن هشام المرادي، قال: أخبرنا أبو مالك عمر بن هشام، قال: حدّثنا ثابت أبو حمزة، عن موسى، عن شهر بن حوشب». واليعقوبي (ت٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٧، والكليني].

(ت٣٢٩) في الكافي ٥: ٥٧ ح٦ قال: «عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة، عن يحيى بن عقيل، عن حسن»، وابن عساكر (ت٥٧١) في تاريخ دمشق ٤٢: ٥٠٢ بسندين أحدهما قال: «أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو محمّد أحمد بن عليّ بن الحسن بن أبي عثمان، أنا أبو طاهر محمّد بن عليّ بن عبدالله بن مهدي، أنا أبو طاهر أحمد بن محمّد ابن عمرو المدني، نا يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة =





نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ؛ فإذا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً[1] في أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً، فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ، وَيُغْرَى بِهَا لِئَامُ النَّاسِ، كانَ كَالفَالِجِ اليَاسِرِ[2] الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ المَغْنَمَ، وَيُرْفَعُ عَنْهُ بِهَا المَغْرَمُ. وَكَذٰلِكَ المَرْءُ المُسْلِمُ البَرِيءُ مِنَ الخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللهِ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ؛ إِمَّا دَاعِيَ اللهِ فَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ اللهِ، فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ.

إِنَّ المَالَ وَالبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، والعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الآخِرَةِ؛ وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللهُ لِأَقْوَامٍ، فَاحْذَرُوا مِنَ اللهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَاخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ[3]، وَاعْمَلُوا في غَيْرِ رِيَاءٍ وَلا سُمْعَةٍ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللهِ

= الصدقي، نا يحيى بن حسّان، حدّثني محمّد بن مسلم ابن أبي الوضّاح البصري، حدّثني ثابت أبو سعيد، حدّثني يحيى بن يعمر ...» والثاني قال: «أخبرنا هبة الله بن أحمد بن عبدالله، أنا عاصم بن الحسن بن محمّد، أنا محمود بن عمر بن جعفر بن إسحاق، أنا عليّ بن الفرج بن أبي روح، نا عبدالله بن محمّد بن أبي الدنيا، نا إسحاق بن إسماعيل، نا سفيان بن عيينة، عن أبي حمزة، عن يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر ...». ورواها الحميري (ت٣٠٠) في قرب الإسناد: ٣٨ ح١٢٣ وكذلك القمي (ت٣٢٩) في تفسيره ٢: ٣٦ عن أبي عبدالله عليه السلام. واستشهد الزمخشري (ت٥٣٨) في الفائق ٣: ٤٢٢ (يسر) وابن الأثير (ت٦٠٦) في النهاية ٣: ٣٧٤ (غفر) ٣: ٤٦٨ (فلج) ببعض فقراتها.

أما الشقّ الثاني فقد رواه ابن قتيبة (ت٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ٧٠، والكليني (ت٣٢٩) في الكافي ٢: ١٥٤ ح١٩ «عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عثمان بن عيسى، عن يحيى، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: لن يرغب المرء عن عشيرته ...».

(١) الغفيرة: الزيادة والكثرة.

(٢) الفالج: الظافر الفائز. والياسر: الذي يلعب بالقداح، واليَسَر مثله.

(٣) التعذير في الأمر: التقصير فيه، وأعذر: قصّر ولم يبالغ وهو يرى انّه مبالغ.



يَكِلْهُ اللهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ. نَسْأَلُ اللهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَمُعَايَشَةَ السُّعَدَاءِ، وَمُرَافَقَةَ الأَنْبِيَاءِ.

أَيُّهَا النّاسُ، إِنَّهُ لا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلسِنَتِهِمْ، وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً[1] مِنْ وَرَائِهِ، وَأَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ، وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِنْ نَزَلَتْ بِهِ، وَلِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ في النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ المَالِ يُورِّثُهُ غيرَهُ.

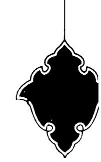
منها

أَلَا لا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ القَرَابَةِ يَرَى بِهَا الخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ، فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ؛ وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ المَوَدَّةَ.

قال السيد: [أقولُ: الغَفِيرَةُ ـ هاهنا ـ الزِّيادةُ والكثرةُ؛ مِن قولِهم للجمعِ الكثير: الجَمُّ الغفير، والجمّاءُ الغَفِير. ويُرْوى: «عَفْوَةً من أهل أو مالٍ»، والعَفْوَة: الخِيار من الشَّيء؛ يقال: أكلتُ عَفْوَة الطعامِ، أي: خِيارَه] وما أحسنَ المعنى الذي أراده عليه السلام بقوله: «**ومن يَقْبضْ يده عن عشيرته...**» إلى تمام الكلام، فإنَّ المُمْسِك خَيْرَه عن عَشِيرَتِه إنّما يُمسِكُ نَفْعَ يدٍ واحدةٍ؛ فإذا احتاج إلى نُصرَتِهم، واضْطَرَّ إلى مرافَدَتِهم، قَعدُوا عن نصرِهِ، وتَثاقَلوا عن صَوْتِهِ[2]؛ فمُنِع ترافُدَ الأيدي الكثيرةِ، وتَنَاهُضَ الأقدامِ الجَمّةِ.

(١) الحيطة: الرعاية.

(٢) كذا في النسخ المعتمدة، وفي البحار ٧١: ١٠٥ «عن صونه».





[٢٤] ومن خطبة له عليه السلام[1]

[وهي كلمة جامعة له]

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الحَقَّ، وَخَابَطَ الغَيَّ[2]، مِنْ إدْهَانٍ وَلا إِيهَانٍ[3]. فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَفِرُّوا إِلَى اللهِ مِنَ اللهِ، وَامْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ[4]، فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ[5] آجِلاً، إِنْ لَمْ تُمنَحُوهُ عَاجِلاً.

[٢٥] ومن خطبة له عليه السلام[6]

وقد تواترت عليه الأَخبار باستيلاءِ أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاه على اليمن ـ وهما عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران ـ لمّا غلب عليها بُسْرُ ابن أبي أَرْطَاة، فقام عليه السلام إلى المنبر ضجراً بتثاقل أَصحابه عن الجهاد، ومخالفتهم له في الرأْي، وقال:

مَا هِيَ إِلَّا الكُوفَةُ، أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا، إنْ لَمْ تَكُوني إِلَّا أَنْتِ، تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ، فَقَبَّحَكِ اللهُ!

---

(١) استشهد ابن الأثير (ت٦٠٦) في النهاية ٣: ٢٤٤ (عصب) وابن منظور (ت٧١١) في لسان العرب ١: ٦٠٨ (عصب) بقوله عليه السلام: «فروا إلى الله وقوموا بما عصبه بكم».

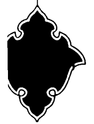
(٢) خابط الغيّ: وطئه ولازمه من غير معرفة منه.

(٣) الإدهان: المداهنة والمصانعة، والإيهان: مصدر أوهنته أي أضعفته.

(٤) عصبه بكم: أي ربطه وناطه كالعصابة التي يشدّ بها الرأس.

(٥) الفلج: الظفر والفوز.

(٦) روى صدر الخطبة باختلاف في زيادةٍ ونقصان يسيرين كلّ من الثقفيّ (ت٢٨٣) في الغارات ٢: ٦٣٦، وابن حبان (ت ٣٥٤) في الثقات ٢: ٣٠١، وابن عساكر (ت٥٧١) في تاريخ دمشق ٤٢: ٥٣٥. وروى ذيلها أي قوله عليه السلام: «إنّي قد مللتهم وملّوني ...» باختلاف أيضاً ابن سعد (ت٢٣٠) في الطبقات ٥: ٩٣، والبلاذري (ت٢٧٩) في أنساب الأشراف ٣: ١٥٦، وابن عبد ربه (ت٣٢٨) في العقد الفريد ١: ١٣٦) كتاب الحروب.





وتمثّل:

لَعَمْرُ أَبِيكَ الخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي عَلَى وَضَرٍ[1] - مِنْ ذَا الإِنَاءِ - قَلِيلِ

ثم قال عليه السلام: **أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ اليَمَنَ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَظُنُّ هؤُلاءِ القَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ[2] بِاجْتِماعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ في الحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ في البَاطِلِ، وَبِأَدَائِهِمُ الأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ، وَبِصَلَاحِهِمْ في بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ، فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ.**

اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَمَلُّونِي، وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ، وأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي[3].

---

(1) الوضر: الدسم الباقي في الإناء، ويستعار لكلّ بقية من شيء يقلّ الانتفاع به. أراد عليه السلام إنّه إن لم يبق لي من الولاية في زمن الخلافة إلّا الكوفة، فإنّه بمنزلة هذا الشاعر الذي لم يبق له إلّا ما ذكر من الوضر.

(2) سيدالون منكم: أي يغلبونكم وتكون لهم الدولة عليكم.

(3) قد سئل الشيخ المفيد رحمه الله عن معنى كلام أميرالمؤمنين عليه السلام هذا، ووجه تأويله، فقال: «إنّ العرب تصف الإنسان بما يعتقده في نفسه وإن كان اعتقاد ذلك باطلاً، وتذكر أنفسها بما هي على خلافه لاعتقاد المخاطب فيها ذلك، ولما ذكرنا نظائر في القرآن وأشعار العرب والفصحاء.

قال الله عزّ اسمه: «ذق انّك أنت العزيز الكريم» ولم يكن كذلك بل كان ذليلا لئيماً، فوصفه بضدّ ما هو عليه لاعتقاده ذلك في نفسه، واعتقاد من اعتقد فيه ذلك. وقال حكاية عن موسى عليه السلام فيما خاطب به السامري: «وانظر إلى الٰهك الذي ظلت عليه عاكفاً» ولم يرد إلٰـهه في الحقيقة الذي هو الله عزوجلّ، وإنّما أراد إلهه في اعتقاده. وقال حسان بن ثابت يردّ على أبي سفيان فيما هجا به النبيّ صلى الله عليه وآله:

أتهجوه ولست له بندّ فشرّكما لخيركما الفداء

ولم يكن في النبيّ صلى الله عليه وآله شرّ ولا كان شريراً حاشاه من ذلك، وإنّما أراد حسّان بما أورده من لفظ الدعاء في البيت الذي أثبتناه عنه، ما قدّمناه من تعلّق الصفة باعتقاد المخاطب، أو تقديرها على ما يمكن من اعتقاد الخطأ في ذلك حسب ما شرحناه، =



اللَّهُمَّ مِثْ[1] قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ.

أَمَا وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ:

هُنَالِكَ، لَوْ دَعَوْتَ، أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الحَمِيمِ

ثم نزل عليه السلام من المنبر.

قال السيد: قلتُ أنا: والأرْمِيةُ جمع رَمِيٍّ وهو: السحابُ، والحميمُ في هذا الموضع: وقتُ الصيفِ، وإنّما خصَّ الشاعر سحابَ الصيفِ بالذكر لأنّه أشدُّ جفُولاً، وَأسرعُ خُفوفاً[2]، لأنّه لا ماءَ فيه، وإنّما يكون السحابُ ثَقِيلَ السَّيْرِ لامْتِلائِهِ بالماءِ؛ وذلك لا يكون في الأكثرِ إلّا في أزمان الشتاء، وإنّما

= وفي معنى ذلك قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝٦٢﴾ الصافات: ٦٢، ومعلوم أنّه لا خير في شجرة الزقوم على حال، ونظائر ذلك كثيرة» [المسائل العكبرية: ٣٥].

(١) ماث الشيء: أذابه.
واعلم أنّه قد تمسّك بعض أهل السنّة بمقاطع من هذه الخطبة وغيرها من الخطب التي يذمّ فيها أميرالمؤمنين عليه السلام جيشه، وجعلوها ذريعة للطعن على الشيعة. وفيه أنّ الذمّ الوارد في هذه الخطبة وغيرها من الخطب، لم يتوجّه لشيعة عليّ عليه السلام ولا لخلّص أصحابه، ولم يكن هؤلاء الذين ورد الذمّ بحقّهم من الشيعة، وإلّا كيف يعصون إمامهم ولا يطيعونه ويخالفون أوامره، ومجرّد تواجد أولئك في جيشه لا يكفي بعدّهم من الشيعة، وإلّا لزم أن يكون الخوارج الذين كفّروا علياً واستحلّوا دمه ودم أصحابه من الشيعة أيضاً لوجودهم في معسكر عليّ عليه السلام.
فالشيعة اصطلاح له معنى ومميّزات خاصة، وهم الذين والوا علياً واعتقدوا بامامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل، واعتقدوا تفضيله على من تقدّمه، فكم ترى كان عددهم في جيش عليّ عليه السلام آنذاك؟!
هذا بالإضافة إلى أنّ كثيراً منهم كان يعتقد بكونه عليه السلام رابع الخلفاء لا أكثر ـ كما عليه أهل السنة ـ فهم في الحقيقة سنة لا شيعة، والذمّ توجّه إلى عامّة الناس الذين كانوا في جيش عليّ عليه السلام لا الشيعة.

(٢) جفولا: ذهاباً، وخفوفاً: الارتحال السريع.



أراد الشاعر وصفَهم بالسرعةِ إذا دُعوا، والإغاثةِ إذا استُغِيثُوا، والدليل على ذلك قوله: «هنالك، لو دَعَوْتَ، أتاكَ مِنْهُمْ...».

[٢٦] ومن خطبة له عليه السلام[١]

[وفيها يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له]

إنَّ اللهَ سُبحَانَه بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ العَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ.

منها

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ المَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى القَذَى[٢]، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الكَظَمِ[٣]، وَعَلَىْ أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ العَلْقَمِ.

ومنها

وَلَمْ يُبَايِعْ[٤] حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى البَيْعَةِ ثَمَناً، فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ المبايِعِ، وخَزِيَتْ أَمَانَةُ المُبْتَاعِ! فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا[٥]، وَأَعِدُّوا لَهَا

---

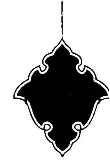
(١) رواها بتفاوت ابن قتيبة (ت٢٧٦) في الإمامة والسياسة١: ١٥٧ والثقفي (ت٢٨٣) في الغارات ١: ٣٠٣ عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه جندب. والطبري الإمامي (ق٤) في المسترشد: ٤٠٨ ح ١٤١ عن الشعبي عن شريح بن هاني، والكليني(ت٣٢٩) في الرسائل كما عن كشف المحجة لابن طاووس: ١٧٤.

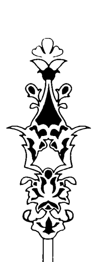
(٢) القذى: الأذى الذي يصيب العين كالتراب وغيره.

(٣) الشجا: ما ينشب في الحلق من عظم وغيره. الكظم: مخرج النفس.

(٤) يقصد عليه السلام بيعة عمرو بن العاص لمعاوية.

(٥) الأهبة: العدة.





عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا[1]، وَعَلَا سَنَاهَا[2] [وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ].

[٢٧] ومن خطبة له عليه السلام[3]

[وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية فلم ينهضوا، وفيها يذكر فضل الجهاد، ويستنهض الناس، ويذكر علمه بالحرب، ويلقي عليهم التبعة لعدم طاعته]:

---

(١) لظاها: التهاب نارها.

(٢) السنا: الضوء.

(٣) هذه الخطبة من مشاهير خطبه عليه السلام، وقد ذكرها كثير من الناس، وأخذوا منها ـ كما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٧٥ و ٨٠ ـ، ورواها بتفاوتٍ كلّ من: الجاحظ (ت٢٥٥) في البيان والتبيين ٢: ٦٦، وابن قتيبة (ت٢٧٦) في عيون الأخبار ٢: ٢٣٥ ـ ٢٣٦، والبلاذري (ت٢٧٩) في أنساب الأشراف ٣: ٢٠١ في ذكر غارة ضحاك بن قيس، وأبو حنيفة الدينوري (ت٢٨٢) في الأخبار الطوال: ١٩٥، والمبرد (ت٢٨٦) في الكامل ١: ٢٠، وابن عبد ربه (ت٣٢٨) في العقد الفريد ٤: ٧١، والكليني (ت٣٢٩) في الكافي ٥: ٥ ح٦ «عن أحمد بن محمّد بن سعيد، عن جعفر ابن عبدالله العلوي وأحمد بن محمّد الكوفي، عن عليّ بن العباس، عن إسماعيل بن إسحاق، جميعاً عن أبي روح فرج بن قرة، عن مسعدة بن صدقة، قال: حدّثني ابن أبي ليلى، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام». وأبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦) في الأغاني ١٦: ٢٨٦ قال: «حدّثني العباس ابن عليّ بن العباس النسائي، قال: حدّثنا محمّد بن حسّان الأزرق، قال: حدّثنا شبابة بن سوار، قال: حدّثنا قيس بن الربيع، عن عمرو بن قيس، عن أبي الصادق» والقاضي النعمان (ت٣٦٣) في دعائم الإسلام ١: ٣٩٠ وفي شرح الأخبار ٢: ٧٥ «عن محمّد بن الجنيد، عن أبي الصادق»، والشيخ الصدوق (ت٣٨١) في معاني الأخبار: ٣٠٩ ح١ قال: «حدّثنا أبو العباس محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني (رضي الله عنه)، قال: حدّثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودي، قال: حدّثنا هشام بن عليّ ومحمد بن زكريا الجوهري، قال: حدّثنا ابن عائشة باسناد ذكره».

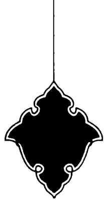


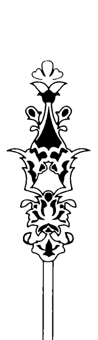
أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الجِهادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِباسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللهِ الحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الوَثِيقَةُ. فَمَنْ تَرَكَهُ [رَغْبَةً عَنْهُ] أَلبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَشَمِلَهُ البَلَاءُ، وَدُيِّثَ[١] بِالصَّغَارِ وَالقَمَاءِ[٢]، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالإِسْهَابِ[٣]، وَأُدِيلَ الحَقُّ مِنْهُ[٤] بِتَضْيِيعِ الجِهَادِ، وَسِيمَ الخَسْفَ[٥]، وَمُنِعَ النَّصَفَ.

أَلا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هؤُلَاءِ القَوْمِ لَيْلاً وَنَهاراً، وَسِرّاً وَإِعْلَاناً، وَقُلْتُ لَكُمُ اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ؛ فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ في عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الغَارَاتُ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الأَوْطَانُ.

وَهذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ البَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا[٦]، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ، وَالأُخْرَى المُعَاهِدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا، وَرِعَاثَهَا[٧]، ما تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلّابالاسْتِرْجَاعِ وَالاسْتِرْحَامِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ[٨]، مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ[٩]، وَلا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ؛ فَلَوْ أَنَّ

(١) دُيّث: أي ذُلّل، بعير مديّث أي مذلّل.
(٢) الصغار: الذلّ والضيم. والقماء ـ بالمد ـ الصغير الذليل.
(٣) الاسهاب: ذهاب العقل.
(٤) أُديل الحقّ منه: أي يجعل الكرّة للحقّ عليه.
(٥) سامه الخسف: أولاه الذّل.
(٦) المسالح: جمع مسلحة، وهي الحدود التي ترتّب فيها ذوو الأسلحة مخافة عادية العدو كالثغر.
(٧) الرعاث ـ جمع رعثة ـ: القرط.
(٨) وافرين: أي تامين، يقال: وفر الشيء أي تمّ، ووفرت الشيء: أي أتممته.
(٩) الكلم: الجراح.





امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِن بَعْدِ هَذا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً.

فَيَا عَجَباً! عَجَباً وَاللهِ يُمِيتُ القَلْبَ وَيَجْلِبُ الهَمَّ مِن اجْتِمَاعِ هؤُلَاءِ القَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرحاً[1]، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرمَى: يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلا تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلا تَغْزُونَ، وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ!

فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيرِ إِلَيْهِم فِي أَيَّامِ الحَرِّ قُلْتُمْ: هذِهِ حَمارَّةُ القَيْظِ[2] أَمْهِلْنَا يُسَبِّخُ[3] عَنَّا الحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هذِهِ صَبارَّةُ القُرِّ[4]، أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا البَرْدُ؛ كُلُّ هذا فِراراً مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ؛ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ!

يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلا رِجَالَ!

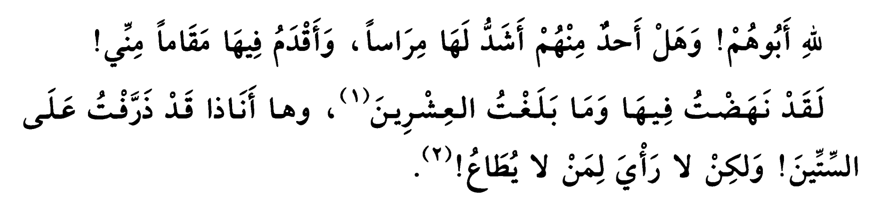
حُلُومُ الأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبّاتِ الحِجَالِ؛ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً وَاللهِ جَرَّتْ نَدَماً، وَأَعْقَبَتْ سَدَماً[5].

قَاتَلَكُمُ اللهُ! لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ[6] التَّهْمَامِ[7] أَنْفَاساً[8]، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالعِصْيَانِ وَالخِذْلَانِ؛ حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ، وَلَكِنْ لا عِلْمَ لَهُ بِالحَرْبِ.

---

(١) الترح: ضدّ الفرح.
(٢) حمارة القيظ: شدّة الحرّ، والقيظ: الصيف.
(٣) يسبّخ: يخفف ويفتر.
(٤) صبارة القرّ: شدّة البرد، والقرّ: البرد.
(٥) السدم: الحزن والغيظ.
(٦) النغب: جمع نغبة وهي الجرعة.
(٧) التهمام: الهمّ.
(٨) أنفاساً: جرعة بعد جرعة، أو نفساً نفساً.





للهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحدٌ مِنهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِراساً، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقاماً مِنِّي! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ العِشْرِينَ(١)، وها أَنَاذا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ! وَلكِنْ لا رَأْيَ لِمَنْ لا يُطَاعُ!(٢).

[٢٨] ومن خطبة له عليه السلام(٣)

[في التزهيد في الدنيا]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ، وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ، وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ، أَلَا وَإِنَّ اليَوْمَ المِضْمارَ(٤)، وَغَداً السِّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ الجَنَّةُ، وَالغَايَةُ النَّارُ؛ أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ! أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ! أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضرُرْهُ أَجَلُهُ؛ وَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ، فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ، وَضَرَّهُ أَجَلُهُ، أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ، أَلَاوَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا، وَلا

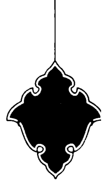
---

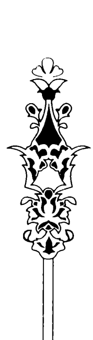
(١) هكذا في المصادر، ولكن رواه المسعودي: «وما بلغت الثلاثين» وصوّبه المحقّق التستري في بهج الصباغة ١٠: ٥١٤ وقال: «والظاهر صحّته، فأوّل حروبه عليه السلام الرسمية حرب بدر، وكانت في السنة الثانية من الهجرة، وكان عليه السلام وقت البعثة ابن عشر على الأصح، وكان مقام النبيّ صلى الله عليه وآله بمكة قبل الهجرة ثلاث عشرة سنة».

(٢) راجع ـ لردّ من تمسّك بأمثال هذا الكلام لذمّ الشيعة ـ التعليقة على الخطبة ٢٥.

(٣) رواها الأسكافي (ت٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٨٣، والجاحظ (ت٢٥٥) في البيان والتبيين ٢: ٦٦، وابن قتيبة (ت٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ٧٠، وابن عبد ربه (ت٣٢٨) في العقد الفريد ٤: ٧٠، والمسعودي (ت٣٤٦) في مروج الذهب ٢: ٤٣٦، وابن شعبة (ق٤) في تحف العقول: ١٥٣، والباقلاني (ت٤٠٣) في إعجاز القرآن: ١٤٥، والشيخ المفيد (ت٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٣٥ وقال: «اشتهر بين العلماء وحفظه ذوو الفهم والحكماء».

(٤) المضمار: المكان والزمان الذي تضمّر فيه الخيل للسباق، والضمر: الهزال وخفة اللحم.





كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، أَلا وَإِنَّهُ مَنْ لَايَنْفَعُهُ الحقُّ يَضْرُرْهُ البَاطِلُ، وَمَنْ لا يَسْتَقِيْمُ بِهِ الهُدَى يَجُرُّ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى، أَلَا وَإِنَّكُمْ قَد أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ(١)، وَدُلِلْتُمْ عَلى الزَّادِ؛ وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخافُ عَلَيْكُمْ: اتِّبَاعُ الهَوَى، وَطُولُ الأَمَلِ، تَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحُوزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً.

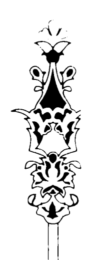
قال السيد: وأقول: إنّهُ لو كان كلامٌ يأخذ بالأعناقِ إلى الزهدِ في الدنيا، ويضطرُّ إلى عمل الآخرةِ لكان هذا الكلامَ، وكفى به قاطِعاً لعلائقِ الآمال، وقادِحاً زِنادَ الاتِّعاظ والازدِجار. ومِن أعجبه قوله عليه السلام: «**ألا وَإنّ اليَوْمَ المِضْمارَ وَغداً السِباقَ، وَالسَّبَقَةُ الجَنّةُ وَالغَايَةُ النّار**» فإنّ فيه ـ مع فخامة اللفظِ، وعِظَمِ قَدْرِ المَعْنى، وصادق التمثيلِ، وواقعِ التشبيهِ ـ سِرّاً عجيباً، ومَعنًى لطيفاً، وهو قوله عليه السلام: «**والسَبَقَةُ الجَنّةُ، وَالغَايَةُ النّارُ**»، فخالف بين اللفظينِ لاختلافِ المعنيينِ، ولم يقل: «والسّبَقَةُ النّارُ» كما قال: «والسّبَقَةُ الجَنّةُ»، لأنّ الاستباقَ إنّما يكونُ إلى أمرٍ محبوبٍ، وغرَضٍ مطلوبٍ، وهذه صفةُ الجنَّةِ، وليسَ هذا المعنى موجوداً في النارِ، نعوذُ باللهِ منها! فلم يَجُز أن يقولَ: «والسّبَقَةُ النّارُ»، بل قال: «والغَايَةُ النّار»، لأنّ الغايةَ قد ينتهِي إليها من لا يَسُرّهُ الانتهاءُ إليها ومن يَسُرّهُ ذلك، فصَلَحَ أن يُعبّر بها عن الأمرين معاً، فهي في هذا الموضع كالمصيرِ والمآلِ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، ولا يجوز في هذا الموضع أن يُقال: فإنّ «سبقتكم إلى النار»، فتأمّل ذلك، فباطِنهُ عجيب، وغورُه بعيدٌ، وكذلك أكثرُ كلامِه عليه السلام.

وقد جاء في رواية أخرى: «**والسُّبْقَةُ الجنةُ**» بضم السين، والسبّقةُ اسم عندهم لما يُجعلُ للسابِقِ إذا سَبَقَ من مال أوعَرَض، والمعنيان متقاربان، لأنّ ذلك لا يكون جزاءً على فِعل الأمر المذموم، وإنّما يكون جزاءً على فعل الأمر المحمود.

---

(١) ظَعَنَ: سار وارتحل، والظعن: السفر.





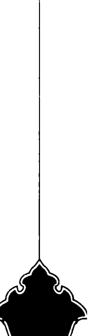
[٢٩] ومن خطبة له عليه السلام[1]
[بعد غارة الضحّاك بن قيس صاحب معاوية على الحاجّ بعد قصة الحكمين]

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلَامُكُم يُوهِي الصُّمَّ الصِّلابَ[2]، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الأعْدَاءَ. تَقُولُونَ فِي المَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدِي حَيَادِ[3]! مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ،

(١) رواها بتفاوت كلّ من الأسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٩٨، والجاحظ (٢٥٥) في البيان والتبيين ٢:٦٨، وابن قتيبة (ت٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١:١٧١، والبلاذري (ت٢٧٩) في أنساب الأشراف ٣:١٠٨ قال: «حدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن أبي مخنف، عن الحارث بن حصيرة، عن أبي صادق، عن جندب بن عبدالله الأزدي» والثقفي (ت٢٨٣) في الغارات ٢:٤٨٢ عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي، وابن عبد ربه (ت٣٢٨) في العقد الفريد ٤:٧٢، ومحمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٨) كما في شرح النهج لابن أبي الحديد ١:١١٧، والقاضي النعمان (ت٣٦٣) في دعائم الإسلام ١:٣٩١، وشرح الأخبار ٢:٧٣ عن الدغشي بإسناده، والشيخ المفيد (ت٤١٣) في الإرشاد ١:٢٧٣، والشيخ الطوسي (ت٤٦٠) في الأمالي: ١٨٠ ح٣٠٢ قال: «أخبرني جماعة عن أبي عبيدالله محمّد بن عمران المرزباني، قال: حدّثنا محمّد بن موسى، قال: حدّثنا محمّد بن سهل، قال: أخبرنا هشام، قال: حدّثني أبو مخنف، قال: حدّثني الحارث بن حصيرة، عن أبي صادق، عن جندب بن عبدالله الأزدي»، وابن عساكر (ت٥٧١) في تاريخ دمشق ١: ٣٢٠ قال: «أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن محمّد بن خسرو البلخي، أنا أبو الحسن عليّ بن الحسين بن أيوب، أنا أبو عليّ بن شاذان، أنا أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن بنخاب الطيبي، نا أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين بن عليّ الكسائي، نا أبو سعيد يحيى بن سليمان الجعفي، حدّثني أبو داود، نا أبو معاوية، عن عمر بن حسّان البرجمي، عن خباب بن عبدالله». واستشهد ابن الأثير (ت٦٠٦) في النهاية ١: ٤٤٨، ٥: ٦٧، وابن منظور (ت٧١١) في لسان العرب ٣: ١٥٩، ١٠: ٣٢٠ بقوله عليه السلام: «فإذا جاء القتال قلتم حيدي حياد» وبقوله: «من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل».

(٢) الصمّ الصلاب: الحجارة الصلبة.

(٣) حيدي حياد: كلمة يقولها الهارب الفار، وهي من حاد عن الشيء أي انحرف.





وَلا اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ[1]، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ؛ دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ المَطُولِ[2]. لا يَمْنَعُ الضَّيْمَ[3] الذَّلِيلُ وَلا يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلَا بِالْجِدِّ؛ أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ، وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ! الـمَغْرُورُ وَاللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الأَخْيَبِ[4]، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ[5].

أَصْبَحْتُ وَاللهِ لا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلا أُوعِدُ العَدُوَّ بِكُمْ. مَا بَالُكُم؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟ القَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ، أَقَوْلاً بِغَيْرِ عِلْمٍ! وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ! وَطَمَعاً في غَيْرِ حَقٍّ!

[٣٠] ومن كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان[6]

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً؛ غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي. وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ؛ اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الأَثَرَةَ[7]، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الجَزَعَ، وَللهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي المُسْتَأْثِرِ وَالجَازِعِ.

---

(١) قاساكم: أي عالجكم.

(٢) المطول: المماطل في الدين.

(٣) الضيم: الظلم والاضطهاد.

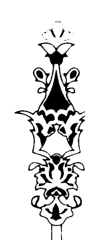
(٤) السهم الأخيب: هو من سهام الميسر الذي فيه الغرم وهو شرّ السهام.

(٥) بأفوق ناصل: أي بسهم منكسر لا نصل فيه.

(٦) رواه الكليني (ت٣٢٩) في رسائله عن عليّ بن إبراهيم باسناده ـ كما في كشف المحجة لابن طاووس: ١٨١ ـ، ورواه أيضاً أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦) في الأغاني ١٦ : ٢٤٨ في أخبار كعب بن مالك الأنصاري وقال: «أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثنا أبو جعفر محمّد بن منصور الربعي ـ وذكر أنّه إسناد شآم] وفي تاريخ دمشق ٥٠ : ١٧٧ «وذكر له إسناداً شامياً» [هكذا قال ابن عمار في الخبر ـ وذكر حديثاً فيه طول لحسّان بن ثابت، والنعمان بن بشير، وكعب بن مالك...».

(٧) الأثرة: اسم من الاستئثار وهو الاستبداد.





[٣١] ومن كلام له عليه السلام(١)
لما أنفذ عبدالله بن العباس رحمه الله
إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيئه إلى طاعته

قال له عليه السلام: لا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ(٢) وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ، وَلكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ

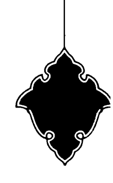
---

(١) روي بألفاظ مختلفة ومتقاربة، فقد رواه الزبير بن بكار (ت٢٥٦) في الموفقيات ـ كما عن شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٦٩ـ وابن قتيبة (ت٢٧٦) في عيون الأخبار ١: ١٩٥ كتاب الحرب، وابن عبد ربه (ت٣٢٨) في العقد الفريد ٤: ٢٨٩ في ذكر يوم الجمل، واستشهد الزمخشري (ت٥٣٨) في الفائق ٢: ٣٣٨ بقوله عليه السلام: «ما عدا ممّا بدا» ورواه ابن عساكر (ت٥٧١) في تاريخ دمشق ١٨: ٤٠٥ قال: «أخبرنا أبو الفتح محمّد بن عليّ وأبو نصر عبيد الله بن أبي عاصم وأبو محمّد عبد السلام بن أحمد وأبو عبدالله سمرة ابن جندب وأخوه محمّد بن عبد القادر بن جندب، قالوا: أنا محمّد بن عبدالعزيز الفارسي، أنا عبد الرحمن].

ابن أبي شريح، قالوا: أنا عبدالله بن محمّد، نا مصعب بن عبدالله، نا أبي، عن موسى بن عقبة، عن أبي حبيبة مولى الزبير، وهو جدّ موسى بن عقبة من قبل أُمّه». ورواه أيضاً في ٢٨: ١٨٧ وقال: «أخبرنا أبوالبركات عبد الوهاب بن المبارك، أنا أبو المعالي ثابت بن بندار، أنا أبو العلاء محمّد بن عليّ المقرئ، أنا أبو بكر محمّد بن أحمد البابسيري، أنا الأحوص بن المفضل الغلابي، نا أبي، حدّثني مصعب بن عبدالله، حدّثني أبي، عن موسى بن عقبة بن أبي عياش مولى الزبير بن العوام، عن أبي حبيبة مولى الزبير». واستشهد كلّ من ابن الأثير (ت٦٠٦) في النهاية ٣: ١٩٤ (عدا) وابن منظور (ت٧١١) في لسان العرب ١٥: ٤٢ بقوله عليه السلام: «عرفتني بالحجاز ...» ولكنهما قالا: انّه عليه السلام ذكر هذا الكلام لطلحة.

ومن الطريف أنّ ابن خلكان (ت٦٨١) الذي شكّك في صحة انتساب نهج البلاغة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام [٣: ٣١٣ رقم٤٤٣ ترجمة السيد المرتضى] يروي هذه الحادثة من كتاب نهج البلاغة وينسبها إلى عليّ عليه السلام ويستشهد بها، وذلك في ترجمة ابن المعلم الشاعر محمّد بن عليّ الواسطي ٥: ٨ رقم ٦٨١ حيث قال: «ورسالة عليّ نقلتها من كتاب نهج البلاغة».

(٢) عاقصاً قرنه: أي قد عطفه، تيس أعقص: أي قد التوى قرناه على أُذنيه. الصعب: الدابة الجموح.





عَرِيكَةً[1]، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ[2]: عَرَفْتَنِي بِالحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا[3].

وهو عليه السلام أوّل من سمعت منه هذه الكلمة، أعني: «**فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا**».

[٣٢] ومن خطبة له عليه السلام[4]

[وفيها يصف زمانه بالجور، ويقسم الناس فيه خمسة أصناف، ثمَّ يزهد في الدنيا]

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا في دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ شَدِيدٍ، يُعَدُّ فِيهِ

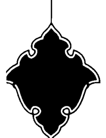
---

(١) العريكة هاهنا: الطبيعة، يقال: فلان ليّن العريكة، إذا كان سلساً.

(٢) كان أمير المؤمنين عليه السلام ابن خال الزبير، لأنّ أُمّ الزبير هي صفية بنت عبد المطلب، وصفية عمة أميرالمؤمنين عليه السلام وعمة النبيّ صلى الله عليه وآله كذلك، وهي أُخت أبي طالب رضي الله عنه خال الزبير.

(٣) أي ما صرفك عنّي ممّا بدا لك منّي؟ أو ما صرفك عمّا كان بدا لك من بيعتك ونصرتك إيّاي؟ أو ما الذي صرفك عن طاعتي بعد اختيارك لها؟.

(٤) وهذه الخطبة رواها جمع كالجاحظ في البيان والتبيين ٢: ٧٠ وابن قتيبة في عيون الأخبار، وابن عبد ربه في العقد الفريد، والباقلاني في إعجاز القرآن، ونسبوها إلى معاوية، فبعضهم أرسلها وبعضهم رواها عن شعيب بن صفوان.
ولكن في صحة كلامهم نظر، حيث إنّ الراوي ـ وهو شعيب بن صفوان ـ مختلف فيه والأكثر على أنّه لا يحتجّ به، قال الذهبي (ت٧٤٨) في ميزان الاعتدال ٢: ٢٧٦ رقم ٣٧٢٠: «قال فيه أبو حاتم: لا يحتج به، وقال أحمد: لا بأس به، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه». هذا أولاً، أما ثانياً ما ذكره الجاحظ نفسه بعد الخطبة ـ وأشار إليه الشريف الرضي أيضاً ـ حيث قال: «وفي هذه الخطبة ـ أبقاك الله ـ ضروب من العجب: منها أنّ الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية، ومنها أنّ هذا المذهب في تصنيف الناس وفي الإخبار عمّا هم عليه من القهر والإذلال، ومن التقية والخوف، أشبه بكلام عليّ (رضي الله عنه)، ومعانيه وحاله منه بحال معاوية، ومنها أنّا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد، ولا يذهب مذاهب العباد». وثالثاً: ذكر بعض فقراتها واستشهد بها ونسبها إلى أمير المؤمنين عليه السلام كلّ من ابن الأثير (ت٦٠٦) في النهاية =



الْمُحْسِنُ مُسِيئاً، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً، لا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، وَلا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا.

فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لا يَمْنَعُهُ الفَسَادَ في الأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ، وَكَلالَةُ حَدِّهِ، وَنَضِيضُ وَفْرِهِ[١]. وَمِنْهُمُ المُصْلِتُ بِسَيْفِهِ، وَالمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَالمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ[٢]، وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ، أَوْ مِقْنَبٍ[٣] يَقُودُهُ، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ[٤]. وَلَبِئْسَ المَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللهِ عِوَضاً! وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَلا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا، قَدْ طَامَنَ[٥] مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ[٦]، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ[٧] لِلأَمَانَةِ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللهِ ذَرِيعَةً إِلَى المَعْصِيَةِ.

= ٤: ١٨٠، وابن منظور (ت٧١١) في لسان العرب ١٢: ٥٢٢ والزَّبيدي (ت١٢٠٥) في تاج العروس، وقالوا: وحديث عليّ: «فهم بين خائف مقموع وساكت مكعوم» وكذلك استشهدوا في مادة (ضمز) بقوله عليه السلام وقالوا: في حديث عليّ: «أفواههم ضامزة وقلوبهم قرحة». فبعد هذا لا نشكّ أنّ الخطبة لعليّ أميرالمؤمنين عليه السلام، ويؤيد كون الخطبة لأميرالمؤمنين عليه السلام وأنّ معاوية سرقها وتكلّم بها أيضاً ما ذكره الراوندي في منهاج البراعة ١: ٢٣٣ «وسبب نسبة بعض الناس هذه الخطبة وأمثالها من كلامه عليه السلام إلى معاوية، أنّه كان يبعث بعض أصحابه الشاميين إلى الكوفة ليحفظ خطبة يخطبها عليّ عليه السلام يوم الجمعة ويكتبها، فإذا كان في الجمعة الثانية أو فيما بعدها خطب بها معاوية، فالالتباس من هاهنا. وقد روى الرواة ذلك على هذا الوجه، وقد أخذ ذلك الرجل الدسيس، فأقرّ بذلك في مسجد الكوفة».

(١) نضيض وفره: أي قلّة ماله، من نضّ الماء نضّاً أي سال قليلاً.

(٢) أشرط نفسه: أعدّها للفساد في الأرض.

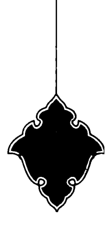
(٣) المقنب: الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

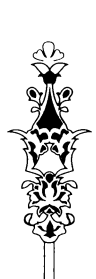
(٤) يفرعه: يعلوه ويصعده.

(٥) طامن: خفض.

(٦) قارب من خطوه: لم يسرع ومشى رويداً.

(٧) زخرف من نفسه: حسّن ونمّق وزيّن.





وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ، وَانقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الحَالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ القَنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلا مَغْدًى(١).

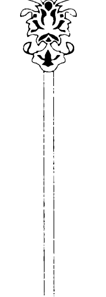
وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ(٢)، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ(٣)، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ(٤)، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ، وَثَكْلَانَ مُوجَعٍ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ(٥) التَّقِيَّةُ، وَشَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ، فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ(٦)، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ، قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا.

فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا أَصْغَرَ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرَظِ(٧)، وَقُرَاضَةِ الجَلَمِ(٨)، وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ؛ وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا قَد رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ(٩) بِهَا مِنْكُمْ.

وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له بها إلى معاوية، وهي من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام الذي لا شكَّ فيه، وأين الذهب من الرَّغام!(١٠) والعذْبُ

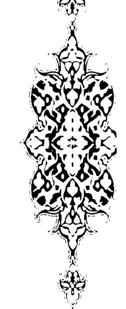
(١) المراح: الموضع الذي يروح فيه الناس. والمغدى: على عكسه من الغداة، أي ليس له من ذلك نصيب.
(٢) الناد: المنفرد.
(٣) المقموع: المغلوب أو المذلّل.
(٤) المكعوم: من كعمت البعير إذا شددت فمه.
(٥) المخمول الذكر: الذي لا يعرفه أحد.
(٦) الضامز: الممسك.
(٧) القرظ: ورق السلم يُدبغ به، وحثالته: ما يسقط منه.
(٨) الجلم: المقصّ تُجزّ به أوبار الإبل، وقراضته: ما يقع من قرضه وقطعه.
(٩) أشغف: أي أحرص.
(١٠) الرغام: التراب.





من الأُجاج! وقد دلّ على ذلك الدليلُ الخِرِّيت ونقده الناقدُ البصيرُ عمرو بن بحر الجاحظ؛ فإنّه ذكر هذه الخطبة في كتابه «البيان والتبيين» وذكر من نسبها إلى معاوية، ثمّ تكلّم من بعدها بكلام في معناها، جملته أنّه قال: وهذا الكلام بكلام عليّ عليه السلام أشبه، وبمذهبِهِ في تصنيفِ الناسِ وفي الإخبار عمّا هم عليه من القَهْر والإذلالِ ومن التقيةِ والخوفِ أليقُ. قال: ومتى وجدنا معاويةَ في حال من الأحوال يسلُكُ في كلامه مسلك الزُّهاد، ومذاهبَ العُبّاد!

[٣٣] ومن خطبة له عليه السلام
عند خروجه لقتال أهل البصرة(١)



قال عبدالله بن عبّاس رحمه الله: دخلت على أميرالمؤمنين صلوات الله عليه بذي قار وهو يخصِف نعله، فقال لي: **ما قيمة هذا النعل؟** فقلت: لا قيمةَ لها! قال: **واللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ، إِلّا أَنْ أُقِيْمَ حَقّاً، أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً**، ثمّ خرج عليه السلام فخطب الناس فقال:

إنَّ اللهَ سُبْحَانَه بَعَثَ مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلا يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ(٢)، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ(٣)، وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ. أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا(٤) حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، مَا عَجَزْتُ، وَلا جَبُنْتُ، وَإِنَّ مَسِيرِي هذَا لِمِثْلِهَا، فَلأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ.

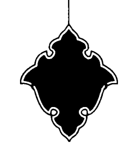
---

(١) رواها المفيد (ت٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٤٧ باختلاف، وذكر انّ الحادثة كانت بالربذة.

(٢) بوأهم محلتهم: أسكنهم منزلتهم.

(٣) فاستقامت قناتهم: استقاموا على الإسلام.

(٤) الساقة: جمع سائق، والمعنى: أنّي كنت في عداد من ساق العرب.





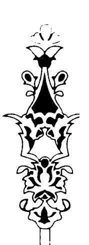
مَا لِي وَلِقُرَيْشٍ! وَاللهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ، وَلأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ[(١)]؛ وَإِنِّي

---

(١) لقد علّق ابن أبي الحديد في شرحه لهذه الفقرة قائلاً: «وهذا الكلام يؤكد قول أصحابنا: إنّ أصحاب صفين والجمل ليسوا بكفّار، خلافاً للإمامية فإنّهم يزعمون أنّهم كفّار».

ففيه أولاً: لا شكّ أنّ الباغي على الإمام الحقّ كافر عندنا ما لم يتب، وعليه أجمعت الإمامية، قال الشيخ الطوسي رحمه الله في كتابه الإقتصاد: ٢٢٦ «ظاهر مذهب الإمامية أنّ الخارج على أميرالمؤمنين عليه السلام والمقاتل له كافر بدليل إجماع الفرقة المحقّة على ذلك». وثانياً: إنّ المفتون هو المفتتن ومن أصابته الفتنة، وهو معنى يشمل أيّ انحراف من كفر وارتداد وضلال وفسق ونفاق وغيرها والمراد بالمفتون هنا في كلام الأمير عليه السلام ما يقابل الكافر الأصلي الذي لم يدخل في الإسلام أصلاً. وثالثاً: عدم إجراء أحكام الكفار عليهم لايضر، لأنّه كما قال الشيخ الطوسي في الإقتصاد: ٢٢٦ «أحكام الكفر مختلفة كحكم الحربي والمعاهد والذمي والوثني، فمنهم من تقبل منهم الجزية ويقرون على دينهم، ومنهم من لا يقبل، ومنهم من يناكح وتؤكل ذبيحته، ومنهم من لا تؤكل عند المخالف، ولا يمتنع أن يكون من كان متظاهراً بالشهادتين وإن حُكم بكفره حكمه مخالف لأحكام الكفار، كما تقول المعتزلة في المجبرة والمشبهة وغيرهم من الفرق الذين يحكمون بكفرهم، وإن لم تجر هذه الأحكام عليهم». وبعد هذا كلّه، فإنّ سيرة أميرالمؤمنين عليه السلام فيهم ومعاملته معهم هي بنفسها حكم شرعي لنا ـ سواء كنّا شيعة أم سنة ـ لأنّه عليه السلام أحد العترة الذين أُمرنا بالتمسك بهما والرجوع اليهما، وهو أيضاً ـ عند أهل السنة ـ أحد الخلفاء الراشدين الذين أمر النبيّ صلى الله عليه وآله الأخذ بسنتهم والعضّ عليها بالنواجذ ـ كما ورد عند أهل السنة ـ، إذاً فسيرة أميرالمؤمنين عليه السلام فيهم علّمتنا كيفية التعامل مع الباغي الكافر. ورابعاً: انّ الحديث ـ كالقرآن ـ يفسّر بعضه بعضاً، فلو رجعنا إلى خطبة أميرالمؤمنين عليه السلام هذه، رأينا انه عليه السلام يقول: «... وانّ مسيري هذا لمثلها» يشير عليه السلام إلى انّ حربه لأصحاب الجمل وصفين والنهروان تماماً كحربه مع رسول الله صلى الله عليه وآله في جهاد الشرك وأهله، وهذا المقطع من كلامه يفسّر قوله: «ولأقاتلنّهم مفتونين»، مضافاً إلى ما ورد عنه عليه السلام في خطب أُخر من قبيل قوله: «واعلموا انّكم صرتم بعد الهجرة أعراباً، وبعد الموالاة أحزاباً، ما تتعلّقون من الإسلام إلّا باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلّا رسمه، تقولون: النار ولا العار، كأنّكم تريدون أن تكفئوا الإسلام على وجهه، انتهاكاً لحريمه ونقضاً لميثاقه ...» [نهج البلاغة، =





لَصَاحِبُهُمْ بِالأمْسِ، كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ![1]

[٣٤] ومن خطبة له عليه السلام
في استنفار الناس إلى أهل الشام[2]

أُفٍّ لَكُمْ! لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ! أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ عِوَضاً!

= الخطبة رقم: ١٩٢] فوصفهم بالتعرّب] بعد الهجرة، قال ابن الأثير في النهاية ٣: ٢٠٢ «وكان من رجع بعد الهجرة إلى موضعه من غير عذر يعدّونه كالمرتد، ومنه حديث ابن الأكوع: لما قتل عثمان خرج إلى الربذة وأقام بها، ثمّ إنّه دخل على الحجاج يوماً فقال له: يابن الأكوع ارتددت على عقبيك وتعرّبت» وشبههم عليه السلام أيضاً بمن يريد أن يكفأ الإسلام وينتهك حرمته وينقض ميثاقه. وقال عليه السلام في مكان آخر: «... فإنّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبلي» [نهج البلاغة، الكتاب رقم ٣٦] ومعلوم أنّ حرب رسول الله صلى الله عليه وآله كفر، فكذلك حرب عليّ عليه السلام، لقوله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «حربك حربي» وقد روى نصر بن مزاحم أنّ علياً عليه السلام قال في حق معاوية وأصحابه: «ما أقرّ لمعاوية ولا لأصحابه أنّهم مؤمنون ولا مسلمون» وذلك حينما سُئل عليه السلام عن إيمانهم وإسلامهم. [شرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ٢٣٣]. خامساً: ورد في زيارة الجامعة: «ومن حاربكم مشرك» والشرك هنا بمعنى الكفر، كما يستعمل الكفر تارة بمعنى الشرك من باب استعمال اللفظ الموضوع للخاص في العام وبالعكس، قال تعالى: «لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة وما من إله إلّا إله واحد» [المائدة: ٧٣]فقد أطلق الكفر على القول بأنّ الله ثالث ثلاثة وهو شرك صريح، فنخلص ممّا ذكرنا أنّ كلام أميرالمؤمنين عليه السلام لا يشير إلى مذهب المعتزلة من قريب ولا بعيد.

(١) وزاد في بعض النسخ: والله ما تنقم منّا قريش إلّا أنّ الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيّزنا، فكانوا كما قال الأوّل:

أدمت لعمري شرب المحض صابحاً ... وأكلك بالزبد المقشرة البجرا

ونحن وهبناك العلا ولم نكن ... علياً وحُطنا حولك الجُرد والسمرا

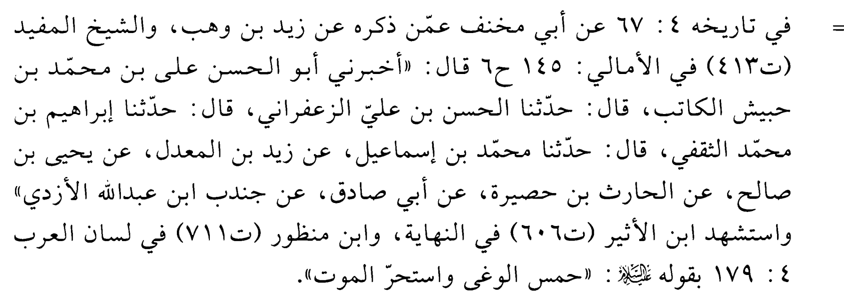
(٢) رواها بزيادة ونقصان كلّ من سُلَيْم بن قيس (ق١) في كتابه: ٢١٣ عن أبان، وابن قتيبة (ت٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٧٢، والبلاذري (ت٢٧٩) في أنساب الأشراف ٣: ١٠٨٠، والثقفي (ت٢٨٣) في الغارات ١: ٣٦، والطبري (ت٣١٠)=





وَبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلَفاً! إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ؛ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ(١)، وَمِنَ الذُّهُولِ(٢) فِي سَكْرَةٍ، يُرْتَجُ(٣) عَلَيْكُمْ حِوَارِي(٤) فَتَعْمَهُونَ(٥)، فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ(٦)، فَأَنْتُمْ لا تَعْقِلُونَ.

مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي(٧)، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ، وَلا زَوَافِرِ(٨) عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِن آخَرَ. لَبِئْسَ لَعَمْرُ اللهِ سُعْرُ(٩) نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ! تُكَادُونَ وَلا تَكِيدُونَ، وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ(١٠)؛ لا يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ، غُلِبَ وَاللهِ الْمُتَخَاذِلُونَ! وَأَيْمُ اللهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ



= في تاريخه ٤ : ٦٧ عن أبي مخنف عمّن ذكره عن زيد بن وهب، والشيخ المفيد (ت٤١٣) في الأمالي: ١٤٥ ح٦ قال: «أخبرني أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيش الكاتب، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ الزعفراني، قال: حدّثنا إبراهيم بن محمّد الثقفي، قال: حدّثنا محمّد بن إسماعيل، عن زيد بن المعدل، عن يحيى بن صالح، عن الحارث بن حصيرة، عن أبي صادق، عن جندب ابن عبدالله الأزدي» واستشهد ابن الأثير (ت٦٠٦) في النهاية، وابن منظور (ت٧١١) في لسان العرب ٤ : ١٧٩ بقوله عليه السلام : «حمس الوغى واستحرّ الموت».

(١) الغمرة: الشدّة.

(٢) الذهول: الغفلة.

(٣) يرتج: يغلق.

(٤) حِواري: من المحاورة أي خطابي.

(٥) تعمهون: تتحيّرون.

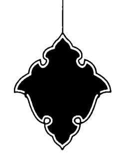
(٦) مألوسة: من الألس ـ بسكون اللام ـ وهو الجنون واختلاط العقل.

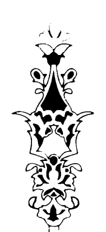
(٧) سجيس الليالي: كناية عن الأبد، أي مدى الليالي.

(٨) زوافر: جمع زافرة، وزافرة الرجل: أنصاره وعشيرته.

(٩) سعر: جمع ساعر من سعرت النار إذا أوقدتها.

(١٠) الامتعاض: الغضب.





حَمِسَ الْوَغى[(١)]، وَاسْتَحَرَّ[(٢)] الْمَوْتُ، قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ.

وَاللهِ إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ[(٣)]، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَفْرِي[(٤)] جِلْدَهُ، لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ، ضَعِيفٌ ما ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ. أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ، فَأَمَّا أَنَا فَوَاللهِ دُونَ أَنْ أُعطِيَ ذلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرَفِيَّةِ[(٥)] تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَامِ[(٦)]، وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالأَقْدَامُ، وَيَفْعَلُ اللهُ بَعْدَ ذلِكَ مَا يَشَاءُ.

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ: فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْما تَعْلَمُوا. وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ: فَالوَفَاءُ بِالبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ.

[٣٥] ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم[(٧)]

الْحَمْدُ للهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ، وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ؛ وَأَشْهَدُ

---

(١) حمس الوغى: اشتدّ الحرب.

(٢) استحرّ: اشتدّ.

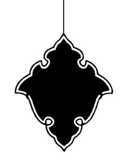
(٣) عَرَق اللحم: أي أكله ولم يبق منه على العظم شيئاً.

(٤) يفري: يقطع.

(٥) المشرفيّة: سيوف منسوبة إلى مشارف، وهي قرية من أرض العرب تدنو من الريف.

(٦) فراش الهام: عظام الرأس.

(٧) رواها بزيادة ونقصان كلّ من نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢) في كتاب صفين، كما في شرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ٢٥٦، وقال في حقه: «فهو ثقة ثبت، صحيح النقل، غير منسوب إلى هوى ولا إدغال، وهو من رجال أصحاب الحديث». ورواها أيضاً ابن قتيبة (ت٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٦٣، والبلاذري (ت٢٧٩) في أنساب الأشراف ٣: ١٠٦٦ وقال: «حدّثني عبّاس بن





أَنْ لا إِلٰهَ إِلّا اللهُ، لَيْسَ مَعَهُ إِلٰهٌ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وآله.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ في هذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ[١] مَخزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ[٢] فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ المخَالِفِينَ الْجُفَاةِ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ، وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ[٣]، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ[٤]:

أَمَرْتُكُمُ أَمْري بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ

[٣٦] ومن خطبة له عليه السلام
في تخويف أهل النهروان[٥]

فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى..................

= هشام، عن أبي مخنف، عن أبي روق الهمداني، عن عامر الشعبي، وعن المعلّى ابن كليب، عن أبي الوداك جبر بن نوف وغيرهما...»، والطبري (ت٣١٠) في تاريخه ٤: ٥٧، والمسعودي (ت٣٤٦) في مروج الذهب ٢: ٤١٢، وأبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦) في الأغاني ١٠: ١٢ فإنّه ذكر السند وأشار إلى الواقعة واكتفى منها بذكر البيت فقط، قال: «حدّثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي، قال: حدّثنا حسين بن نصر بن مزاحم، قال: حدّثنا عمر بن سعيد أبي مخنف عن رجاله...».

(١) نخلت لكم: أي أخلصته، من نخلت الدقيق بالمنخل.

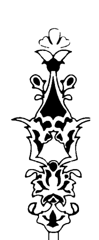
(٢) هذا مثل تمثّل به عليه السلام لقصير بن سعد صاحب جذيمة، فضرب المثل لكلّ ناصح يُعصى.

(٣) ضن: بخل، والزند: العود الذي تقدح به النار، والقدح: اشتعاله.

(٤) هو دريد بن الصمّة، والأبيات قالها بعدما خالفه أخوه و لم يسمع نصيحته في عدم المقام بمنعرج اللوى عندما غزا بني بكر، فأغاروا عليه وقتلوه، فأنشد دريد قوله هذا.

(٥) رواها محمّد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥) كما في شرح النهج لابن أبي الحديد ٢: =

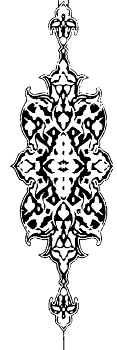




بِأَثْنَاءِ[1] هذَا النَّهَرِ، وَبِأَهْضَامِ[2] هذَا الْغَائِطِ[3]، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ، قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ[4] الدَّارُ، وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ[5]، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هذِهِ الْحُكُومَةِ؛ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَىٰ هَوَاكُمْ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ[6]، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ[7]، وَلَمْ آتِ ـ لا أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً[8]، وَلا أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرّاً.

[٣٧] ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة[9]
[وفيه يذكر فضائله عليه السلام قاله بعد وقعة النهروان]

فَقُمْتُ بِالأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا، ....



= ٢٨٣، والزبير بن بكار (ت٢٥٦) في الموفقيات: ٣٢٥ ح١٨١ قال: «حدّثنا أحمد ابن معيد، قال: حدّثني الزبير، قال: حدّثني عليّ ابن صالح، عن عامر بن صالح»، وابن قتيبة (ت٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٦٨، والطبري (ت٣١٠) في تاريخه ٤: ٦٢ «قال أبو مخنف: حدّثني مالك بن أعين، عن زيد بن وهب»، واستشهد ابن الأثير (ت٦٠٦) في النهاية ١: ٩٧ (بجر) و٥: ٢٦٦ (هضم) وكذلك ابن منظور (ت٧١١) في لسان العرب ٤: ٤١، ١٢: ٦١٥ بقوله عليه السلام: «لم آت لا أبا لكم بجراً» وقوله: «صرعى بأثناء هذا النهر وأهضام هذا الغائط».

(١) الثني: واحد أثناء الشيء، أي تضاعيفه.

(٢) الأهضام: جمع هضم، وهو المطمئنّ من الوادي.

(٣) الغائط: ما سفل من الأرض.

(٤) طوّحت بكم: أي توّهت بكم وذهبت بكم هاهنا وهاهنا، وهو كناية عن عدم إمكان استقرارهم بأرض.

(٥) احتبل الصيد: أوقعه في الحبالة، والمقدار: القدر والقضاء.

(٦) الهام: الرؤوس، وخفّة الرأس دليل قلّة العقل.

(٧) سفهاء الأحلام: أي سفهاء العقول.

(٨) البجر: الداهية والأمر العظيم، أو الشر.

(٩) ورد بعض مقاطعه في خطبة الشيخ الذي ندب أميرالمؤمنين عليه السلام بعد وفاته ثم غاب، حيث جاء فيها: «فقمتَ بالأمر حين فشلوا، ونطقتَ حين تتعتعوا، ومضيتَ بنور الله =



وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَعْتَعُوا[1]، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللهِ حِينَ وَقَفُوا، وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً، وَأَعْلَاهُمْ فَوْتاً[2]، فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا، وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا[3]، كَالْجَبَلِ لا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَلا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ.

لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ[4]؛ الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ، رَضِينَا عَنِ اللهِ قَضَاءَهُ، وَسَلَّمْنَا لَهُ أَمْرَهُ. أَتَرَاني أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ! وَاللهِ لأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ؛ فَنَظَرْتُ في أَمْرِي، فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي، وَإِذَا المِيثَاقُ في عُنُقِي لِغَيْرِي.

= إذ وقفوا ... وكنتَ أخفضهم صوتاً، وأعلاهم قنوتاً ... كنت كالجبل لا تحرّكه العواصف ... لم يكن لأحد فيك مهمز، ولا لقائل فيك مغمز ... الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له حقّه، والقويّ العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحقّ ... رضينا عن الله قضاءه وسلّمنا لله أمره». [الكافي ١: ٤٥٣ ح٤، الأمالي للصدوق: ٣١٢ ح٣٦٣].

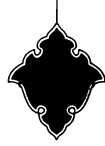
ومن الطريف أنّ القوم أوردوا هذه الندبة عن لسان أميرالمؤمنين عليه السلام في حقّ أبي بكر، وبنفس السند المذكور في الكافي والأمالي، أي عن عمر بن إبراهيم الهاشمي، عن عبد الملك بن عمير، عن أسيد بن صفوان صاحب النبيّ ﷺ، ولكن علّق الذهبي على هذه الرواية الموضوعة بقوله: «فساق أربعين سطراً يشهد القلب بوضع ذلك» [ميزان الاعتدال ٣: ١٨٠] والحقّ معه إذ كيف يمدح أميرالمؤمنين عليه السلام أبابكر هذا المدح وقد جرى ما جرى؟!

(١) التعتعة: التردد في الكلام من حصر أو عيّ. وقد ورد في نسخة ابن أبي الحديد وغيرها هكذا: «وتطلّعت حين تقبّعوا، ونطقت حين تعتعوا».

(٢) الفوت: السبقة والظفر.

(٣) استبددت: انفردت، والرهان: الجعل الذي وقع التراهن عليه.

(٤) المهمز والمغمز: المطعن.



[٣٨] ومن خطبة له عليه السلام[1]

[وفيها علة تسمية الشبهة شبهة، ثمّ بيان حال الناس فيها]

وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ، فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى، وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللهِ فَدُعَاؤُهُمُ الضَّلالُ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى، فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ، وَلا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ.

[٣٩] ومن خطبة له عليه السلام[2]

[خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر]

مُنِيتُ[3] بِمَنْ لا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لا أَبَا لَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ[4]! أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً، فَلَا تَسْمَعُونَ لي قَوْلاً، وَلا تُطِيعُون لِي

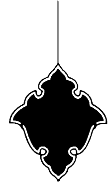
---

(١) أخذ مالك الأشتر رحمه الله المقطع الأخير منها أي قوله عليه السلام: «فما ينجو من الموت من خافه» وضمّنه كلامه، راجع المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٩٥، والإسكافي (ت ٢١٢) في المعيار والموازنة: ١٢٦، والدينوري (ت ٢٨٢) في الأخبار الطوال: ١٦٥.

(٢) رواها بزيادة ونقصان كلّ من الزبير بن بكار (ت ٢٥٦) في الموفقيات ـ كما ذكره المحمودي في نهج السعادة ٢: ٤٧٦ ـ والبلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف ٣: ١٧٢، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ٢٩٧، والطبري (ت: ٣١٠) في تاريخه ٤: ٨٢، وابن عساكر (ت ٥٧١) في تاريخ دمشق ٣٤: ٤٣٢ قال: «أخبرنا أبو غالب أحمد وأبو عبدالله يحيى ابنا أبي عليّ، قالا: أنا أبو جعفر بن المسلمة، أنا أبو طاهر المخلص، نا أحمد بن سليمان، نا الزبير بن بكار، حدّثني محمّد بن الضحاك، عن أبيه»، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٢: ١٥١، وابن منظور (ت ٧١١) في لسان العرب ١: ٣٧٨ بقوله عليه السلام: «خرج منكم إليّ جنيد ضعيف متذائب».

(٣) منيت: ابتليت.

(٤) تحمشكم: أي تغضبكم.





أَمْراً، حَتَّى تَكْشِفَ الأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَساءَةِ، فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ، وَلا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ[1] جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الأَسَرِّ[2]، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الأَدْبَرِ[3]، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ؛ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ.

قوله عليه السلام: «**مُتَذَائِبٌ**» أي: مُضْطرِب، من قولهم: تَذاءَبَتِ الرِّيحُ أي: اضْطَرَب هبوبُها، ومنه سُمِّي الذِّئبُ، لِاضْطِراب مِشيته.

[٤٠] ومن كلام له عليه السلام
في الخوارج لما سمع قولهم: «لا حكم إلا لله»[4]

قال عليه السلام: كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لا حُكْمَ إِلّا للهِ، ولكِنَّ

---

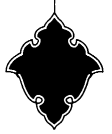
(١) الجرجرة: صوت يُردّده البعير في حنجرته، وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب.

(٢) الأسر: البعير الذي يشتكي سرّته.

(٣) النضو: البعير المهزول، والأدبر: الذي به دبر، وهي القروح في ظهره.

(٤) رواه ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥) في المصنف ٨: ٧٣٥ ح ٢٧ إلى قوله: «يبلغ الله فيه الأجل» قال: «حدّثنا عفان، قال: حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت عاصم بن ضمرة قال...»، ورواه البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف ٣: ١٠٧٧ إلى قوله: «يبلغ الكتاب أجله» قال: «حدّثني روح بن عبدالمؤمن، حدّثنا أبو الوليد الطيالسي، أنبأنا شعبة، أنبأنا أبو إسحاق، قال: سمعت عاصماً يقول». أما قوله عليه السلام: «حكم الله أنتظر فيكم» فقد رواه ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥) في المصنف ٨: ٧٣٤، ح٢٠، والفضل بن شاذان (ت ٢٦٠) في الإيضاح: ٤٧٤، واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ١٩١.

واعلم أنّه لا حجة للعلمانيين في التمسك بهذا الكلام لدعم موقفهم في فصل الدين عن السياسة، إذ أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان في مقام المحاججة مع الخوارج الفوضويين الذين أنكروا أصل الحكومة والإمارة، لذا جاء الخطاب بهذه الصيغة، ولم يكن بصدد ذكر شرائط الحاكم وكيفيّة نصبه أهو من قبل الناس أو من قبل الله. وعلى سبيل المثال لو جاءت طائفة وأنكرت ضرورة الطعام والشراب للإنسان، =



هؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لا إِمْرَةَ، فَإِنَّهُ لَابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ.

وفي رواية أُخرى أنّه عليه السلام لمّا سمع تحكيمهم قال: **حُكْمَ اللهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ.**

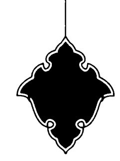
وقال: **أَمَّا الإمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فيها التَّقِيُّ، وَأَمَّا الإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ؛ إلى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ، وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ.**

[٤١] ومن خطبة له عليه السلام(١)
[وفيها ينهى عن الغدر ويحذر منه]

إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ، وَلا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ، وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا في زَمَانٍ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلى حُسْنِ الْحِيلَةِ. مَا لَهُمْ! قَاتَلَهُمُ اللهُ! قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ

= فيقال لهم] عند المحاججة: إنّه لابدّ للناس من طعام وشراب، وهذا لا يعني عدم لزوم الحلّية في الطعام والشراب، ولايعطي أيّ شرعية لأكل الحرام، بل إنّه ناظر إلى تبيين قضية كبروية بديهية، أما سائر الأمور والشروط والأحكام فهي متروكة إلى مجال آخر، وتستفاد من أدلة أُخرى، فكذلك ما نحن فيه، فأميرالمؤمنين عليه السلام لم يقصد بكلامه هذا بيان طبيعة الحكم الإسلامي وشرائطه، وكيفية تعيين الحاكم، وإنّما قصد إلى بيان ضرورة الحكم في قبال دعوى الخوارج الفوضويين، كيف وهو القائل: «وقد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج، والإماء، والمغانم، والأحكام، وإمامة المسلمين البخيل فتكون أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلّهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الجائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنّة فيهلك الأُمة» [نهج البلاغة، الخطبة: ١٣١].

(١) رواها الشريف الرضي بهذا اللفظ في الخصائص: ٩٨ أيضاً، ورواها الإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٩٦ باختلاف قليل.





الْقُلَّبُ[1] وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لا حَرِيجَةَ[2] لَهُ فِي الدِّينِ.

[٤٢] ومن خطبة له عليه السلام[3]

[وفيها يحذّر من اتّباع الهوى وطول الأمل في الدنيا]

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ

(١) الحوّل القلّب: الذي قد تحوّل وتقلّب في الأمور وجرب، وحنّكته الخطوب والحوادث.

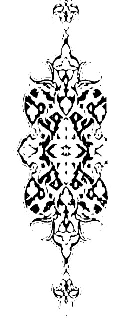
(٢) الحريجة: التقوى.

(٣) رواها سليم بن قيس (ت ٧٦) في كتابه: ٢٦١، والمنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٣، وابن أبي شيبة (ت ٢٣٥) في المصنف ٨: ١٥٥ ح ١ قال: «حدّثنا عبدالله بن إدريس عن إسماعيل وسفيان، عن زبيد بن الحارث، عن رجل من بني عامر»، والبلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف ٢: ٨٦٠ قال: «حدّثني عليّ بن إبراهيم الطالبي، عن أشياخه»، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠٤، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٥٨ ح ٢١ «عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عثمان، عن سليم بن قيس الهلالي»، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الخصال: ٥١ ح ٦٢ قال: «حدّثنا محمّد بن أحمد الأسدي، قال: حدّثنا محمّد بن أبي عمران، قال: حدّثنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري، قال: حدّثنا عليّ بن أبي عليّ اللهبي، عن محمّد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله، عن رسول الله صلى الله عليه وآله». ولا يضرّنا هذا فإنّ أميرالمؤمنين عليه السلام ضمّن خطبته بكلام رسول الله صلى الله عليه وآله. ورواها الشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الأمالي: ٣٤٥ ح ١ قال: «أخبرني أبو بكر محمّد بن عمر الجعابي، قال: حدّثنا محمّد بن الوليد، قال: حدّثنا غندر بن محمّد، قال: حدّثنا شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني» ورواها أيضاً في الإرشاد ١: ٢٣٦ وقال: «اشتهر بين العلماء، وحفظه ذوو الفهم والحكماء». وروى صدر الخبر كلّ من البرقي (ت ٢٧٤) في المحاسن ١: ٢١١ ح ٨٤ «عنه [أي عن أحمد] عن محمّد بن عبدالحميد العطار البجلي، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن يحيى بن عقيل»، واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٨، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٢: ٣٣٥ ح ٣ «عن الحسين بن محمّد، عن معلى بن محمّد، عن الوشاء، عن عاصم =



الأمَلِ؛ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الأمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ. أَلا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ[1]؛ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ[2] كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا، أَلا وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلا حِسَابَ، وَغَداً حِسَابٌ وَلا عَمَلَ.

[قال الرضي رحمه الله: أقول: الحَذَّاء: السريعة، ومن الناس من يرويه: جذّاء ـ بالجيم والذال ـ أي انقطع درّها وخيرها].



[٤٣] ومن كلام له عليه السلام

وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله جرير بن عبدالله البجلي إلى معاوية[3]

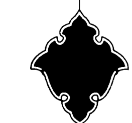
إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ، إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ، وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ، وَلكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعاً

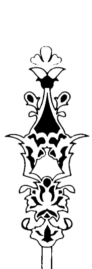
= ابن حميد، عن أبي حمزة، عن يحيى بن عقيل»، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الخصال: ٥٢ ح ٦٣ قال: «حدّثنا أبي(رضي الله عنه) قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمّد ابن عيسى، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن عمر ابن أذينة، عن أبان ابن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي».

(١) الحذاء: السريعة.

(٢) الصبابة: بقية الماء في الإناء.

(٣) روى صدر الخبر ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١١٤، وابن عساكر (ت ٥٧١) في تاريخ دمشق ٥٩: ١٣٠، وروى المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٥٥ قوله عليه السلام: «وقّت لرسولي وقتاً لا يقيم بعده إلّا مخدوعاً أو عاصياً»، وروى الدينوري (ت ٢٨٢) في الأخبار الطوال: ١٨٨ قوله عليه السلام: «لقد ضربت أنف هذا الأمر... أو الكفر»، وروى ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ٢: ٥١٠ نحو ما رواه المنقري.





أَوْ عَاصِياً، وَالرَّأْيُ مَعَ الأَنَاةِ(١)، فَأَرْوِدُوا(٢)، وَلا أَكْرَهُ لَكُمُ الإعْدَادَ.

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هذَا الأَمْرِ وَعَيْنَهُ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وبَطْنَهُ، فَلَمْ أَرَ لِي إلّا الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ [بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ]. إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الأُمَّةِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثاً، وَأَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالاً، فَقَالُوا، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّروا.

[٤٤] ومن كلام له عليه السلام

لما هرب مَصْقَلة بن هُبيرة الشيباني إلى معاوية(٣)

وكان قد ابتاع سَبْيَ بني ناجية من عامل أميرالمؤمنين عليه السلام وأعتقهم، فلمّا طالبه بالمال خاس به(٤) وهرب إلى الشام، فقال:

قَبَّحَ اللهُ(٥) مَصْقَلَةَ! فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، وَلا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ، وَلَو أَقَامَ لأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ، وَانْتَظَرْنا بِمَالِهِ وُفُورَهُ(٦).

[٤٥] ومن خطبة له عليه السلام(٧)

[وهي بعض خطبة طويلة خطبها يوم الفطر وفيها يحمد الله ويذم الدنيا]

الْحَمْدُ للهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلا مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلا مَأْيُوسٍ مِنْ

---

(١) الأناة: الانتظار والتثبت.

(٢) أرودوا: أرفقوا، يقال: أرود في السير إرواداً أي سار برفق.

(٣) رواه باختلاف البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف ٣: ١٨٢، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ٣٦٦، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ١٠٠ «قال أبو مخنف: وحدّثني أبو الصلت الأعور، عن ذهل بن الحارث» والمسعودي (ت ٣٤٦) في مروج الذهب ٢: ٤١٩.

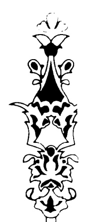
(٤) خاس به: غدر به.

(٥) قبّح الله فلاناً: أي نحّاه عن الخير.

(٦) الوفور: مصدر وفر المال أي نمّ.

(٧) روى جميعها الشيخ الصدوق(ت٣٨١) في من لايحضره الفقيه١: ٥١٤ ح ١٤٨٢.=





مَغْفِرَتِهِ، وَلا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ؛ الَّذِي لا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ.

وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ[1] لَهَا الْفَنَاءُ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ، وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، قَدْ عُجِّلَتْ لِلطَّالِبِ، وَالْتَبَسَتْ[2] بِقَلْبِ النَّاظِرِ؛ فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، وَلا تَسْأَلُوا فِيها فَوْقَ الْكَفَافِ، وَلا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ[3].

[٤٦] ومن كلام له عليه السلام
عند عزمه على المسير إلى الشام[4]

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالمَالِ والْوَلَدِ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ؛ وَلا يَجْمَعُهُما غَيْرُكَ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لا يَكُونُ مُسْتَصْحَباً، وَالمُسْتَصْحَبُ لا يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً.

وابتداء هذا الكلام مرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قفّاه عليه السلام بأبلغ كلام وتمّمه بأحسن تمام؛ من قوله: «ولا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ» إلى آخر الفصل.

= وروى ذيلها ابن الفتال النيسابوري (ت٥٠٨) في روضة الواعظين: ٤٤٠، والواسطي(ق٦) في عيون الحكم والمواعظ: ١٤٨.

(١) مُني: أي قُدّر.

(٢) التبست: اشتبهت أو اختلطت.

(٣) البلاغ والبلغة من العيش: ما يتبلّغ به.

(٤) رواه المنقري (ت ٢١٣) في وقعة صفين: ١٣٢ وقال ابن أبي الحديد ٣: ١٦٦ «وذكره غيره أيضاً من رواة السيرة»، والقاضي النعمان (ت ٣٦٣) في دعائم الإسلام ١: ٣٤٧ إلى قوله عليه السلام: «الخليفة في الأهل».





[٤٧] ومن كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة

كَأَنّي بِكِ يَاكُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ[١]؛ تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ[٢]، وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَاأَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ابْتَلَاهُ اللهُ بِشَاغِلٍ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ[٣].

[٤٨] ومن خطبة له عليه السلام عند المسير إلى الشام[٤]

[قيل: إنه خطب بها وهو بالنُّخَيْلَة خارجاً من الكوفة إلى صفين]

الْحَمْدُ للهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ[٥]، وَالْحَمْدُ للهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ[٦]، والْحَمْدُ للهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الإِنْعَامِ، وَلا مُكَافَإِ الإِفْضَالِ. أَمّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي، وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هذَا المِلْطَاطِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ، مُوَطِّنِيْنَ أَكْنَافَ[٧] دِجْلَةَ، فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ[٨] الْقُوَّةِ لَكُمْ.

---

(١) الأديم: الجلد المدبوغ، والعكاظي: منسوب إلى عكاظ، وهو اسم سوق للعرب بناحية مكة. وهذا الكلام استعارة لما ينالها من العسف والخبط.

(٢) العرك: الدلك والحك، والنوازل: الشدائد والحوادث.

(٣) قد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٩٨، موارد كثيرة دفع الله تعالى فيها السوء والبلاء عن الكوفة.

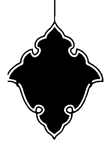
(٤) رواها باختلاف المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ١٣٢ «قال عمر: حدّثني رجل من الأنصار، عن الحارث بن كعب الوالبي، عن عبدالرحمن بن عبيد بن أبي الكنود»، والإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٣١، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٤: ٣٥٧، وابن منظور (ت ٧١١) في لسان العرب ٧: ٤٠٨ بقوله عليه السلام: «وأمرتهم بلزوم هذا الملطاط حتى يأتيهم أمري».

(٥) وقب: دخل، وغسق: أظلم.

(٦) لاح: طلع، وخفق: غاب وغرب.

(٧) أكناف: جوانب.

(٨) الأمداد: جمع مَدَد، وهو ما يُمَدُّ به الجيش تقوية له.



يعني عليه السلام بالملطاط هاهنا: السَّمْتَ الذي أمرهم بلزومه؛ وهو شاطىء الفرات، ويقال ذلك أيضاً لشاطىء البحر، وأصله ما اسْتَوى من الأَرض. ويعني بالنُّطفةِ: ماء الفرات، وهو من غريب العبارات وعجيبها.

[٤٩] ومن خطبة له عليه السلام (١)

[وفيها جملة من صفات الربوبية والعلم الإلٓهي]

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بَطَنَ(٢) خَفِيَّاتِ الأُمُورِ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ(٣)، وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ؛ فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ. سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيءَ أَعْلَى مِنْهُ، وَقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ؛ فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ في المَكَانِ بِهِ؛ لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، ولَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقولُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاحِدُونَ لَهُ عُلوّاً كَبِيراً!

[٥٠] ومن خطبة له عليه السلام (٤)

[وفيها بيان لما يخرب العالم به من الفتن وبيان هذه الفتن]

إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتابُ

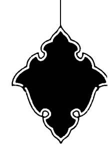
---

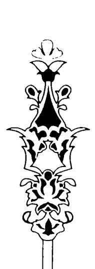
(١) رواها القاضي النعمان (ت٣٦٣) في شرح الأخبار ٢: ٣١١ ح٦٤٠ «جعفر بن سليمان باسناده عن عليّ عليه السلام».

(٢) بطن الأمر: عرف باطنه.

(٣) أعلام الظهور: الأدلة الظاهرة الواضحة.

(٤) رواها سليم بن قيس (ت ٧٦) في كتابه: ٢٦٢، والإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٩١، والبرقي (ت ٢٧٤) في المحاسن ١: ٢٠٨ ح ٧٤ و ١: ٢١٨ ح ١١٤ «عنه [أي عن أحمد] عن الحسن بن عليّ بن فضال، عن عاصم بن حميد، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أميرالمؤمنين عليه السلام...»، واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ١٩١، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ١: ٥٤ =





اللهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً، عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ؛ وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ؛ وَلكِن يُؤْخَذُ مِنْ هذَا ضِغْثٌ[1]، وَمِنْ هذَا ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ!

فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى.

[٥١] ومن كلامه عليه السلام

لمّا غلب أصحابُ معاوية أصحابَه على شريعة الفرات بصِفّين ومنعوهم الماء[2]

قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ[3]، فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ، أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الماءِ؛ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ في مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَلا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ الْغُوَاةِ، وَعَمَّسَ[4] عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ.

= ح ١ «عن الحسين بن محمّد الأشعري، عن معلّى بن محمّد، عن الحسن بن عليّ الوشاء، وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضال جميعاً، عن عاصم بن حميد، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أميرالمؤمنين عليه السلام ...» وأيضاً في ٨: ٥٨ ح ٢١ «عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عثمان، عن سليم بن قيس الهلالي».

(١) الضغث: القبضة من الحشيش.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣٢٥ عن نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢)، واستشهد ابن الأثير (ت٦٠٦) في النهاية ٣: ٢٩٩ «عمس» بقوله عليه السلام: «ألا وإنّ معاوية قاد لمة من الغواة، وعمس عليهم الخبر»، وكذلك في لسان العرب ٦: ١٤٧.

(٣) استطعموكم القتال: كلمة مجازية معناها: طلبوا القتال منكم، كأنّه جعل القتال شيئاً يستطعم.

(٤) عمس ـ بالتشديد والتخفيف ـ: أبهم عليهم الخبر وجعله مظلماً.



[٥٢] ومن خطبة له عليه السلام[١]

قد تقدّم مختارها برواية ونذكرها هاهنا برواية أخرى لتغاير الروايتين:

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَآذَنَتْ بِانْقِضَاءٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ[٢]، فَهِيَ تَحْفِزُ[٣] بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَقَدْ أَمَرَّمِنْهَا مَا كَانَ حُلْواً، وَكَدِرَ مِنْهَا ما كَانَ صَفْواً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ[٤] كَسَمَلَةِ الإِدَاوَةِ[٥]، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ المَقْلَةِ[٦]، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ[٧] لَمْ يَنْقَعْ[٨]، فَأَزْمِعُوا[٩] عِبَادَ اللهِ الرَّحِيلَ عَنْ هذِهِ الدَّارِ المَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوالُ، وَلا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الأَمَلُ، وَلايَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ.

فَوَاللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوُلَّهِ الْعِجَالِ[١٠]، وَدَعَوْتُم بِهَدِيلِ الْحَمَامِ[١١]،



(١) رواها الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في من لا يحضره الفقيه ١: ٥١٨ ح ١٤٨٤، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الأمالي: ١٥٩ ح ٢ قال: «أخبرني أبو عبيدالله محمّد بن عمران المرزباني، قال: أخبرنا أحمد بن محمّد المكي، قال: حدّثنا أبو العيناء، عن محمّد بن الحكم، عن لوط بن يحيى، عن الحارث بن كعب، عن مجاهد». واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٤: ٣٤٨، وابن منظور (ت ٧١١) في لسان العرب ١١: ٦٢٧ بقوله عليه السلام: «لم يبق منها إلّا كجرعة المقلة».

(٢) الحذّاء: السريعة الذهاب.

(٣) الحفز: الدفع من خلف.

(٤) السملة: البقية من الماء تبقى في الإناء.

(٥) الإداوة: المطهرة.

(٦) المقلة: حصاة يقتسم بها الماء القليل في السفر ليعرف قدر ما يُسقى كل واحد منهم.

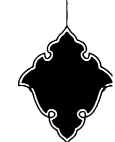
(٧) تمزّزها: تمصّص الماء قليلاً قليلاً، والصديان: العطشان.

(٨) لم ينقع: لم يرو.

(٩) أزمعوا: اعزموا.

(١٠) الولّه العجال: النوق الوالهة الفاقدة أولادها.

(١١) هديل الحمام: صوت نوحه.





وَجَأَرْتُمْ[1] جُؤَارَ مُتَبَتِّلي[2] الرُّهْبَانِ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ، التِمَاسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أوغُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ، لَكَانَ قَلِيلاً فِيما أَرْجُو لَكُم مِنْ ثَوَابِهِ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ.

وَتَاللهِ لَوِ انْمَاثَتْ قُلوبُكُمُ انْمِيَاثاً، وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ وَرَهْبَةٍ مِنْهُ دَماً، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ - وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُمْ - أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمُ الْعِظَامَ، وَهُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلإيمَانِ.

ومنها: في ذكر يوم النحر وصفة الأضحية

وَمِنْ تَمَامِ الأُضْحِيَةِ اسْتِشْرَافُ[3] أُذُنِهَا، وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا، فَإِذَا سَلِمَتِ الأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الأُضْحِيَةُ وَتَمَّتْ، وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ[4] الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنْسَكِ[5].

[٥٣] ومن كلام له عليه السلام[6]

[وفيه يصف أصحابه بصِفّين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام]

فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا، قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَخُلِعَتْ

---

(١) جأر يجأر: رفع صوته وصاح.

(٢) المتبتل: المنقطع عن الدنيا.

(٣) الاستشراف: الارتفاع والانتصاب.

(٤) العضباء: المكسورة القرن.

(٥) تجرّ رجلها إلى المنسك: كناية عن العرجاء. وزاد ابن أبي الحديد وغيره: قال الرضي رحمه الله: والمنسك هاهنا: المذبح.

(٦) روى صدر الخبر الواصف لكيفية البيعة باختلاف ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٧٦، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ٣١٠، والطبري الإمامي =



مَثَانِيهَا[1]، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ، وَقَدْ قَلَّبْتُ هذَا الأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الآخِرَةِ.

[٥٤] ومن كلام له عليه السلام
وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصِفّين

أَمَّا قَوْلُكُمْ: أَكُلَّ ذلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ! فَوَاللهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ! فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعْشُوَ[2] إِلى ضَوْئِي، وَذلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلالِهَا؛ وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ[3] بِآثَامِهَا.

[٥٥] ومن كلام له عليه السلام
يصف أصحاب رسول الله ﷺ[4]

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ نَقْتُلُ آبَاءَنا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنا وَأَعْمَامَنَا، مَا

= (ق٤) في المسترشد: ٤١٧، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٤٤ وكتاب الجمل: ١٤٤، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٢: ١٢٨ بقوله عليه السلام: «ثم تداككتم عليَّ تداكك الإبل الهيم على حياضها».

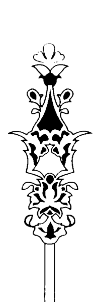
(١) المثاني: الحبال.

(٢) عشا إلى النار يعشو: استدلّ عليها ببصر ضعيف.

(٣) تبوء: ترجع.

(٤) رواه سليم بن قيس (ت ٧٦) في كتابه: ٢٤٤، ونصر بن مزاحم (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٥٢١ (عن عمر بن سعد، عن إسحاق بن يزيد، عن الشعبي) ورواه الإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٨٥، والشيخ المفيد(ت٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٦٨. ويظهر من المصادر أنّه عليه السلام تكلّم بهذا الكلام أكثر من مرّة.





يَزِيدُنَا ذلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً، وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ(١)، وَصَبْراً عَلى مَضَضِ الأَلَمِ، وَجِدّاً عَلى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالآخَرُ مِنْ عَدُوِّنا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ(٢) أَنْفُسَهُمَا، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، ومَرَّةً لِعَدُوِّنا مِنَّا، فَلَمَّا رَأى اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ(٣)، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَهُ وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ(٤)، وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلا اخْضَرَّ لِلإِيمَانِ عُودٌ، وَأَيْمُ اللهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً، وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً!

[٥٦] ومن كلام له عليه السلام لأصحابه(٥)

أما إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُوم، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ(٦)، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ؛ وَأَمَّا

---

(١) لقم الطريق: الجادة الواضحة منها.

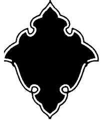
(٢) التخالس: التسالب والانتهاب.

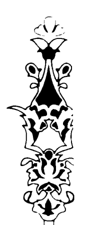
(٣) الكبت: الإذلال.

(٤) جران البعير: مقدّم عنقه. تبوأت المنزل: نزلته.

(٥) رواه بهذا اللفظ أو قريب منه ابن شهرآشوب (ت ٥٨٨) في المناقب ٢: ١٠٧، واستشهد ابن الأثير (ت٦٠٦) في النهاية ٢: ١٠٥ (دحق)، وابن منظور (ت ٧١١) في لسان العرب ١٠: ٩٥ بقوله عليه السلام: «سيظهر بعدي عليكم رجل مندحق البطن» وروى أيضاً هذا المقطع الأوّل باختلاف كل من نعيم ابن حمّاد المروزي (ت ٢٢٩) في كتاب الفتن: ٩١، والكوفي (ت ٣٠٠) في المناقب ٢: ١٢٨، وأبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦) في مقاتل الطالبيين: ٤٤. وروى ذيل الخبر باختلاف البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف ٢: ٨٦٤، والكوفي (ت٣٠٠) في المناقب ٢: ٦٤، ٤١٧ والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في عيون الأخبار ١: ٦٩، والشيخ المفيد (ت٤١٣) في الإرشاد١: ٣٢٢ وذكر أنّه استفاض عنه عليه السلام ذلك.

(٦) مندحق البطن: بارزها، والدحوق من النوق: التي يخرج رحمها عند الولادة.





الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي، فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ.

[٥٧] ومن كلامه عليه السلام كلّم به الخوارج(١)

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ(٢)، وَلا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ، أَبَعْدَ إِيمَاني بِاللهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ! لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ! فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ، وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الأَعْقَابِ(٣)، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلّاً شَامِلاً، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَأَثَرَةً(٤) يَتَّخِذُهَا الظَّالِمونَ فِيكُمْ سُنَّةً.

قوله عليه السلام: «وَلا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ» يُروى على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون كما ذكرناه بالراء، من قولهم: رجلٌ آبِرٌ؛ للذي يأبِرُ النخل، أي: يُصْلِحُهُ.

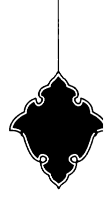
---

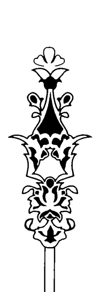
(١) روى صدر الخبر ـ أي إلى قوله: من المهتدين ـ باختلاف: الزبير بن بكّار (ت ٢٥٦) في الموفقيات ـ كما في نهج السعادة ٢: ٢٦٩ ـ وابن قتيبة (ت٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٦٨، والبلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف ٣: ١٠٧، والدينوري (ت ٢٨٢) في الأخبار الطوال: ٢٠٨، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٦٣، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ١: ١٨، وابن منظور (ت ٧١١) في لسان العرب ٤: ٣ بقوله عليه السلام: «أصابكم حاصب ولا بقي منكم آبر». وروى ذيله باختلاف أيضاً: الإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٨٦، وابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٧١، والبلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف ٣: ١٠٨١، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ٢: ٤٩٢، واليعقوبي (ت٢٨٤) في تاريخه ٢: ١٩٣، والقاضي النعمان (ت ٣٦٣) في دعائم الإسلام ١: ٣٩١، والطبري الإمامي (ق ٤) في المسترشد: ٦٧٢.

(٢) الحاصب: الريح الشديدة التي تثير الحصباء.

(٣) العقب: مؤخر القدم، والمراد منه هنا: انعكاس حالهم وعودهم من العزّ إلى الذل ومن الهداية إلى الضلال.

(٤) الأثرة: الاستبداد، والمراد هنا: الاستبداد بالفيء والمغنم واطراح جانبهم.





ويروى: «آثِرٌ»، يُراد به: الذي يأثِرُ الحديثَ، أي: يحكيه ويرويه، وهو أصحُّ الوجوه عندي، كأنّه عليه السلام قال: لا بقي منكم مُخبِرٌ! ويروى: «آبِزٌ» ـ بالزاي المعجمة ـ وهو: الواثبُ، والهالك أيضاً يقال له: آبِزٌ.

[٥٨] وقال عليه السلام لمّا عزم على حرب الخوارج[١]

وقيل له: إنّ القوم قد عبروا جسر النهروان:

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ، وَاللهِ لا يُفْلِتُ مِنهُمْ عَشَرَةٌ، وَلا يَهْلِكُ مِنكُمْ عَشَرَةٌ.

يعني بالنطفة: ماء النَّهر، وهي أفصح كناية عن الماء وإن كان كثيراً جَمّاً، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدّم عند مضيّ ما أَشْبَهه.

[٥٩] وقال عليه السلام لمّا قتل الخوارج

فقيل له: يا أميرالمؤمنين، هلك القوم بأجمعهم، فقال: **كَلّا وَاللهِ،**

---

(١) روى ذيله المبرد (ت ٢٨٥) في الكامل ٢: ١٤٠، والمسعودي (ت ٣٤٦) في مروج الذهب ٢: ٤١٦، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في كمال الدين: ١٢٠، والدارقطني (ت ٣٨٥) في سننه ٣: ٩٩٠. وقال ابن أبي الحديد في شرحه ٥: ٣ «هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة لاشتهاره ونقل الناس كافة له، وهو من معجزاته وأخباره المفصلة عن الغيوب... وذلك أمر إلهي عرفه من جهة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة الله سبحانه، والقوّة البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا، ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره».
وقال ابن أبي الحديد أيضاً: ٥: ١٢ «واعلم أنّنا لا ننكر أن يكون في نوع البشر أشخاص يخبرون عن الغيوب، ولكن كل ذلك مستند إلى البارئ سبحانه باقداره وتمكينه وتهيئة أسبابه، فإن كان المخبر عن الغيوب ممّن يدّعي النبوة لم يجز أن يكون ذلك إلّا بإذن الله سبحانه وتمكينه... وأما إذا لم يكن المخبر عن الغيوب مدعياً للنبوة، نظر في حاله فإن كان ذلك من الصالحين الأتقياء، نُسب ذلك إلى أنه كرامة أظهرها الله تعالى على يده، إبانة له وتمييزاً من غيره ـ كما في حقّ عليّ عليه السلام ـ وإن لم يكن كذلك أمكن أن يكون ساحراً أو كاهناً أو نحو ذلك».





إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ[١]، كُلَّمَا نَجَمَ[٢] مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلّابِينَ.

[٦٠] وقال عليه السلام فيهم

لَا تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي، فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ، كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ.

يعني: معاوية وأصحابه.

[٦١] ومن كلام له عليه السلام لما خُوِّف من الغيلة

وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللهِ جُنَّةً حَصِينَةً، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي؛ فَحِينَئِذٍ لا يَطِيشُ السَّهْمُ[٣]، وَلا يَبْرَأُ الْكَلْمُ.

[٦٢] ومن خطبة له عليه السلام[٤] [يُحَذِّرِ من فتنة الدنيا]

أَلَا وإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا، وَلا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا، ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ، وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ؛ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ[٥]، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً[٦] حَتَّى قَلَصَ[٧]، وَزَائِداً حَتَّى نَقَصَ.

---

(١) القرار والقرارة: ما قرّ فيه شيء وسكن، والمراد هنا الأرحام.

(٢) نجم: ظهر.

(٣) طاش السهم: إذا صَدَف عن الغرض وانحرف عنه.

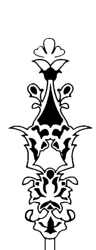
(٤) رواها بعد الرضي رحمه الله كل من محمّد بن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨) في روضة الواعظين: ٤٤١، والواسطي (ق ٦) في عيون الحكم والمواعظ: ١٤٨.

(٥) إنّما قال عليه السلام: «كفيء الظلّ» لأنّ العرب تضيف الشيء إلى نفسه، ويمكن أن يقال: الظلّ أعمّ من الفيء، لأنّ الفيء لا يكون إلّا بعد الزوال وكل فيء ظل، وليس كل ظلّ فيئاً، فلمّا كان فيهما تغاير معنوي بهذا الاعتبار صحّت الإضافة.

(٦) السابغ: التام.

(٧) قلص: انقبض.





[٦٣] ومن خطبة له عليه السلام(١)
[في المبادرة إلى صالح الأعمال]

وَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَبَادِرُوا آجَالَكُم بِأَعْمَالِكُمْ(٢)، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ(٣)، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ(٤)، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ(٥)، وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبْدَلُوا، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً؛ وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ.

وَإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ، وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ، لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ، وَإِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الأَوْبَةِ(٦)، وَإِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بِالفَوْزِ أَوالشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ نُفُوسَكُمْ غَداً. فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ؛ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، والشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ؛

---

(١) روى الإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٧٠، وكذلك الشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٣٤، من قوله عليه السلام: «يا لها حسرة على كل ذي غفلة...»، وقال ابن أبي الحديد في شرحه ٥: ١٤٧ «وهذا الكلام من مواعظ أميرالمؤمنين عليه السلام البالغة» ورواها بأكملها الباعوني (ت ٨٧١) في جواهر المطالب ١: ٣٠٥، علماً بأنّ الآمدي (ت ٥١٠) في غرر الحكم، وكذلك الواسطي (ق ٦) في عيون الحكم، ذكرا مقاطع كثيرة من هذه الخطبة. أمّا نسبة ابن قتيبة في عيون الأخبار وغيره إيّاها للمأمون، فلا يبعد أن يكون المأمون حفظها من خطبه عليه السلام وضمّنها كلامه، كما كان يفعل سائر الخطباء.

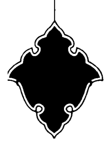
(٢) أي سابقوها وعاجلوها، والبدار: العجلة.

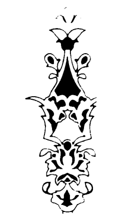
(٣) أي ابتاعوا الآخرة الباقية بالدنيا الفانية.

(٤) جُدّ بفلان: إذا ازعج وحث على الرحيل.

(٥) أظلكم: قرب منكم، كأنّه أُلقي عليهم ظلّه، وهذا من باب الاستعارة.

(٦) الأوبة: الرجوع.





يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا، وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، حتّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا.

فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ. نَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ، وَلا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلا كَآبَةٌ.

[٦٤] ومن خطبة له عليه السلام

[وفيها مباحث لطيفة من العلم الإلهي]

[الْحَمْدُ للهِ] الَّذِي لَمْ تَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالاً، فَيَكُونَ أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً، وَيَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً.

كُلُّ مُسَمّىً بِالْوَحْدَةِ غَيْرَهُ قَلِيلٌ، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرَهُ ذَلِيلٌ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرَهُ ضَعِيفٌ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرَهُ مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرَهُ مُتَعَلِّمٌ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرَهُ يَقْدِرُ وَيَعْجَزُ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرَهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ الأَصْوَاتِ، وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرَهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الأَجْسَامِ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرَهُ غَيْرُ بَاطِنٍ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرَهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ.

لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَان، وَلا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ، وَلا اسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدٍّ مُثَاوِرٍ(١)، وَلا شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ(٢)، وَلا ضِدٍّ مُنَافِرٍ(٣)؛ وَلكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ(٤)، لَمْ يَحْلُلْ فِي الأَشْيَاءِ فَيُقَالَ: هُوَ فِيهَا كَائِنٌ، وَلَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالَ: هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ.

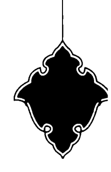
---

(١) المثاور: المواثب والمحارب.

(٢) الشريك المكاثر: المفتخر بالكثرة.

(٣) الضد المنافر: المحاكم في الحسب.

(٤) الداخر: الذليل.





لَمْ يَؤُدْهُ[1] خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ، وَلا تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ، وَلا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ، وَلَا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ، بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ، وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ[2]. المَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ، المَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ.

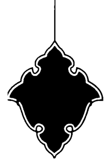
[٦٥] ومن كلام له عليه السلام
يقوله لأصحابه في بعض أيام صِفِّين[3]

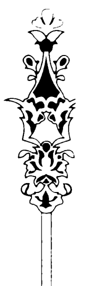
مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ؛ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ،.................

(١) لم يؤده: لم يتعبه ولم يثقله.

(٢) المبرم: المحكم.

(٣) رواه ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في غريب الحديث ١: ٣٦٣، وعيون الأخبار ١: ١١٠ كتاب الحرب، والمسعودي (ت ٣٤٦) في مروج الذهب ٢: ٣٨٩، وفرات بن إبراهيم الكوفي (ت ٣٥٢) في تفسيره: ٤٣١ ح ٥٦٩ وقال: «حدّثني إبراهيم بن بنان الخثعمي، قال: حدّثنا جعفر بن أحمد بن يحيى بن منمس، قال: حدّثنا عليّ بن أحمد بن القاسم الباهلي، عن ضرار بن الأزور»، وعماد الدين الطبري (ت ٥٢٥) في بشارة المصطفى: ٢٢٣ ح ٤٨ قال: «أخبرنا الشيخ العفيف أبو البقاء إبراهيم بن الحسن البصري رحمه الله قراءة عليه في صفر سنة عشرة وخمسمائة بمشهد مولانا أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: حدّثني الشيخ أبو طالب محمّد ابن الحسين بن عتبة، قال: حدّثني أبو الحسين محمّد بن أحمد بن محمّد بن خالد المذاري، قال: حدّثنا أبو المفضل محمّد بن عبدالله بن المطلب الشيباني في شعبان سنة ست وثمانين وثلاثمائة ببغداد في نهر الدجاج في دار الصيداوي المنشد، قال: حدّثنا محمّد بن محمّد بن معقل العجلي القرميسيني بشهرزور، قال: حدّثنا محمّد ابن أبي الصهبان الباهلي، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان ابن عثمان الأحمر، عن أبان بن تغلب رحمه الله، عن عكرمة مولى عبدالله بن عبّاس، عن عبدالله ابن عبّاس». وأورده الزمخشري (ت ٥٣٨) في الفائق ٢: ٩٥ (زنن)، ورواه ابن عساكر (ت ٥٧١) في تاريخ دمشق ٤٢: ٤٦٠ وقال: «أخبرنا أبو القاسم إسماعيل، نا أحمد بن الحسن بن خيرون، أنا أبو عليّ ابن شاذان... أبو جعفر أحمد بن يعقوب الاصبهاني، نا محمّد بن عليّ بن دعبل الخزاعي، عن... ابن هشام الكلبي، عن أبيه، عن ابن عبّاس» ورواه بسند آخر وقال: «أخبرنا أبو طالب =





وَتَجَلْبَبُوا[1] السَّكِينَةَ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ[2] فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَأَكْمِلُوا اللَّأْمَةَ[3]، وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا، وَالْحَظُوا الْخَزْرَ[4]، وَاطْعُنُوا الشَّزْرَ[5]، وَنَافِحُوا بِالظُّبَا[6]، وَصِلُوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَاوِدُوا الْكَرَّ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الأَعْقَابِ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً، وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً[7]، وَعَلَيْكُمْ بِهذَا السَّوَادِ الأَعْظَمِ، وَالرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ[8]، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ[9]، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً؛ فَصَمْداً صَمْداً! حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ؛ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ.

[٦٦] ومن كلام له عليه السلام في معنى الأنصار

قالوا: لمّا انتهت إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول

= عبدالقادر بن محمّد ابن يوسف، أنا إبراهيم بن عمر، ح، وأخبرنا أبو المعمر المبارك بن أحمد الأنصاري، أنا المبارك ابن عبدالجبار، أنا إبراهيم ابن عمر البرمكي، وعليّ بن عمر بن الحسن قالا: أنا أبو عمر بن حيويه، أنا عبيدالله بن عبدالرحمن السكري، قال: قال أبو محمد بن مسلم بن قتيبة: في حديث عليّ انّ ابن عبّاس...».

(١) الجلباب: الثوب المشتمل على البدن.

(٢) النواجذ: جمع ناجذ، وهو أقصى الأضراس.

(٣) اللأمة: الدرع.

(٤) الخزر: النظر بمؤخر العين وهو نظر المغضب.

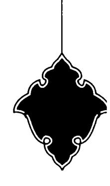
(٥) الشزر: الطعن عن اليمين والشمال.

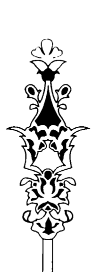
(٦) المنافحة: المضاربة والمدافعة، والظبا: حدّ السيف.

(٧) السجح: السهل.

(٨) المطنّب: المشدود بالأطناب. ثبجه: وسطه.

(٩) الكسر: جانب الخباء.





الله صلى الله عليه وآله، قال عليه السلام: **ما قالت الأنصار؟** قالوا: قالت: منّا أمير ومنكم أمير. قال عليه السلام: **فَهَلّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟** قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟ فقال عليه السلام: **لَوْ كانَتِ الإمارةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ**. ثم قال: **فَماذَا قالَتْ قُرَيْشٌ؟** قالوا: احتَجَّتْ بأنّها شجرةُ الرسولِ صلى الله عليه وآله. فقال عليه السلام: **احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَضاعُوا الثَّمَرَةَ.**

[٦٧] ومن كلام له عليه السلام

لمّا قلّد محمّد ابن أبي بكر مصر فملكت عليه وقُتل(١)

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاها لَما خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ(٢)، وَلا أَنْهَزَهُمُ(٣) الْفُرْصَةَ، بِلا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ ابْنِ أَبي بَكْر، فَلَقَدْ كانَ إِلَيَّ حَبِيباً، وَكانَ لي رَبِيْباً.

[٦٨] ومن كلام له عليه السلام في ذمّ أصحابه(٤)

كَمْ أُدارِيكُمْ كَما تُدارَى الْبِكارُ الْعَمِدَةُ(٥)، وَالثِّيابُ الْمُتَداعِيَةُ! كُلَّما

---

(١) رواه البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف ٣: ١٧٣، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ٣٠١، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٨٣.

(٢) العرصة: كل بقعة من الدور واسعة ليس فيها بناء، والمراد هنا عرصة مصر.

(٣) لا أنهزهم الفرصة: ولا جعلهم للفرصة منتهزين.

(٤) روى بعض مقاطعه كلٌّ من البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف ٣: ٢٠٧، والثقفي (ت٢٨٣) في الغارات ٢: ٤٥١، واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ١٩٥، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ١٠٣، مع اختلافهم في ذكر زمن ايراد هذا الكلام. وقد استشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ببعض مقاطعه أيضاً راجع النهاية ٣: ٢٩٧، ٤٨٠، ٥: ٤٧، ١٥٦. وراجع التعليقة على خطبة رقم(٢٥) للردّ على من تمسّك بأمثال هذا الكلام للطعن على الشيعة.

(٥) البكار: جمع بكر، وهو الفتيّ من الإبل، والعَمِدَة: التي انشدخت أسْنِمتها من داخل وظاهرها صحيح.



حِيصَتْ[١] مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ، كُلَّما أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ[٢] مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ في جُحْرِهَا، وَالضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا[٣].

الذَّلِيلُ وَاللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ؛ وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ[٤]. إِنَّكُمْ وَاللهِ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ[٥]، قَليلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ، وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ، وَلكِنِّي واللهِ لا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي. أَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ[٦]، وَأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ[٧]! لا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ، وَلاتُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الحَقَّ!

[٦٩] وقال عليه السلام في سُحْرَةِ اليوم الذي ضُرِبَ فيه[٨]

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ، فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ

(١) حيصت: خيطت، والحوص: الخياطة.
(٢) المنسر: قطعة من الجيش تمرّ قدّام الجيش الكثير.
(٣) انجحر: دخل واختفى. الوجار: بيت الضبع.
(٤) بأفوق ناصل: أي بسهم منكسر لا نصل فيه.
(٥) الباحة: ساحة الدار.
(٦) أضرع الله خدودكم: أي أذلّ وجوهكم.
(٧) أتعس: أهلك، والجدود: البخت والحظ.
(٨) رواه ابن سعد (ت ٢٣٠) في الطبقات ٣: ٣٦، وابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٨٠، والبلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف ٣: ٢٥٥، وأبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦) في مقاتل الطالبيين: ٢٥، قال: «حدّثني أحمد بن محمّد بن دلان، وأحمد بن الجعد، ومحمّد بن جرير الطبري قالوا: حدّثنا أبو هاشم الرفاعي، قال: حدّثنا أبو أُسامة، قال: حدّثني أبو جناب، قال: حدّثني أبو عون الثقفي، عن أبي عبدالرحمن السلمي، عن الحسن بن عليّ قال: خرجت أنا وأبي...». ورواه أيضاً القاضي النعمان (ت ٣٦٣) في شرح الأخبار ٢: ٤٣٢ عن أبي عبدالرحمن السلمي، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٤: ٢٤٤ بقوله عليه السلام: «رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله في النوم، فقلت: يارسول الله ماذا لقيت بعدك من الأود واللدد».





اللهِ! مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الأَوَدِ وَاللَّدَدِ! فَقَالَ: «ادْعُ عَلَيْهِمْ»، فَقُلْتُ: أَبْدَلَنِي اللهُ بِهِمْ خَيْراً لِي مِنْهُمْ، وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي.

يعني عليه السلام بالأَوَد: الاعوجاج، وباللَّدَد: الخصام. وهذا من أفصح الكلام.

[٧٠] ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل العراق[١]

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالمرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ[٢]**، وَمَاتَ قَيِّمُهَا، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا**[٣]**، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا. أَمَا وَاللهِ مَا أَتَيْتُكُمُ اخْتِيَاراً، وَلكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: [عَلِيٌّ] يَكْذِبُ، قَاتَلَكُمُ اللهُ! فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ، أَعَلَى اللهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، كَلَّا وَاللهِ، ولكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا، وَلَمْ**

---

(١) رواه الشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٧٨ باختلاف وزيادات. واستشهد بقوله عليه السلام: «فلمّا أتمّت أملصت ومات قيّمها» ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٤: ٣٥٦، واستشهد أيضاً بقوله عليه السلام: «وَيْلمّه كيلاً بغير ثمن لو كان له وعاء» ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في غريب الحديث ١: ٣٥٤، والزمخشري (ت ٥٣٨) في الفائق ٣: ٣٨٤، وابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٥: ٢٣٦، وقال الزمخشري في توضيحه: «أصله وي لامّه وهو تعجب، يريد أنّه يكيل العلوم الجمة، وهو لا يأخذ ثمناً بذلك الكيل إلّا أنّه لا يصادف واعياً للعلم وحاملاً له بحقّ». وعلّق ابن أبي الحديد في شرحه ٦: ١٢٨ على هذا المقطع من كلام الأمير عليه السلام قائلاً: «وكان كثيراً ما يخبر عن الملاحم والكائنات ويومىء إلى أُمور أخبره بها رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول المنافقون من أصحابه: يكذب، كما كان المنافقون الأولون في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون عنه يكذب، ... وإذا تأمّلت أحواله في خلافته كلّها وجدتها هي مختصرة من أحوال رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته، كأنّها نسخة منتسخة منها في حربه وسلمه وسيرته وأخلاقه، وكثرة شكايته من المنافقين من أصحابه والمخالفين لأمره، وإذا أردت أن تعلم ذلك علماً واضحاً فاقرأ سورة براءة، ففيها الجمّ الغفير من المعنى الذي أشرنا إليه».

(٢) أملصت الحامل: ألقت ولدها سقطاً.

(٣) تأيمها: خلوّها عن الأزواج.





تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا، وَيْلُ امِّهِ، كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ! لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ!

[٧١] ومن خطبة له عليه السلام

علّم فيها الناس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله (١)

اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ(٢)، وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ(٣)، وَجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا: شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا.

اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ. الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ(٤) الأباطِيلِ، وَالدَّامِغِ صَوْلَاتِ(٥) الأضَالِيلِ(٦)، كَمَا حُمِّلَ

---

(١) رواها الإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٧٢، وابن أبي شيبة (ت ٢٣٥) في المصنف ٧: ٨٣٠ قال: «حدّثنا محمّد بن فضيل، عن عبدالله الأسدي، عن رجل، عن عليّ»، وابن قتيبة (ت ٢٧٦) في غريب الحديث ١: ٣٧٣ عن سلامة الكندي، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ١٦٠ عن أبي سلام الكندي، والحربي (ت ٢٨٥) في غريب الحديث ٢: ٥٦٩ قال: «حدّثنا ابن عائشة، حدّثنا نوح بن عيسى، عن سلامة الكندي»، والطبراني (ت ٣٦٠) في المعجم الأوسط ٩: ٤٣ قال: «حدّثنا مسعدة بن سعد، نا سعيد ابن منصور، نا نوح بن قيس، نا سلامة بن الكندي»، والزمخشري (ت ٥٣٨) في الفائق ١: ٣٦٠ (دحو) عن سلامة الكندي، وسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤) في تذكرة الخواص: ١٢٠ قال: «أخبرنا عبدالله بن أبي المجد الحربي، أنبأنا عبدالوهاب بن المبارك، أنبأنا أبو الفتح أحمد الحداد، أنبأنا أبو بكر بن أحمد بن عليّ بن إبراهيم بن منجويه، أنبأنا محمّد بن أحمد بن إسحاق، أنبأنا عبدالله بن سليمان بن الأشعث، حدّثنا الحسن ابن عرفة، حدّثنا عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، عن مجالد، عن سعيد بن عمير».

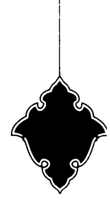
(٢) دحا يدحو: بسط، والمدحوات هنا: الأرضون.

(٣) المسموك: المرفوع، والمراد هنا: السماوات.

(٤) الجيشات: جمع الجيشة من جاشت القدر إذا ارتفع غليانها.

(٥) الصولات: جمع صولة وهي السطوة.

(٦) الأضاليل: جمع ضلال على غير قياس.





فَاضْطَلَعَ[1]، قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً[2] فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ[3]، وَلا وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ؛ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ[4]، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ[5]، وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ، وَأَقَامَ مُوضِحَاتِ الأَعْلَامِ، وَنَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ؛ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ.

اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقبُولَ الشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ، ذا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وخُطَّةٍ[6] فَصْلٍ.

اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيشِ، وَقَرَارِ النِّعْمَةِ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ، وَرَخَاءِ الدَّعَةِ[7] وَمُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ، وَتُحَفِ الْكَرَامَةِ.

[٧٢] ومن كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة[8]

قالوا: أُخِذَ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، فاستشفع الحسن

---

(١) كما حُمّل: يعني حَمَل أعباء الرسالة، فاضطلع: أي نهض بها قوياً، فرس ضليع: أي قويّ.

(٢) الوفز: العجلة، والمستوفز: المستعجل.

(٣) عن قُدم: أي عن إقدام.

(٤) الوري: خروج النار من الزند، والقبس: الشعلة، والمراد: أظهر نور الحقّ لمن يقتبسه.

(٥) الخابط: الذي يسير ليلاً على غير جادة واضحة.

(٦) الخطة: الحال والأثر.

(٧) الرخاء مصدر من قولهم: رجل رخي البال أي واسع الحال مطمئن، والدعة: السكون وعدم التخوف.

(٨) قال ابن أبي الحديد في شرحه للنهج ٦: ١٤٦ «قد روي هذا الخبر من طرق كثيرة، =



والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فكلّماه فيه، فخلّى سبيله، فقالا له: يبايعك يا أميرالمؤمنين؟ فقال:

أَفَلَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمانَ! لا حَاجَةَ لِي في بَيْعَتِهِ؛ إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ[1]، لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِهِ[2]. أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَهُوَ أَبُو الأَكْبُشِ الأَرْبَعَةِ، وَسَتَلْقَى الأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ[3].

[٧٣] ومن كلام له عليه السلام لمّا عزموا على بيعة عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي؛ وَوَاللهِ لأُسْلِمَنَّ مَاسَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيمَا تَنافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ.

[٧٤] ومن كلام له عليه السلام
لمّا بلغه اتهام بني أُميّة له بالمشاركة في دم عثمان[4]

أَوَلَمْ يَنْهَ بَنِي أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي[5]! أَوَمَا وَزَعَ الْجُهَّالُ سَابِقَتِي عَنْ

= رويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب نهج البلاغة...»، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ١: ٦٨ بقوله عليه السلام: «أما إنّ له إمرة كلعقة الكلب ابنه».

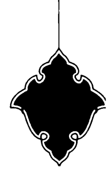
(١) كفّ يهودية: أي غادرة، واليهود تنسب إلى الغدر والخبث.

(٢) السبّة: الاست، وقال ابن أبي الحديد ٦: ١٤٧ «ومعنى الكلام محمول على وجهين: أحدهما بأن يكون ذكر السبّة إهانة له وغلظة عليه، والعرب تسلك مثل ذلك في خطبها وكلامها...، الوجه الثاني: أن يريد بالكلام حقيقة لا مجازاً، وذلك لأنّ الغادر من العرب كان إذا عزم على الغدر بعد عهد قد عاهده أو عقد قد عقده، حَبَق استهزاء بما كان قد أظهره من اليمين والعهد، سخريّة وتهكّماً».

(٣) يوماً أحمر: أي يوماً شديداً، أو قتلاً ذريعاً.

(٤) استشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٤: ٤٦ بقوله عليه السلام: «أولم ينه أُمية علمها بي عن قرافي».

(٥) القرف: العيب والتهمة.





تُهَمَتِي! وَلَمَا وَعَظَهُمُ اللهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي. أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ، وَخَصِيمُ [النَّاكِثِينَ] الْمُرْتَابِينَ، وَعَلَى كِتَابِ اللهِ تُعْرَضُ الأَمْثَالُ، وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ.

[٧٥] ومن خطبة له عليه السلام(١)

[في الحث على العمل الصالح]

رَحِمَ اللهُ عَبْداً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى، وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا، وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ(٢) هَادٍ فَنَجَا، رَاقَبَ رَبَّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خَالِصاً، وَعَمِلَ صَالِحاً، اكْتَسَبَ مَذْخُوراً(٣)، وَاجْتَنَبَ مَحْذُوراً، رَمَى غَرَضاً(٤)، وَأَحْرَزَ عِوَضاً، كابَرَ هَوَاهُ(٥)، وَكَذَّبَ مُنَاهُ، جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، والتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ، رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ، وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ، اغْتَنَمَ الْمَهَلَ، وَبَادَرَ الأَجَلَ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ.

[٧٦] ومن كلام له عليه السلام(٦)

[وذلك حين منعه سعيد بن العاص حقه]

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ تَفْوِيقاً، وَاللهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ

---

(١) رواها قبل الرضي ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢١٣، ورواها بعده الكراجكي (ت٤٤٩) في كنز الفوائد: ١٦٣، ومحمّد بن سلامة(ت٤٥٤) في دستور معالم الحكم: ٣٣، والحلواني (ق٥) في نزهة الناظر: ٥٠.

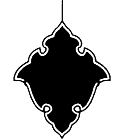
(٢) الحجزة: معقد الأزار.

(٣) يعني بالمذخور: الثواب; لأنّ ثواب العمل الصالح مذخور في الآخرة.

(٤) الغرض: ما يُرمى بالسهام، والمراد هنا: قصد الحقّ كمن يرمي غرضاً يقصده، لا من يرمي في عمياء لا يقصد شيئاً.

(٥) كابر هواه: غالبه.

(٦) رواه باختلاف ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥) في المصنف ٨: ٦٢٢ ح ١٩٦ قال: «حدّثنا غندر بن شعبة، عن عمرو بن مرة، قال: سمعت أبا وائل يحدّث عن الحارث بن حنش الأسدي»، وبنفس السند رواه أحمد بن حنبل (ت ٢٤١) في العلل ٢: ١٦٣ ح =



لأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّامِ الْوِذَامَ التَّرِبَةَ!

ويروى: «التراب الوَذَمَة»، وهو على القلب[1].

قوله عليه السلام: «**لَيُفَوّقونَني**» أي: يعطونني من المال قليلاً قليلاً كفُواق الناقةِ، وهو الحلبةُ الواحدةُ من لبنها. والوِذَامُ: جمع وَذَمةٍ، وهي: الحُزَّة[2] من الكَرِش أوالكبد تقع في التُراب فتَنْفَض.

[٧٧] ومن كلمات كان يدعو بها عليه السلام[3]

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي؛ فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ لِيْ بِالْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ

= ١٨٧٦، وأبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦) في الأغاني ١٢: ١٦٩، واستشهد بذيل الخطبة كل من الهروي (ت ٢٢٤) في غريب الحديث ٣: ٤٣٨، والجوهري (ت ٣٩٣) في الصحاح ٥: ٢٠٥، وابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ١: ١٨١، ٥: ١٧٢.

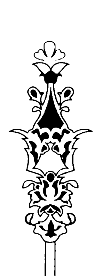
(١) أي على قلب الكلمات في الجملة، وهو اصطلاح بلاغي.

(٢) الحُزة: القطعة.

(٣) رواها بهذا اللفظ الباعوني (ت٨٧١) في جواهر المطالب١: ٣٠٧، وأورد ذيل الدعاء الخوارزمي (ت ٥٦٨) في المناقب: ٣٧٦ نقلا عن الجاحظ. ولا يخفى عدم صحّة التمسك بأمثال هذه الأدعية لنفي العصمة عنهم عليهم السلام؛ لأنّ العصمة مسألة كلامية تُبحث في علم الكلام باب صفات وشرائط القادة والهداة إلى الله تعالى، وتعيين الحجة على الناس، ولا ربط لها بعوالم الاستغراق في الحبّ الإلهي، واستصغار النفس أمامه، فإنّ الإنسان الكامل لمعرفته بعظمة ربّه لا يرى نفسه شيئاً أمامه، بل يرى أنّ وجوده ذنب لا يقاس به ذنب، ويرى كل أعماله وأوراده قاصرة عن أداء حقّه، ويؤيّد هذا ما روي في الكافي ٢: ٥٧٩ ح ٧ أنّ أبا الحسن عليه السلام قال لأحد أصحابه: أكثر من أن تقول: اللّهمّ لا تجعلني من المعارين ولا تخرجني من التقصير، قال: قلت: أمّا المعارين فقد عرفت، فما معنى: لا تخرجني من التقصير؟ قال: كل عمل تعمله تريد به وجه الله عزّوجلّ فكن فيه مقصّراً عند نفسك، فإنّ الناس كلّهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله عزّوجلّ مقصّرون.

وبالجملة إنّ العصمة بمفهومها الكلامي شيء، ومقام المناجاة بين العبد وربّه، والتذلّل له والاعتراف بالتقصير والذنب شيء آخر، ومحاولة استفادة عدم العصمة من هذه الكلمات مغالطة وخلط في المنهج.





اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ[1] مِنْ نَفْسِي، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ [بِلِسَانِي] ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الأَلْحَاظِ[2]، وَسَقَطَاتِ الأَلْفَاظِ[3]، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَهَفَوَاتِ[4] اللِّسَانِ.

[٧٨] ومن كلام له عليه السلام[5]

لبعض أصحابه لمّا عزم على المسير إلى الخوارج، فقال له : يا أميرالمؤمنين إن سرت في هذا الوقت، خشيتُ ألّا تظفر بمرادك، من طريق علم النجوم.

فقال عليه السلام : أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ؟ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ! فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الاسْتِعَانَةِ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ، وَتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ، لِأَنَّكَ ـ بِزَعْمِكَ ـ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ، وَأَمِنَ الضُّرَّ.

---

(١) وأيت: وعدت.

(٢) الرمز: تحريك الشفتين أو الإشارة بالعين، واللحظ: النظر بمؤخّر العين.

(٣) سقطات الألفاظ: لغوها.

(٤) الهفوات: الزلّات.

(٥) قال المحقّق الخوئي في منهاج البراعة ٥ : ٢٣٤ : «اعلم أنّ هذا الكلام ممّا اشتهرت روايته بين الخاصّة والعامّة، وقد روي بطرق مختلفة مع اختلاف كثير في متنه» فممّن رواه باختلاف عمّا في النهج ابن ديزيل (ت ٢٨١) في كتاب صفّين ـ كما في شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ : ٢٦٩ ـ والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٥٠١ ح ٦٨٧ قال: «حدّثنا محمّد بن عليّ ماجيلويه رضي الله عنه، قال: حدّثني عمّي محمّد ابن أبي القاسم، عن محمّد بن عليّ القرشي، عن نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن يوسف بن يزيد، عن عبدالله ابن عوف بن الأحمر» ورواه سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤) في تذكرة الخواص: ١٥٨ عن عكرمة عن ابن عبّاس، وعن الشعبي، عن أبي أراكة، والقرطبي (ت ٦٧١) في الجامع لأحكام القرآن ١٩ : ٢٩.





ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ، إلّا مَا يُهْتَدَى بِهِ في بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ، المُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ[1]، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ، وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ! وَالْكَافِرُ في النَّارِ، سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ.

[٧٩] ومن كلام له عليه السلام

عد فراغه من حرب الجمل، في ذم النساء[2]

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الإِيمَانِ، نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ، نَوَاقِصُ



---

(١) الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدّعي معرفة الأسرار.

(٢) رواه الكليني (ت ٣٢٩) في الرسائل ـ كما في كشف المحجة: ١٨١ ـ، والطبري الإمامي (ق٤) في المسترشد: ٤١٨ عن الشعبي، عن شريح بن هاني، وسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤) في تذكرة الخواص: ٧٩، وروى ذيله: «اتقوا شرار النساء» الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٥: ٥١٧ ح ٥ قال: «عدّة من أصحابنا، عن أحمد ابن أبي عبدالله، عن أبيه، عمّن ذكره، عن الحسين بن المختار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام...»، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٣٨٠ ح ٤٨٣ قال: «حدّثنا أحمد بن محمّد بن يحيى العطار(رضي الله عنه)، قال: حدّثنا أبي، عن محمّد بن الحسين ابن أبي الخطّاب، عن محمّد ابن سنان، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر الباقر، عن أبيه، عن جدّه قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام...»، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الاختصاص: ٢٢٦. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما يشبه كلام أميرالمؤمنين عليه السلام، راجع صحيح البخاري ١: ٧٨، ومسند أحمد ٢: ٦٧.

واعلم أنّ هناك من حاول التشكيك في صدور هذا الكلام من أميرالمؤمنين عليه السلام، نظراً لتضمّنه كلمات تَنْتَقِص النساء، ولكن لو كنّا وهذه الرواية فقط لأمكن التعويل على كلامه والتشكيك في صدورها، ولكن بعد مراجعة المصادر الروائية نجد الكثير من الروايات المشابهة لها في المضمون الصادرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسائر الأئمّة عليهم السلام، ممّا يصدّنا عن ردّها جميعاً والتشكيك فيها، نعم إلّا إذا قلنا إنّ مجموع هذه الروايات تخالف القرآن فيلزم طرحها، ولكن بعد مراجعة القرآن لم تظهر لنا هذه المخالفة، ولاسيّما أنّ التعليل الوارد في ذيل الرواية عن أميرالمؤمنين عليه السلام في =





الْعُقُولِ: فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ مِنْهُنَّ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الأَنْصَافِ مِنْ مَوارِيثِ الرِّجَالِ؛ فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ، وَلَاتُطِيعُوهُنَّ فِي المَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي المُنكَرِ.

[٨٠] ومن كلام له عليه السلام (١) [في الزهد]

أَيُّهَا النَّاسُ؛ الزَّهَادَةُ قِصَرُ الأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ، والورعُ عِنْدَ

= مسألة شهادة المرأة وميراثها مأخوذ من القرآن. وما ورد في القرآن من التساوي في الخطاب الإلهي للمرأة والرجل، فناظر إلى الجهات المعنوية والكمالية من التقرّب إلى الله تعالى، والتدرّج في مدارج الكمال، كقوله تعالى: «ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أُنثى وهو مؤمن فأُولئك يدخلون الجنّة ولا يظلمون نقيراً» [النساء: ١٢٤]. ولا صلة لهذا الخطاب بكيفية خلقة المرأة تكويناً، وما تحمله من عواطف وحنان، وسائر الأُمور التي جُبلت عليها، ويمكن أن يقال إنّ كلام أميرالمؤمنين عليه السلام ناظر إلى جهة نقص المرأة فيما لم تُكلّف لأدائه، ولم يكن في دائرة مهامّها ووظائفها كما أنّ الرجل ناقص بالنسبة إلى ما لم يُكلّف لأدائه من حضانة وشدّة رأفة وحنان وما شاكل، وهذه الأُمور راجعة إلى كيفية الخلقة، والوظائف الملقاة على عاتق كل واحد منهما تكويناً].

وبالجملة وتأسيساً على هذا فانّ المرأة من حيث القوة العاقلة المدبرة للأُمور السياسية والإجتماعية والمعاشية أضعف من الرجل تكويناً، ويؤيّده العلم الحديث ويشهد له الواقع العملي للمرأة إلّا ما شذّ وندر، وقد عُبّر عن هذا الضعف تارةً بالنقصان، وتارة بقوله: «شاوروهنّ وخالفوهنّ» وتارة ثالثة بقوله: «ولا تطيعوهنّ في معروف...».

كما أنّها أقوى من الرجل في الصبر والصمود والتحمل والحنان والرأفة وما شاكل. إذاً لا ينبغي الحكم بالوضع على هكذا نصوص لمجرد استحسانات لاتمت إلى الواقع العملي والتكويني بصلة، طبعاً بموازاة هذا، فهناك الكثير من الروايات المادحة للمرأة لو أردنا سردها لخرجنا عن طور الكتاب، فلتطلب من مظانّها.

(١) رواه بعد الرضي رحمه الله، محمّد بن الفتّال النيسابوري (ت ٥٠٨) في روضة الواعظين: =



الْمَحَارِمِ، فَإِنْ عَزَبَ[1] ذلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ، وَلا تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ؛ فَقَدْ أَعْذَرَ[2] اللهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ[3] ظَاهِرَةٍ؛ وَكُتُبٍ بَارِزَةِ الْعُذْرِ وَاضِحَةٍ.

[٨١] ومن كلام له عليه السلام في صفة الدنيا[4]

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ. مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا[5] فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ[6]، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ.

وإذا تأمل المتأمّل قوله عليه السلام: «**وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بصّرَتْهُ**» وجد تحته من المعنى

= ٤٣٤، والآمدي (ت ٥١٠) في غرر الحكم ٢: ٦٦٣ رقم ٣٧٠٠، والواسطي (ق ٦) في عيون الحكم والمواعظ: ١٤٨، والطبرسي (ق ٧) في مشكاة الأنوار: ٢٠٨.

(١) عزب: بَعُدَ وغاب.

(٢) أعذر: بالغ، يقال: أعذر فلان في الأمر أي بالغ فيه.

(٣) المسفرة: المشرقة المضيئة.

(٤) رواه المبرّد (ت ٢٨٥) في الكامل: ١٣١ إلى قوله: «من افتقر فيها حزن»، ورواه ابن دريد الأزدي (ت ٣٢١) في المجتنى: ٤٠، وابن عبد ربّه (ت ٣٢٨) في العقد الفريد ٣: ١٦٦ صفة الدنيا إلى قوله: «ومن افتقر فيها حزن»، وروى نحوه المسعودي (ت ٣٤٦) في مروج الذهب ٢: ٤٣٣، ورواه أيضاً أبو عليّ القالي (ت ٣٥٦) في الأمالي ٢: ١٢٠، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠١، والحلواني (ق ٥) في نزهة الناظر، ومحمّد بن الفتّال النيسابوري (ت ٥٠٨) في روضة الواعظين: ٤٤٥، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٢: ٣٧٠ بقوله عليه السلام: «ومن ساعاها فاتته».

(٥) ساعاها: أي سابقها، وهي مفاعلة من السعي، كأنّها تسعى ذاهبة عنه، وهو يسعى جداً في طلبها، فكلّ منهما يطلب الغلبة في السعي.

(٦) واتته: وافقته وطاوعته.





العجيب، والغرض البعيد، ما لا تُبلَغ غايتُه ولا يدرك غَوره، لا سيما إذا قُرن إليه قوله: «**وَمَن أَبْصَرَ إِليها أَعْمَتْهُ**»، فإنّه يجد الفرق بين «أبصر بها» و«أبصر إليها» واضحاً نيراً عجيباً باهراً.

[٨٢] ومن خطبة له عليه السلام
وهي من الخطب العجيبة تسمّى «الغرّاء»[(١)]

الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ، ودَنَا بِطَوْلِهِ[(٢)]، مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ، وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ. أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ، وَأُؤْمِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً، وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً، وَأَسْتَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لإِنْفَاذِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ، وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمُ الأَمْثَالَ، وَوَقَّتَ لَكُمُ الآجَالَ، وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ[(٣)]، وَأَرْفَغَ[(٤)] لَكُمُ المَعَاشَ، وَأَحَاطَ بِكُمُ الإِحْصَاءَ[(٥)]،

---

(١) وردت بعض مقاطعها في مصادر مختلفة قبل الرضي وبعده، راجع ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢١٠، أبو طالب المكي (ت ٤٢٤) في تيسير المطالب: ١٩٣، أبو نُعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠) في حلية الأولياء ١ : ٧٧، والقاضي القضاعي (ت ٤٥٤) في دستور معالم الحكم: ٥٩، وذكر ابن أبي الحديد في شرحه ٦ : ٢٧٧ كلام الجاحظ أنّ يحيى البرمكي استشهد بقوله عليه السلام: «هل من مناص أو خلاص، أو معاذ أو ملاذ، أو فرار أو محار»، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية بكثير من مقاطعها، راجع مادة «بضض»، «علز» «غضض» وغيرها [مصادر نهج البلاغة ٢ : ١٠٣ ـ ١٠٧].

(٢) الطول: الفضل والسعة.

(٣) الريش والرياش: اللباس الفاخر.

(٤) أرفغ: أوسع، وعيش رافغ: واسع.

(٥) وأحاط بكم الإحصاء: أي جعل الاحصاء ـ وهو الحصر ـ محيطاً بأعمالكم صغيرها وكبيرها.



وَأَرْصَدَ[١] لَكُمُ الْجَزَاءَ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابغِ، وَالرِّفْدِ الرَّوافِغِ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ؛ فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً، ووَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً[٢]، فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ[٣]، وَدَارِ عِبْرَةٍ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.

فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ[٤] مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ[٥] مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا، غُرُورٌ حَائِلٌ[٦]، وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ، حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا، قَمَصَتْ[٧] بِأَرْجُلِهَا، وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا[٨]، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا، وَأَعْلَقَتِ[٩] الْمَرْءَ أَوْهَاقَ[١٠] الْمَنِيَّةِ، قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ، ومُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ، وَثَوَابِ الْعَمَلِ، وَكَذلِكَ الْخَلَفُ بِعَقِبِ السَّلَفِ؛ لَاتُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً[١١]، وَلَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً[١٢]، يَحْتَذُون مِثَالاً[١٣]، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً[١٤]، إِلَى غَايَةِ

---

(١) أرصد: أعد.

(٢) وظّف: أي قدّر وعيّن، ومُدداً: جمع مدّة.

(٣) قرار خبرة: أي دار بلاء واختبار.

(٤) رنق: كدر.

(٥) الردغ: الوحل الشديد، والمشرع: الشريعة أي مورد الشاربة. يُونق: يُعجب.

(٦) الحائل: الزائل.

(٧) نافرها: أي من كان نافراً عنها. قمص الفرس: أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً.

(٨) قنصت بأحبلها: أي صادت بحبالاتها وشركها.

(٩) أقصد السهم: أصاب وقتل مكانه. أعلقت: أي جعلتها عالقة به.

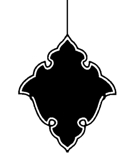
(١٠) الأوهاق: جمع وهق وهو الحبل.

(١١) لا تقلع المنية: أي لا تكفّ، والاخترام: اذهاب الأنفس واستئصالها.

(١٢) ارعوى: كفّ عن الأمر وأمسك، والاجترام: اقتراف الجرائم والآثام.

(١٣) يحتذون مثالاً: أي يقتدي الخلف بالسلف.

(١٤) الأرسال: جمع رَسَل، وهو القطيع من الإبل والغنم، يقال: جاءت أرسالاً، أي قطيعاً قطيعاً.





الانْتِهَاءِ، وَصَيُّورِ[1] الْفَنَاءِ.

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الأمُورُ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وَأَزِفَ[2] النُّشُورُ، أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ[3] الْقُبُورِ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ، وَأَوْجِرَةِ[4] السِّبَاعِ، وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ، سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ[5] إِلَى مَعَادِهِ، رَعِيلاً صُمُوتاً[6]، قِيَاماً صُفُوفاً، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ[7]، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي[8]، عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الاسْتِكَانَةِ[9]، وَضَرَعُ[10] الاسْتِسْلَامِ وَالذِّلَّةِ، قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ، وانْقَطَعَ الأمَلُ، وَهَوَتِ الأفْئِدَةُ كَاظِمَةً[11]، وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً[12]، وَأَلْجَمَ الْعَرَقُ[13]، وَعَظُمَ الشَّفَقُ[14]، وَأُرْعِدَتِ الأسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخِطَابِ، وَمُقَايَضَةِ[15] الْجَزَاءِ، وَنَكَالِ الْعِقَابِ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ.

عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً[16]، وَمَقْبُوضُونَ احْتِضَاراً،

---

(١) صيّور الأمر: آخره وما يؤول إليه.

(٢) أزف: قرب ودنا.

(٣) الضريح: الشق في وسط الأرض.

(٤) أوجرة السباع: جمع وجار، وهو بيت السبع والضبع ونحوهما.

(٥) هطع: أسرع.

(٦) الرعيل: القطعة من الخيل، والصموت: السكوت.

(٧) ينفذهم البصر: أي أنّه تعالى يحيط بهم علماً ولا يخفون عنه.

(٨) يُسمعهم الداعي: أي كل واحد يسمع صيحة البعث للحساب والجزاء.

(٩) اللبوس: ما يلبس، والاستكانة: الخضوع

(١٠) الضرع: الخشوع والضعف.

(١١) هوت: سقطت، وكاظمة: ساكتة.

(١٢) الهينمة: الصوت الخفي.

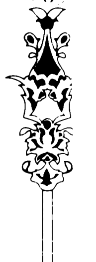
(١٣) ألجم العرق: صار لجاماً

(١٤) الشفق: الخوف.

(١٥) المقايضة: المعاوضة.

(١٦) مربوبون: مملوكون، والاقتسار: الغلبة والقهر.





وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً، وَمَدِينُونَ[١] جَزَاءً، وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً[٢]؛ قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ، وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ، وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتَبِ، وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيَبِ[٣]، وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ[٤] الْجِيَادِ، وَرَوِيَّةِ الارْتِيَادِ[٥]، وَأَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ[٦]، فِي مُدَّةِ الأَجَلِ، وَمُضْطَرَبِ الْمَهَلِ[٧].

فَيَا لَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً، وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً، وَآرَاءً عَازِمَةً، وَأَلْبَاباً حَازِمَةً! فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، وَوَجِلَ فَعَمِلَ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ، وَحُذِّرَ فَازْدَجَرَ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ، وَرَاجَعَ فَتَابَ، وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى، وَأُرِيَ فَرَأَى، فَأَسْرَعَ طَالِباً، وَنَجَا هَارِباً، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً، وَأَطَابَ سَرِيرَةً، وَعَمَّرَ مَعَاداً، وَاسْتَظْهَرَ زَاداً[٨] لِيَوْمِ رَحِيلِهِ وَوَجْهِ سَبِيلِهِ، وَحَالِ حَاجَتِهِ، وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ.



فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ، وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ، وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ.

---

(١) مدينون: مجزيّون.

(٢) مميّزون حساباً: أي كلٌّ يحاسب على عمله منفصلاً عمّن سواه.

(٣) السدف: جمع سدفة، قطعة من الليل المظلم، والريب: الشبهة.

(٤) التضمير: أن يُعلف الفرس حتى يسمن.

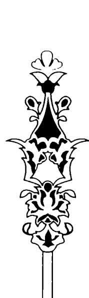
(٥) الروية: التفكر، والارتياد: الطلب.

(٦) الأناة: التؤدة والانتظار، والمقتبس المرتاد: طالب العلم.

(٧) المَهَل: بمعنى الدنيا هنا.

(٨) استظهر زاداً: حمل زاداً على ظهر راحلته.





منها: [في التذكير بضروب النِّعَم]

جَعَلَ لَكُمْ أسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا[1]، وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا[2]، وَأَشْلَاءً[3] جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا، مُلَائِمَةً لِأَحْنَائِهَا[4] في تَرْكِيبِ صُوَرِهَا، وَمُدَدِ عُمُرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا[5]، وَقُلُوبٍ رائِدَةٍ[6] لأَرْزَاقِهَا، فِي مُجَلِّلَاتِ نِعَمِهِ، وَمُوجِبَاتِ مِنَنِهِ، وَحَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ[7]. وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ، وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ، وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ[8].

أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنَايَا[9] دُونَ الآمَالِ، وَشَذَّبَهُمْ عَنْهَا[10] تَخَرُّمُ[11] الآجَالِ، لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ الأَبْدَانِ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ الأَوَانِ[12]. فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ[13] الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِيَ[14] الْهَرَمِ؟ وَأَهْلُ غَضَارَةِ[15] الصِّحَّةِ إِلَّا

---

(١) لتعي ما عناها: أي لتحفظ وتفهم ما أهمّها.
(٢) لتجلو: لتكشف، والعشى: ضعف البصر.
(٣) الأشلاء: جمع شلو، وهو العضو.
(٤) الحنو: الجانب.
(٥) الرفق: النفع.
(٦) رائدة: طالبة.
(٧) الحواجز: الموانع، والمعنى في عافية تحجز وتمنع عنكم المضار.
(٨) الخلاق: النصيب، والمستفسح: المتسع، والخناق: حبل يُخنق به، والمعنى: خلّف لكم عبراً من القرون السالفة، منها تمتعهم بنصيبهم من الدنيا ثمّ فناؤهم، ومنها فسحة خناقهم وطول آمالهم، ثمّ كانت عاقبتهم الهلكة.
(٩) رهقه: غشيه، والمنية: الموت.
(١٠) شذّبهم عنها: قطّعهم وفرّقهم.
(١١) التخرّم: الاستئصال.
(١٢) أنف الأوان: أوّله.
(١٣) رجل بضّ: رقيق الجلد.
(١٤) الحواني: جمع الحانية، وهي العلة التي تحني شطاط الجسد وتمنعه عن الاستقامة.
(١٥) الغضارة: طيب العيش والسعة والنعمة.



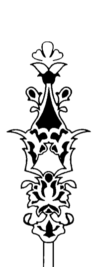
نَوَازِلَ السَّقَمِ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ الْفَنَاءِ[١]؟ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ[٢]، وَأُزُوفِ[٣] الانتِقَالِ، وَعَلَزِ[٤] الْقَلَقِ، وَأَلَمِ الْمَضَضِ[٥]، وَغُصَصِ الْجَرَضِ[٦]، وَتَلَفُّتِ الاسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ الحَفَدَةِ وَالأَقْرِبَاءِ، وَالأَعِزَّةِ وَالْقُرَنَاءِ!

فَهَلْ دَفَعَتِ الأَقَارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ! وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الأَمْوَاتِ رَهِيناً، وَفِي ضِيقِ الْمَضْجَعِ وَحِيداً، قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُّ[٧] جِلْدَتَهُ، وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ[٨] جِدَّتَهُ، وَعَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، وَمَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ[٩]، وَصَارَتِ الأَجْسَادُ شَحِبَةً[١٠] بَعْدَ بَضَّتِهَا[١١]، وَالْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا، وَالأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا، مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا، لا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا، وَلا تُسْتَعْتَبُ[١٢] مِنْ سَيِّىءِ زَلَلِهَا! أَوَلَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالآبَاءَ، وَإِخْوَانَهُمْ وَالأَقْرِبَاءَ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ[١٣]، وَتَطَؤُونَ

---

(١) آونة الفناء: جمع أوان، وهو الحين.
(٢) الزيال: مصدر زايله مزايلة وزيالاً أي فارقه.
(٣) الأزوف: مصدر أزف أي دنا.
(٤) العلز: قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمحتضر.
(٥) المضض: الوجع.
(٦) الجَرَض: الريق يغصّ به.
(٧) هتكت: مزقت، والهوام: جمع هامة، وهي الدواب المخوفة كالعقارب والعناكب ونحوها.
(٨) النواهك: جمع ناهكة، وهي ما ينهك البدن أي يبليه.
(٩) الحدثان: مصدر يدل على الاضطراب بمعنى ما يحدث، والمعالم: ما يُستدلّ به على الطريق.
(١٠) شحب جسمه: إذا تغيّر.
(١١) بضتها: طراوتها.
(١٢) لا تُستعتب: أي لا تطلب الرضا.
(١٣) القدّة: الطريقة.



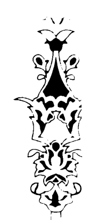


جَادَّتَهُمْ! فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا، سَالِكَةٌ في غَيْرِ مِضْمَارِهَا! كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا، وَكَأَنَّ الرُّشْدَ في إِحْرَازِ دُنْيَاهَا.

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّراطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ، وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ، وَتَارَاتِ[١] أَهْوَالِهِ فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ[٢]، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ[٣] يَوْمِهِ، وَظَلَفَ[٤] الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ، وَأَوْجَفَ[٥] الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ، وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ[٦]، وَتَنَكَّبَ المخَالِجَ[٧] عَنْ وَضَحِ[٨] السَّبِيلِ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ المَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ؛ وَلَمْ تَفْتِلْهُ[٩] فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ، وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ[١٠] مُشْتَبِهَاتُ الأمُورِ، ظَافِراً بِفَرْحَةِ الْبُشْرَى، وَرَاحَةِ النُّعْمَى، في أَنْعَمِ نَوْمِهِ، وَآمَنِ يَوْمِهِ. قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيداً، وَقَدَّمَ زَادَ الآجِلَةِ سَعِيداً، وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ، وَأَكْمَشَ[١١] فِي مَهَلٍ، وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ، وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ، وَنَظَرَ قُدُماً[١٢] أَمَامَهُ. فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً

(١) التارات: جمع تارة، وهي المرّة والحين.
(٢) الغرار: قلّة النوم، أي أزال التهجد وقيام الليل نومه القليل، فأذهبه بالمرّة.
(٣) الظمأ: العطش، والهواجر: نصف النهار عند اشتداد الحر.
(٤) ظَلَف: مَنَع.
(٥) أوجف: أسرع.
(٦) قدّم الخوف لأمانه: أي قدّم خوفه ليأمن.
(٧) تنكّب: تجنّب، والمخالج: المشاغل.
(٨) الوَضَح: الجادة.
(٩) فتله عن كذا: أي ردّه وصرفه.
(١٠) عمى عليه الأمر: إذا التبس.
(١١) أكمش: أسرع.
(١٢) نظر قُدُماً: أي تقدّم ولم ينثن.





وَنَوالاً، وَكَفى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالاً، وَكَفى بِاللهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً، وَكَفى بِالكِتَابِ حَجِيْجَاً وَخَصِيْمَاً.

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ، وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ، وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً، وَنَفَثَ فِي الآذَانِ نَجِيّاً[1]، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَنَّى[2]، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ[3]، وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ[4]، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ، وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ.

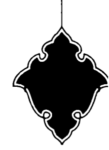
منها: في صفة خَلْقِ الإنسان

أَمْ هذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ، وَشُغُفِ[5] الأَسْتَارِ، نُطْفَةً دِفَاقَاً، وَعَلَقَةً مِحَاقاً[6]، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً[7].

ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِساناً لاَفِظاً، وَبَصَراً لاَحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرَ[8] مُزْدَجِراً؛ حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَاسْتَوَى مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً، وَخَبَطَ سَادِراً[9]، مَاتِحاً فِي غَرْبِ[10] هَوَاهُ، كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ، فِي لَذَّاتِ

---

(١) النجي: الذي يساره.
(٢) منّى: أي صوّر الأماني كذباً.
(٣) استدرج قرينته: أي أدنى على التدريج صاحبه الذي كان قرينه.
(٤) استغلق رهينته: أي صارت الرهينة غلقة عنده لا يقدر صاحبها على فكّها، وذلك في الاحتضار وما بعده.
(٥) الشغاف: غلاف القلب، وهو هنا استعارة للمشيمة.
(٦) المحق: تلف الشيء ونقصانه.
(٧) اليافع: الغلام المرتفع.
(٨) أقصرت عنه: كففت.
(٩) خبط البعير: إذا ضرب بيديه إلى الأرض ومشى لا يتوقّى شيئاً، والسادر: المتحيّر، أو الذي لا يهتمّ ولا يبالي ما صنع.
(١٠) المتح: الاستقاء، والغرب: الدلو العظيمة.





طَرَبِهِ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ[(١)] ؛ لا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً[(٢)]، وَلا يَخْشَعُ تَقِيَّةً[(٣)] ؛ فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ أَسِيراً، لَمْ يُفِدْ عِوَضاً[(٤)]، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً.

دَهِمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ[(٥)] جِمَاحِهِ[(٦)]، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ[(٧)]، فَظَلَّ سَادِراً[(٨)]، وَبَاتَ سَاهِراً فِي غَمَرَاتِ الآلَامِ، وَطَوَارِقِ الأَوْجَاعِ والأَسْقَامِ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ، وَوَالِدٍ شَفِيقٍ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً، وَلَادِمَةٍ[(٩)] لِلصَّدْرِ قَلَقاً. وَالْمَرءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِيَةٍ، وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ[(١٠)]، وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ[(١١)] وَسَوْقَةٍ[(١٢)] مُتْعِبَةٍ. ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً[(١٣)]، وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الأَعْوادِ رَجِيعَ وَصَبٍ[(١٤)]، وَنِضْوَ[(١٥)] سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ[(١٦)] الْوِلْدَانِ، وَحَشَدَةُ الإِخْوَانِ[(١٧)]، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ[(١٨)] ؛ حَتَّى

---

(١) البدوات: ما يخطر له من الآراء المختلفة، والأرب: الحاجة.

(٢) لا يحتسب رزيّة: أي لا يظنّها ولا يفكر في وقوعها.

(٣) لا يخشع تقية: أي خوفاً من الله تعالى.

(٤) لم يفد عوضاً: أي لم يستفد ثواباً ولم يكتسب.

(٥) الغُبّر: البقية.

(٦) الجماح: الشره وارتكاب الهوى.

(٧) السنن: الطريقة، والمراح: شدّة الفرح والنشاط.

(٨) السَّدِر: المتحيّر.

(٩) اللدم: الضرب، والتدام النساء: ضربهنّ صدورهنّ في النياحة.

(١٠) غمرة كارثة: أي شدّة بالغة النهاية.

(١١) جذبة مكربة: أي جذب الملك الروح من الجسد.

(١٢) السوقة: من سياق الروح عند الموت.

(١٣) أبلس فلان: إذا سكت غمّاً.

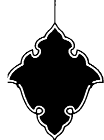
(١٤) الرجيع من الدواب: ما رُدّ من سفر في سفر حتى كلّ، والوصب: المرض.

(١٥) النضو: الهزيل.

(١٦) الحفدة: ولد الولد، والأعوان.

(١٧) حشدة الإخوان: جمع حاشد، وهو المتأهّب المستعد.

(١٨) الزورة: مصدر زاره، كالزيارة.



إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ[1] السُّؤَالِ، وَعَثْرَةِ الإِمْتِحَانِ. وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُلُ الْحَمِيمِ، وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ [وَسَوْرَاتُ الزَّفِيْرِ]، لا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ، وَلا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ[2]، وَلا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ، وَلا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ، وَلا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ، بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ[3]؛ وَعَذَابِ السَّاعَاتِ؛ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! إِنَّا بِاللهِ عَائِذُونَ!

عِبَادَ اللهِ، أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا، وَسُلِّمُوا فَنَسُوا؟! أُمْهِلُوا طَوِيلاً، وَمُنِحُوا جَمِيلاً، وَحُذِّرُوا أَلِيماً، وَوُعِدُوا جَسِيماً، احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ، وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ. يا أُولِي الأَبْصَارِ والأَسْمَاعِ، وَالْعَافِيَةِ وَالمَتَاعِ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ[4]! أَمْ لا؛ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ! أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ! أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ! وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ، ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ، قِيدُ قَدِّهِ[5]، مُنْعَفِراً[6] عَلى خَدِّهِ.

الآنَ عِبَادَ اللهِ وَالْخِنَاقُ[7] مُهْمَلٌ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ، فِي فَيْنَةِ[8] الإِرْشَادِ، وَرَاحَةِ الأَجْسَادِ، وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ[9]، وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ[10]، وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ،

(١) النجيّ: المناجي، والبهت: التحيّر والدهشة، وبهتة السؤال: من اضافة الصفة أي سؤال باهت.
(٢) الدعة: الراحة، والإزاحة: الإزالة.
(٣) أطوار الموتات: كل نوبة من نوب العذاب، كأنّها موت لشدتها.
(٤) المحار: المرجع.
(٥) قيد قدّه: مقدار قدّه.
(٦) المنعفر: الذي قد لامس العَفَر، وهو التراب.
(٧) الخناق: الحبل الذي يُخنق به، والمعنى: اعملوا الآن وأنتم مخلّون متمكنون، لم يعقد الحبل في أعناقكم ولم تقبض أرواحكم.
(٨) الفينة: الوقت والمهلة.
(٩) مهل البقية: أي ليعمل في مهل له في بقية العمر.
(١٠) أُنف المشيّة: أوّل أوقات الإرادة والإختيار.





وَانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ[1] قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ، وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ[2]، وَقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنتَظَرِ[3]، وَأَخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ.

وفي الخبر: أنّه عليه السلام لمّا خطب بهذه الخطبة اقشعرت لَهَا الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب. ومن الناس من يسمي هذه الخطبة: «الغرّاء».

[٨٣] ومن كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص[4]

عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً، وَأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ[5]: أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ[6]! لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً، وَنَطَقَ آثِماً.

أَمَا ـ وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ ـ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ[7]، وَيَخُونُ الْعَهْدَ، وَيَقْطَعُ الإِلَّ[8]؛ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ، مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا، فَإِذَا كَانَ ذلِكَ

---

(١) الحوبة: الحاجة، أو الإثم، أي انفساح التخلص من الإثم.

(٢) الزهوق: الهلاك.

(٣) الغائب المنتظر: الموت.

(٤) رواه بألفاظ متقاربة ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في عيون الأخبار ١: ١٦٤ في أخبار الجبناء عن أبي المنذر عن زيد ابن وهب، والبلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف ٢: ٣٨١، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ٢: ٥١٣، وابن عبد ربّه (ت ٣٢٦) في العقد الفريد ٤: ٣١٢، والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ١٣١ ح ٢٠٨ قال: «أخبرنا محمّد بن محمّد، قال: أخبرنا أبو عبيدالله محمّد بن عمران المرزباني، قال: أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن سعيد، قال: حدّثني الزبير بن بكّار، قال: حدّثنا عليّ بن محمّد». وأورد ابن الأثير (ت ٦٠٦) غريبه في النهاية وفسّره.

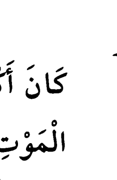
(٥) تلعابة: كثير اللعب.

(٦) المعافسة: المعالجة والمصارعة، والممارسة نحوه.

(٧) يُلحف: يلحّ في السؤال.

(٨) الإلّ: العهد.





كَانَ أَكْبَرُ مَكِيْدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَوْمَ سُبَّتَهُ. أَمَا واللهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً(١)، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً(٢).

[٨٤] ومن خطبة له عليه السلام(٣)

[وفيها صفاتٌ ثمانٍ من صفات الجلال]

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، الأَوَّلُ لا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالآخِرُ لا غَايَةَ لَهُ، لا تَقَعُ الأَوْهَامُ لَهُ عَلى صِفَةٍ، وَلا تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ، وَلا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ، وَلا تُحِيطُ بِهِ الأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ(٤).

منها:

فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللهِ بِالعِبَرِ النَّوَافِعِ، وَاعْتَبِرُوا بِالآيِ السَّوَاطِعِ، وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ، وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ، فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الأُمْنِيَّةِ، وَدَهِمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ، وَالسِّيَاقَةُ إِلى الْوِرْدِ الْمَوْرُودِ، «وَجَاءَت كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ» سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا، وَشاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

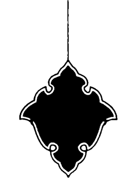
---

(١) الأتيّة: العطية.

(٢) رضخ فلان لفلان من ماله: إذا أعطاه قليلاً من كثير، والاسم الرضيخة.

(٣) روى شطر منها أبو نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠) في حلية الأولياء ١: ٧٧ من قوله عليه السلام: «اتعظوا عباد الله ـ إلى قوله ـ: يشهد عليها بعملها»، ورواها الباعوني (ت ٨٧١) في جواهر المطالب ١: ٣٠١.

(٤) قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه ٦: ٣٤٦ تعليقاً على هذا المقطع: «واعلم أنّ التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية، ما عرفت إلّا من كلام هذا الرجل، وإنّ كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمّن شيئاً من ذلك أصلاً، ولا كانوا يتصوّرونه، ولو تصوّروه لذكروه، وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام».





منها: في صفة الجنّة

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ، لا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلا يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا.

[٨٥] ومن خطبة له عليه السلام(١)
[وفيها بيان صفات الحقّ جلّ جلاله ثمّ عظة الناس بالتقوى والمشورة]

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ، وَخَبَرَ الضَّمائِرَ، لَهُ الإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُوَّةُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ. فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ، قَبْلَ إِرْهَاقِ(٢) أَجَلِهِ، وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ، وَفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ(٣)، وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقَدَمِهِ، وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ.

فَاللهَ اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ، فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى، وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلا عَمًى، قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ(٤)، وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ،

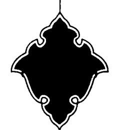
---

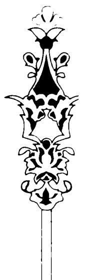
(١) روى المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ١٠ من قوله عليه السلام: «فإنّه لم يخلقكم سدى ـ إلى قوله ـ: وكتب آجالكم»، وكذلك روى نفس المقطع: الدينوري (ت ٢٨٢) في الأخبار الطوال: ١٥٣، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ١٥٦، والقاضي النعمان (ت ٣٦٣) في شرح الأخبار ١: ٣٦٩، وروى الإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٨٤ قوله عليه السلام: «إنّ الأمل يسهي العقل»، وروى ابن شعبة (ق ٤) كثيراً من مقاطعها في تحف العقول: ١٥٠ ضمن خطبة الديباج، ونثر كثيراً من جملها الواسطي (ق ٦) في عيون الحكم، والآمدي (ق٦) في غرره.

(٢) أرهقه: غشيه ليهلكه.

(٣) الكظم: مخرج النفس.

(٤) سمّى آثاركم: يفسّر بتفسيرين، أحدهما: قد بيّن لكم خيرها وشرها، والثاني: قد أعلى مآثركم، أي رفع منازلكم إن أطعتم، وتكون سمّى بمعنى أسمى.





وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً؛ حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ - فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ - [دِينَهُ] الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ - عَلَى لِسَانِهِ - مَحَابَّهُ مِنَ الأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ، فَأَلقَى إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيْدٍ.

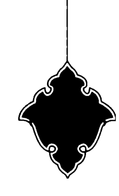
فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُم فِيهَا الْغَفْلَةُ وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ؛ وَلا تُرَخِّصُوا[1] لِأَنْفُسِكُمْ، فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ، وَلا تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ الإِدْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ.

عِبَادَ اللهِ، إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ؛ وَالْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ، وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلإِيمَانِ، وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ. جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلإِيمَانِ، الصَّادِقُ عَلَى شَفَا مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ، وَالْكَاذِبُ عَلَى شَرَفِ مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ. وَلَا تَحَاسَدُوا، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، وَلا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ[2]، وَاعْلَمُوا أَنَّ الأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ، وَيُنْسِي الذِّكْرَ، فَأَكْذِبُوا الأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

---

(١) الرخصة: التسهيل في الأمر.

(٢) الحالقة: المستأصلة التي تأتي على القوم.





[٨٦] ومن خطبة له عليه السلام [١]

[وهي في بيان صفات المتَّقين وصفات الفسّاق والتنبيه إلى مكان العترة الطيِّبة والظنّ الخاطئ لبعض الناس]

عِبَادَ اللهِ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ اللهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ، وَتَجَلْبَبَ الْخَوْفَ، فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ، وَأَعَدَّ الْقِرَى[٢] لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ، نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ، وَارْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ، فَشَرِبَ نَهَلاً[٣]، وَسَلَكَ سَبِيلاً جَدَداً[٤].

قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ، وَتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ، إِلَّا هَمّاً وَاحِداً انْفَرَدَ بِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى. قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ[٥]، وَقَطَعَ غِمَارَهُ، وَاسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا، وَمِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ للهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الأُمُورِ، مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ. مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ، كَشَّافُ عَشَوَاتٍ[٦]، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ، دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ، يَقُولُ فَيُفْهِمُ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ.

---

(١) قال ابن أبي الحديد في شرحه ٦ : ٣٨٢: «وهذه الخطبة طويلة، وقد حذف الرضي رحمه الله تعالى منها كثيراً» ثمّ ذكر بعض ما حذفه، ممّا يشعر بأنّه وجدها كاملة من غير طريق الشريف الرضي.

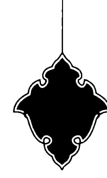
(٢) القرى: طعام الضيف.

(٣) شرب نهلاً: شرب حتى رُوي، أو الاكتفاء بالشرب الأوّل.

(٤) طريق جدد: لا عثار فيه لقوّة أرضه.

(٥) المَنار: عَلَم الطريق.

(٦) العشوة: الأمر الملتبس.



قَدْ أَخْلَصَ للهِ فَاسْتَخْلَصَهُ، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ. قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، لا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا، وَلا مَظِنَّةً إِلَّا قَصَدَهَا، قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ[١]، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ.

وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالماً وَلَيْسَ بِهِ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً مِنْ حِبَالِ غُرُورٍ، وَقَوْلِ زُورٍ، قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ، وَعَطَفَ الْحَقَّ على أَهْوَائِهِ، يُؤَمِّنُ مِنَ الْعَظَائِمِ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ، يَقُولُ: أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَفِيهَا وَقَعَ، وَيَقُولُ: أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ، وَلا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ، فَذلِكَ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ.

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ وأَنَّى تُؤْفَكُونَ! وَالأَعْلَامُ قَائِمَةٌ، وَالآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ! بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ[٢] وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ! وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ [وَأَعْلامُ الدِّيْنِ]، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ[٣] الْعِطَاشِ.

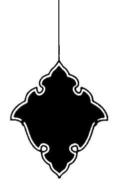
أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﷺ: «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ»، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَاتَعْرِفُونَ،

(١) الثَقَل: متاع المسافر وحَشَمه.

(٢) تعمهون: تتحيرون وتضلّون.

(٣) الهيم: الإبل العطاش.

واعلم أنّ هذا الكلام منه عليه السلام يدلّ على عصمته وعصمة العترة :، وبه يُجاب عمّا تمسّك به البعض بنصوص نهج البلاغة لنفي العصمة.





فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، وَاعْذِرُوا مَنْ لا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ ـ وَأَنَا هُوَ ـ أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الأكْبَرِ! وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الأصْغَرَ! وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الإِيمَانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلالِ وَالْحَرَامِ، وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ(١) مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الأخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي! فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ، وَلا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ.

منها: [في دولة بني أُميّة]

حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ؛ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلا يُرْفَعُ عَنْ هذِهِ الأمَّةِ سَوْطُهَا وَلا سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذلِكَ بَلْ هِيَ مَجَّةٌ(٢) مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً.

[٨٧] ومن خطبة له عليه السلام (٣)

[وفيها بيان للأسباب التي تهلك الناس]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ؛ وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ(٤) وَبَلَاءٍ؛ وَفِي دُونِ مَا

---

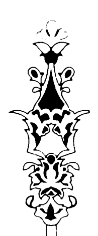
(١) فرشتكم المعروف: أي جعلته لكم فراشاً.

(٢) المجاج والمجاجة: الريق الذي تمجّه من فيك.

(٣) رواها الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٦٤ ح ٢٢ «أحمد بن محمّد الكوفي، عن جعفر بن عبدالله المحمّدي، عن أبي روح فرج بن قرة، عن جعفر بن عبدالله، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: خطب أميرالمؤمنين عليه السلام بالمدينة...»، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٩١ عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفسّر غريبها ابن الأثير(ت ٦٠٦) في النهاية.

(٤) الأزل: الضيق.





اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ خَطْبٍ وَاسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ! وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ، وَلا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَلَا كُلُّ ذِي نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ.

فَيَا عَجَباً! وَمَا لِيَ لا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا! لا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ، وَلَايَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، وَلا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلا يَعِفُّونَ[1] عَنْ عَيْبٍ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُبْهَمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ، وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ.

[٨٨] ومن خطبة له عليه السلام[٢]
[في الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبلاغ الإمام عنه]

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ[٣] مِنَ الأُمَمِ، وَاعْتِزَامٍ[٤] مِنَ الْفِتَنِ، وَانْتِشَارٍ مِنَ الأُمُورِ، وَتَلَظٍّ[٥] مِنَ الْحُرُوبِ، والدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ أَعْلَامُ الْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ

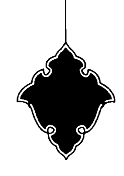
(١) عففت عن كذا: أي كففت.

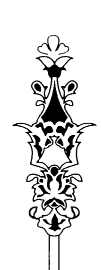
(٢) رواها باختلاف الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ١: ٦٠ ح ٧: «محمّد بن يحيى، عن بعض أصحابه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام...». والقمي (ق ٣) في تفسيره ١: ٣.

(٣) الهجعة: النوم ليلاً.

(٤) اعتزم الفرس في عنانه: إذا مرّ جامحاً لا ينثني.

(٥) التلظي: التلهّب.





الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا(١)، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا(٢) الْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا(٣) السَّيْفُ.

فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللهِ، وَاذْكُرُوا تِيكَ الَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ، وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ، وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلا بِهِمُ الْعُهُودُ، وَلا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الأَحْقَابُ(٤) وَالْقُرُونُ، وَمَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمٍ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ.

وَاللهِ مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ ﷺ شَيْئاً إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا الْيَوْم مُسْمِعُكُمُوهُ، وَمَا أَسْمَاعُكُمُ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالأَمْسِ، وَلا شُقَّتْ لَهُمُ الأبصَارُ، [وَلا] جُعِلَتْ لَهُمُ الأَفْئِدَةُ فِي ذَلِكَ الأَوَانِ، إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هذَا الزَّمَانِ. وَوَاللهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ، وَلا أُصْفِيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا(٥)، رِخْواً بِطَانُهَا(٦)، فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ، إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

[٨٩] ومن خطبة له عليه السلام(٧)

[وتشتمل على قِدَم الخالق وعظم مخلوقاته، ويختمها بالوعظ]

[الْحَمْدُ للهِ] الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، الَّذِي لَمْ

---

(١) متجهّمة لأهلها: كالحة في وجوههم.

(٢) الشعار: ما ولي الجسد من الثياب.

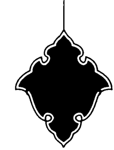
(٣) الدثار: كل ما كان من الثياب فوق الشعار.

(٤) الأحقاب: المدد المتطاولة.

(٥) الخطام: ما جُعل في أنف البعير لينقاد به، وجولان الخطام: حركته وعدم استقراره.

(٦) بطان البعير: حزام يُجعل تحت بطنه، ومتى استرخى كان الراكب على خطر السقوط.

(٧) فسّر ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٢: ٣٤٤ (سجا)، قوله عليه السلام: «ولا ليل داج ولا بحر ساج».



يَزَلْ قَائِماً دَائِماً؛ إِذْ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَلا حُجُبٌ ذَاتُ أَرْتَاجٍ[١]، وَلا لَيْلٌ دَاجٍ، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ[٢]، وَلا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ[٣]، وَلا فَجٌّ ذُو اعْوِجَاجٍ، وَلا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ، وَلا خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ[٤] ذٰلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ، وَإِلَـهُ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ: يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ.

قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَأَحْصَى [أَعْمَارَهُمْ وَ] آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ، وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ، إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ.

هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ، وَمُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ[٥]؛ وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ، وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ. مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ.

عِبَادَ اللهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا، وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِنَاقِ، وَانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ[٦] حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلا وَاعِظٌ.

---

(١) الإرتاج: مصدر أرتج أي أغلق، أي ذات إغلاق.

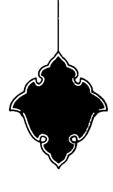
(٢) البحر الساجي: الساكن.

(٣) الفجاج: جمع فج، وهو الطريق الواسع بين جبلين.

(٤) الخَلق: بمعنى المخلوق، وذو اعتماد: البطش والتصرف بقصد وإرادة.

(٥) عازّه: غالبه. شاقّه: خالفه ونازعه.

(٦) من لم يُعَن على نفسه ـ مبني للمجهول ـ: أي من لم يساعده الله على نفسه حتى يكون لها من وجدانها منبه لم ينفعه تنبيه غيره.





[٩٠] ومن خطبة له عليه السلام
تُعرف بخطبة الأشباح(١) وهي من جلائل الخُطب(٢)

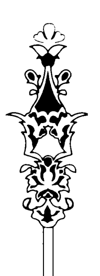
روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر ابن محمّد عليه السلام أنّه قال: خطب أميرالمؤمنين عليه السلام والصلاة بهذه الخطبة على منبر الكوفة، وذلك أنّ

(١) الأشباح: الأشخاص، والمراد بهم هاهنا الملائكة.

(٢) روى ابن عبد ربه (ت ٣٢٨) في العقد الفريد ٤: ١٤٣ كتاب الخطب؛ قطعة منها، ورواها الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في كتاب التوحيد: ٤٩ ح ١٣ وقال: «حدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدّثنا محمّد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدّثني عليّ بن العباس، قال: حدّثني إسماعيل بن مهران الكوفي، عن إسماعيل بن إسحاق الجهني، عن فرج بن فروة، عن مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:...». ورواها باختلاف السيد أبو طالب (ت ٤٢٤) في تيسير المطالب: ١٣٧ [نقلاً عن نهج السعادة ١: ٥٤٨] وقال: «أخبرنا أبي رحمه الله تعالى، قال: أخبرنا محمّد بن عبدالله بن سلام، قال: أخبرنا أبي، قال: حدّثنا إبراهيم بن سليمان، قال: حدّثنا عليّ بن الخطاب الخثعمي، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد الأنصاري، عن بشير، عن زيد بن أسلم، قال: إنّ رجلاً سأل أميرالمؤمنين عليه السلام...». وأورد الزمخشري (ت ٥٣٨) ما يتعلّق بصفة الملائكة في كتابه ربيع الأبرار ١: ٣١٠، وأشار إليها السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤) في فرج المهموم: ٥٦ وقال: «ما يحتاج لفظها الباهر ومعناها الظاهر إلى إسناد متواتر، بل هي شاهدة لنفسها أنّها من كلام مولانا عليه السلام، ومن شريف أنفاسه المكملة في قدسها». وشرح غريبها ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية، وابن منظور (ت٧١١) في لسان العرب].

ثم انّ ابن أبي الحديد في شرحه ٦: ٤٢٥ علّق على قوله عليه السلام في صفة الملائكة قائلاً: «إذا جاء هذا الكلام الرباني، واللفظ القدسي، بطلت فصاحة العرب، وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه نسبة التراب إلى النضار الخالص، ولو فرضنا أنّ العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة، أو المقاربة لهذه الألفاظ، من أين لهم المادة التي عبّرت هذه الألفاظ عنها؟... فثبت أنّ هذه الاُمور الدقيقة في مثل هذه العبارة الفصيحة، لم تحصل إلّا لعليّ وحده، وأُقسم أنّ هذا الكلام إذا تأمّله اللبيب اقشعرّ جلده، ورجف قلبه، واستشعر عظمة الله العظيم في روعه وخلده، وهام نحوه وغلب الوجد عليه، وكاد أن يخرج من مُسكه شوقاً، وأن يفارق هيكله صبابةً ووجداً».



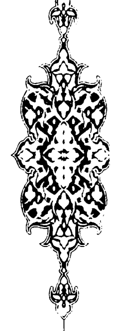


رجلا أتاه فقال له: يا أميرالمؤمنين! صف لنا ربّنا لنزداد له حبّاً وبه معرفة.

فغضب عليه السلام ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غصّ المسجد بأهله، فصعد المنبر وهو مغضب متغيّر اللون، فحمد الله سبحانه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ قال:

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لا يَفِرُهُ الْمَنْعُ[(١)]، وَلا يُكْدِيهِ[(٢)] الإِعْطَاءُ وَالْجُودُ؛ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ، وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ، وَعَوائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ، عِيَالُهُ الْخَلَائِقُ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ، وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ.

الأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيءٌ قَبْلَهُ، وَالآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ، وَالرَّادِعُ أَنَاسِيَّ[(٣)] الأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ، مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الحَالُ، وَلا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الانتِقَالُ، وَلَوْ وَهَبَ مَاتَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ[(٤)] الْجِبَالِ، وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ[(٥)] الْبِحَارِ، مِنْ فِلِزِّ[(٦)] اللُّجَيْنِ وَالْعِقْيَانِ[(٧)]، وَنُثَارَةِ الدُّرِّ[(٨)] وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ[(٩)]، مَا أَثَّرَ ذلِكَ فِي جُودِهِ، وَلا أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ



(١) يفره المنع: يزيد في ماله، والموفور: التام. وزاد في بعض النسخ المطبوعة: يفره المنع والجمود.

(٢) أكدى الرجل: إذا بخل أو قلّ خيره.

(٣) الأناسي: جمع إنسان، وهو ـ هنا ـ: المثال الذي يرى في سواد العين.

(٤) تنفست عنه المعادن: استعارة، والمراد ما تشققت عنه المعادن.

(٥) الأصداف: جمع الصدف، وهو غشاء الدرة.

(٦) الفلز: اسم الأجناس الذائبة كالذهب والفضة والرصاص.

(٧) اللجين: الفضة، والعقيان: الذهب الخالص.

(٨) نثارة الدر: ما تناثر منه.

(٩) حصيد المرجان: كأنّه أراد المتبدّد منه كما يتبدد الحب المحصود، ويجوز أن يعني به =



مِنْ ذَخَائِرِ الإِنْعَامِ مَا لا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الأَنَامِ، لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ، وَلا يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ.

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ: فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَأْتَمَّ بِهِ وَاسْتَضِىءْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ، وَلا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ[١] الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً، فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ، وَلَاتُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ[٢] الأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ، وَحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّهَتِ[٣] الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ، وَغَمَضَتْ[٤] مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَالَ عِلْمَ ذَاتِهِ، رَدَعَهَا وَهِيَ

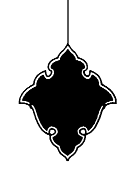
= الصلب المحكم من قولهم: شيء مستحصد أي مستصحب مستحكم. والمرجان: صغار اللؤلؤ، وقيل: جوهر أحمر، وقيل: عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف.

(١) السدد: جمع السدة باب الدار، أو الظلة التي على الباب لتقي الباب من المطر.

(٢) ارتمى: رمى، يقال: رميت الشيء أي ألقيته فارتمى.

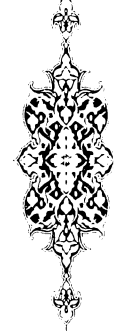
(٣) الوله: شدّة الشوق الى الشيء والولوع به.

(٤) غمضت: أي دقّت وخفيت.





تَجُوبُ مَهَاوِيَ[1] سُدَفِ الْغُيُوبِ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ؛ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ[2]، مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لا يُنَالُ بِجَوْرِ الاعْتِسَافِ[3] كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ، وَلا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ[4] خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ. الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ، وَلا مِقْدَارٍ احْتَذَى عَلَيْهِ، مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَاعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمِسَاكِ[5] قُوَّتِهِ؛ مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَظَهَرَتْ فِي الْبَدَائِعِ الَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ، وَأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلاً عَلَيْهِ؛ وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً؛ فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ، وَدَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ.



فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلَاحُمِ حِقَاقِ[6] مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ[7] لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَانِدَّ لَكَ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ، إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ المخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ، وَجَزَّأُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ

---

(١) تجوب: تقطع، والمهاوي: المهالك.

(٢) جُبهت: رُدّت من جبهته أي صككت جبهته.

(٣) الجور: الميل عن القصد، والاعتساف: الأخذ على غير الطريق.

(٤) أولي الرويات: أصحاب التفكر في الأُمور.

(٥) المساك: ما يُمسك به.

(٦) التلاحم: التلاصق، والحقاق: جمع الحُق ـ بالضم ـ وهو رأس العظم عند المفصل.

(٧) المحتجبة: المستترة.



الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ[1] عُقُولِهِمْ. فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ، فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً، وَلا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا مَحْدُوداً مُصَرَّفاً.

منها

قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الانْتِهَاءِ إِلى غَايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ، وَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ الأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ! الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا، وَلا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ[2] أَضْمَرَ عَلَيْهَا، وَلا تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَلا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، وَأَجَابَ إِلى دَعْوَتِهِ، لَم يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ، وَلا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّئِ، فَأَقَامَ مِنَ الأَشْيَاءِ أَوَدَهَا، وَنَهَجَ[3] حُدُودَهَا، وَلَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا[4]، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالأَقْدَارِ، وَالْغَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ، بَدَايَا[5] خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا!

---

(١) القرائح: جمع قريحة، وهي القوة التي تُستنبط بها المعقولات.

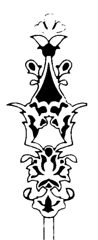
(٢) الغريزة: الطبيعة، وقريحة غريزة: ما يستنبطه الذهن والطبع.

(٣) نهج: أوضح.

(٤) وصل أسباب قرائنها: قيل: المراد اقتران النفوس بالأبدان، وقيل: هدايتها لما هو الأليق بها في معاشها ومعادها.

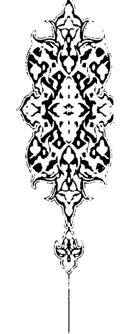
(٥) بدايا: جمع بدئ، وهي إمّا بمعنى الخليقة المبتدأ بها، وإمّا بمعنى الحالة العجيبة من قوله: أبدأ الرجل إذا جاء بالأمر البديء أي المعجب.





منها: في صفة السماء

وَنَظَمَ بِلا تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا[١]، وَلاحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا، وَوَشَّجَ[٢] بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا، وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا، وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ، فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا[٣]، وَفَتَقَ بَعْدَ الارْتِتَاقِ[٤] صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا[٥]، وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا[٦]، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ[٧] فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا، وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا، وَقَدَّرَ مَسِيرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ والْحِسَابِ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا[٨]، وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا، وَرَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا، وَأَجْرَاها عَلَى أَذْلَالِ[٩] تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا.



---

(١) الرهوات: المواضع المتفتّحة، وقيل أيضاً: المكان المرتفع والمنخفض. وفرجها: جمع فُرجة وهي المكان الخالي.

(٢) وشّج: شبّك.

(٣) الأشراج: جمع شرج وهو العروة، وهي مقبض الكوز والدلو وغيرهما، وأشار باضافة العرى للأشراج الى أنّ كل جزء من مادتها عروة للآخر يجذبه إليه ليتماسك به.

(٤) الرتق: ضد الفتق.

(٥) صوامت الأبواب: مغلقاتها.

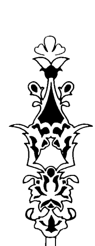
(٦) النقاب: جمع نقب، وهو الطريق بين الموضعين.

(٧) المور: الاضطراب والحركة.

(٨) الدراري: الكواكب المضيئة.

(٩) أذلالها: أي مجاريها وطرقها.





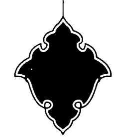
ومنها: في صفة الملائكة:

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ[1] الأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، وَمَلأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا[2]، وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا[3]، وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ[4] الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدُسِ[5]، وَسُتُرَاتِ[6] الْحُجُبِ، وَسُرَادِقَاتِ[7] الْمَجْدِ، وَوَرَاءَ ذٰلِكَ الرَّجِيجِ[8] الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الأَسْمَاعُ[9] سُبُحَاتُ نُورٍ[10] تَرْدَعُ الأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً[11] عَلَى حُدُودِهَا.

أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ، أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ، لا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ، وَلا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾.

جَعَلَهُمُ اللهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وَحَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ

(١) الصفيح: السماء ووجه كلّ شيء عريض.
(٢) الفج: الطريق الواسع بين جبلين أو حائطين.
(٣) فتوق: شقوق، وأجوائها: متسعها.
(٤) الزجل: الصوت.
(٥) الحظيرة: ما يعمل شبه البيت للإبل ليقيها من البرد، والقدس: الطهر.
(٦) السترات: جمع سترة، وهو ما يُستتر به.
(٧) السرادقات: جمع سرادق، وهو ما يمدّ على صحن البيت فيغطيه.
(٨) الرجيج: الصوت العالي أو الزلزلة والاضطراب.
(٩) تستك الأسماع: تنسد.
(١٠) سبحات النور: تجلياته ولمعانه.
(١١) خسأ البصر: كلّ.



مَرْضَاتِهِ، وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً[١] إِلى تَمَاجِيدِهِ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ، لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِرَاتُ[٢] الآثَامِ، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا[٣] عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ، وَلَمْ تَعْتَرِكِ[٤] الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ، وَلا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الإِحَنِ[٥] فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلا سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ[٦] مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ، وَسَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا[٧] عَلى فِكْرِهِمْ.

مِنْهُمْ مَنْ هُوَ في خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ[٨]، وَفي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ[٩]، وَفي قَتْرَةِ الظَّلَامِ الأَيْهَمِ[١٠]. وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ[١١] الأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ[١٢] الْهَوَاءِ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ[١٣] تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ؛ قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ[١٤]

---

(١) أبواباً ذللاً: أي سهلة.

(٢) الموصرات: المثقلات.

(٣) نوازعها: من نزع في القوس أي مدّها.

(٤) لم تعترك: لم تزدحم.

(٥) قدح بالزند: أي رام الايراء به وهو استخراج النار، والإحن: جمع الاحنة أي الحقد والضغن.

(٦) لاق: التصق.

(٧) تقترع: من الاقتراع بالسهام بأن يتناوب كل من الوساوس عليها، والرين: الدنس.

(٨) الغمام الدلّح: السحاب المثقل.

(٩) الجبال الشمخ: العالية الشاهقة.

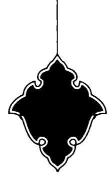
(١٠) قترة الظلام: شدته وسواده. والأيهم: الذي لا يهتدى فيه.

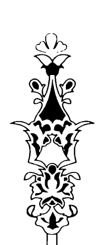
(١١) التخوم: جمع تخم وهو حدّ الأرض ومنتهاها.

(١٢) مخارق: جمع مخرق، أي موضع الخرق.

(١٣) ريح هفافة: أي ساكنة طيبة.

(١٤) استفرغتهم: طلبت إليهم أن يفرغوا في العبادة.





أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ، ووَسَّلَت حَقَائِقُ الإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَقَطَعَهُمُ الْإِيقَانُ بِهِ إِلى الْوَلَهِ إِلَيْهِ، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ.

قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ[1] مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشِيجَةُ[2] خِيفَتِهِ، فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ، وَلَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ[3] خُشُوعِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ الإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، وَلا تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكَانَةُ الإِجْلَالِ نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ[4] فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ، وَلَمْ تَغِضْ[5] رَغَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسَلَاتُ[6] أَلْسِنَتِهِمْ، وَلا مَلَكَتْهُمُ الأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الْخَبَرِ إِلَيْهِ أَصْواتُهُمْ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ[7] الطّاعَةِ مَناكِبُهُمْ، وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ، وَلا تَعْدُوا عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِم بَلَادَةُ الْغَفَلَاتِ، وَلا تَنْتَضِلُ[8] فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ.

قَدِ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ[9] ذَخِيرَةً لِيَومِ فَاقَتِهِمْ، وَيَمَّمُوهُ[10] عِنْدَ انْقِطَاعِ

---

(١) الروية: الرافعة للعطش.

(٢) الوشيجة: عروق الشجرة، وهو هنا استعارة للمبالغة في الخوف.

(٣) الربق: الحبل.

(٤) الفترة: الانكسار والضعف.

(٥) لم تغض: من غاض الماء أي قلّ ونضب.

(٦) الأسلات: جمع أسلة وهي طرف اللسان ومستدقّه.

(٧) مقاوم: جمع مقام.

(٨) الانتضال: المراماة.

(٩) ذو العرش: هو الله تعالى، كما ورد في القرآن: ﴿إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢].

(١٠) يمّموه: قصدوه.



الْخَلْقِ إلى المَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ، لا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، وَلا يَرْجِعُ بِهِمُ الاسْتِهْتَارُ[1] بِلُزُومِ طَاعَتِهِ، إِلَّا إِلَى مَوَادَّ[2] مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيَنُوا[3] في جِدِّهِمْ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ الأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ[4] عَلَى اجْتِهَادِهِمْ. وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوِ اسْتَعْظَمُوا ذلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ[5] وَجَلِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ، وَلَاتَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ، وَلا تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَبِ[6]، وَلا اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ[7]، فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مَنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلا عُدُولٌ وَلا وَنًى وَلا فُتُورٌ، وَلَيْسَ في أَطْبَاقِ السَّمَاوَاتِ مَوْضِعُ إِهَابٍ[8] إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ[9]، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً.

ومنها: في صفة الأرض ودَحْوِها على الماء

كَبَسَ الأَرْضَ عَلى مَوْرِ[10] أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ، وَلُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ[11]،

---

(١) استهتر بالشيء: تولّع به.
(٢) المواد: جمع مادة، أصله من مدّ البحر، ويراد به هنا البواعث الى الطاعة.
(٣) الوني: الضعف والفتور.
(٤) وشيك السعي: سرعته الى ما طمعوا فيه.
(٥) الشفقات: تارات الخوف وأطواره.
(٦) مصارف: المغيّرات، والريب: الشك.
(٧) أخياف الهمم: الهمم المختلفة.
(٨) الاهاب: الجلد.
(٩) الحافد: المسرع.
(١٠) كبس الأرض: أدخلها في الماء بقوة واعتماد شديد. المور: مصدر مار، أي ذهب وجاء.
(١١) الزاخرة: الممتدة المرتفعة.





تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ[1] أَمْوَاجِهَا، وَتَصْطَفِقُ[2] مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِها[3]، وَتَرْغُو[4] زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ[5] الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ[6] إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا[7]، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً[8] إِذْ تَمَعَّكَتْ[9] عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا[10]، فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ[11] أَمْوَاجِهِ، سَاجِياً[12] مَقْهُوراً، وَفِي حَكَمَةِ[13] الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً، وَسَكَنَتِ الأَرْضُ مَدْحُوَّةً[14] فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ[15]، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ[16] وَاعْتِلَائِهِ، وَشُمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُوِّ غُلَوَائِهِ[17]، وَكَعَمَتْهُ[18] عَلَى كِظَّةِ[19] جَرْيَتِهِ، فَهَمَدَ[20] بَعْدَ نَزَقَاتِهِ[21]،

---

(١) الأواذي: جمع آذيّ أعلى الموج.

(٢) الاصطفاق: الاهتزاز.

(٣) الثبج: ما بين الكاهل الى الظهر، ويستعار لوسط كلّ شيء.

(٤) ترغو: تصوّت، والرغاء: صوت ذات الخف.

(٥) جماح الماء: صعوده وغليانه.

(٦) هيج ارتمائه: تقاذفه وتلاطمه.

(٧) الكلكل: الصدور.

(٨) مستخذياً: أي مسترخياً ومنقاداً.

(٩) التمعّك: التمرّغ والتقلّب.

(١٠) الكاهل: ما بين الكتفين.

(١١) الاصطخاب: الصياح واضطراب الأصوات.

(١٢) الساجي: الساكن.

(١٣) الحكمة: ما أحاط من اللجام بحنك الدابة.

(١٤) مدحوّة: مبسوطة.

(١٥) التيار: أعظم الموج، ولجته: أعمقه.

(١٦) البأو: الكبر والفخر.

(١٧) غلوائه: غلوّه وتجاوزه عن حدّه.

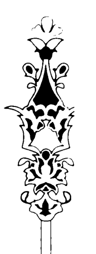
(١٨) الكعم: شدّ الفم.

(١٩) الكظة: الامتلاء.

(٢٠) همد: سكن.

(٢١) النزقات: الخفة والطيش.



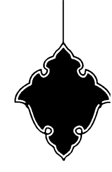


وبَعْدَ زَيَفَانِ[(١)] وَثَبَاتِهِ.

فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا، وَحَمَلَ شَوَاهِقَ الْجِبَالِ الْبُذَّخِ[(٢)] عَلَى أَكْتَافِهَا، فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ[(٣)] أُنُوفِهَا، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ[(٤)] بِيْدِهَا[(٥)] وَأَخَادِيدِهَا[(٦)]، وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ[(٧)] مِنْ صَيَاخِيدِهَا[(٨)]، فَسَكَنَتْ مِنَ الميَدَانِ[(٩)] بِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا[(١٠)]، وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً[(١١)] في جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا[(١٢)]، وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الأَرَضِينَ وَجَرَاثِيمِهَا[(١٣)]، وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَهَا، وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً[(١٤)] لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا[(١٥)]. ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الأَرْضِ[(١٦)] الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ

---

(١) الزيفان: التبختر في المشي. وفي بعض النسخ المطبوعة: «ولبّد بعد زيفان».
(٢) البذّخ: العوالي.
(٣) العرانين: جمع عرنين، وهو أوّل الأنف تحت مجتمع الحاجبين.
(٤) السهب: الفلاة، أو المتسع من الأرض.
(٥) بيدها: أي الأرض البرّ، أو الفلاة.
(٦) الأخدود: الشق في الأرض.
(٧) الشناخيب: رؤوس الجبال، والشُمّ: العالية.
(٨) الصياخيد: جمع صيخود، وهي الصخرة الصلبة.
(٩) المَيَدان: التحرك والاضطراب.
(١٠) الأديم: سطح الأرض.
(١١) متسربة: أي داخلة.
(١٢) الجوبة: الحفرة، والخياشيم: جمع خيشوم وهو أقصى الأنف.
(١٣) الجراثيم: جمع جرثومة وهي أصل الشجر، وقيل: الجراثيم أماكن مرتفعة عن الأرض مجتمعة من تراب أو طين.
(١٤) متنسّماً: سبب التنفس.
(١٥) مرافق الدار: ما يستعين به أهلها ويحتاج إليه في التعيش.
(١٦) الأرض الجرز: التي لا نبات فيها.





الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا[١]، وَلا تَجِدُ جَداوِلُ الأَنْهَارِ ذَرِيعَةً[٢] إلى بُلُوغِهَا، حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ[٣] تُحْيِي مَوَاتَهَا، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا، أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ[٤]، وَتَبَايُنِ قَزَعِهِ[٥]. حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ[٦] لُجَّةُ الْمُزْنِ[٧] فِيهِ، وَالْتَمَعَ بَرْقُهُ في كُفَفِهِ[٨]، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ[٩] فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ[١٠]، وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحّاً[١١] مُتَدَارِكاً، قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ[١٢]، تَمْرِيهِ[١٣] الْجَنُوبُ دِرَرَ[١٤] أَهَاضِيبِهِ[١٥]، وَدُفَعَ شَآبِيبِهِ[١٦].

فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرْكَ بِوَانِيْهَا[١٧]، وَبَعَاعَ[١٨] مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الأَرْضِ النَّبَاتَ، وَمِنْ زُعْرٍ[١٩]

---

(١) الروابي: التلاع وما علا من الأرض.
(٢) الذريعة: الوصلة.
(٣) ناشئة سحاب: ما يبتدئ ظهوره.
(٤) اللمع: جمع لمعة، وهي القطعة من السحاب أو غيره.
(٥) القزع: قطع من السحاب رقيقة، واحدها قزعة.
(٦) تمخّضت: تحركت بقوة.
(٧) المزن: السحابة البيضاء.
(٨) كففه: حواشيه وجوانبه، وطرف كلّ شيء كُفّه ـ بالضم ـ.
(٩) الوميض: الضياء واللمعان.
(١٠) الكنهور: العظيم من السحاب، والرباب: الغمام الأبيض.
(١١) سحّاً: أي صباً.
(١٢) أسفّ: دنا من الأرض، والهيدب: السحاب المتدلّي أو ذيله.
(١٣) تمريه: تستنزله كما يُمرى الضرع.
(١٤) الدرر: جمع دِرّة وهو الصب.
(١٥) الأهاضيب: حلبات القطر بعد القطر.
(١٦) الشآبيب: رشة قوية من المطر.
(١٧) البرك: الصدر، والبواني: ما يليه من الأضلاع، وعنى به هنا ثقلها.
(١٨) البعاع: شدّة المطر.
(١٩) زُعر: جمع أزعر وهي القليلة النبات.



الْجِبَالِ الأَعْشَابَ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا، وَتَزْدَهِي[(١)] بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ[(٢)] أَزَاهِيرِهَا، وَحِلْيَةِ مَا سُمِطَتْ[(٣)] بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا[(٤)]، وَجَعَلَ ذلِكَ بَلَاغاً لِلأَنَامِ، وَرِزْقاً لِلأَنْعَامِ، وَخَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا، وَأَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا[(٥)].

فَلَمَّا مَهَدَ[(٦)] أَرْضَهُ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ عليه السلام، خِيَرَةً مِنْ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ أَوّلَ جِبِلَّتِهِ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ؛ فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ[(٧)]ـ..........................

---

(١) تزدهي: من الزهو، وهو الإعجاب أو التكبر.

(٢) الريط: جمع ريطة وهي المُلاءة، أو كلّ ثوب رقيق لين.

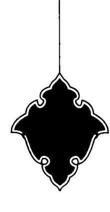
(٣) سمطت به: علق عليها السموط، وهو العقد.

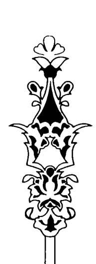
(٤) الأنوار: جمع نَور، وهو الزهرة قبل انفتاحها.

(٥) قال ابن أبي الحديد في شرحه ٦: ٤٥١ معلّقاً على هذا الفصل: «وهذا الفصل من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام قد اشتمل من الاستعارة العجيبة وغيرها من أبواب البديع على ما لو كان موجوداً في ديوان شاعر مكثر، أو مترسِّل مكثر لكان مستحق التقديم بذلك... فيا لله وللعجب من قوم زعموا أنّ الكلام إنّما يفضل بعضه بعضاً لاشتماله على أمثال هذه الصنعة، فإذا وجدوا في مائة ورقة كلمتين أو ثلاثاً منها، أقاموا القيامة ونفخوا في الصور، وملؤوا الصحف بالاستحسان لذلك والاستظراف، ثم يمرّون على هذا الكلام المشحون كله بهذه الصنعة على ألطف وجه، وأرصع وجه، وأرشق عبارة، وأدق معنى، وأحسن مقصد، ثم يحملهم الهوى والعصبية على السكوت عن تفضيله إذا أجملوا وأحسنوا، ولم يتعصبوا لتفضيل غيره عليه! على أنه لا عجب؛ فإنّه كلام عليّ عليه السلام وحظّ الكلام حظ المتكلم؛ وأشبه امرأً بعض بَزِّهِ!».

(٦) مهد أرضه: سوّاها وأصلحها.

(٧) فأقدم على ما نهاه عنه: أي أقدم على مكروه دون محظور، ولم يقدم على قبيح محظور، وذلك لدلالة العقل على أنّ الأنبياء يجب أن يكونوا معصومين على كل حال لا يفعلون قبيحاً، هذا وللمزيد راجع الخطبة الأولى فيما يتعلّق بنبيّ الله آدم عليه السلام، والتعليق عليها.





مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ[1] - فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ، قَرْناً فَقَرْناً، حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله حُجَّتُهُ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعَ[2] عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ، وَقَدَّرَ الأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا، وَقَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ والسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا، وَلِيَخْتَبِرَ بِذلِكَ الشُّكْرَ والصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا، ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا[3]، وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا، وَبِفُرَجِ[4] أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا[5].

وَخَلَقَ الآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ

---

(١) قد يتصوّر مخالفة هذا المقطع من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام لما عليه العدلية من القول بنفي الجبر وإثبات اختيار الإنسان، ولكن نقول: لا يدلّ كلام أميرالمؤمنين عليه السلام على أكثر من أنّ ما حدث من نبيّ الله آدم عليه السلام كان بعلم الله تعالى، وهذا حقّ لا ريب فيه، وقد ثبت في محلّه أنّ العلم الالهي بأفعال الإنسان لايلزم منه الجبر، وليس له دور في صنع الفعل، لأنّ علمه الأزلي ليس علّة وسبباً لصدور الأفعال، بل أنّ الأفعال تصدر منّا وباختيارنا، والله تعالى يعلم بأنّنا سنفعل الفعل الفلاني باختيارنا وإرادتنا أو سنتركه باختيارنا وإرادتنا أيضاً].
وفي هذا المورد بالخصوص فإنّ الله تعالى كان يعلم بصدور ما صدر من آدم عليه السلام، ولكن هذا لا يعني كونه مجبراً عليه، وإلّا لما كان أيّ معنى لنهي الله تعالى إيّاه عن التقرّب إلى الشجرة والأكل منها، ولما كان أيّ معنى للذم والعتاب المتعقّب للأكل من الشجرة.

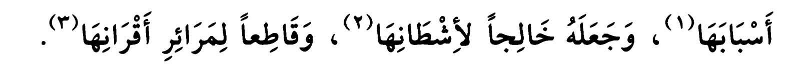
(٢) المقطع: النهاية.

(٣) العقابيل: جمع عقبول وهو بقية الحمّى، والفاقة: الفقر.

(٤) الفُرج: جمع فرجة وهي التفصي من الهم.

(٥) الترح: الهم والحزن.






أَسْبَابِهَا[١]، وَجَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا[٢]، وَقَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا[٣].

عَالِمُ السِّرِّ[٤] مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ، وَنَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ[٥]، وَخَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ، وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ[٦] الْيَقِينِ، وَمَسَارِقِ إِيمَاضِ[٧] الْجُفُونِ، وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ[٨] الْقُلُوبِ، وَغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ، وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ[٩] الْأَسْمَاعِ، وَمَصَائِفُ الذَّرِّ[١٠]، وَمَشَاتِي الْهَوَامِّ، وَرَجْعِ الْحَنِينِ[١١] مِنَ الْمُولَهَاتِ[١٢]، وَهَمْسِ الْأَقْدَامِ[١٣]، وَمُنْفَسَحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ

---

(١) أسبابها: أي حبالها.

(٢) خالجاً: أي جاذباً، والشطن: الحبل.

(٣) المرائر: الحبال المفتولة أو الشديدة الفتل. الأقران: جمع قرن، حبل يجمع به بين البعيران.

(٤) قال ابن أبي الحديد في شرحه ٧: ٢٤ في تعليقه على هذا المقطع من الخطبة: «... لا أرى كلاماً يشبه هذا إلّا أن يكون كلام الخالق سبحانه، فإنّ هذا الكلام نبعة من تلك الشجرة، وجدول من ذلك البحر، وجذوة من تلك النار، وكأنّه شرح قوله تعالى: «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين» [الأنعام: ٥٩]».

(٥) التخافت: إخفاء الكلام.

(٦) العزائم: التي يعقد القلب عليها وتطمئن النفس إليها.

(٧) المسارق: ما تسترقه الأبصار حين تومض، يقال: أومض البصر إيماضاً إذا لمع لمعاً خفيفاً.

(٨) أكنان: جمع كن بمعنى السترة، وأكنان القلوب: غلفها.

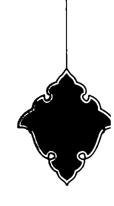
(٩) المصائخ: آلة السماع.

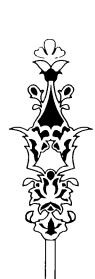
(١٠) الذر: جمع ذرة أصغر النمل، ومصائفها: مواضعها في الصيف.

(١١) رجع الحنين: ترجيعه وترديده.

(١٢) المولهات: التي فرّق بينها وبين ولدها فهي عليه والهة.

(١٣) همس الأقدام: صوت وطئها خفيفاً جداً.





الأَكْمَامِ[1]، وَمُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ[2] الْجِبَالِ وَأَوْدِيَتِهَا، وَمُخْتَبَإِ الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الأَشْجَارِ وَأَلْحِيَتِهَا[3]، وَمَغْرِزِ الأَوْرَاقِ مِنَ الأَفْنَانِ[4]، وَمَحَطِّ الأَمْشَاجِ[5] مِنْ مَسَارِبِ الأَصْلَابِ[6]، وَنَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَمُتَلَاحِمِهَا، وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَائِبِ فِي مُتَرَاكِمِهَا، وَمَا تَسْفِي الأَعَاصِيرُ[7] بِذُيُولِهَا، وَتَعْفُو الأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وَعَوْمِ[8] بَنَاتِ الأَرْضِ[9] فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ، وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الأَجْنِحَةِ بِذُرَا شَنَاخِيبِ[10] الْجِبَالِ، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ[11] الأَوْكَارِ، وَمَا أَوْعَتْهُ الأَصْدَافُ، وَحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ، وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ[12] لَيْلٍ، أَوْ ذَرَّ[13] عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ، وَمَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ[14]، وَسُبُحَاتُ النُّورِ[15]، وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ،

---

(١) الولائج: المداخل، والأكمام: وعاء الطلع وغطاء النور.
(٢) منقمع الوحوش: موالجها ومحلّ اختفائها. الغيران: جمع الغار.
(٣) سوق الأشجار: جمع ساق، وألحيتها: جمع لحاء وهو القشر.
(٤) الأفنان: جمع فن، وهو غصن الشجرة.
(٥) الأمشاج: جمع مشج وهو المني.
(٦) مسارب الأصلاب: المواضع التي يتسرب المني فيها من الصلب.
(٧) سفت الريح التراب: ذَرَته، والأعاصير: جمع إعصار، وهي ريح تثير الغبار فيرتفع الى السماء كأنّه عمود.
(٨) العوم: السباحة وسير السفينة.
(٩) بنات الأرض: الحشرات والهوام التي تكون في تلال الرمال.
(١٠) الذرا: جمع ذروة أي أعالي، وشناخيب الجبال: رؤوسها.
(١١) الديجور: الظلمة.
(١٢) سدفة الليل: ظلمته.
(١٣) ذرّ: مدّ عليه نوره.
(١٤) أطباق الدياجير: أطباق الظلم.
(١٥) سبحات النور: أشعته.



وَهَمَاهِمِ[1] كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ، أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ، أَوْ نُقَاعَةِ[2] دَمٍ وَمُضْغَةٍ، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلَالَةٍ.

لَمْ تَلْحَقْهُ فِي ذلِكَ كُلْفَةٌ، وَلا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ، وَلا اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الأُمُورِ وَتَدَابِيرِ الْمَخلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَلا فَتْرَةٌ، بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُمْ عَدَدُهُ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ، وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ، إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ، وَإِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍّ. اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ، وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الآدَمِيِّينَ؛ وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ. اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ؛ وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ وَهذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ، وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ، وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ، وَلا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ، فَهَبْ لَنَا فِي هذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الأَيْدِي إِلَى مَنْ سِوَاكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ!

[٩١] ومن كلام له عليه السلام

لمّا أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان[3]

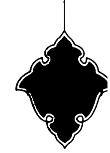
دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي؛ فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ؛ لا تَقُومُ لَهُ

---

(١) الهماهم: جمع همهمة، وهي ترديد الصوت في الصدر.

(٢) النقاعة: نقرة يجتمع فيها الدم.

(٣) ذكره الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٣: ٤٥٦، وابن مسكويه (ت ٤٢١) في تجارب =





الْقُلُوبُ، وَلا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ

= الأمم ١ : ٥٠٨، باختلاف. وقد اتُخِذَ هذا الكلام ذريعةً للطعن على الإمامية لموقفهم اتجاه الإمامة، ولزوم النص والنصب الإلهي، وكثيراً ما احتجّ به أهل السنة قديماً وحديثاً، إذ أنّها لو كانت كذلك وكما تدّعون لما تخلّى عنها أميرالمؤمنين عليه السلام. وقد ذهب علماؤنا في تفسير هذا الكلام أو تأويله مذاهب مختلفة نوجزها فيما يلي:

أوّلاً: تضعيف صدور هذا الكلام من أميرالمؤمنين عليه السلام لوروده عن طريق سيف، وهو وضّاع كذّاب.

ثانياً: إنّ الذين أرادوا بيعته هم الذين بايعوا من كان قبله، واعتادوا على سيرتهم، فأرادوا منه عليه السلام أن يسير فيهم بتلك السيرة، فأبى وقال: دعوني واتركوني أن أتقلّد ما تريدون، واطلبوا غيري ليسير فيكم بسيرتهم.

ثالثاً: إنّ كلامه هذا كلام عاتب وشاك من أصحابه، يقول لهم: دعوني والتمسوا غيري، على طريق الضجر منهم والتبرم والتسخّط لأفعالهم، لأنّهم كانوا عدلوا عنه من قبل واختاروا عليه، فلما طلبوه بعدُ أجابهم جواب المسخط العاتب.

رابعاً: إنّه عليه السلام أخرجه مخرج التهكّم والسخرية، أي أنا لكم وزيراً خير منّي لكم أميراً فيما تعتقدونه، كما قال سبحانه: «ذق أنّك أنت العزيز الكريم» أي تزعم لنفسك ذلك وتعتقده.

خامساً: إنّهم كانوا يعتقدون بخلافته كاعتقادهم بخلافة غيره، ولا يرونه منصوباً ومنصوصاً عليه من قبل الله تعالى بحيث تكون طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله كالنبيّ صلى الله عليه وآله، فلم يكن حينئذٍ واجباً عليه قبول رئاستهم، فأيّ مانع أن يقول: دعوني والتمسوا غيري لإمامتكم المصنوعة، وأمّا كونه وزيراً لهم خيراً لهم من إمارته، لأنّه لو خرجوا عليه في إمارته لكفروا بخلاف ما لم يكن حاكماً مبسوط اليد.

سادساً: إنّ الإمامة عندنا نيابة وخلافة عن الرسول صلى الله عليه وآله في جميع المراتب سوى تلقي الوحي، والزعامة السياسية أحد أركان الإمامة، وهذا الركن وإن كان ثابتاً للإمام بالنص الإلهي، غير أنّ تحققه وتفعيله على أرض الواقع منوط بشرائط مختلفة إذا اجتمعت كلّها وجب على الإمام التصدي وإلّا فلا، فتفعيل الزعامة السياسية وتطبيقها على أرض الواقع ـ كما فعل الرسول صلى الله عليه وآله في أخذ البيعة الاُولى في العقبة ـ أو تركها والتخلّي عنها لظروف خاصة ـ كما فعل أميرالمؤمنين عليه السلام ـ لا يضرّ بثبوتها الإلهي.



تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ؛ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً!

[٩٢] ومن خطبة له عليه السلام(١)

[وفيها ينبِّه أَمير المؤمنين على فضله وعلمه ويبيّن فتنة بني أُميّة]

أَمَّا بَعْد، أَيُّهَا النَّاسُ فَأَنا فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا(٢)، وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا(٣).

فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مائةً وَتُضِلُّ مائةً إِلَّا نَبَّأْتُكُمْ

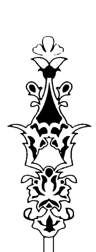
---

(١) رويت بألفاظ متفاوتة، فقد رواها ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥) في المصنف ٨: ٦٩٨، قال: «حدّثنا أبو بكر، قال: حدّثنا مالك بن إسماعيل، قال: حدّثنا عبدالرحمن بن حميد الرؤاسي، قال: حدّثنا عمرو بن قيس، عن المنهال بن عمرو، قال عبدالرحمن: أظنّه قيس بن سكن، قال: قال عليّ...». والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ٣ قال: «أخبرني أحمد بن عمران بن محمّد بن أبي ليلى الأنصاري، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن زر بن حبيش». واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ١٩٣ مختصراً، والنسائي (ت ٣٠٣) في الخصائص: ١٤٦ روى صدره فقط، قال: «أخبرني محمّد بن عبيد، قال: حدّثنا أبو مالك وهو عمرو بن قيس، عن المنهال بن عمرو، عن زر بن حبيش» وكذلك رواه في السنن الكبرى ٥: ١٦٥ ح ٨٥٧٤، والقاضي النعمان (ت ٣٦٣) في شرح الأخبار ٢: ٣٨، وفسّر غريبها ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ١: ٣٧٧ و٣: ٢٠٠، وقال ابن أبي الحديد (ت٦٥٦) في شرحه ٧: ٥٧: «وهذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السير وهي متداولة منقولة مستفيضة...».

(٢) الغيهب: الظلمة.

(٣) اشتد كلبها: أي شرّها.





بِناعِقِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمناخ رِكَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً.

وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ كَرَائِهُ الأُمُورِ، وَحَوَازِبُ(١) الْخُطُوبِ، لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْؤُولِينَ، وَذلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ(٢) حَرْبُكُمْ، وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً، تَسْتَطِيلُونَ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ لِبَقِيَّةِ الأَبْرَارِ مِنْكُمْ. إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ، يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ، يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً. أَلَا وَإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ، عَمَّتْ خُطَّتُهَا(٣)، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا. وَايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سَوْءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ(٤): تَعْذِمُ(٥) بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وتَزْبِنُ(٦) بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا، لا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ، وَلا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ حَتَّى لا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلَ انْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً(٧)، وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى، وَلا عَلَمٌ يُرَى.

---

(١) الحوازب: جمع حازب، وهو الأمر الشديد.

(٢) قلصت: ارتفعت.

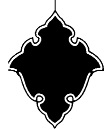
(٣) الخُطّة: الأمر والقصة.

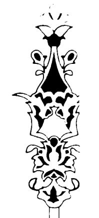
(٤) الناب: الناقة المسنّة، والضروس: السيئة الخلق تعضّ حالبها.

(٥) تعذم: تعضّ.

(٦) الزبن: الدفع، وزبنت الناقة إذا ضربت بثفنات رجلها عند الحلب.

(٧) الشوهاء: القبيحة، والمخشيّة: المخوفة المرعبة.





نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِنَجَاةٍ، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الأَدِيمِ(١) بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ(٢)، لا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلا يُحْلِسُهُمْ(٣) إِلَّا الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ ـ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ـ لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً، وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ(٤)، لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونِيهِ!

[٩٣] ومن خطبة له عليه السلام(٥)

[وفيها يصف الله تعالى ثمّ يبيِّن فضلَ الرسول الكريم وأهلِ بيته ثمّ يعظ الناس]

فَتَبَارَكَ اللهُ الَّذِي لا تَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلا يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ، الأَوَّلُ الَّذِي لا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِيَ، وَلا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِيَ.

منها: [في وصف الأنبياء]

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ؛ كُلَّمَا مَضَى سَلَفٌ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللهِ خَلَفٌ.

حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وَأَعَزِّ الأَرُومَاتِ(٦) مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا

---

(١) الأديم: الجلد، أي ككشف الجلد عن اللحم.

(٢) كأس مصبّرة: ممزوجة بالصبر لهذا المر.

(٣) الحلس: كساء رقيق يجعل تحت البرذعة، أي يلزمهم الخوف.

(٤) الجزر: النحر، والجزور: الناقة التي تُجزر.

(٥) روى نحوها ابن عبد ربه (ت ٣٢٨) في العقد الفريد ٤ : ٧٤، وسمّاها بالغراء.

(٦) الأرومات: جمع أرومة وهي الأصل.





أَنْبِيَاءَهُ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ. عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ؛ نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ[1] فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرٌ لَايُنَالُ. فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى، وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى، وسِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ؛ سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلَامُهُ الْفَصْلُ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ؛ أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَترَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ الأُمَمِ.

اعْمَلُوا، رَحِمَكُمُ اللهُ، عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ[2] عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ؛ والصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَالأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، والأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ، وَالأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ.

[٩٤] ومن خطبة له عليه السلام

[يقرّر فضيلة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله]

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ[3] فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ[4] الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ؛ حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الأَمْرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ، فَبَالَغَ صلى الله عليه وآله فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ [الْحَسَنَةِ].

---

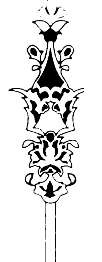
(١) بسقت: ارتفعت وطالت.

(٢) المستعتب: طلب الرضا، أي فيه استرضاء الخالق سبحانه بالتوبة.

(٣) الحاطب: هو الذي يجمع الحطب، ويقال لمن يجمع بين الصواب والخطأ: حاطب ليل.

(٤) استخفتهم: أي جعلتهم ذوي خفة وطيش.



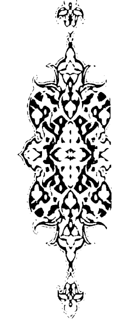


[٩٥] ومن خطبة له عليه السلام
[في الله وفي الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله]

الْحَمْدُ للهِ الأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَالظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ، وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيءَ دُونَهُ.

منها: في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ. قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الأَبْرَارِ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الأَبْصَارِ، دَفَنَ [اللهُ] بِهِ الضَّغَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ النَّوَائِرَ، وأَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلَامُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ.



[٩٦] ومن كلام له عليه السلام(١)
[في أصحابه وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله]

وَلَئِنْ أَمْهَلَ اللهُ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ، وَهُوَ لَهُ بِالمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ(٢) طَرِيقِهِ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَا(٣) مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ(٤).

أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَظْهَرَنَّ هؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ، وَلكِنْ لإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ، وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي. وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي.

---

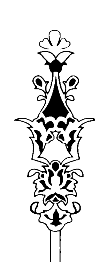
(١) ورد هذا الكلام في مصادر متفاوتة بزيادة ونقصان واختلاف، رواه سليم (ق ١) في كتابه: ٢١٣، ٢٥٨، وابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٧٢، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ٢: ٤٥٢، ٤٩٤، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٣٧، ٢٧٧، ٢٨٢، وفي أماليه: ١٤٦ ح ٦.

(٢) المجاز: المسلك.

(٣) الشجا: ما ينشب في الحلق من عظم أو غيره، وموضع الشجا: الحلق نفسه.

(٤) مساغ ريقه: موضع الاساغة، أسغت الشراب: أوصلته الى المعدة.





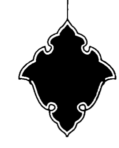
اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا.

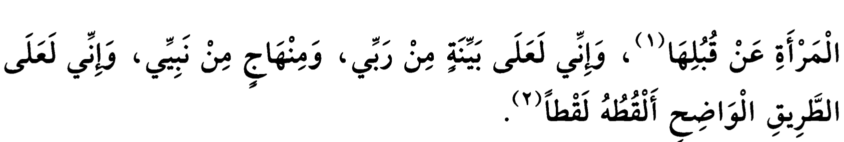
شُهُودٌ كَغُيَّابٍ، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَاب، أَتْلُو عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وَأَعِظُكُمْ بِالمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْي فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتفرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَأ[1]، تَرْجِعُونَ إِلى مَجَالِسِكُمْ، وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً، وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ[2]، عَجَزَ الْمُقوِّمُ، وَأَعْضَلَ[3] الْمُقَوَّمُ.

أَيُّهَا الشَّاهِدةُ أَبْدَانُهُمْ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ، صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وَأَنْتُم تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ، لَوَدِدْتُ وَاللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ!

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، مُنِيتُ[4] مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَاثنَتَيْنِ: صُمٌّ ذَوُوأَسْمَاعٍ، وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَام، وَعُمْيٌ ذَوُوأَبْصَارٍ، لا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ؛ تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ[5] يَا أَشْبَاهَ الإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ، وَاللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إخالُ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى[6]، وَحَمِيَ الضِّرَابُ[7]، قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ

(١) أيادي سبأ: مثل يضرب للمتفرقين، وسبأ هو سبأ بن يشخب بن يعرب بن قحطان.
(٢) الحنيّة: القوس.
(٣) أعظل: أعيا وأشكل.
(٤) منيت: ابتليت.
(٥) تربت أيديكم: أي لا أصبتم خيراً، أي: لصقت بالتراب أيديكم.
(٦) حمس الوغى: اشتد الحرب.
(٧) الضراب: المجالدة في الحرب.





الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا[(١)]، وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً[(٢)].

انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وَلا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا.

لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَا أَرَى أَحَداً يُشْبِهُهُمْ [مِنْكُمْ] لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً، قَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً، يُرَاوِحُونَ[(٣)] بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ! كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ! إِذَا ذُكِرَ اللهُ هَمَلَتْ[(٤)] أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ، خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ.

---

(١) شبّه عليه السلام انكشافهم بانكشاف المرأة عن فرجها وقت الولادة، وتورد هذه العبارة للتقريع والتوبيخ.

(٢) اللقط: أخذ الشيء من الأرض، يريد عليه السلام أنّ الضلال غالب على الهدى، فأنا ألتقط طريق الهدى من بين طريق الضلال لقطاً.
أمّا بالنسبة إلى من يتمسك بهذا الكلام وأشباهه للطعن على الشيعة، فراجع ما مضى، ومن المناسب ذكر ما قاله ابن أبي الحديد في شرحه ٧: ٧٢ «ومن تأمّل أحواله عليه السلام في خلافته، علم أنّه كان كالمحجور عليه لا يتمكن من بلوغ ما في نفسه، وذلك لأنّ العارفين بحقيقة حاله كانوا قليلين، وكان السواد الأعظم].
لا يعتقدون فيه الأمر الذي يجب اعتقاده فيه، ويرون تفضيل من تقدمه من الخلفاء عليه، ويظنون أنّ الأفضلية هي الخلافة ويقلّد أخلافهم أسلافهم... ولا يرونه إلّا بعين التبعية لمن سبقه، وأنّه كان رعية لهم، وأكثرهم إنّما يحارب معه بالحمية وبنخوة العربية لا بالدين والعقيدة...» فهذا الكلام يدل بصراحة أنّ القوم لم يكونوا شيعة له بالمعنى الاصطلاحي، نعم تابعوه لأغراض شتى ومآرب أُخرى.

(٣) المراوحة في العمل: أن يعمل هذا مرة وهذا مرة.

(٤) همل: سال.





[٩٧] ومن كلام له عليه السلام[1]

[يشير فيه إلى ظلم بني أمية]

وَاللهِ لا يَزالُونَ حَتَّى لا يَدَعُوا للهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ، وَلا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ، حَتَّى لا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ[2] إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبا بِهِ[3] سُوءُ رَعْيِهِمْ[4]، وَحَتَّى يَقُومَ الْباكِيانِ يَبْكِيانِ: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتابَهُ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا غَناءً أَحْسَنُكُمْ بِاللهِ ظَنّاً، فَإِنْ أَتَاكُمُ اللهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا، وَإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

[٩٨] ومن خطبة له عليه السلام[5]

[في التزهيد من الدنيا]

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ

---

(١) رواه بألفاظ متقاربة كل من ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١ : ١٧٤، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ٢ : ٤٨٨ عن المسيب بن نجبة الفزاري، والطبراني (ت ٣٦٠) في المعجم الكبير ٣ : ١٠٢ ح٢٨٠١ قال: «حدّثنا زكريا بن يحيى الساجي، ثنا محمّد بن المثنى، ثنا يحيى بن حمّاد، ثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي إدريس، ثنا المسيب بن نجبة، قال: قال عليّ...»، وابن عساكر (ت ٥٧١) في تاريخ دمشق ١٤ : ١٧٨ بسند الطبراني، والهيثمي (ت ٨٥٧) في مجمع الزوائد ٩ : ١٩١ وقال: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

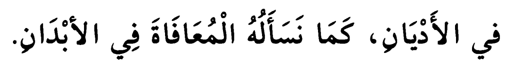
(٢) بيوت المدر: هي البيوت المبنية في القرى، وبيوت الوبر: ما يتخذ في البادية من وبر الابل.

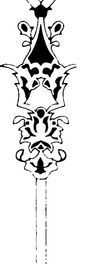
(٣) نبا به: إذا ضرّه.

(٤) سوء رعيهم: سوء سياستهم وإمرتهم.

(٥) روى الإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٧١ من قوله: «فاتركوا هذه الدنيا التاركة لكم» إلى قوله: «وأمّوا علماً فكأنّهم قد بلغوه». ورواها الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في من لا يحضره الفقيه ١ : ٤٢٩ ح ١٢٦٣، وروى أيضاً في الأمالي: ٤٧٨ ح ٦٤٤ وفي معاني الأخبار: ١٩٨ من قوله: «أما ترون إلى أهل =



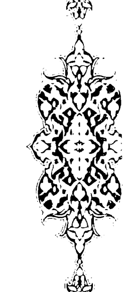




في الأَدْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الأَبْدَانِ.

أُوصِيكُمْ عِبادَاللهِ بِالرَّفْضِ لِهذهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا، وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ[(١)] سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمُّوا عَلَماً[(٢)] فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ، وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي[(٣)] إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا! وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لا يَعْدُوهُ، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ يَحْدُوهُ[(٤)] فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا!

فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ، وَزِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ، وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ.



أَوَلَيْسَ لَكُمْ في آثَارِ الأَوَّلِينَ [مُزْدَجَرٌ]، وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ! أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لا يَرْجِعُونَ، وَإِلَى الْخَلَفِ البَاقِي لا يَبْقَوْنَ! أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُمْسُونَ وَيُصْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى: فَمَيِّتٌ يُبْكَى، وَآخَرُ يُعَزَّى، وَصَرِيعٌ مُبْتَلًى، وَعَائِدٌ يَعُودُ،

= الدنيا» إلى قوله: «وعلى أثر الماضي يصير الباقي»، ورواها أيضاً باختلاف ابن سلامة (ت ٤٥٤) في دستور معالم الحكم: ٤٩، والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في مصباح المتهجد: ٣٨١ ح ٥٠٨ عن زيد بن وهب.

(١) قوم سفر: أي مسافرون.

(٢) أمّوا علماً: أي قصدوا جبلاً.

(٣) المجري ويجري: من أجريت الفرس أي أرسلتها، ثم نقل ذلك إلى كل من يقصد بكلامه معنى أو بفعله غرضاً.

(٤) الحثيث: السريع، ويحدوه: يسوقه.





وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ؛ وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي.

أَلَا فَاذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَّاتِ، وَمُنَغِّصَ الشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ الْأُمْنِيَّاتِ، عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ[(١)] لِلأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ، وَاسْتَعِينُوا اللهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، وَمَا لا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ.

[٩٩] ومن خطبة له عليه السلام[(٢)]
في رسول الله وأهل بيته عليهم السلام]

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلامِ[(٣)]، بَطِيءُ الْقِيَامِ[(٤)]، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ، فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللهُ حَتَّى يُطْلِعَ اللهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ[(٥)]، فَلا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ، وَلا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ، فَإِنَّ الْمُدْبِرَ

---

(١) المساورة: المواثبة.

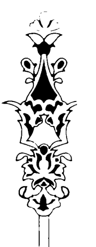
(٢) قال ابن أبي الحديد في شرحه ٧: ٩٣: «واعلم أنّ هذه الخطبة خطب بها أميرالمؤمنين عليه السلام في الجمعة الثالثة من خلافته...» ممّا يدلّل على اعتماده على غير نهج البلاغة في توثيق نسبتها للإمام; لأنّ الرضي لم يذكر وقت إيرادها.

(٣) مكيث الكلام: بطيئه، ورجل مكيث: رزين، يعني نفسه عليه السلام.

(٤) بطيء القيام: إشارة الى تأنيه في الأمور، فإنّ التؤدة من صفات العقل، والتسرّع من صفات الجهل.

(٥) يضمّ نشركم: يصل متفرقكم. وقال ابن أبي الحديد في شرحه ٧: ٩٤ «وهذا إشارة الى المهدي الذي يظهر في آخر الوقت».





عَسَى أَنْ تَزِلَّ [بِهِ] إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ[1]، وَتَثْبُتَ الأُخْرى، فَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً.

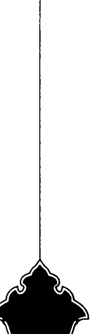
أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّد ﷺ، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ: إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وَأَتَاكُم مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ.

[١٠٠] ومن خطبة له عليه السلام

وهي من خطبه التي تشتمل على ذكر الملاحم

[الْحَمْدُ للهِ] الأوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، وَالآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ، بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لا أَوَّلَ لَهُ، وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لا آخِرَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإِعْلَانَ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي[2]، وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ[3] عِصْيَانِي، وَلا تَتَرَامَوْا بِالأَبْصَارِ[4] عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي. فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ، وَلا جَهِلَ السَّامِعُ، لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ[5] قَدْ نَعَقَ[6] بِالشَّامِ، وَفَحَصَ[7] بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ. فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ[8]، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ[9]، وَثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ



---

(١) قائمتيه: أي رجليه.

(٢) لا يجرمنّكم: أي لا يوقعكم في الجرم، وشقاقي: خلافي وعداوتي.

(٣) استهواه الشيطان: أي استهامه.

(٤) لا تترامو بالأبصار: لا يلحظ بعضكم بعضاً فعل المنكر المكذّب.

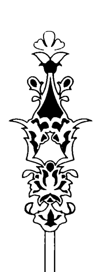
(٥) الضلّيل: الكثير الضلال.

(٦) النعيق: صوت الراعي بغنمه.

(٧) فحص: والأصل فيه: بحث القط في الأرض بما يستقر فيه.

(٨) فغرت: فتحت فاها.

(٩) الشكيمة: الحديدة المعترضة في فم الحيوان يشد بها اللجام.



وَطْأَتُهُ، عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا، وَبَدَا مِنَ الأَيَّامِ كُلُوحُهَا[1]، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا[2].

فَإِذَا يَنَعَ زَرْعُهُ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ[3]، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ[4]، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ.

هذَا، وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ[5]، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ! وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ، وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ[6]، وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ[7]!

[١٠١] ومن خطبة له عليه السلام

تجري هذا المجرى [وفيها ذكر يوم القيامة وأحوال الناس المقبلة]

وَذلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللهُ فِيهِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ، خُضُوعاً، قِياماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الأَرْضُ، فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً.

منها: [في حال مقبلة على الناس]

فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ، وَلا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً[8]، ....

---

(١) كلوح الأيام: عبوسها.

(٢) الكدح: الخدش، أو الآثار من الجراحات.

(٣) هدر البعير: ردّد صوته في حنجرته، والشقاشق: صياح البعير عند الهياج.

(٤) برقت بوارقه: أي سيوفه ورماحه.

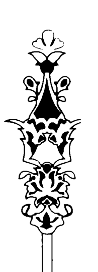
(٥) القاصف: الريح القوية تكسر كل ما تمر عليه وتقصفه، وكذلك العاصف.

(٦) حصد القائم: قتل المحاربة.

(٧) حطم الحصيد: القتل صبراً.

(٨) مزمومة: كدابة جُعل لها زمام، مرحولة: كناقة انتخبت راحلة.





يَحْفِزُهَا[(١)] قَائِدُهَا، وَيَجْهَدُهَا[(٢)] رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ[(٣)]، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ[(٤)]، يُجَاهِدُهُمْ فِي اللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّماءِ مَعْرُوفُونَ.

فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذلِكَ، مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللهِ! لا رَهَجَ[(٥)] لَهُ وَلا حِسَّ، وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ الأَحْمَرِ[(٦)]، وَالْجُوعِ الأَغْبَرِ[(٧)]!

[١٠٢] ومن خطبة له عليه السلام[(٨)]

في التزهيد في الدنيا]

انْظُرُوا إِلى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، الصَّادِفِينَ عَنْهَا؛ فَإِنَّهَا وَاللهِ عَمَّا

---

(١) يحفزها: يدفعها شديداً.

(٢) يجهدها: يحملها على الجهد والمشقة.

(٣) الكَلَبُ: الشرّ والأذى.

(٤) السلب: ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول وسلاحه، وقليل سلبهم: أي همّهم القتل لا السلب.

(٥) الرهج: الغبار.

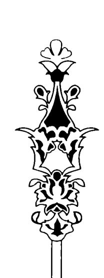
(٦) الموت الأحمر: القتل.

(٧) الجوع الأغبر: القحط.

(٨) لم نعثر على هذه الخطبة كاملةً بل وردت منثورة في مصادر شتى نوردها بحسب التسلسل الزمني:

قال الفراهيدي (ت ١٧٥) في كتاب العين ٨: ٣٨٥ وفي الحديث: «إنّما ينجو من شرّ ذلك الزمان كل مؤمن نومة، أولئك مصابيح العلم، وأئمة الهدى» وهو وإن لم يذكر القائل لكن يظهر بقرينة سائر المصادر أنّه لأميرالمؤمنين عليه السلام، وذكر ابن سلام (ت ٢٢٤) في غريب الحديث ٣: ٤٦٣ وقال: «خير أهل ذلك الزمان كل نومة، أولئك مصابيح الهدى، ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البذر». أمّا المروزي (ت ٢٢٩) في كتاب الفتن: ١٥٢ فاقتصر على قوله عليه السلام: «ينجو في ذلك الزمان كل مؤمن نؤمة» وقال الدارمي (ت٢٥٥) في سننه ١: ٨١ «أخبرنا عثمان بن عمر، ثنا عمر بن يزيد، عن أوفى بن دلهم أنّه بلغه عن عليّ قال:... ولا ينجو منه إلّا كل=





قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ[1] السَّاكِنَ، وَتَفْجَعُ الْمُترَفَ الآمِنَ، لا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ. سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وَجَلَدُ[2] الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ، فَلا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.

رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، واعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ.

منها: [في صفة العالم]

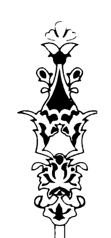
الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَكَفَى بِالْمَرءِ جَهْلاً أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ؛ وَإِنَّ مِنْ

= نومة، فأولئك أئمة الهدى، ومصابيح العلم، ليسوا المساييح ولا المذاييع البذر». وروى قريباً منه ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في غريب الحديث ١: ١١٠، وفي تأويل مختلف الحديث: ٢٧٧ هكذا: «لا ينجو فيه إلّا كل نومة، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم، ليسوا بالعجل المذاييع البذر». وذكر ابن خالويه (ت ٣٧٠) في كتابه ليس من كلام العرب: ٣١٣ «قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: خير ذلك الزمان.... المذاييع»، وأنظر الزمخشري (ت ٥٣٨) في الفائق ٣: ٦٣٥، وابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٥: ١٣٠، وابن منظور (ت٧١١) في لسان العرب ١٢: ٥٩٦. أما صدر الخطبة فقد رواها الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ١٧ ح ٣ عن أحمد ابن محمّد الكوفي وهو العاصمي، عن عبدالواحد بن الصواف، عن محمّد بن إسماعيل الهمداني، عن أبي الحسن موسى عليه السلام عن عليّ عليه السلام، وذلك من قوله: «انظروا في الدنيا نظر الزاهد» إلى قوله: «ما هو آت فينتظر» وكذلك ذكرها ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠٢ من دون سند، أما ابن سلامة (ت ٤٥٤) في دستور معالم الحكم: ٤٨، والواسطي (ق٦) في عيون الحكم: ٩١ ذكراها من الأوّل الى قوله عليه السلام: «ماهو آتٍ قريب».

(١) الثاوي: المقيم.

(٢) الجلد: الصلابة والجلادة.





أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ لَعَبْدٌ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ، جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِرٌ بِغَيْرِ دَلِيلٍ، إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِلَى حَرْثِ الآخِرَةِ كَسِلَ! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، وَكَأَنَّ مَا وَنَى[1] فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ!

منها: [في آخر الزمان]

وَذلِكَ زَمَانٌ لا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ، إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ، وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى، وَأَعْلَامُ السُّرَى[2]، لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ، وَلا الْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ، أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الإِسْلَامُ، كَمَا يُكْفَأُ الإِنَاءُ بِمَا فِيهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾.

أما قوله عليه السلام: «**كُلُّ مؤمنٍ نُوَمَة**» فإنّما أَراد به: الخاملَ الذِّكر القليل الشرِّ. والمساييح: جمعُ مِسْياحٍ، وهو: الذي يَسِيحُ بينَ الناسِ بالفسادِ والنَّمائم. والمذاييعُ: جمعُ مِذْياعٍ، وهو: الذي إذا سَمِع لغيرِه بِفاحشةٍ أذاعَها، ونوَّه بها. والبُذُرُ: جمع بَذُورٍ وهو الذي يكثرُ سَفَهُهُ ويَلْغو مَنْطِقَهُ.

[١٠٣] ومن خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلا وَحْياً، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلَى

(١) ونى: ضعف وفتر.

(٢) السرى: السير بالليل.





مَنْجاتِهِمْ، وَيُبادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ، يَحْسَرُ الْحَسِيرُ[1]، وَيَقِفُ الْكَسِيرُ[2] فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غايَتَهُ، إِلّا هالِكاً لا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَراهُمْ مَنْجاتَهُمْ وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدارَتْ رَحاهُمْ[3]، وَاسْتَقامَتْ قَناتُهُمْ[4]، وَايْمُ اللهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ ساقَتِها حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذافِيرِها، وَاسْتَوْسَقَتْ[5] فِي قِيادِها، ما ضَعُفْتُ، وَلا جَبُنْتُ، وَلا خُنْتُ، وَلا وَهَنْتُ، وَايْمُ اللهِ لأَبْقُرَنَّ الْباطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خاصِرَتِهِ!

وقد تقدّم مختار هذه الخطبة، إلّا أنّني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان، فأوجبت الحال إثباتها ثانية.

[١٠٤] ومن خطبة له عليه السلام[6]

[في بعض صفات الرسول الكريم وتهديد بني أمية وعظة الناس]

حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً (صلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلّم)، شَهِيداً، وَبَشِيراً،

---

(١) حسر البعير: إذا أعيا وقعد عن السير، وأحسر غيره يحسره: إذا قعد له وتأنّى بحاله.

(٢) الكسير: هو المكسور، والوقوف هو الإرواد وترك العجلة.

(٣) استدارت رحاهم: انتظم أمرهم، لأنّ الرحا إنّما تدور إذا تكاملت أدواتها وآلاتها كلّها.

(٤) القناة: الرمح، واستقامتها كناية عن صحة الأحوال وصلاحها.

(٥) استوسقت: اجتمعت.

(٦) ذكرها باختلاف الإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٧٧، وروى القمي (ت ٣٢٩) في تفسيره من قوله: «واعلموا أنّ لكلّ حق طالباً» الى قوله: «وهو الله»، وروى ابن شعبة (ق٤) في تحف العقول: ٢٣٥ من قوله: «انّ أبصر الأبصار» الى قوله: «وعى التذكير وانتفع به»، وروى الطبري الإمامي (ق٤) في المسترشد: ٤٠٣ من قوله: «أيّها الناس استصبحوا»، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٧٦ من قوله: «ألا انّ لكلّ دم ثائراً» الى قوله: «وفي دار عدوّكم»، وشرح ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية غريبها، راجع: ٢: ٣٩، ٤٨٣، ٣: ٥٨.



وَنَذِيراً، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَهَا[١] كَهْلاً، أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً[٢].

فَمَا احْلَوْلَتِ الدُّنْيَا لَكُمْ فِي لَذَّتِهَا، وَلا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلَافِهَا[٣] إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلاً خِطَامُهَا[٤]، قَلِقاً وَضِينُهَا[٥]، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ[٦]، وَحَلَالُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَصَادَفْتُمُوهَا، وَاللهِ، ظِلًّا مَمْدُوداً إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ، فَالأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ[٧]، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ، وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ.

أَلَا إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً، وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وَهُوَ اللهُ الَّذِي لا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ. فَأُقْسِمُ بِاللهِ، يَا بَنِي أُمَيَّةَ، عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ، أَلا إِنَّ أَبْصَرَ الأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ؛ أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ، وَامْتَاحُوا[٨] مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ[٩] مِنَ الْكَدَرِ. عِبَادَ اللهِ، لا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلا

---

(١) أنجبها: أكرمها.

(٢) الديمة: مطر يدوم، والمستمطر: من يطلب المطر.

(٣) الخلف: حلمة ضرع الناقة.

(٤) جائلاً: من الجولان، والخطام: الزمام.

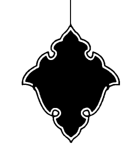
(٥) الوضين: حزام السرج والقتب.

(٦) المخضود: الذي خضد شوكه أي قطع.

(٧) شاغرة: خالية، شغر المكان أي خلا.

(٨) الامتياح: نزول البئر وملء الدلاء منها.

(٩) روّقت: صفيت.





تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ؛ فَإِنَّ النَّازِلَ بِهذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ[1]، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لا يَلْتَصِقُ، وَيُقَرِّبَ مَا لا يَتَقَارَبُ، فَاللهَ اللهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لا يُشْكِي شَجْوَكُمْ[2]، وَلا يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ.

إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: الإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ[3] عَلَى أَهْلِهَا. فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ[4]، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ[5] الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي!

[١٠٥] ومن خطبة له عليه السلام[6]

[وفيها يبيّن فضل الإسلام ويذكر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ثمّ يلوم أصحابه]

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي شَرَعَ الإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ

(١) الجرف: ما تجرفه السيول، والهار: المشرف على الانهدام.

(٢) الشجو: الحاجة أو الهمّ والحزن.

(٣) إصدار السهمان: إعادتها الى أهلها.

(٤) تصويح النبت: يبسه.

(٥) الاستثارة: طلب الثور، وهو السطوع والظهور.

(٦) الشق الأوّل من هذه الخطبة رواه باختلاف سليم (ق١) في كتابه: ١٨٠ عن أبان، والإسكافي (ت٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٦٠، والثقفي (ت٢٨٣) في الغارات ١: ١٣٩ قال: «حدّثنا محمّد، قال: حدّثنا الحسن، قال: حدّثنا إبراهيم، قال: وحدّثنا زكريا بهذا الكلام أكثر من هذا، ورواه عن أهل العلم من أصحابه»، والكليني (ت٣٢٩) في الكافي٢: ٥٠ ح١، وابن شعبة (ق٤) في تحف العقول: ١٦٢، والشيخ المفيد (ت٤١٣) في الأمالي: ٢٧٦ ح ٣ قال: «أخبرني أبو عبيدالله =



عَلَى مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ[1]، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ[2]، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ.

فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ[3] وَاضِحُ الْوَلَائِجِ[4]، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُشْرِقُ الْجَوَادِّ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيْمُ الْمِضْمارِ[5]، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلْبَةِ[6]، مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ[7]، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ. التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ.

= محمّد بن عمران المرزباني، قال: حدّثني أحمد بن سليمان الطوسي، عن الزبير بن بكار، قال: حدّثني عبدالله بن وهب، عن السدي، عن عبد خير، عن قبيصة بن جابر الأسدي»، والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ٣٧ ح ٤٠ بسند الشيخ المفيد.

أما الشق الثاني فقد رواه باختلاف أيضاً الإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٧٢، وابن قتيبة (ت٢٧٦) في غريب الحديث ١: ٣٧٣، والثقفي (ت٢٨٣) في الغارات ١: ١٥٩، وابن سلامة (ت٤٥٤) في دستور معالم الحكم: ١٢٠.

(١) عَلِقَه: تعلّق به.

(٢) توسّم: تفرس.

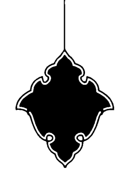
(٣) أبلج المناهج: معروف الطريق، والأبلج: المشرق المضيء.

(٤) الولائج: جمع وليجة وهي البطانة.

(٥) المضمار: الموضع الذي يضمر فيه الخيل، كأنّه عليه السلام جعل الإسلام كخيل السباق التي مضمارها كريم.

(٦) الحلبة: الخيل المجموعة للمسابقة.

(٧) السُبقة: ما يتراهن عليه المتسابقان.





منها: في ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله

حَتَّى أَوْرَى[(١)] قَبساً لِقَابِسٍ[(٢)]، وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ[(٣)]، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالْحقِّ رَحْمَةً. اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً[(٤)] مِنْ عَدْلِكَ، وَاجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ[(٥)]، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا، وَلا نَادِمِينَ، وَلا نَاكِبِينَ، وَلا نَاكِثِينَ، وَلا ضَالِّينَ، وَلا مَفْتُونِينَ.

وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم، إلّا أنّنا كرّرناه هاهنا لما في الروايتين من الاختلاف.

منها: في خطاب أصحابه

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيهِ، وَلا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ، وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ، وَكَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ، لَجَمَعَكُمُ اللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ!

---

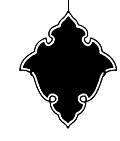
(١) ورى: استخرج النار من الزند.

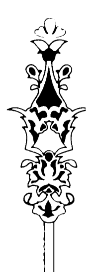
(٢) القبس: شعلة من نار، والقابس: طالب النار من الغير.

(٣) الحابس: من يحبس فرسه أو ناقته، وأنار له علماً أي نصب له علماً ودليلاً يهتدي به.

(٤) مقسماً: نصيباً.

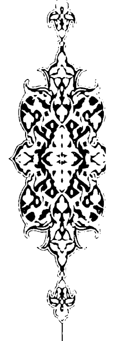
(٥) النزل: ما يُهيأ للنزيل من الطعام.





[١٠٦] ومن خُطبَة له عليه السلام
في بعض أيام صفين[١]

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ[٢]، وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ، وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ[٣] الْعَرَبِ، وَيَآفِيخُ[٤] الشَّرَفِ، وَالأَنْفُ الْمُقَدَّمُ، وَالسَّنَامُ الأَعْظَمُ، وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ[٥] صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِآخَرَةٍ[٦] تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ؛ حَسّاً[٧] بالنِّصَالِ، وَشَجْراً[٨] بِالرِّمَاحِ، تَرْكَبُ أُولاهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالإبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ، تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا، وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا!



[١٠٧] ومن خطبة له عليه السلام
وهي من خطب الملاحم

الْحَمْدُ للهِ الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ، خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمائِرِ[٩]، وَلَيْسَ بِذِي

---

(١) رواها باختلاف المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٢٥٦ عن عمر، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب، والإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٤٩، والطبري (٣١٠) في تاريخه ٤: ١٧ عن أبي مخنف، عن مالك بن أعين الجهني، عن زيد بن وهب، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٥: ٤٠ ح ٤ عن مالك بن أعين، وفسّر غريبها ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية.

(٢) جولتكم: هزيمتكم.

(٣) اللهاميم: جمع لهموم وهو الجواد من الناس والخيل.

(٤) اليآفيخ: جمع يأفوخ وهو معظم الشيء أو مقدمه.

(٥) الوحاوح: الحرق والحزازات.

(٦) لقيته بآخرة: أي أخيراً.

(٧) حساً: أي قتلاً.

(٨) شَجْراً: طعناً.

(٩) ذوو الضمائر: أي الذين لهم قلوب في الصدور.





ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ، خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ، وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ.

منها: في ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله

اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ، وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ(١)، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ(٢)، وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ.

منها

طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ(٣)، وَأَحْمى مَوَاسِمَهُ(٤)، يَضَعُ مِنْ ذلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ؛ وَآذَانٍ صُمٍّ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ؛ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ؛ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ؛ فَهُمْ فِي ذلِكَ كَالأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ.

قَدِ انْجَابَتِ(٥) السَّرائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا(٦)، وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ الْعَلامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا(٧). مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ، وَنُسَّاكاً بِلَا صَلَاحٍ، وَتُجَّاراً بِلَا أَرْبَاحٍ، وَأَيْقَاظاً نُوَّماً، وَشُهُوداً غُيَّباً، وَنَاظِرَةً عُمْيَاً، وسَامِعَةً صُمَّاً، وَنَاطِقَةً بُكْماً! رَايَةُ ضَلَالَةٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا(٨)، وَتفرَّقَتْ

---

(١) الذؤابة: طائفة من شعر الرأس، والعلياء: كل مكان مشرف.
(٢) سرة البطحاء: خيارها.
(٣) المراهم: الأدوية المركبة للجراحات والقروح.
(٤) المواسم: المكواة والحديد الذي يوسم به الخيل وغيرها.
(٥) انجابت: انكشفت.
(٦) الخابط: السائر على غير طريق.
(٧) المتوسّم: المتفرّس.
(٨) القطب: الرئيس الذي عليه يدور الأمر، وهو كناية عن انتظام أمر راية الضلالة واستحكام قوتها.



بِشُعَبِهَا[١]، تَكِيلُكُمْ[٢] بِصَاعِهَا، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا[٣]. قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ؛ فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ[٤] كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ، أَوْ نُفَاضَةٌ[٥] كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ[٦]، تَعْرُكُكُمْ[٧] عَرْكَ الأَدِيمِ، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ.

أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ، وَتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ، وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ، وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ، واسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ، وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ، فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ[٨]، وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ[٩].

فَعِنْدَ ذلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ، وَصَالَ[١٠] الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيقُ

(١) الشُعَب: ما تشعّب من قبائل العرب والعجم.
(٢) تكيلكم: أي تتقدمكم في الأحوال وتقلقلكم كما يقلقل الكائل المكيل.
(٣) الخبط: ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها، أو من خبط البعير الأرض بيده أي ضربها. والباع: قدر مدّ اليدين.
(٤) ثفالة القدر: ما سفل فيه من الطبيخ.
(٥) النفاضة: ما سقط من الشيء المنفوض.
(٦) العكم: العِدل.
(٧) العرك: الدلك الشديد.
(٨) فلق لكم...: أي شق ما كان مبهماً، وفتح ما كان مغلقاً، كما تفلق الخرزة فيُعرف باطنها.
(٩) قَرَفَه: قشره، والصمغة: من الصمغ، وهو ما ينحلب من الشجر.
(١٠) الصيال: حملة الأسد الذي يعقر.





الْبَاطِلِ(١) بَعْدَ كُظُومٍ(٢)، وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ.

فَإِذَا كَانَ ذلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً(٣)، وَالْمَطَرُ قَيْظاً(٤)، وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً، وَكَانَ أَهْلُ ذلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعاً، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً(٥)، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً، وَغَارَ الصِّدْقُ، وَفَاضَ الْكَذِبُ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً، وَالْعَفَافُ عَجَباً، وَلُبِسَ الإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً.

[١٠٨] ومن خطبة له عليه السلام(٦)

[في بيان قدرة الله وانفراده بالعظمة وأمر البعث]

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ، غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ.

لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ، لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ، وَلا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، وَلا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ، وَلا يُفْلِتُكَ(٧) مَنْ أَخَذْتَ، وَلا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلا يَزِيدُ في مُلْكِكَ

---

(١) هدر: صاح. وفنيق الباطل: فحله.

(٢) الكظوم: الامساك والسكوت.

(٣) كان الولد غيظاً: أي يغيظ والديه.

(٤) القيظ: الصيف، أي لا يكون المطر مثمراً بل مضرّاً.

(٥) أُكّالا: طعاماً.

(٦) رواها باختلاف الإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٨٤ مختصراً، وابن عبد ربه (ت ٣٢٨) في العقد الفريد ٤: ٧٦ ط القاهرة.

(٧) لا يفلتك: أي لا يخرج من تحت يدك.



مَنْ أَطَاعَكَ، وَلَايَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، وَلَايَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ.

كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ، أَنْتَ الأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ، وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ، وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ.

سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ!

سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ!

وَمَا أَصْغَرَ [كُلّ] عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ!

وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ!

وَمَا أَحْقَرَ ذلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ!

وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الآخِرَةِ!

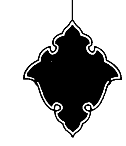


منها: [في الملائكة الكرام](١)

مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ؛ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ

---

(١) قال ابن أبي الحديد في شرحه ٧: ٢٠٢ تعليقاً على هذا المقطع من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام: من أراد أن يتعلّم الفصاحة والبلاغة، ويعرف فضل الكلام بعضه على بعض، فليتأمّل هذه الخطبة فإنّ نسبتها الى كلّ فصيح من الكلام ـ عدا كلام الله ورسوله ـ نسبة الكواكب المنيرة الفلكية الى الحجارة المظلمة الأرضية، ثم لينظر الناظر الى ما عليها من البهاء والجلالة والرواء والديباجة، وما تحدثه من الروعة والرهبة والمخافة والخشية حتى لو تليت على زنديق ملحد مصمّم على اعتقاد نفي البعث والنشور لهدّت قواه، وأرعبت قلبه، وأضعفت على نفسه، وزلزلت اعتقاده، فجزى الله قائلها من الإسلام أفضل ما جزى به ولياً من أوليائه، فما أبلغ نصرته له تارة بيده وسيفه، وتارة بلسانه ونطقه، وتارة بقلبه وفكره، إن قيل جهاد وحرب فهو سيد المجاهدين والمحاربين، وإن قيل وعظ وتذكير فهو أبلغ الواعظين والمذكرين، =





بِكَ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ؛ لَمْ يَسْكُنُوا الأَصْلاَبَ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا الأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَيْبُ الْمَنُونِ؛ وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً، بِحُسْنِ بَلَائِكَ[1] عِنْدَ خَلْقِكَ، خَلَقْتَ دَاراً، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً: مَشْرَباً وَمَطْعَماً، وَأَزْوَاجاً وَخَدَماً، وَقُصُوراً، وَأَنْهَاراً، وَزُرُوعاً، وَثِمَاراً، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا، فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا، وَلا فِيمَا رَغَّبْتَ [فِيْهِ] رَغِبُوا، وَلا إِلَى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا. أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ قَدِ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا، وَاصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى[2] بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلِهَتْ[3] عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا؛ لا يَنْزَجِرُ مِنَ اللهِ بِزَاجِرٍ، وَلَايَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ، حَيْثُ لا إِقَالَةَ وَلا رَجْعَةَ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ

= وإن قيل فقه وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسرين، وإن قيل عدل وتوحيد فهو إمام أهل العدل والموحدين.

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

(١) بلائك: أي نعمك.

(٢) أعشى بصره: أعماه.

(٣) الوله: ذهاب العقل والتحيّر من شدة الوجد.



مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ، فَفَتَرَتْ[1] لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ.

ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ، عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمْرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ!

وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا، أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا[2]، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ، وَالْعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ. وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ[3] بِهَا، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ[4] عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ!

فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانَهُ وَسَمْعَهُ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلامِهِمْ.

ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتِيَاطاً[5] بِهِ، فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ، وَخَرَجَتِ

---

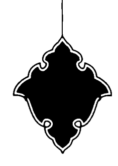
(١) فترت: سكنت.

(٢) أغمض في مطالبها: الأصل فيه غضّ البصر كأنّه لم ير الحرام، أي سَاهل في اكتسابها.

(٣) غلق الرهن: أي استحقه المرتهن وذلك إذا لم يفتكك في الوقت المشروط.

(٤) أصحر: انكشف وظهر.

(٥) التياطاً: إلتصاقاً.





الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لا يُسْعِدُ بَاكِياً، وَلا يُجِيبُ دَاعِياً. ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي الأَرْضِ، فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ، وَانْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ(1).

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَالأَمْرُ مَقَادِيرَهُ، وَأُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ، أَمَادَ السَّمَاءَ وَفَطَرَهَا(2)، وَأَرَجَّ الأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا، وَدَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلالَتِهِ وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلاقِهِمْ(3)، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفْرِيقِهِم، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الأَعْمَالِ، وَخَبَايَا الأَفْعَالِ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هؤُلاءِ وَانْتَقَمَ مِنْ هؤُلاءِ.

فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ، وَخَلَّدَهُمْ في دَارِهِ، حَيْثُ لا يَظْعَنُ(4) النُّزَّالُ، وَلا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ، وَلا تَنُوبُهُمُ(5) الأَفْزَاعُ، وَلا تَنَالُهُمُ الأَسْقَامُ، وَلا تَعْرِضُ لَهُمُ الأَخْطَارُ، وَلا تُشْخِصُهُمُ الأَسْفَارُ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الأَيْدِيَ إِلَى الأَعْنَاقِ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالأَقْدَامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ(6)، وَمُقَطَّعَاتِ(7) النِّيرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ(8)

(1) زورته: أي زيارته.
(2) أماد السماء: حركها. وفطرها: شقّها.
(3) إخلاقهم: من خلق الثوب إذا بلى.
(4) يظعن: يرحل.
(5) تنوبهم: تعاودهم.
(6) السربال: القميص، والقطران: شيء أسود لزج منتن يُطلى به الابل.
(7) المقطعات: الثياب التي تقطع، وقيل: هي قصار الثياب.
(8) الكَلَب: الشدّة.



لَجَبٌ[(١)]، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ، وَقَصِيفٌ[(٢)] هَائِلٌ، لا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلا يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلا تُفْصَمُ كُبُولُهَا[(٣)]. لا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى، وَلا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى.

منها: في ذكر النبيّ ﷺ

قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى زَوَاهَا[(٤)] عَنْهُ اخْتِيَاراً، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً[(٥)]، أَوْ يَرْجُوَ فِيْهَا مُقَاماً. بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً[(٦)]، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّراً، [وَخَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّراً].

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ، نَاصِرُنا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوُّنا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.

[١٠٩] ومن خطبة له عليه السلام[(٧)] [في أركان الدين]

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ: الإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ،

---

(١) اللَّجَب: الصوت.

(٢) القصيف: الصوت الشديد.

(٣) الكبول: القيود.

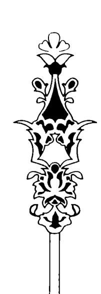
(٤) زواها: قبضها.

(٥) الرياش: اللباس والزينة.

(٦) معذراً: أي مبالغاً، أعذر فلان في الأمر أي بالغ فيه.

(٧) رواها باختلاف الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٨١، والأهوازي (ت ٢٥٠) في كتاب الزهد الباب الثاني الحديث الرابع الى قوله: «مصارع الهوان»، وكذلك البرقي (ق ٣) في المحاسن: ٢٨٩ كتاب مصابيح الظلام ـ نقلاً عن نهج السعادة ٣: ٢٠٩ ـ وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٥٠، والشيخ الصدوق =





وَالْجِهادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ[1] الإِسْلامِ، وَكَلِمَةُ الإِخْلاصِ؛ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ[2] الذَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، وَمَنْسَأَةٌ[3] فِي الأَجَلِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَصَنائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ.

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وَارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ، وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ، وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ. وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ [فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ] فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ.

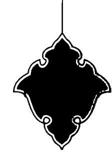
وَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ أَلْوَمُ.

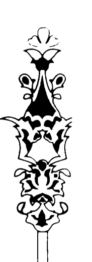
= (ت ٣٨١) في علل الشرائع: ٢٤٧ ح ١ باب ١٨٢ الى قوله: «مصارع الهوان» قال: «أبي رحمه الله قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، قال: حدّثنا إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه عليّ بن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر بإسناده يرفعه الى عليّ بن أبي طالب عليه السلام». والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ٢١٦ الى قوله «مصارع الهوان» قال: «أخبرنا محمّد بن محمّد، قال: أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمّد بن الحسن، عن أبيه عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن حمزة البطائني، عن أبي بصير، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام...».

(١) الذروة: أعلى السنام.

(٢) يرحضان: يغسلان.

(٣) منسأة: من نسأ في أجله أي أخّره.

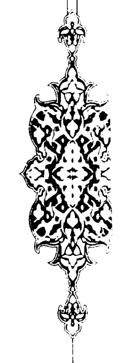




[١١٠] ومن خطبة له عليه السلام(١) [في ذم الدنيا]

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ(٢) بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لا تَدُومُ حَبْرَتُهَا(٣)، وَلا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا، غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ(٤) زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ(٥) بائدة(٦)، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ(٧)، لاتَعْدُو ـ إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا والرِّضَى بِهَا ـ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾.

لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً، وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَّائِهَا بَطْناً إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً(٨)، وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ(٩) رَخَاءٍ إِلَّا



---

(١) رواها الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٦٤، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٨٣، وابن سلامة (ت ٤٥٤) في دستور معالم الحكم: ٥٢. قال ابن أبي الحديد في شرحه ٧: ٢٣٦ «واعلم انّ هذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب البيان والتبيين، ورواها لقطري بن الفجاءة، والناس يروونها لأميرالمؤمنين عليه السلام، وقد رأيتها في كتاب «المونق» لأبي عبيدالله المرزباني مروية لأميرالمؤمنين عليه السلام، وهي بكلام أميرالمؤمنين أشبه، وليس يبعد عندي أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام، فإنّ الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره، وقد لقى قطري أكثرهم». وكذلك رواها ابن عبد ربه في العقد الفريد في عنوان خطب الخوارج ونسبها الى قطري تبعاً للجاحظ.

(٢) راقت: أي أعجبت.

(٣) الحبرة: السرور.

(٤) حائلة: متغيّرة.

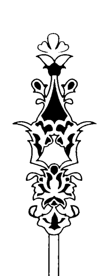
(٥) نافدة: فانية.

(٦) بائدة: منقضية.

(٧) أكّالة: قتالة، غوّالة: مهلكة، والغول: ما غال أي أهلك.

(٨) أي لم يلق بطناً من سرور الدنيا وفرحها، إلّا منحته وأعطته ظهراً من ضرّائها.

(٩) طلّه السحاب: إذا أمطره مطراً قليلاً. الديمة: مطر ليس فيه رعد وبرق وأقلّه ثلث النهار أو الليل.

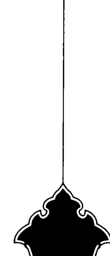


هَتَنَتْ[1] عَلَيهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ! وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى، أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى[2]!

لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً! وَلا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ، إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ[3] خَوْفٍ! غَرَّارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا، لا خَيْرَ في شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ، وَمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ. كُمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ، وَذِي أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلاً! سُلْطَانُهَا دُوَلٌ[4]، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ[5]، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ، وَحُلْوُهَا صَبِرٌ[6]، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ[7]، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ[8]، حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ، وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ، مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا[9] مَنْكُوبٌ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ[10].

أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى آثاراً، وَأَبْعَدَ آمَالاً، وَأَعَدَّ عَدِيداً، وَأَكْثَفَ جُنُوداً! تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ وَلا ظَهْرٍ قَاطِعٍ[11]. فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ

(١) هتنت: مطرت كثيراً.
(٢) أوبى: صار وبياً، من الوباء.
(٣) القوادم: مقاديم جناح الطائر.
(٤) سلطانها دول: أي منتقل.
(٥) الرنق: الكدر.
(٦) الصَبِر: النبات المرّ نفسه، ثم سمّي كل مرّ صبراً.
(٧) السمام: جمع سَمّ.
(٨) أسبابها رمام: أي حبالها بالية.
(٩) موفورها: ذو الوفر والثروة منها.
(١٠) المحروب: المسلوب.
(١١) ظهر قاطع: راحلة تركب لقطع الطريق.



الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ! أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ! أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً! بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْفَوَادِحِ، وَأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ[1]، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ[2]، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ[3]، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا[4]، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الأَبَدِ.

هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ! أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ! أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ! أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ! أَفَهذِهِ تُؤْثِرُونَ؟ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا! فَاعْلَمُوا ـ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ـ بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا، وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وَأُنْزِلُوا [الأَجْدَاثَ] فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ[5]، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لا يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلا يَمْنَعُونَ ضَيْماً[6]، وَلا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً[7]، إِنْ جِيدُوا[8] لَمْ يَفْرَحُوا، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا، جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ، مُتَدَانُونَ لا يَتَزَاوَرُونَ، وَقَرِيبُونَ لا يَتَقَارَبُونَ، حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَجُهَلاءُ قَدْ

---

(١) القوارع: المحن والدواهي.

(٢) عفرتهم للمناخر: ألصقت أنوفهم بالعَفَر، وهو التراب.

(٣) المناسم: جمع منسم وهو خفّ البعير.

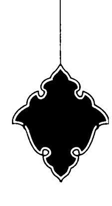
(٤) دان لها: أطاعها.

(٥) الصفيح: الحجارة، والأجنان: جمع جنن ما بقي، وهنا القبر.

(٦) الضيم: الظلم.

(٧) مندبة: الندب على الميت، أي لا يبالون بذلك.

(٨) جيدوا: امطروا.





مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لا يُخْشَى فَجْعُهُمْ[١]، وَلا يُرْجَى دَفْعُهُمْ، اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الأَرْضِ بَطْناً، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً، وَبِالأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاؤُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةً عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.

[١١١] ومن خطبة له عليه السلام
ذكر فيها ملك الموت وتوفيه الأنفس[٢]

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً! أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً! بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ! أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا! أَمِ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا! أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا! كَيْفَ يَصِفُ إِلهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ!

[١١٢] ومن خطبة له عليه السلام[٣]
في ذم الدنيا]

وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ[٤]، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ[٥]، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا، دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلالَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا، لَمْ يُصْفِهَا اللهُ لأَوْلِيَائِهِ،

---

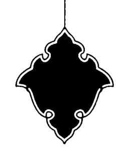
(١) لا يخشى فجعهم: لا تخاف منهم أن يفجعوك بضرر.

(٢) ذكر ابن ميثم البحراني في شرحه أنّ هذا الكلام قطعة من خطبة طويلة في ذكر التوحيد والتنزيه، ممّا يدلّل أنّه اطلّع على تمام الخطبة من غير طريق الشريف الرضي.

(٣) أورد الآمدي في الغرر، والواسطي في عيون الحكم، بعض مقاطعها، وشرح غريبها ابن الأثير في النهاية ٤ : ١٠٢، ٥ : ٢٢.

(٤) منزل قلعة: أي تحوّل وارتحال، وليست بمستوطنة.

(٥) النجعة: طلب الماء والكلاء.



وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ، خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ[١]، وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ. فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ، وَعُمُرٍ يَفْنَى فَنَاءَ الزَّادِ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ!

فَاجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلِبَتِكُمْ، وَاسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ، وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ. إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ اغْتُبِطُوا[٢] بِمَا رُزِقُوا. قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الآمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُم إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللهِ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمائِرِ، فَلَا تَوَازَرُونَ[٣]، وَلا تَنَاصَحُونَ، وَلا تَبَاذَلُونَ، وَلا تَوَادُّونَ.

مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ! وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ! كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ. وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ، إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ، قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الآجِلِ وَحُبِّ الْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً[٤] عَلَى لِسَانِهِ، صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، وَأَحْرَزَ رِضَى سَيِّدِهِ.

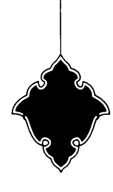
---

(١) عتيد: أي حاضر.

(٢) اغتُبِطوا ـ بالبناء للمجهول ـ: غبطهم غيرهم بما آتاهم الله من الرزق.

(٣) فلا توازرون: أي لا يحمل بعضكم الثقل عن بعض.

(٤) اللعقة: شيء قليل يؤخذ بالملعقة من الإناء.





[١١٣] ومن خطبة له عليه السلام [(١)]

[وفيها مواعظ للناس]

الْحَمْدُ للهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السِّرَاعِ إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ، عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ؛ وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ، وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ، وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ الشَّكَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لَايَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ مِنْهُ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّتي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَاذُ؛ زَادٌ مُبْلِغٌ وَمَعَاذٌ مُنْجِحٌ[(٢)]؛ دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ، فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا، وَفَازَ وَاعِيهَا.

عِبَادَ اللهِ؛ إِنَّ تَقْوَى اللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللهِ مَحَارِمَهُ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ[(٣)]؛ فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ

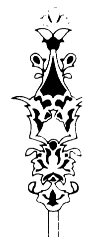
---

(١) رواها باختلاف وزيادة ونقصان كل من ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢١٩ من قوله: إنّما الدنيا دار فناء وعناء ـ الى قوله: أضحى فيئها، وكذلك رواها ابن سلامة (ت ٤٥٤) في دستور معالم الحكم: ٣٣، ورواها الطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ٤٤٣ ح ٩٩٢ عن الحسين بن عبيدالله، عن أبي محمّد هارون ابن موسى التلعكبري، قال: حدّثنا أبو العبّاس ابن عقدة، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ بن إبراهيم العلوي، قال: حدّثنا الحسين بن عليّ الخزاز وهو ابن بنت الياس، قال: حدّثنا ثعلبة بن ميمون، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: إنّما الدنيا فناء وعناء ـ الى قوله: ـ أجله.

(٢) معاذ منجح: أي يصادف عنده النجاح.

(٣) الظمأ: العطش أو شدته، والهواجر جمع الهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر، والمراد صومهم في الأيام الحارة.





بِالنَّصَبِ، وَالرِّيَّ بِالظَّمَإِ، وَاسْتَقْرَبُوا الأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الأَمَلَ فَلاحَظُوا الأَجَلَ.

ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ، وَعَنَاءٍ، وَغِيَرٍ(١)، وَعِبَرٍ؛ فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ(٢)، لا تُخْطِىءُ سِهَامُهُ، وَلا تُؤْسَى(٣) جِرَاحُهُ، يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ، وَالصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ، وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ، آكِلٌ لا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لا يَنْقَعُ(٤). وَمِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لا يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَا لا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللهِ، لا مَالاً حَمَلَ، وَلا بِنَاءً نَقَلَ! وَمِنْ غِيَرِهَا أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً، والْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً، لَيْسَ ذلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَّ(٥)، وَبُؤْساً نَزَلَ.

وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ، فَلَا أَمَلٌ يُدْرَكُ، وَلا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ. فَسُبْحَانَ اللهِ، مَا أَغَرَّ سُرُورَهَا! وَأَظْمَأَ رِيَّهَا! وَأَضْحَى(٦) فَيْئَهَا! لا جَاءٍ يُرَدُّ(٧)، وَلا مَاضٍ يَرْتَدُّ(٨). فَسُبْحَانَ اللهِ، مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ المَيِّتِ لِلِحَاقِهِ بِهِ، وَأَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ! إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الآخِرَةِ

---

(١) الغِيَر: تقلّب الأحوال.

(٢) أوتر القوس: أي جعل لها وتراً وتهيّأ للرمي.

(٣) لا تؤسى: لا تعالج ولا تصلح.

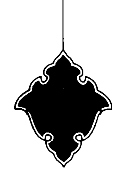
(٤) لا ينقع: لا يروى، يقال: نقعت أي ارويت.

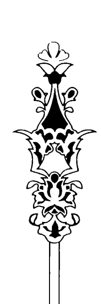
(٥) الزليل والزلول: الذي يمرّ سريعاً.

(٦) ضَحى الشمس: برز لها.

(٧) لا جاء يُرد: أراد به الموت.

(٨) لا ماض يرتد: أراد به الميت.





عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا: فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ! إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ.

قَدْ تُكُفِّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ، فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ وَاللهِ لَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّكُّ، وَدَخَلَ[1] الْيَقِينُ، حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَأَنَّ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ.

فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَخَافُوا بَغْتَةَ الأَجَلِ، فَإِنَّهُ لا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ، مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ، وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ. الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي، فَـ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

[١١٤] ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء[2]

اللَّهُمَّ قَدِ انْصَاحَتْ[3] جِبَالُنَا، وَاغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وَهَامَتْ[4] دَوَابُّنَا،

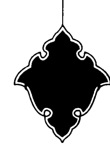
---

(١) دَخلَ اليقين: صار دخيلاً ومعيوباً.

(٢) روى الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في من لا يحضره الفقيه ١: ٥٣٥ ح ١٥٠١، الى قوله عليه السلام: «وأنينها في مرابضها» وكذلك الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في التهذيب ٣: ١٥٤ ح ١١، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ١: ٣٣٧، وابن منظور (ت ٧١١) في لسان العرب ٤: ١٧٥ بقوله عليه السلام: «اللّهمّ انّا خرجنا إليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين».

(٣) انصاحت: تشققت وجفّت.

(٤) هامت: عطشت.



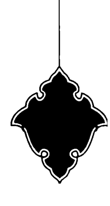
وَتَحَيَّرَتْ في مَرَابِضِهَا[١]، وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلَادِهَا، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ في مَرَاتِعِهَا، وَالْحَنِيْنَ إِلَى مَوَارِدِهَا. اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الآنَّةِ، وَحَنِينَ الْحَانَّةِ!

اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وَأَنِينَهَا في مَوَالِجِهَا[٢]! اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ[٣] عَلَيْنَا حَدَابِيرُ[٤] السِّنِينَ، وَأَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ الْجَودِ[٥]؛ فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ، وَالْبَلَاغَ لِلْمُلْتَمِسِ. نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الأَنَامُ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ[٦]، أَلَّا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلاتَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا، وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ[٧]، وَالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ[٨]، وَالنَّبَاتِ الْمُونِقِ[٩]، سَحّاً وَابِلاً[١٠] تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ.

اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً، تَامَّةً عَامَّةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً مَرِيعَةً[١١]، زَاكِياً[١٢] نَبْتُهَا، ثَامِراً[١٣] فَرْعُهَا، نَاضِراً وَرَقُهَا، تُنْعِشُ بِهَا

---

(١) المرابض: مبارك الغنم.
(٢) الموالج: المداخل.
(٣) اعتكرت: تتابعت وترادفت.
(٤) قال الرضي: الحدابير جمع حدبار، وهي الناقة التي أنضاها السير، فشبّه بها السنة التي فشا فيها الجدب.
(٥) مخائل: جمع مخيلة، سحاب تخال فيها المطر، والجَود ـ بالفتح ويُقرأ بالضمّ أيضاً ـ: المطر الغزير.
(٦) السوام: الأنعام السائمة.
(٧) المنبعق: المتصبب بشدّة.
(٨) المغدق: الكثير الماء.
(٩) المونق: المعجب.
(١٠) سحاً: صباً، والوابل: المطر الشديد.
(١١) المريعة: الخصيبة.
(١٢) زاكياً: ناسياً.
(١٣) ثامراً: مثمراً.





الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُحْيِي بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ! اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا[1]، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا[2]، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَتَنْدَى بِهَا أَقَاصِينَا، وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا[3]، مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ، عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَةِ[4]، وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ.

وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً[5]، مِدْرَاراً هَاطِلَةً، يُدَافِعُ الْوَدْقُ[6] مِنْهَا الْوَدْقَ، وَيَحْفِزُ[7] الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ، غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا[8]، وَلا جَهَامٍ[9] عَارِضُهَا، وَلا قَزَعٍ رَبَابُهَا[10]، وَلا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا[11]، حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا[12] الْمُجْدِبُونَ، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ[13]، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ، وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيْدُ.

تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب:

قوله عليه السلام: «**انْصَاحَتْ جِبَالُنَا**» أي: تَشَقّقَتْ مِنَ المُحُولِ، يُقَالُ: انْصَاحَ

---

(١) النجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٢) الوهاد: جمع وَهْد، ما انخفض من الأرض.

(٣) الضواحي: البراري، أو حوالي البلد، وضاحية كل شيء ناحيته.

(٤) المرملة: الفقيرة.

(٥) مخضلة: مِن أخضل المطر الأرض إذا بلّها بالماء.

(٦) الودق: المطر.

(٧) يحفز: يدفع بشدّة.

(٨) البرق الخلّب: الذي لا غيث فيه كأنّه خادع.

(٩) سحاب جهام: لا ماء فيه.

(١٠) الرباب: السحاب، والقزع ـ كما قال الرضي ـ: القطع الصغار من السحاب.

(١١) الشفان: الريح الباردة، والذهاب: الأمطار اللينة.

(١٢) الإمراع: الإخصاب.

(١٣) المسنتون: المقحطون.



الثّوْبُ: إذَا انْشَقّ، وَيُقَالُ أيْضاً: انْصَاحَ النّبْتُ وَصَاح وَصَوّح: إذَا جَفّ وَيَبِسَ. وَقَوْلُهُ: «**وَهَامَتْ دَوَابّنَا**» أيْ: عَطشَتْ، وَالْهيَامُ: الْعَطَشُ.

وَقَوْلُهُ: «**حَدَابِيرُ السّنِينَ**» جمع حِدبار، وهي: الناقَة التي أنضاها السّيْرُ، فشبّه بها السنة التي فشا فِيهَا الجَدْبُ، قَالَ ذو الرّمّةِ:

حَـدَابِـيـرُ مَـا تَـنْـفَـكُّ إلّا مُـنَـاخَـةً ... عَلَى الْخَسْفِ أوْ نَرْمِي بِهَا بَلَداً قَفْرَا

وَقَوْلُهُ: «**وَلا قَزَعٍ رَبَابُهَا**»، الْقَزَعُ: الْقِطَعُ الصّغَارُ الْمُتَفرّقَهُ مِنَ السَّحَابِ. وَقَوْلُهُ: «**وَلَا شَفّانٍ ذِهَابُهَا**» فَإنّ تَقْديرَهُ: وَلا ذَاتَ شَفّان ذِهَابُهَا. وَالشّفّانُ: الرّيحُ البَارِدَةُ. وَالذِّهَابُ: الأمْطَارُ اللّيّنَةُ، فَحَذَفَ (ذَاتَ) لِعِلْمِ السّامِعِ بِهِ.

[١١٥] ومن خطبة له عليه السلام(١) [وفيها ينصح أصحابه]

أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى الْحَقِّ، وَشَاهِداً عَلَى الْخَلْقِ، فَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ وَلَا مُقَصِّرٍ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلا مُعَذِّرٍ، إِمَامُ مَنِ اتَّقَى، وَبَصَرُ مَنِ اهْتَدَى.

---

(١) روى المقطع الأخير في وصف الحجاج بألفاظ مختلفة كل من: الحربي(ت٢٨٥) في غريب الحديث٢: ٤٥١ بلفظ: «اللّهمّ سلّط عليهم غلام ثقيف ذيّال ميّال به عرنة»، والمسعودي (ت ٣٤٦) في مروج الذهب ٣: ١٤٢ ط.دار الأندلس، وفيه: «اللّهمّ عجل عليهم بالغلام الثقفي الذيّال الميّال يأكل خضرتها ويلبس فروتها...»، والأزهري (ت ٣٧٠) في تهذيب اللغة ٧: ٤٨ (خضر) قال: «وفي حديث عليّ انّه خطب بالكوفة في آخر عمره فقال: اللّهمّ سلّط عليهم فتى ثقيف الديّان المنّان، يلبس فروتها ويأكل خضرتها» والزمخشري (ت ٥٣٨) في الفائق ٣: ٢٥ وقال: «فسلّط عليهم فتى ثقيف الذيال المنان يلبس فروتها ويأكل خضرتها»، وابن عساكر (ت٥٧١) في تاريخ دمشق١٢: ٦٦٩ وفيه: «فسلّط عليهم فتى ثقيف...» وابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٥: ١٧٠ قال: «وفي حديث عليّ: أما والله ليسلطنّ عليكم غلام ثقيف الذيّال الميّال إيه أبا وذحة».





منها

وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ، إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ، تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدِمُونَ[١] عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلتركْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لا حَارِسَ لَهَا وَلا خَالِفَ عَلَيْهَا، وَلَهَمَّتْ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ نَفْسُهُ، لا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا؛ وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ.

وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ، قَوْمٌ واللهِ مَيَامِينُ الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ[٢] الْحِلْمِ، مَقَاوِيلُ[٣] بِالْحَقِّ، مَتَارِيكُ[٤] لِلْبَغْيِ. مَضَوْا قُدُماً[٥] عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَأَوْجَفُوا[٦] عَلَى الْمَحَجَّةِ، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ، وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ[٧].

أَمَا وَاللهِ، لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ[٨] الْمَيَّالُ[٩]، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ، إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ!

قال السيّد: الْوَذَحَةُ: الخُنْفُسَاءُ. وهذا القول يومئ به إلى الحجّاج، وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره.

---

(١) الالتدام: ضرب النساء صدورهنّ في النياحة.

(٢) راجحته فرجحته: كنت أرزن منه.

(٣) مقاويل: جمع مقوال، وهو مبالغة في القول.

(٤) متاريك: جمع متراك، وهو مبالغة في الترك.

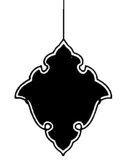
(٥) قُدماً: أي متقدمين غير معرّجين.

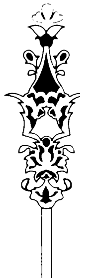
(٦) أوجفوا: أسرعوا.

(٧) الكرامة الباردة: من قولهم عيش بارد أي هنيء.

(٨) الذيّال: التائه، وأصله من ذال أي تبختر.

(٩) الميال: الظالم.





[١١٦] ومن كلام له عليه السلام(١)

[يوبّخ البخلاء بالمال والنفس]

فَلَا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ(٢) بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا، تَكْرُمُونَ بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلا تُكْرِمُونَ اللهَ فِي عِبَادِهِ(٣)! فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ!

[١١٧] ومن كلام له عليه السلام(٤)

في الصالحين من أصحابه]

أَنْتُمُ الأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالإِخْوَانُ في الدِّينِ، وَالْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ، وَالْبِطَانَةُ(٥) دُونَ النَّاسِ، بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ، فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ؛ فَوَ اللهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ!



[١١٨] ومن كلام له عليه السلام(٦)

وقد جمع الناس وحضّهم على الجهاد، فسكتوا ملياً، فقال عليه السلام:

---

(١) روى قريب منه الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٧٦، ونحوه أيضاً ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٣٨، لكن نسبه الى الإمام الحسين عليه السلام وقال عقيبه: «ويُروى عن أميرالمؤمنين عليه السلام».

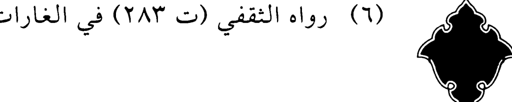
(٢) خاطرتم: من المخاطرة، وهي ارتكاب ما فيه خطر وهلاك.

(٣) معناه: انّكم تطلبون من عباد الله أن يكرموكم ويطيعوكم لأجل الله، وانتمائكم الى طاعته، ثم انّكم لاتكرمون الله ولا تطيعونه في نفع عباده والإحسان إليهم.

(٤) رواه باختلاف ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٦٥، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٥٨، وقال ابن أبي الحديد في شرحه ٧: ٢٨٤ «واعلم أنّ هذا الكلام قاله أميرالمؤمنين عليه السلام للأنصار بعد فراغه من حرب الجمل، وقد ذكره المدائني والواقدي في كتابيهما».

(٥) بطانة الرجل: خواصه وخاصته.

(٦) رواه الثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ٢: ٦٢٥، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في=





مَا بَالُكُمْ! أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ! فقال قوم منهم: يا أميرالمؤمنين، إن سرتَ سرنا معك.

فقال عليه السلام: **مَا بَالُكُمْ! لا سُدِّدْتُم لِرُشْدٍ! وَلا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ! أَفِي مِثْلِ هذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ! إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ، وَلا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ، وَالْمِصْرَ، وَبَيْتَ الْمَالِ، وَجِبَايَةَ الأَرْضِ، وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالنَّظَرَ في حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى، أَتَقَلْقَلُ(١) تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ(٢) الْفَارِغِ، وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَا، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ(٣) مَدَارُهَا، وَاضْطَرَبَ ثِفَالُهَا(٤)، هذَا لَعَمْرُ اللهِ الرَّأْيُ السَّوْءُ.**

وَاللهِ لَوْلَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ ـ وَلَوْ قَدْ حُمَّ(٥) لِي لِقَاؤُهُ ـ لَقَرَّبْتُ رِكَابِي(٦) ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ، فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ.

[طَعَّانِينَ عَيَّابِينَ، حَيَّادِينَ رَوَّاغِينَ. إِنَّهُ لا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتِماعِ قُلُوبِكُمْ. لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ، مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ!].

= النهاية ١: ٢١ بقوله عليه السلام: «استحار مدارها واضطرب ثفالها»، وذكر ابن أبي الحديد في شرحه ٧: ٢٨٧ انّه عليه السلام قال هذا الكلام في بعض غارات أهل الشام على أطراف أعماله بالعراق بعد انقضاء أمر صفّين والنهروان.

(١) التقلقل: الحركة في اضطراب.

(٢) القِدْح: السهم، والجفير: الكنانة، وقيل: وعاء للسهام أوسع من الكنانة.

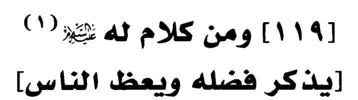
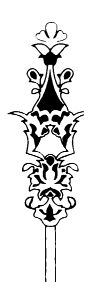
(٣) استحار: اضطرب، تردّد.

(٤) الثفال: الحجر الأسفل من الرحى، وقيل: جلد يبسط وتوضع الرحى فوقه ليسقط عليه الدقيق عند الطحن.

(٥) حُمّ: قُدّر.

(٦) الركاب: الإبل التي يُسار عليها.



[١١٩] ومن كلام له عليه السلام (١)

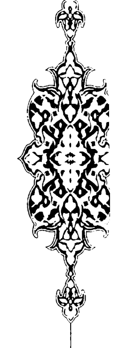
[يذكر فضله ويعظ الناس]

تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاَتِ(٢)، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ(٣)، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ(٤). وَعِنْدَنَا ـ أَهْلَ الْبَيْتِ ـ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الأَمْرِ.

أَلاَ وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ(٥)، مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ.

اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، وَمَنْ لا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ(٦) عَنْهُ أَعْجَزُ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ. وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ.

أَلاَ وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لا يَحْمَدُهُ.



---

(١) أورد الواسطي (ق ٦) في عيون الحكم، والآمدي (ت ٥١٠) في غرر الحكم، بعض مقاطعه.

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرحه ٧: ٢٨٨ «فتبليغ الرسالات تبليغ الشرائع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله الى المكلفين، وفيه إشارة الى قوله تعالى: «يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلّا الله» [الأحزاب: ٣٩] والى قول النبيّ صلى الله عليه وآله في قصة براءة: «لا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو رجل منّي».

(٣) العِدات: جمع عدة وهي الوعد، وقال ابن أبي الحديد في شرحه ٧: ٢٨٩ «وإتمام العِدات: انجازها، وفيه إشارة الى قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] والى قول النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّه عليه السلام: «قاضي ديني ومنجز موعدي».

(٤) تمام الكلمات: تأويل القرآن. قال ابن أبي الحديد في شرحه ٧: ٢٨٩ «وفيه إشارة الى قوله تعالى: «وتمت كلمة ربّك صدقاً وعدلا» والى قول النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّه عليه السلام: «اللّهمّ اهد قلبه وثبت لسانه».

(٥) قاصدة: قريبة سهلة.

(٦) العازب: البعيد والخفي.





[١٢٠] ومن كلام له عليه السلام (١)
[بعد ليلة الهرير]

وقد قام رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا بها، فما ندري أيَّ الأمرين أَرشد؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثمّ قال:

هذا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ(٢)! أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِما أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الْوُثْقَى، وَلكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائي، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا(٣)!

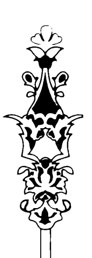
---

(١) رواه باختلاف ابن عبد ربه (ت ٣٢٨) في العقد الفريد ٤ : ٧٣ كتاب الخطب، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الاختصاص: ١٥٥، والطبرسي (ت ٥٦٠) في الاحتجاج ١ : ٢٧٣، الى قوله عليه السلام: «بأشطان الركى» واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٤ : ٣٢٢ بقوله عليه السلام: «خمص البطون من الصيام، مره العيون من البكاء».

(٢) العقدة: الرأي الوثيق، ومعناه انّ هذه الحيرة التي أصابتكم إنّما هي جزاء ترككم الرأي الوثيق الذي أمرتكم به من عدم الاصغاء الى خدعة معاوية في رفع المصاحف واللجوء الى التحكيم، وكما قال عليه السلام في الخطبة الخامسة والثلاثين: «وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأيي، لو كان يُطاع لقصير أمر، فأبيتم عليَّ اباء المخالفين الجفاة، والمنابذين العصاة». لكنهم عصوه وأجبروه على التحكيم، ولمّا تم التحكيم والمعاهدة أرادوا نقضه، فنهاهم عليه السلام عن ذلك لوجوب الوفاء بالعقود والعهود. وليس الأمر كما ظنه ابن أبي الحديد في شرحه٧ : ٢٩٢ من نسبة ترك العقدة الى أميرالمؤمنين عليه السلام، لأنّه عليه السلام كان عالماً بما يؤول إليه الأمر ونصحهم كثيراً، وقال لهم: «هذا أمر ظاهره إيمان وباطنه عدوان، وأوّله رحمة وآخره ندامة، فأقيموا على شأنكم، والزموا طريقتكم، وعضوا على الجهاد بنواجذكم» ولكن لا رأي لمن لا يطاع، فعصوه وأجبروه على التحكيم ثم ندموا وأرادوا منه نقض العهد، فأبى عليه السلام وامتنع عن ذلك لحرمة نقض العهد أوّلاً، وثانياً انّه عليه السلام رضي بالتحكيم للحفاظ على وحدة الصف أمام العدو، ولكن الآن وقد تمزّقت الصفوف وتم الأمر فلا داعي للإصغاء الى قولهم.

(٣) النقش: اخراج الشوكة من الجسم، والضلع: الميل، وهذا مثل يضرب ومعناه: لا =





اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ(١)، وَكَلَّتِ النَّزَعَةُ(٢) بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ(٣)! أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهِيجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ(٤) أَوْلَادَهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً وَصَفّاً صَفّاً، بَعْضٌ هَلَكَ، وَبَعْضٌ نَجَا.

لَايُبَشَّرُونَ بِالأَحْيَاءِ، وَلا يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتَى، مُرْهُ الْعُيُونِ(٥) مِنَ الْبُكَاءِ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ، أُولئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ، فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَّ الأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ!

إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي(٦) لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ؛ فَأَصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ(٧) وَنَفَثَاتِهِ، وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَاعْقِلوهَا(٨) عَلَى أَنْفُسِكُمْ.



[١٢١] ومن كلام له عليه السلام

قاله للخوارج، وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة، فقال عليه السلام:

= تستخرج الشوكة من جسمك بشوكة مثلها، فكما انّ الأُولى نشبت في جسمك فكذلك الثانية.

(١) الدوي: الشديد.

(٢) كلّت: أعيت، والنزعة: جمع نازع من نزع الدلو من البئر.

(٣) الأشطان: جمع شطن وهو الحبل، والركي: جمع ركية أي البئر.

(٤) الوله: شدة الشوق، واللقاح: الناقة الحلوب.

(٥) مرهت العين: إذا فسدت بترك الكحل، وهنا جعل عليه السلام مره عيونهم من خوف الله تعالى.

(٦) يسني: يسهّل.

(٧) صدف عن الأمر: انصرف عنه، ونزغات الشيطان: اغراءاته.

(٨) اعقلوها: احبسوها والزموها.



أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ؟ فَقَالُوا: **مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ. قَالَ: فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً، حَتَّى أُكَلِّمَ كُلّاً مِنْكُمْ بِكَلَامِهِ. وَنَادَى النَّاسَ، فَقَالَ: أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا.**

ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عليه السلام بِكَلَامٍ طَوِيلٍ، مِنْ جُمْلَتِهِ أَنْ قَالَ: **أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ - حِيلَةً وَغِيلَةً وَمَكْراً وَخَدِيعَةً -: إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا، اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ[1] عَنْهُمْ! فَقُلْتُ لَكُمْ: هذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ، فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ، وَلا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ، إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ[2] [وَقَدْ كَانَتْ هذِهِ الْفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا، وَاللهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا وَلا حَمَّلَنِي اللهُ ذَنْبَهَا، وَوَاللهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ، وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي، مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ]. فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ بَيْنَ الآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ وَالإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَاناً، وَمُضِيّاً عَلَى الْحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِلأَمْرِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ.**

وَلكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الإِسْلَامِ[3] عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ

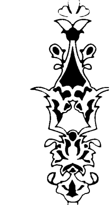
---

(١) التنفيس: التفريج.

(٢) وردت هذه الزيادة في بعض الشروح المطبوعة: «وَقَدْ كَانَتْ هذِهِ الْفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا، وَاللهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا وَلا حَمَّلَنِي اللهُ ذَنْبَهَا، وَوَاللهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ، وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي، مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ».

(٣) قال المحقق الخوئي في منهاج البراعة ٨: ١٢٨ «وإطلاق المسلم عليهم لاقرارهم =





الزَّيْغِ وَالاعْوِجَاجِ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ، فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللهُ بِهَا شَعَثَنَا، وَنَتَدَانَى بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

[١٢٢] ومن كلام له عليه السلام

قاله لأصحابه في ساعة الحرب[(١)]

وَأَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً، فَلْيَذْبُبْ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ. إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ[(٢)] لا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ، وَلا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ. إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ! وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ، لأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ.

= ظاهراً بشهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن كانوا محكومين بكفرهم لبغيهم على الإمام المفترض الطاعة».

وذهب ابن أبي الحديد في شرحه ٧: ٢٩٩ الى أنّ «أميرالمؤمنين عليه السلام لم يقصد بذلك إلّا تمييزهم من كفار العرب وغيرهم من أهل الشرك، ولم يقصد مدحهم بذلك، فلم ينكر مع هذا القصد إطلاق لفظ المسلمين عليهم». أمّا المحقق التستري في بهج الصباغة ١: ٣٧٩ فقد ذهب الى انّ هذا المقطع من الكلام حُرّف عن موضعه، وانّه ادامة لمقولة الخوارج في بداية الخطبة: «اخواننا وأهل دعوتنا استقالونا...» فهو كلام الخوارج حكاه الإمام عن لسانهم.

(١) رواه المفيد (ت ٤١٣) في الجمل ١٧٩، وكذلك في: ١٩١ عن الواقدي عن عبدالله بن عمر عن عليّ عليه السلام بتقديم وتأخير، وفي الإرشاد ١: ٢٥٣ روى صدره فقط، وروى ذيله اليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٩، وابن عبد ربه (ت ٣٢٨) في العقد الفريد ٤: ٣١١ العسجدة الثانية، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٥: ٥٤ ح ٤، والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ١٦٩ ح ٢٨٤، والخوارزمي (ت ٥٦٨) في المناقب: ١٨٥ ح ٢٢٣.

(٢) حثيث: سريع في السير.





[١٢٣] ومن كلام له عليه السلام[١]

وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ[٢]، لا تَأْخُذُونَ حَقّاً، وَلا تَمْنَعُونَ ضَيْماً. قَدْ خُلِّيتُمْ وَالطَّرِيقَ، فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ، وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ[٣].

[١٢٤] ومن كلام له عليه السلام

في حضّ أصحابه على القتال[٤]

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ[٥]، وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ[٦]، وَعَضُّوا عَلَى الأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَالْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ[٧] لِلأَسِنَّةِ، وَغُضُّوا الأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ، وَأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ.

وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلا تُخَلُّوهَا، وَلا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَالمَانِعِينَ الذِّمَارَ[٨] . . . .

---

(١) رواه باختلاف ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١ : ١٧٢، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ٢ : ٥١٢، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١ : ٢٧٥، وابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٤ : ١٧٦ (كشش).

(٢) كشيش الضباب: صوت احتكاك جلودها عند ازدحامها، والضب: دابة برية على حدّ فرخ التمساح الصغير.

(٣) الضيم: الذلة. التلوّم: الانتظار والتمكّث.

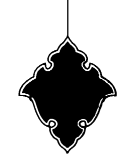
(٤) رواه باختلاف المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفّين: ٢٣٥، ٥٢٠، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤ : ١١، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٥ : ٣٩ ح ٤ عن مالك بن أعين، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١ : ٢٦٦، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٥ : ٢٧ بقوله عليه السلام : «حتى تدعق الخيول في نواخر أرضهم».

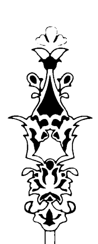
(٥) الدارع: لابس الدرع.

(٦) الحاسر: الذي لا درع عليه ولا مغفر.

(٧) المور: التحريك والاضطراب.

(٨) الذمار: ما وراء الرجل ممّا يحق عليه أن يحميه، وسمّى ذماراً لأنّه يجب على أهله التذمر له، أي الغضب.





مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ(١) هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَهَا حِفَافَيْهَا(٢)، وَوَرَاءَهَا، وَأَمَامَهَا، لا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا.

أَجْزَأَ امْرُؤٌ قِرْنَهُ، وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ. وَأَيْمُ اللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ، لا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الآخِرَةِ، أَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ، وَالسَّنَامُ الأَعْظَمُ(٣)، إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللهِ، وَالذُّلَّ اللَّازِمَ، وَالْعَارَ الْبَاقِيَ، وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ، وَلا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ.

مَنْ رائِحُ إِلَى اللهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ!

الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي(٤)!

الْيَوْمَ تُبْلَى الأَخْبَارُ(٥)!

وَاللهِ لأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ. اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَأَبْسِلْهُمْ(٦) بِخَطَايَاهُمْ.

إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ(٧) يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ(٨)،

---

(١) الحقائق: جمع حاقة، وهي الأمر الصعب الشديد.

(٢) حفافيها: جانباها.

(٣) السنام الأعظم: يريد شرفهم وعلوّ أنسابهم، لأنّ السنام أعلى أعضاء البعير.

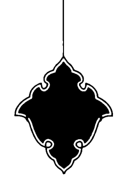
(٤) العوالي: الرماح والسنان.

(٥) تبلى الأخبار: أي تمتحن أخبار كل امرىء عمّا في قلبه من دعوى الشجاعة والصدق في الإيمان.

(٦) أبسلهم: أسلمهم للهلكة.

(٧) طعن دراك: متتابع.

(٨) النسيم: امّا جمع نسيمة بمعنى النفس، وامّا بمعنى أن يكون الضرب بحيث يفتح في أبدانهم فرجاً يمرّ منها النسيم.





وَضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ، وَيُطِيحُ العِظَامَ، وَيُنْدِرُ[1] السَّوَاعِدَ وَالأَقْدَامَ، وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالمَنَاسِرِ[2] تَتْبَعُهَا الْمَنَاسِرُ، وَيُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ، تَقْفُوهَا الْحَلَائِبُ[3] حَتَّى يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ[4] يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ، وَحَتَّى تَدْعَقَ الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ، وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ[5].

قال الشريف: الدّعْقُ: الدَّقُّ، أي: تَدُقُّ الخُيُولُ بِحَوَافِرِهَا أرْضَهُمْ. نَوَاحِرُ أَرْضِهِمْ: مُتَقَابِلَاتُهَا، يُقَالُ: مَنَازِلُ بَنِي فُلان تتَنَاحَرُ، أيْ: تَتَقَابَلُ.

[١٢٥] ومن كلام له عليه السلام في معنى الخوارج[6]

لمّا أنكروا تحكيم الرجال ويذمّ فيه أصحابه، قال عليه السلام:

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ. وهذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلَابُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ؛ وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ.

---

(١) يُندر: يُسقط.

(٢) المناسر: جمع منسر قطعة من الجيش تكون أمام الجيش الأعظم.

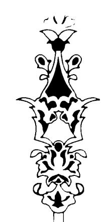
(٣) رجل محلب: أي ناصر، وحالبت الرجل: إذا نصرته.

(٤) الخميس: الجيش.

(٥) المسارب والمسارح: جمع المسربة والمسرح وهو المرعى.

(٦) روى صدره الى قوله عليه السلام: «ينطق عنه الرجال» كل من الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٩٩، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٤٨، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٧١، أمّا قوله عليه السلام: «انّ أفضل الناس...وزاده» فقد ورد عنه عليه السلام في كلام أرسله الى عمرو بن العاص، كما رواه المنقري(ت٢١٢) في وقعة صفّين: ٥٤٢ والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه٤: ٥٠، وأمّا قوله: «استعدوا للمسير... نار الحرب» رواه باختلاف الثقفي(ت٢٨٣) في الغارات ١: ٣٤، والطبري(ت٣١٠) في تاريخه ٤: ٦٧. واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٤: ١٧٨ بقوله عليه السلام: «لعلّ الله يصلح أمر هذه الأمة ولا يؤخذ بأكظامها».





وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ اللهِ، وقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، فَرَدُّهُ إِلَى اللهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ؛ فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللهِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ حُكِمَ بسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ فَنَحْنُ [أَحَقُّ النَّاسِ وَ] أَوْلَاهُمْ بِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي التَّحْكِيمِ؟ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هذِهِ الأُمَّةِ، وَلا تُؤْخَذُ بِأَكْظَامِهَا[١]، فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ، وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ.

إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ - وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ[٢] - مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ! وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ! اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لا يُبْصِرُونَهُ، وَمُوزَعِينَ[٣] بِالْجَوْرِ لا يَعْدِلُونَ بِهِ، جُفَاةٍ عَنِ الْكِتَابِ، نُكُبٍ[٤] عَنِ الطَّرِيقِ.

مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ[٥] يُعْلَقُ بِهَا، وَلا زَوَافِرَ[٦] [عِزٍّ] يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا، لَبِئْسَ حُشَّاشُ[٧] نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ! أُفٍّ لَكُمْ! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً[٨]، يَوْماً

---

(١) أخذت بكظمه: بمخرج نفسه.

(٢) كرثني هذا الأمر كرثاً: إذا ثقل عليك.

(٣) موزعين: مولهين، أوزعه: أغراه.

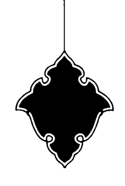
(٤) نكُب: جمع ناكب، العادل عن الطريق.

(٥) ما أنتم بوثيقة: أي لستم عروة وثيقة يستمسك بها.

(٦) الزوافر: العشيرة والأنصار.

(٧) حُشاش النار: ما تُحش به أي توقد.

(٨) بَرحاً: شدة.





أُنَادِيكُمْ وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ، فَلَا أَحْرارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَلا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ!

[١٢٦] ومن كلام له عليه السلام

لما عوتب على تصييره الناس أسوة في العطاء من غير تفضيل إلى السابقات والشرف(١)، قال:

أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ ! وَاللهِ لا أَطُورُ بِهِ(٢) مَا سَمَرَ سَمِيرٌ(٣)، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً! لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ.

ثمّ قال عليه السلام: **أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ، وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ وَأَلأَمُ خَدِينٍ!**

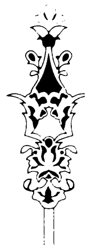
---

(١) رواه باختلاف يسير ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٧٤، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ٧٥ قال: «حدّثنا محمّد، قال: حدّثنا الحسن، قال: حدّثنا إبراهيم، قال: حدّثني محمّد بن عبدالله بن عثمان، قال: حدّثني عليّ بن أبي سيف، عن أبي حباب، عن ربيعة وعمارة»، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٤: ٣١ ح ٣ قال: «عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن محمد بن علي، عن أحمد بن عمرو بن سليمان البجلي، عن إسماعيل بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار، عن إبراهيم بن إسحاق المدائني، عن رجل، عن أبي مخنف الأزدي»، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٨٥، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الأمالي: ١٧٤ ح ٦ بسند الثقفي، والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ١٩٤ ح ٣٣ بسند الثقفي، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٢: ٤٠٠ بقوله عليه السلام: «لا أطور به ما سمر سمير».

(٢) أطور به: أقر به.

(٣) سمير: اسم للدهر، أي ما بقي الدهر.

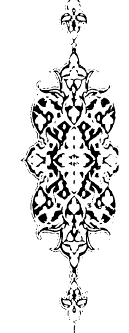




[١٢٧] ومن كلام له عليه السلام للخوارج أيضاً[(١)]

فَإنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلونُ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بِضَلَالِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبي! سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ البَراءَةِ وَالسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله رَجَمَ الزَّانِيَ [الْمُحْصَنَ] ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ، وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ؛ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ اللهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الإِسْلَامِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ. ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ[(٢)]!



وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ، وَالْزَمُوا السَّوَادَ الأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ! فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّةَ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ.

أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هذَا الشِّعَارِ[(٣)] فَاقْتُلُوهُ؛ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هذِهِ،

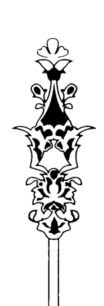
---

(١) روى الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٦٣ قوله: «فأجمع رأي ملئكم... وجور حكمهما». وروى المسعودي (ت ٣٤٦) في مروج الذهب ٢: ٤١٣ قوله عليه السلام: «من دعا الى هذه الحكومة فاقتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامتي هذه». واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) بقوله عليه السلام: «لم آت لا أبا لكم بجراً».

(٢) ضرب به تِيهَهُ: أي حيّره وجعله تائهاً.

(٣) قيل: مفارقة الجماعة والاستبداد بالرأي، وقيل: يعني شعار الخوارج حيث كانوا يحلقون وسط رؤوسهم ويبقون الشعر وسطه مستديراً حوله كالاكليل، وقيل: شعارهم قول: «لا حكم إلّا لله».





فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ الاجْتِماعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الافْتِرَاقُ عَنْهُ، فَإِنْ جَرَّنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمُ اتَّبَعْنَاهُم، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا.

فَلَمْ آتِ - لَا أَبَا لَكُمْ - بُجْراً[١]، وَلا خَتَلْتُكُمْ[٢] عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلا لَبَّسْتُهُ[٣] عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلّا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا - فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ، وَالصَّمْدِ لِلْحَقِّ - سُوءَ رَأْيِهِمَا، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا.

[١٢٨] ومن كلام له عليه السلام

وهو ممّا كان يخبر به عن الملاحم بالبصرة

يَا أَحْنَفُ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلا لَجَبٌ[٤]، وَلَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ[٥]، وَلا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ[٦]، يُثِيرُونَ الأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ.

يومئ بذلك عليه السلام إلى صاحب الزّنج. ثمّ قال عليه السلام:

وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ[٧] الْعَامِرَةِ، وَدُورِكُمُ الْمُزَخْرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ[٨] كَأَجْنِحَةِ

---

(١) البجر: الشر والأمر العظيم.

(٢) لا ختلتكم: لا خدعتكم.

(٣) التلبيس: خلط الأمر وتشبيهه حتى لا يعرف وجه الحقّ فيه.

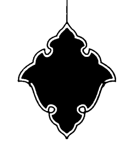
(٤) اللجب: الصوت.

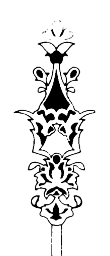
(٥) اللجم: جمع لجام، وقعقعتها: ما يسمع من صوت اضطرابها بين أسنان الخيل.

(٦) حمحمة الخيل: صوت نفسه.

(٧) سكك: جمع سكة، الطريق المستوي.

(٨) أجنحة الدور: رواشنها.





النُّسُورِ، وَخَرَاطِيمُ[١] كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ، مِنْ أُولئِكَ الَّذِينَ لا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ. أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا.

ومنه: ويومئ به إلى وصف الأتراك[٢]

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ[٣] الْمُطَرَّقَةُ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ[٤] وَالدِّيبَاجَ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ[٥]، وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ[٦]، حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ، وَيَكُونَ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ.

فقال له بعض أصحابه: لقد أَعطيت يا أميرالمؤمنين علم الغيب! فضحك عليه السلام، وقال للرجل ـ وكان كلبياً ـ :

يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ، وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾... الآية، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً، أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً؛ فَهذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ،

---

(١) الخراطيم: الميازيب تطلى بالقار.

(٢) قال المحقق التستري في بهج الصباغة ٥: ٥٤٠ «جميع ما مضى ويأتي من إخباره عليه السلام عن المستقبل يمكن لمشكك أن يشكك فيها ببعض الشبهات؛ بأنّا لم نجده في غير النهج في كتاب كان مقدّماً على وقوعه، وأمّا هذا فلا مجال للتشكيك فيه، ففرغ الرضي من النهج في (٤٠٠) وتوفي في سنة (٤٠٦)، وكان أوّل واقعة التتار في سنة (٦١٧)...».

(٣) المجان: الترس.

(٤) السرق: الحرير.

(٥) يعتقبون: يركبون واحدة عقيب الاُخرى، والخيل العتاق: كرائمها.

(٦) استحرار قتل: شدته.





وَمَا سِوَى ذلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ(١) عَلَيْهِ جَوَانِحِي(٢).

[١٢٩] ومن خطبة له عليه السلام في ذكر المكاييل والموازين

عِبَادَ اللهِ، إِنَّكُمْ ـ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هذِهِ الدُّنْيَا ـ أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ(٣)، وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ(٤): أَجَلٌ مَنْقُوصٌ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ، فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيِّعٌ، وَرُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٍ. قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً، وَالشَّرُّ إِلَّا إِقْبَالاً، وَالشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعاً، فَهذا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ.

اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً، أَوْ بَخِيلاً اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللهِ وَفْراً، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً!

أَيْنَ خِيارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ! وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ! وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ، والْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ! أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَالْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ، وَهَلْ خُلِّفْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ لا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ

---

(١) تضطمّ: من الضمّ، أي تنضمّ عليه جوانحي.

(٢) وكلامه عليه السلام هذا ينفي ما تمسك به الطاعنون على نهج البلاغة من حيث اشتمالها على الإخبار بالمغيبات، وإنّ علم الغيب مختص بالله سبحانه، فإنّه عليه السلام ذكر في مقام رد هذه الشبهة انّ هذا تعلّم من ذي علم، والذي قال فيه تعالى: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلّا من ارتضى من رسول فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً» [الجن: ٢٦ ـ ٢٧]. وجميع ماذكره عليه السلام من الإخبار بالمغيبات فمن هذا القبيل.

(٣) أثوياء: جمع ثوي، وهو الضعيف، ومؤجلون: مؤخرون الى أجل.

(٤) مدينون: مقرضون، ومقتضون: جمع مقتضى أي مطالب بأداء الدين.



الشَّفَتَانِ، اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ؟ فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ، وَلا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ. أَفَبِهذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ؟ هَيْهَاتَ! لا يُخْدَعُ اللهُ عَنْ جَنَّتِهِ، وَلا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ. لَعَنَ اللهُ الآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ المُنكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ.

[١٣٠] ومن كلام له عليه السلام لأبي ذر رحمه الله لما أُخْرِجَ إلى الربذة(١)

يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ للهِ، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ، إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ مِنهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ؛ فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ! وَسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً، وَالأَكْثَرُ حُسَّداً. وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً، ثُمَّ اتَّقَى اللهَ، لَجَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً، لا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا الْحَقُّ، وَلا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لأَحَبُّوكَ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا(٢) لأَمَّنُوكَ.

[١٣١] ومن كلام له عليه السلام(٣)

[وفيه يبيّن سبب طلبه الحكم ويصف الإمام الحقّ]

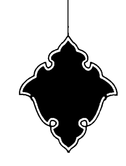
أَيَّتُهَا النُّفُوسُ المُخْتَلِفَةُ، وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، وَالْغَائِبَةُ

---

(١) رواه باختلاف الجوهري (٣٢٢) في السقيفة عن عبدالرزاق، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس [كما في شرح النهج لابن أبي الحديد ٨: ٢٥٢ ـ ٢٥٣]، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٢٠٧ عن سهل، عن محمّد بن الحسن، عن محمّد بن حفص التميمي، قال: حدّثني أبو جعفر الخثعمي قال: لما سيّر عثمان....

(٢) قرضت منها: قطعت وأخذت قرضاً.

(٣) روى الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٧٧ قوله عليه السلام: «اللّهمّ إنّك تعلم... المظلوم من عبادك»، وروى القاضي النعمان (ت ٣٦٣) في دعائم الإسلام=





عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، أَظْأَرُكُمْ[1] عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الأَسَدِ! هَيْهَاتَ أَنْ أُطْلِعَ بِكُمْ سَرَارَ[2] الْعَدْلِ، أَوْ أُقِيمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ.

اللَّهُمْ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنابَ، وَسَمِعَ وَأَجابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِالصَّلَاةِ. وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالمَغَانِمِ وَالأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ[3]، وَلا الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلا الجَائِفُ لِلدُّوَلِ[4] فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، وَلا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ المَقَاطِعِ[5]، وَلا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ.

[١٣٢] ومن خطبة له عليه السلام[6]

[يعظ فيها ويزهّد في الدنيا]

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى، . . . .

= ٢: ٥٣١ ح ١٨٨٦ قوله: «لا ينبغي أن يكون على المسلمين... فيهلك الأمّة»، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٣: ١٥٤ بقوله عليه السلام: «أظأركم على الحقّ وأنتم تفرون منه».

(١) أظأركم: أعطفكم.

(٢) السرار: آخر ليلة في الشهر.

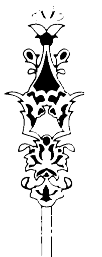
(٣) النهمة: افراط الشهوة والمبالغة في الحرص.

(٤) الجائف: قد يكون من أجيفوا الأبواب أي أغلقوها، والدول ـ جمع دولة بالضمّ ـ: المال، والمعنى: المغلق للأموال.

(٥) المقاطع: جمع مقطع، أي الحدود التي عيّنها الله تعالى.

(٦) استشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٥: ٢١٠ بقوله عليه السلام: «كونوا منها على أوفاز».





وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى[١]، الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ، الْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ. وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ، شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإِعْلَانَ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ.

منها: [في عظة الناس]

فَإِنَّهُ وَاللهِ الْجِدُّ لا اللَّعِبُ، وَالْحَقُّ لا الْكَذِبُ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ[٢]، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ، فَلَا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَحَذِرَ الإِقْلَالَ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ ـ طُولَ أَمَلٍ وَاسْتِبْعَادَ أَجَلٍ ـ كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ، مَحْمُولاً عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ، حَمْلاً عَلَى الْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكاً بِالأَنَامِلِ.



أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً، وَيَبْنُونَ مَشِيداً، وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً! أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً، وَمَا جَمَعُوا بُوراً، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ! فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ[٣]، وَفَازَ عَمَلُهُ.

فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا[٤]، وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ

---

(١) أبلى: أعطى، وابتلى: أصاب بالبلاء.

(٢) الموت أسمع داعيه: أي انّ الداعي الى الموت قد أسمع بصوته كل حيّ، فلا حيّ إلّا وهو يعلم انّه يموت.

(٣) برز الرجل على أقرانه: أي فاقهم، والمَهَل: التقدّم في الخير، أي فاق تقدمه الى الخير على تقدم غيره.

(٤) اهتبلوا هبلها: اغتنموا غنيمتها.



مُقَام، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ؛ فَكُونُوا مِنْهَا عَلى أَوْفَازٍ[1]، وَقَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ[2].

[١٣٣] ومن خطبة له عليه السلام

[يعظّم الله سبحانه ويذكر القرآن والنبيّ ويعظ الناس]

وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرضونَ مَقَالِيدَهَا، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ الأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا[3] النِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ، وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَةُ.

منها: [في القرآن]

وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، نَاطِقٌ لا يَعْيَا لِسَانُهُ، وَبَيْتٌ لا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ.

منها: [في رسول الله صلى الله عليه وآله]

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازُعٍ مِنَ الأَلْسُنِ، فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ.

منها: [في الدنيا]

وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الأَعْمَى، لا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً، وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا، فَالبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ، وَالأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ، وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، وَالأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ.

منها: [في عظة الناس]

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ، إِلَّا الْحَيَاةَ

(١) الأوفاز: جمع وَفْز، العجلة.

(٢) الظهور: المراكب، والزّيال: المفارقة.

(٣) قدحت: اشتعلت، والقضبان: الأغصان.



فَإِنَّهُ لا يَجِدُ لَهُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً، وَإِنَّمَا ذلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلأُذُنِ الصَّمَّاءِ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ، وَفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ. كِتَابُ اللهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلى بَعْضٍ، وَلا يَخْتَلِفُ فِي اللهِ، وَلا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللهِ.

قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ[١]، وَتَصَافَيْتُمْ عَلى حُبِّ الآمَالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الأَمْوَالِ، لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكُمُ[٢] الْخَبِيثُ، وَتَاهَ بِكُمُ الْغُرُورُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ.

[١٣٤] ومن كلام له عليه السلام

وقد شاوره عمر بن الخطّاب في الخروج إلى غزو الروم[٣]

وَقَدْ تَوَكَّلَ اللهُ لِأَهْلِ هَذا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ، وَسَترِ الْعَوْرَةِ، وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لا يَنْتَصِرُونَ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لا يَمتَنِعُونَ، حَيٌّ لا يَمُوتُ.

إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ، فَتَلْقَهُمْ بِشَخْصِكَ فَتُنْكَبْ، لا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ[٤] دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ، وَلَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ،

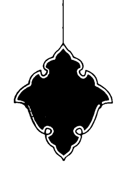
---

(١) دمنكم: جمع دِمنة، وهي الحقد.

(٢) استهام بكم: جعلكم هائمين متحيرين.

(٣) استشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٤: ٢٠٥ بقوله عليه السلام: «لا تكن للمسلمين كانفة». وليس في كلامه عليه السلام هذا أكثر من إدلاء النصيحة والمشورة الصادقة دفاعاً عن الإسلام، إذ كانت الأمور بيد الخليفة الثاني وهو الواجهة، فلما استشار أميرالمؤمنين عليه السلام للخروج نصحه بعدم الذهاب وإرسال ذوي الخبرة مكانه، ولو كان أي شخص آخر استشاره عليه السلام لكان الجواب الجواب.

(٤) كانفة: عاصمة يلجأون إليها من كنفه إذا صانه وستره.





فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلاً مِحْرَباً[1]، وَاحْفِزْ[2] مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ، فَإِنْ أَظْهَرَ اللهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، كُنْتَ رِدْءاً[3] لِلنَّاسِ، وَمَثَابَةً[4] لِلْمُسْلِمِينَ.

[١٣٥] ومن كلام له عليه السلام[5]

وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان، فقال المغيرة بن الأخنَس لعثمان: أنا أكفيكَه، فقال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه للمغيرة:

يَابْنَ اللَّعِينِ الأَبْتَرِ[6]، وَالشَّجَرَةِ الَّتي لا أَصْلَ لَهَا وَلا فَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِينِي، فَوَاللهِ مَا أَعَزَّ اللهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ، اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللهُ نَوَاكَ[7]، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَك، فَلَا أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ.

[١٣٦] ومن كلام له عليه السلام[8] [في أمر البيعة]

لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً، إِنِّي أُرِيدُكُمْ للهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ.

---

(١) رجل محرب: أي صاحب حروب.

(٢) احفز: سُقْ.

(٣) الردء: الملجأ.

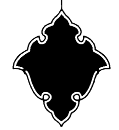
(٤) المثابة: المرجع.

(٥) رواه باختلاف ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ١: ٣٨٠.

(٦) قال ابن أبي الحديد في شرحه ٨: ٣٠١ «إنّما قال عليه السلام له: «يابن اللعين» لأنّ الأخنس بن شريق كان من أكابر المنافقين، ذكره أصحاب الحديث كلهم في المؤلفة قلوبهم الذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم... وإنّما قال له: «الأبتر» لأنّ من كان عقبه ضالاً خبيثاً فهو كمن لا عقب له، بل من لا عقب له خير منه». وقتل المغيرة بن أخنس مع عثمان يوم الدار.

(٧) النوى: الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد.

(٨) رواه باختلاف الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٠٥، وابن حبان (ت ٣٥٤) في الثقات ٢: ٢٦٨، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٤٣ عن الشعبي.



أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُوني عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَأَيْمُ اللهِ لأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ [مِنْ ظَالِمِهِ]، وَلأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ[١] حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً.

[١٣٧] ومن كلام له عليه السلام

في معنى طلحة والزبير[٢]

وَاللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، وَلا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفاً، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ إِلَّا قِبَلَهُمْ، وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي، مَا لَبَّسْتُ وَلا لُبِّسَ عَلَيَّ، وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، فِيهَا الْحَمأُ وَالْحُمَةُ[٣]، وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ[٤]، وَإِنَّ الأَمْرَ لَوَاضِحٌ، وَقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ[٥]، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ[٦]. وَأَيْمُ اللهِ لأُفْرِطَنَّ[٧] لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ[٨]، لا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ، وَلا يَعُبُّونَ[٩] بَعْدَهُ فِي حَسِيٍّ[١٠]!

---

(١) الخزامة: حلقة من الشعر تُجعل في أنف البعير، ويجعل الزمام فيها.

(٢) روى صدر الخبر باختلاف الشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٥١، وروى قوله: «فاحلل ما عقدا... المساءة فيما عملا» الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٤٩٦ وكذلك المفيد في الإرشاد ١: ٢٥٠، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٣: ٣١٨ بقوله عليه السلام: «فأقبلتم عليَّ اقبال العوز المطافيل».

(٣) الحمأ: الطين الأسود، والحمة: العقرب وسمها، ويروى «الحما» بمعنى القريب وهو كناية عن الزبير.

(٤) المغدفة: الخفية والمستورة.

(٥) عن نصابه: أي عن مركزه ومقرّه.

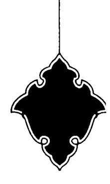
(٦) الشغب: تهييج الشر.

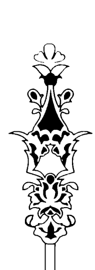
(٧) لأفرطن: لاملأنّ.

(٨) الماتح: المستقي من فوق.

(٩) العبّ: الشرب بلا مصّ.

(١٠) الحسي: ماء كامن في رمل يحفر عنه فيستخرج.





منه: [في أمر البيعة]

فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ[1] عَلَى أَوْلَادِهَا، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ! قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا، وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا.

اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي، وَأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ؛ فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، وَلا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، وَأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وَعَمِلَا، وَلَقَدِ اسْتَثَبْتُهُمَا[2] قَبْلَ الْقِتَالِ، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ[3]، فَغَمَطَا[4] النِّعْمَةَ، وَرَدَّا الْعَافِيَةَ.

[١٣٨] ومن خطبة له عليه السلام

يومئ فيها إلى ذكر الملاحم

يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ.

منها

حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ، بَادِياً نَوَاجِذُهَا، مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا[5]، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا.

أَلا وَفِي غَدٍ - وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لا تَعْرِفُونَ - يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ، وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

---

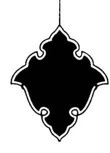
(١) العوذ المطافيل: النوق الحديثات العهد بالنتاج التي معها أولادها.

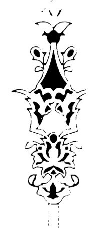
(٢) استثبتهما: أي استرجعتهما.

(٣) الوقاع: قبيل المواقعة بالحرب.

(٤) غمط فلان النعمة: إذا حقّرها وأزرى بها.

(٥) الأخلاف للناقة: حلمات الضرع.





منها

كأنّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ[١] بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوْسِ[٢]، وَفَرَشَ الأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ، قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ[٣]، وَثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ.

وَاللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ حَتَّى لا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلّا قَلِيْلٌ، كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ، فَلَا تَزَالُونَ كَذلِكَ، حَتَّى تَؤُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا[٤]، فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ، وَالآثَارَ الْبَيِّنَةَ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي[٥] لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ.

[١٣٩] ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورى[٦]

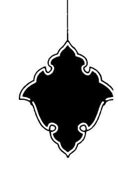
لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، وَعَائِدَةِ كَرَمٍ. فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَعُوا مَنْطِقِي، عَسَى أَنْ تَرَوْا هذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى[٧] فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ.

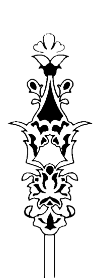
[١٤٠] ومن كلام له عليه السلام في النهي عن عيب الناس

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ[٨] أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ

---

(١) فحص الناس براياته: أي نحّاهم وقلّبهم يميناً وشمالا.
(٢) الضروس: الناقة السيئة الخلق تعضّ حالبها.
(٣) فغرت فاغرته: انفتح فمه.
(٤) عوازب أحلامها: ما بعد وذهب من عقولها.
(٥) يسنّي: يسهّل.
(٦) رواه الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٣: ٣٠٠.
(٧) تُنتضى: تُسل.
(٨) في السلامة: أي السلامة من الذنوب.





عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَترِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ ما هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ! وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَأَيْمُ اللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ، لَجُرْأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ!

يَا عَبْدَ اللهِ، لا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ؛ فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ.

[١٤١] ومن كلام له عليه السلام (١)

[في النهي عن سماع الغيبة وفي الفرق بين الحقّ والباطل]

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ، فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي، وَتُخْطِئُ السِّهَامُ، وَيَحِيكُ الْكَلَامُ، وَبَاطِلُ ذلِكَ يَبُورُ، وَاللهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ. أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ.

فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثمّ قال: «الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ»!

[١٤٢] ومن كلام له عليه السلام (٢)

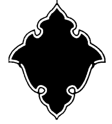
[المعروف في غير أهله]

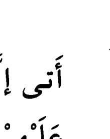
وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، مِنَ الْحَظِّ فِيمَا

---

(١) روى ذيله باختلاف الثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١ : ١٨٨.

(٢) رواه باختلاف الثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١ : ٧٦، «حدثنا محمّد قال: حدثنا =





أتى إِلّا مَحْمَدَةُ اللِّئَامِ، وَثَنَاءُ الأَشْرَارِ، وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ، مَا دَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ، مَا أَجْوَدَ يَدَهُ وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللهِ بَخِيلٌ!

فَمَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلْيَفُكَّ بِهِ الأَسِيرَ وَالْعَانِيَ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ[1]، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ؛ فَإِنَّ فَوْزاً بِهذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَدَرْكُ فَضَائِلِ الآخِرَةِ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

[١٤٣] ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء

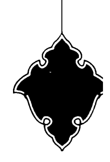
أَلا وَإِنَّ الأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُم، وَالسَّماءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ، وَلا زُلْفَةً[2] إِلَيْكُمْ، وَلا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا.

إِنَّ اللهَ تعالى يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ

= الحسن، قال: حدثنا إبراهيم، قال: حدثني محمّد بن عبدالله بن عثمان، قال: حدثني عليّ بن أبي سيف، عن أبي حباب، عن ربيعة وعمارة»، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٤: ٣٢ ح ٣ قال: «عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن محمّد بن عليّ، عن أحمد بن عمرو بن سليمان البجلي، عن إسماعيل بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب ابن ميثم التمار، عن إبراهيم بن إسحاق المدائني، عن رجل، عن أبي مخنف الأزدي» وابن شعبة (ق٤) في تحف العقول: ١٨٦، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الأمالي: ١٧٦ قال: «حدثنا أبو الحسن عليّ بن بلال المهلبي، قال: حدثنا عليّ بن عبدالله بن أسد الاصفهاني، قال: حدثنا إبراهيم بن محمّد الثقفي... ـ بنفس سند الثقفي ـ»، والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ١٩٥ ح ٣٣ بسند الشيخ المفيد.

(١) الغارم: من عليه الديون.

(٢) الزلفة: القربة.





الْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ: ﴿...اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ! اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الأَسْتَارِ وَالأَكْنَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ.

اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ، وَلا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَلا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ، وَلا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لا يَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ، وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ، وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وَتَلاحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعِبَةُ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلا تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ(١)، وَلا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا، وَلا تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا. اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ، وَاسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةَ الْحَيَا(٢)، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى(٣)، تُرْوِي بِهَا الْقِيعَانَ(٤)، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ(٥)، وَتَسْتَوْرِقُ الأَشْجَارَ، وَتُرْخِصُ الأَسْعَارَ، إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ.

---

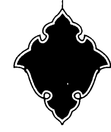
(١) الواجم: الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام.

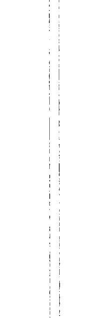
(٢) الحيا: المطر والخصب.

(٣) المجتنى: الثمرة المجتناة.

(٤) القيعان: جمع القاع، المستوي من الأرض.

(٥) البطنان: جمع بطن، المنخفض من الأرض.



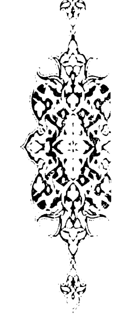


[١٤٤] ومن خطبة له عليه السلام[(١)] [مبعث الرسل]

بَعَثَ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ.

أَلَا إِنَّ اللهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ[(٢)] كَشْفَةً، لا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونَ أَسْرَارِهِمْ، وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ، وَلكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً[(٣)].

أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا! كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ. بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، وَبِنَا يُسْتَجْلَى الْعَمَى. إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلا تَصْلُحُ الْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.



منها: [في أهل الضلال]

آثَرُوا عَاجِلاً، وَأَخَّرُوا آجِلاً، وَتَرَكُوا صَافِياً، وَشَرِبُوا آجِناً، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنكَرَ فَأَلِفَهُ، وَبَسِئَ بِهِ[(٤)] وَوَافَقَهُ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلاَئِقُهُ[(٥)]، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ[(٦)] لا يُبَالِي مَا غَرَّقَ، أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لا يَحْفِلُ[(٧)] مَا حَرَّقَ!

---

(١) استشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ١ : ١٩٦ بقوله عليه السلام : «ثم أقبل مزبداً كالتيار».

(٢) كشف الخلق: علم حالهم.

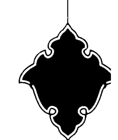
(٣) بواء: مكافأة وجزاء.

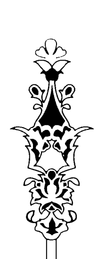
(٤) بسىء به: ألفه واستأنس به.

(٥) خلائقه: ملكاته الراسخة في نفسه.

(٦) مزبداً: ذو زبد، والتيار: موج البحر ولجته.

(٧) لا يحفل: لا يبالي.





أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى، وَالأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى، أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ للهِ، وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ!

ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ، وَتَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ، وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ، وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ، دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا، وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا!

[١٤٥] ومن خطبة له عليه السلام (١)

[فناء الدنيا]

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ(٢) الْمَنَايَا، مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ، لا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَلا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ، وَلا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ، وَلا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ، وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ!

منها: [في ذمّ البدعة]

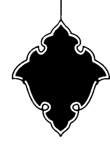
وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ، فَاتَّقُوا الْبِدَعَ، والْزَمُوا الْمَهْيَعَ(٣)،

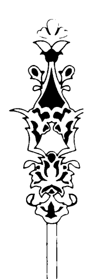
---

(١) روى القالي (ت ٣٥٦) في الأمالي ٢: ٥٤ إلى قوله: «بهدم آخر من أجله»، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٩١ من قوله: «مع كل جريمة ـ إلى قوله: ـ إلّا بفراق أُخرى» والسيد أبو طالب (ت ٤٢٤) في تيسير المطالب: ١٨٣ ح ٦ [كما في نهج السعادة ٣: ٢٨٤]، وروى ذيلها الإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٨٢ هكذا: «ألا انّ أفضل الأمور عوازمها، وانّ شرها محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وما أحدث محدث بدعة إلّا ترك بها سنة»، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٤: ٣٧٧ بقوله: «اتقوا البدع والزموا المهيع».

(٢) تنتضل فيه: تترامى فيه.

(٣) المهيع: الطريق الواضح.





إِنَّ عَوَازِمَ الأُمُورِ(١) أَفْضَلُهَا، وَإِنَّ مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا.

[١٤٦] ومن كلام له عليه السلام(٢)

وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه.

---

(١) عوازم الأمور: ما تقادم منها، أو واجبات الأمور من الله تعالى.

(٢) رواه باختلاف الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٣: ٢١١ ـ ٢١٢، وابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ١: ٢٩١، وابن حبان (ت ٣٥٤) في الثقات ٢: ٢٢٥، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٠٩ وقال: «فانظروا أيدكم الله إلى هذا الموقف الذي ينبئ بفضل الرأي، إذ تنازعه أُولو الألباب والعلم وتأمّلوا في التوفيق الذي قرن الله به أميرالمؤمنين عليه السلام في الأحوال كلّها وفزع القوم إليه في المعضل من الأمور، وأضيفوا إلى ذلك إلى ما أثبتناه من الفضل في الدين الذي أعجز متقدمي القوم حتى اضطروا في علمه إليه، تجدوه من باب المعجز الذي قدمناه».



واعلم انّه قد استشهد بعض السلفيين بأمثال هذه الكلمات والخطب لدعم نظريتهم في التوافق التام والمحبة الكاملة بين أميرالمؤمنين عليه السلام وبين من تقدّمه، ولكن الأمر على خلاف ما توهموه، فانّ التاريخ كلّه يشهد بتظلّم أميرالمؤمنين عليه السلام وشكواه ممّن تقدّمه ممّا أدى إلى تخلّفه عن البيعة والانعزال عن الساحة السياسية والإجتماعية، لكن لمّا رأى عليه السلام الخطر الحقيقي على الإسلام، قام نصرة للدين وحفاظاً عليه، فساعد القوم وأخلص لهم النصيحة حباً للدين وحفاظاً عليه، وبهذا الصدد يقول عليه السلام: «حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليَّ أعظم ... فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأنّ الدين وتنهنه» [نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٢].

وفي هذا المورد الخاص تدلّ رواية الشيخ المفيد رحمه الله على أنّ عمر لما سمع خبر استعداد الفرس للهجوم على المسلمين فزع فزعاً شديداً، واحتار في أمره فاستشار الصحابة، فأشار عليه أميرالمؤمنين عليه السلام بالبقاء وعدم الخروج فطمأنه وصبّره وأذهب روعته، وذكر له بانّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة، وانّهم لم يكونوا يقاتلون فيما مضى بالكثرة، وانّما كانوا يقاتلون بالنصر والمعونة، فلماذا هذا الخوف والفزع؟!

هذا، ومن جهة ثانية كانت هناك أزمة داخلية يعيشها المسلمون، ألا وهم أعداء=





إِنَّ هذَا الأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلا بِقِلَّةٍ، وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللهِ، وَاللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ.

وَمَكَانُ الْقَيِّمِ بِالأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ[١] مِنَ الْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ، فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ[٢] أَبَداً، وَالْعَرَبُ الْيَومَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلاً، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالإِسْلَامِ، عَزِيزُونَ بِالاجْتِمَاعِ! فَكُنْ قُطْباً، وَاسْتَدِرِ الرَّحَا بِالْعَرَبِ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ

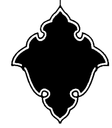
= الإسلام من داخل القطر الإسلامي، فلذا قال له عليه السلام: «فانّك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها» فخروج عمر للحرب مع ما كان يحمله من قلق وفزع، ومع وجود أعداء من داخل القطر الإسلامي يتربصون بالإسلام الدوائر، لم تكن من المصلحة.

هذا بالاضافة إلى أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان يخلص النصيحة لكلّ أحد، وموقفه مع عثمان والذب عنه ـ مع ما كان بينهما من تباعد بيّن ـ خير شاهد على ما نقول].

أمّا الأوصاف التي وردت في كلامه عليه السلام من قبيل: «ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز...» هي أوصاف عامة للحاكم الذي يدير أُمور البلاد براً كان أو فاجراً، ولا تدل على مدح أو ذم أو أيّ شيء آخر، وهي كما قال عليه السلام: «لابدّ للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرتِهِ المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي...» [نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٤٠]. فهذه وتلك أوصاف للدور السياسي والاجتماعي الذي يقوم به الحاكم أياً من كان، كما مضى نحو هذا الكلام في حق نفسه عليه السلام لما طلب منه أصحابه الشخوص للقتال كي يخرجوا معه فقال عليه السلام: «انّما أنا قطب الرحا، تدور عليّ وأنا بمكاني، فإذا فارقته استحار مدارها واضطرب ثفالها» [نهج البلاغة، الخطبة: ١١٨] فالمراد بقوله: «أنا قطب الرحى» الأنا العرفي أي الحاكم أياً من كان سواء أكانت له أهلية الحكم والتولّي أم لم تكن.

(١) النظام: الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ.

(٢) حذافير الشيء: أعاليه، يقال: أعطاه الدنيا بحذافيرها أي بأسرها.



هذِهِ الأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ[1] أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ. إِنَّ الأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا: هذا أَصْلُ الْعَرَبِ، فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ، فَيَكُونُ ذلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ، وَطَمَعِهِمْ فِيكَ.

فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ!

[١٤٧] ومن خطبة له عليه السلام[2]

[الغاية من البعثة]

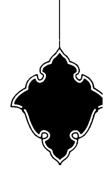
فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ [بَعْدَ] إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ، بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلاتِ[3]، وَاحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ!

---

(١) العور: كل خلل يتخوّف منه في ثغر أو حرب.

(٢) رواها الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٣٨٦ ح ٥٨٦ عن «أحمد بن محمّد، عن سعد بن المنذر بن محمّد، عن أبيه، عن جده، عن محمّد بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن أبيه قال: خطب أميرالمؤمنين عليه السلام. ورواها غيره بغير هذا الاسناد، وذكر انه خطب بذي قار...».

(٣) المثلات: العقوبات.





وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ؛ وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاوَتِهِ، وَلا أَنْفَقَ مِنْهُ[1] إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنكَرِ!

فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ؛ فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ مَنْفِيَّانِ طَرِيدَانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ؛ فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ! لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنِ اجْتَمَعَا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ، وَلا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ[2]، وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللهِ فِرْيَةً، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ الْعُقُوبَةَ السَّيِّئَةَ.

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ[3] وَالنِّقْمَةُ.

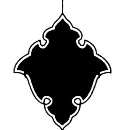
أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللهَ وُفِّقَ، وَمَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ؛ فَإِنَّ جَارَ اللهِ آمِنٌ، وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ، وَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ،

---

(١) أنفق منه: أروج منه.

(٢) الزَّبر: مصدر زبرت أزبر: أي كتبت.

(٣) القارعة: المصيبة تقرع، أي تلقى بشدّة وقوّة.



وَسَلاَمَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ، فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الأَجْرَبِ، وَالْبَارِئ مِنْ ذِي السَّقَمِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ؛ فَالْتَمِسُوا ذلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، لا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ.

[١٤٨] ومن خطبة له ﷺ في ذكر أهل البصرة[١]

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ، لا يَمُتَّانِ[٢] إِلَى اللهِ بِحَبْلٍ، وَلا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ. كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ[٣] لِصَاحِبِهِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ! وَاللهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هذَا نَفْسَ هذَا، وَلَيَأْتِيَنَّ هذَا عَلَى هذَا، قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ[٤]!

قَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ، وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ. وَاللهِ لا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ[٥]، يَسْمَعُ النَّاعِيَ، وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ، ثُمَّ لا يَعْتَبِرُ!

---

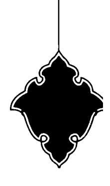
(١) استشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٣: ٧٠ بقوله ﷺ: «كل منهما حامل ضب لصاحبه».

(٢) يمتان: يتوسلان.

(٣) الضب: الحقد.

(٤) المحتسب: العامل للأجر.

(٥) اللدم: الضرب على الصدر والوجه عند النياحة.





[١٤٩] ومن كلامه عليه السلام قبل موته[١]

أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ، وَالأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ[٢]، وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ. كَمِ اطَّرَدْتُ[٣] الأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هذَا الأَمْرِ، فَأَبَى اللهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ، هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ!

أَمَّا وَصِيَّتِي: فَاللهَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّداً فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيمُوا هذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ[٤] مَالَمْ تَشْرُدُوا[٥]، حُمِّلَ كُلُّ امْرِئٍ مَجْهُودَهُ، وَخُفِّفَ عَنِ الْجَهَلَةِ، رَبٌّ رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ.

أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ! غَفَرَ اللهُ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١) في مقتل الإمام أميرالمؤمنين: ٥٦ قال: «حدثنا الحسين، حدثنا عبدالله، قال: حدثني أبو عليّ أحمد بن الحسن الضرير، حدثنا الحسين بن هارون، عن ابن زبار الكلبي، عن حكيم بن نافع، عن العلاء بن عبدالرحمن» والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ١: ٢٩٩ ح ٦ «عن الحسين بن الحسن الحسني رفعه، ومحمد بن الحسن، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمري رفعه»، والقمي (ت ٣٢٩) في تفسيره ٢: ٣٦٧ إلى قوله عليه السلام: «موافاته»، والمسعودي (ت ٣٤٦) في مروج الذهب ٢: ٤٣٦ قال: «وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ»، والطبراني (ت٣٦٠) في المعجم الكبير ١: ٩٦ قال: «حدثنا القاسم بن عباد الخطابي البصري، ثنا سعيد بن صبيح، قال: قال هشام بن الكلبي، عن عوانة بن الحكم» وعنه ابن عساكر (ت ٥٧١) في تاريخ دمشق ٤٢: ٥٦٢، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٢: ٧٦ بقوله عليه السلام: «وخلاكم ذم ما لم تشردوا».

(٢) مساق النفس: أي الأمر الذي تساق إليه النفس.

(٣) أَطْرَدَ: أمر بالإخراج والطرد.

(٤) خلاكم ذمّ: أي لا ذمّ عليكم.

(٥) تشردوا: تنفروا.



لي وَلَكُمْ! إِنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ[١] فِي هذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ، وَإِنْ تَدْحَضِ[٢] الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ[٣] أَغْصَانٍ، وَمَهَابِّ رِيَاحٍ، وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ، اضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفَّقُهَا[٤]، وَعَفَا فِي الأَرْضِ مَخَطُّهَا[٥].

وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً، وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً[٦]: سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ، لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي، وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي، وَسُكُونُ أَطْرَافِي، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ.

وَدَاعِيكُم[٧] وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي، غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي.

[١٥٠] ومن خطبة له عليه السلام
يومئ فيها إلى الملاحم[٨]

وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً ظَعْناً[٩] فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ، فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ، وَلا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ، فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ، وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ[١٠] غَدٍ!

---

(١) الوطأة: موضع القدم.

(٢) تدحض: تزلق.

(٣) أفياء: ظلال.

(٤) متلفقها: مجتمعها.

(٥) مخطّها: أثرها.

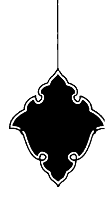
(٦) جثّة خلاء: خالية من الروح.

(٧) وداعيكم: أي وداعي لكم.

(٨) وقد رواها الطبري الإمامي (ق ٤) في المسترشد: ٤٠٢ باختلاف، وذلك من قوله عليه السلام: «والله لقد ارتد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أقوام ـ إلى قوله: ـ في غير موضعه».

(٩) ظَعَنَ: سار.

(١٠) تباشير كل شيء: أوّل ما يبدو منه.



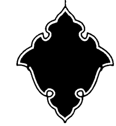


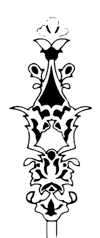
يَا قَوْمِ، هذَا إِبَّانُ[1] وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ، وَدُنُوٌّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لا تَعْرِفُونَ، لَا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ، لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً[2]، وَيُعْتِقَ رِقّاً، وَيَصْدَعَ شَعْباً[3]، وَيَشْعَبَ صَدْعاً[4]، فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ لا يُبْصِرُ الْقَائِفُ[5] أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ. ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَيُغْبَقُونَ[6] كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ[7]!

منها: [في الضلال]

وَطَالَ الأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغِيَرَ[8]؛ حَتَّى إِذَا اخْلَوْلَقَ[9] الأَجَلُ، وَاسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَاشْتَالُوا[10] عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ، لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ؛ حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلاءِ، حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ؛ حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ صلى الله عليه وآله، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأَعْقَابِ[11]، ....

١) إبّان الشيء: وقته وزمانه.
٢) الربق: حبل فيه عدّة عرى تشدّ به البهم.
٣) يصدع: يشق، وشعباً: جمعاً.
٤) يشعب صدعاً: أي يجمع ما تفرّق من كلمة أهل الهدى والإيمان.
٥) القائف: الذي يعرف الآثار.
٦) الغبوق: الشرب بالعشيّ.
٧) الصبوح: الشرب في الصباح.
٨) الغِيَرَ: النعم التي يغيرها بهم من نعم الله تعالى.
٩) اخلولق: تقادم وقرب.
١٠) اشْتالوا: رفعوا.
١١) يؤيّد كلامه هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ =





وَغَالَتْهُمُ[1] السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ[2]، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ[3] أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ[4]، قَدْ مَارُوا[5] فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ، عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ.

[١٥١] ومن خطبة له عليه السلام [يحذر من الفتن]

وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ[6] الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ، وَالاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ، لا يُؤَازَى[7] فَضْلُهُ، وَلا يُجْبَرُ فَقْدُهُ، أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ، وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ[8]، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ!

= قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾. وقد ورد التصريح بارتداد بعض الصحابة عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم، وذلك قوله صلى الله عليه وآله: «يرد على الحوض رجال من أصحابي، فيحلؤون عنه فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، انّهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى» [صحيح البخاري ٧: ٢٠٨] وقوله صلى الله عليه وآله: «أنا فرطكم على الحوض ولأنازعنّ أقواماً ثم لأغلبنّ عليهم، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقال: انّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» [صحيح مسلم ٧: ٦٨].

(١) غالتهم: أهلكتهم.

(٢) الوليجة: البطانة يتخذها الإنسان لنفسه.

(٣) الرصّ: مصدر رصصت الشيء أرصّه أي ألصقت بعضه ببعض.

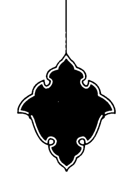
(٤) الغمرة: الضلال والجهل، والضارب فيها: الداخل المعتقد لها.

(٥) مارَ يمور: إذا ذهب وجاء.

(٦) المداحر: ما يوجب الطرد والابعاد.

(٧) لا يؤازى: لا يساوى.

(٨) الفترة: انقطاع الوحي ما بين النبوّتين.

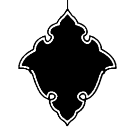




ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ؛ فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ، وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ[1]، وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا. تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ، شِبَابُهَا[2] كَشِبَابِ الْغُلَامِ، وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ[3]، يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ! أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ، يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ[4]، وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ، فَيَتَزَايَلُونَ[5] بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ.

ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ[6] الرَّجُوفِ، وَالْقَاصِمَةِ الزَّحُوفِ[7]، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ، وَتَخْتَلِفُ الأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا[8]، مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ، يَتَكَادَمُونَ[9] فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ[10]! قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الأَمْرِ، تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ، وَتَنْطِقُ

(١) القتام: الغبار، والعِشوة: ركوب الأمر على غير بيان ووضوح.
(٢) الشباب: نشاط الفرس ولعبه.
(٣) السِّلام: الحجارة.
(٤) مريحة: متغيّرة منتنة.
(٥) يتزايلون: يتفرّقون.
(٦) طالع الفتنة: مقدماتها، وسمّاها رجوفاً لشدّة الاضطراب فيها.
(٧) القاصمة: الكاسرة، وسمّاها زحوفاً تشبيهاً لمشيها بمشي الدبي الذي يملك الزروع ويبيدها.
(٨) نجومها: ظهورها.
(٩) التكادم: التعاضّ بأدنى الفم.
(١٠) العانة: القطيع من حُمر الوحش.



فِيهَا الظُّلَمَةُ، وَتَدُقُّ[1] أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا[2]، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا[3]! يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ[4]، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ، تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ، وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّين، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ، يَهْرُبُ مِنْهَا الأَكْيَاسُ، وَيُدَبِّرُهَا الأَرْجَاسُ، مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ، تُقْطَعُ فِيهَا الأَرْحَامُ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا الإِسْلَامُ؛ بَرِيئُهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ.

منها:

بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ[5]، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يَخْتِلُونَ بِعَقْدِ الأَيْمَانِ وَبِغُرُورِ الإِيمَانِ؛ فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ، وَأَعْلَامَ الْبِدَعِ، وَالْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ، وَاقْدَمُوا عَلَى اللهِ مَظْلُومِينَ، وَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ، وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ، وَلا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ[6] الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ، وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ.

[١٥٢] ومن خطبة له عليه السلام[7]

[في صفات الله جل جلاله، وصفات أئمة الدين]

الْحَمْدُ للهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ،

---

(١) تدقّ: تفتّتُ.

(٢) المسحل: المبرد.

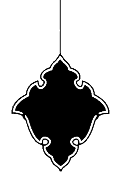
(٣) الرضّ: التهشيم، والكلكل: الصدر.

(٤) الوحدان: جمع واحد.

(٥) الطل: إبطال الدم وهدره.

(٦) اللعقة: ما تأخذه الملعقة.

(٧) روى صدر الخطبة باختلاف الكليني(ت٣٢٩) في الكافي ١: ١٣٩ عن عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن شباب الصيرفي واسمه محمّد بن الوليد، عن عليّ بن سيف بن عميرة، قال: حدثني إسماعيل بن قتيبة....





وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لا شَبَهَ لَهُ. لا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ[1]، وَلا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، لِافْتِرَاق الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ. الأَحَدُ لا بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ، وَالْخَالِقُ لا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ، وَالسَّمِيعُ لا بِأَدَاةٍ، وَالْبَصِيرُ لا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ، وَالشَّاهِدُ لَابِمُمَاسَّةٍ، وَالْبَائِنُ لَابِتَرَاخِي مَسَافَةٍ، وَالظَّاهِرُ لَابِرُؤْيَةٍ، وَالْبَاطِنُ لا بِلَطَافَةٍ. بَانَ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا، وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَبَانَتِ الأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ.

مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، وَمَنْ قَالَ: كَيْفَ، فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ: أَيْنَ، فَقَدْ حَيَّزَهُ. عَالِمٌ إِذْ لا مَعْلُومٌ، وَرَبٌّ إِذْ لا مَرْبُوبٌ، وَقَادِرٌ إِذْ لا مَقْدُورٌ.

منها: [في أئمّة الدين]

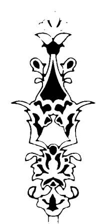
فَقَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَلَمَعَ لَامِعٌ، وَلَاحَ لَائِحٌ، وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ، وَاسْتَبْدَلَ اللهُ بِقَوْمٍ قَوْماً، وَبِيَوْمٍ يَوْماً، وَانْتَظَرْنَا الْغِيَرَ[2] انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ. وَإِنَّمَا الأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ. إِنَّ اللهَ خَصَّكُمْ بِالإِسْلامِ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذلِكَ لأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ، وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ، اصْطَفَى اللهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ، وَبَاطِنِ حِكَمٍ، لا تَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، فِيهِ مَرَابِيعُ[3] النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ، لا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ، وَلا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ، قَدْ

(١) لا تستلمه المشاعر: أي لا تصل إليه الحواس.

(٢) الغِيَر: صروف الحوادث وتقلباتها.

(٣) المرابيع: الأمطار التي تجيئ في أوّل الربيع.





أَحْمَى حِمَاهُ(١)، وَأَرْعَى مَرْعَاهُ(٢)، فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفِي، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي.

[١٥٣] ومن خطبة له عليه السلام(٣) [صفة الضال]

وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ اللهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ، وَيَغْدُومَعَ الْمُذْنِبِينَ، بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ، وَلا إِمَامٍ قَائِدٍ.

منها: [في صفات الغافلين]

حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَاسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمُ، استَقْبَلُوا مُدْبِراً، وَاسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ، وَلا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ.

وإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ وَنَفْسِي هذِهِ الْمَنْزِلَةَ، فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً(٤) وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، وَالضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي(٥)، وَلا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ في نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ.

فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مِمَّا لا بُدَّ مِنْهُ وَلا مَحِيصَ عَنْهُ، وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ

---

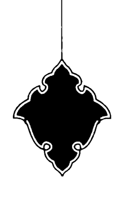
(١) أحمى حماه: أي بيّن محرماته وحرمها، وقيل: مَنَعه من الأعداء.

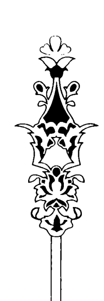
(٢) أرعى مرعاه: أي أحلّ طيّباته وبيّنها.

(٣) روى فحواها الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٥: ٨٢ ح ٩ عن عليّ بن محمّد، عن ابن جمهور، عن أبيه رفعه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أميرالمؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول ...، ورواها أيضاً ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٥٤٠ باختلاف.

(٤) الجدد: الأرض الصلبة.

(٥) المهاوي: المساقط، والمغاوي: ما يغوى فيه.





لِنَفْسِهِ، وَضَعْ فَخْرَكَ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ، وَاذكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ، وَكَمَا تُدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً، فَامْهَدْ[1] لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ.

فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ! وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ! وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ. إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لا يَنْفَعُ عَبْداً ـ وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ ـ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا، لَاقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسِهِ، أَوْ يُقِرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ[2] حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ. اعْقِلْ ذلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ.

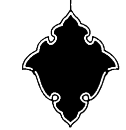
إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا، وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا[3]؛ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ [إِنَّ الْمُؤْمِنِيْنَ ذَاكِرُونَ].

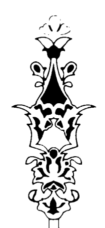
---

(١) مَهَدَ: بَسَط.

(٢) يستنجح: يطلب نجاح حاجته.

(٣) ربّما يتصوّر انّ كلامه عليه السلام هذا، يحمل على الإطلاق، وهذا خطأ، لأنّ ذيل الكلام يفسّر هذا المقطع، حيث قال عليه السلام: «إنَّ المؤمنين مستكينون...» والمؤمن يشمل الرجل والمرأة، فمراد الإمام عليه السلام انّ النساء اللواتي تركن العمل بتعاليم الدِّين وما يفرضه عليهنّ الإيمان، يكون همّهنّ زينة الحياة الدنيا والفساد فيها، كما هو في الرجل أيضاً، أو يقال: انّ كلامه عليه السلام يحمل على التغليب.





[١٥٤] ومن خطبة له عليه السلام
[يذكر فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام]

وَنَاظِرُ قَلْبِ[١] اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ[٢]. دَاعٍ دَعَا، وَرَاعٍ رَعَى، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِيَ. قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وَأَرَزَ[٣] الْمُؤْمِنُونَ، وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. نَحْنُ الشِّعَارُ وَالأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالأَبْوَابُ، وَلا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً.

منها

فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ[٤]، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمٰنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا. فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ. وَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟! فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عِنْدَهُ.

فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ: أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ! وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ، وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ،

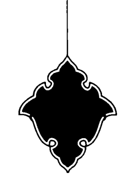
---

(١) ناظر القلب: استعارة من ناظر العين، والمراد البصيرة التي يدرك بها اللبيب غايته ومنتهاه.

(٢) الغَور: ما انخفض من الأرض، والنجد: ما ارتفع منها.

(٣) أرز المؤمنون: انقبضوا.

(٤) أُنظر: غوالي اللآلي ١: ٢٧٧ ح ١٠٧.





وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ».

فَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً، وَكُلَّ نَبَاتٍ لا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ؛ فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ.

[١٥٥] ومن خطبة له عليه السلام
يذكر فيها بديع خلقة الخفاش[(١)]

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي انْحَسَرَتِ[(٢)] الأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ، فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً[(٣)] إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ! هُوَ اللهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً. خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ، وَلا مَشُورَةِ مُشِيرٍ، وَلا مَعُونَةِ مُعِينٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ، وَانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ.

وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَبْسُطُهَا الظَّلامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ[(٤)] أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَصِلَ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا.

---

(١) لقد استشهد ابن الأثير في النهاية ١ : ٢٧، ٢ : ١٤٠، ٣ : ٢٣٨ بفقرات من هذه الخطبة، مع بعض التفاوت في النقل.

(٢) انحسرت: كلّت وانقطعت.

(٣) المساغ: المسلك.

(٤) العشا ـ مقصوراً ـ: سوء البصر وضعفه.



وَرَدَعَهَا بِتَلأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ[1] إِشْرَاقِهَا، وَأَكَنَّهَا[2] فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذِّهَابِ فِى بُلَجِ ائْتِلاَقِهَا[3]، فَهِيَ مُسْدَلَةُ[4] الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى حِدَاقِهَا، وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ في الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا؛ فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ[5] ظُلْمَتِهِ، وَلا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ.

فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ[6] نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا[7]، أَطْبَقَتِ الأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا[8]، وَتبَلَّغَتْ[9] بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا.

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً، وَجَعَلَ النَّهَارَ لَهَا سَكَناً وَقَرَاراً! وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ، كَأَنَّهَا شَظَايَا الآذَانِ[10]، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلا قَصَبٍ[11]، إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَاماً، لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا.

---

(١) سبحات: الأنوار.

(٢) أكنّها: سترها.

(٣) البلج: الضوء ووضوحه. والائتلاق: اللمعان.

(٤) مسدلة: من أسدل ثوبه أي أرخاه.

(٥) الأسداف ـ مصدر أسدف الليل ـ: أظلم.

(٦) الوضح: الضوء والبياض.

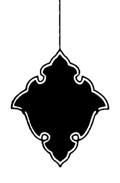
(٧) الضباب: جمع ضب وهو حيوان معروف، والأوجار: جحر الضب وبيته.

(٨) المآقي: طرف العين ممّا يلي الأنف.

(٩) تبلّغت: اكتفت.

(١٠) الشظية: الفلقة والشقة، وشظايا الآذان: أقطاع منها.

(١١) القصبة: عمود الريشة أو أسفلها المتصل بالجناح.





تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا لَاجِىءٌ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لَايُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ، فَسُبْحَانَ الْبَارِئِ لِكُلِّ شَيْءٍ، عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا(1) مِنْ غَيْرِهِ!

[١٥٦] ومن كلام له عليه السلام

خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم(٢)

فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذلِكَ........................

---

(١) خلا: مضى.

(٢) رواه على نحو ماذكره الشريف الرضي، المتقي الهندي (ت٩٧٥) في كنز العمال١٦: ١٨٦ ح٤٤٢١٦ عن يحيى ابن عبدالله بن الحسن عن أبيه. أمّا قوله عليه السلام: «فبالإيمان يستدل على الصالحات ـ إلى قوله: ـ وبالموت تختم الدنيا» رواه سليم (ق ١) في كتابه: ١٨٠ عن أبان بن أبي عياش، والإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٦٠، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ١٣٩ قال: «حدثنا محمّد، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا إبراهيم، قال: وحدثنا أبو زكريا بهذا الكلام أكثر من هذا ورواه عن أهل العلم من أصحابه قال: قال عليّ عليه السلام» وفيه: بالإسلام يستدل على الصالحات. ورواه أيضاً الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٢: ٤٩ ح ١ عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن يعقوب السراج، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، وبأسانيد مختلفة عن الأصبغ بن نباتة. ورواه ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٦٤، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الأمالي: ٢٧٧ ح ٣ وقال: «أخبرني أبو عبيدالله بن عمران المرزباني، قال: حدثني أحمد بن سليمان الطوسي، عن الزبير بن بكار قال: حدثني عبدالله بن وهب، عن السدي، عن عبدخير، عن قبيصة بن جابر الأسدي قال: قام رجل إلى أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فسأله عن الإيمان» وعنه الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ٣٧ ح ٩. وأمّا قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام يوم أُحد فرواه بنحو ما رواه الشريف الرضي، المتقي الهندي في كنز العمال ـ كما ذكرنا ـ ورواه مختصراً فرات الكوفي (ت ٣٥٢) في تفسيره: ٦١٥ ح ٧٧٢ قال: «حدثني عليّ بن محمّد بن إسماعيل الخزاز الهمداني معنعناً عن زيد»، والطبراني (ت ٣٦٠) في =



أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللهِ[1] فَلْيَفْعَلْ، فَإِنْ أَطَعْتُمُوني فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ. وَأَمَّا فُلاَنَةُ، فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضِغْنٌ غَلاَ فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ[2]، وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ، وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الأُولَى، وَالْحِسَابُ عَلَى اللهِ.

منه: [في وصف الإيمان]

سَبِيلٌ أَبْلَجُ[3] الْمِنْهَاجِ، أَنْوَرُ السِّرَاجِ، فَبِالإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الإِيمَانِ، وَبِالإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ، وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الآخِرَةُ [وَبِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَتُبْرَزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ]، وَإِنَّ الْخَلْقَ لا مَقْصَرَ[4] لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ، مُرْقِلِينَ[5] فِي مِضْمارِهَا[6] إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى.



منه: [في حال أهل القبور في القيامة]

قَدْ شَخَصُوا[7] مِنْ مُسْتَقَرِّ الأَجْدَاثِ[8]، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ

= المعجم الكبير ١١ : ٢٩٥ وقال: «حدثنا محمّد بن عليّ ابن عبدالله المروزي، ثنا أبو الدرداء عبدالعزيز بن المنيب، حدثني إسحاق بن عبدالله بن جلس، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس»، وذكر ابن أبي الحديد في شرحه ٩ : ٢٠٦ انّ هذا الخبر مروي عن رسول الله ﷺ، قد رواه كثير من المحدثين عن عليّ عليه السلام.

(١) يعتقل نفسه على الله: يحبسها على طاعته.
(٢) المرجل: القدر، والقين: الحداد، أو كل من يعمل بالنار.
(٣) أبلج: مشرق مضيئ.
(٤) لا مقصر: لا معدل.
(٥) أرقل: أسرع.
(٦) المضمار: ميدان السباق.
(٧) شخص: ذهب.
(٨) الجدث: القبر.





الْغَايَاتِ[١]، لِكُلٍّ دَارٍ أَهْلُهَا، لا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلا يُنْقَلُونَ عَنْهَا. وَإِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنكَرِ، لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنَّهُمَا لا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ. وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَالرَّيُّ النَّاقِعُ[٢]، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ، لا يَعْوَجُّ فَيُقَامَ، وَلا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ[٣]، وَوُلُوجُ السَّمْعِ[٤]، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ.

وقام إليه عليه السلام رجل فقال: أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال عليه السلام:

لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ، قَوْلَهُ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللهُ بِهَا؟ فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَحِيزَتْ[٥] عَنِّي الشَّهَادَةُ، فَشَقَّ ذلِكَ عَلَيَّ، فَقُلْتَ لِي: «أَبْشِرْ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ»؟ فَقَالَ لي: «إِنَّ ذلِكَ لَكَذلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ»!. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَيسَ هذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ.

---

(١) مصائر: جمع مصير، والغاية: ما ينتهى إليه.

(٢) ماء ناقع: ينقع الغُلّة ويقطعها.

(٣) أخلقه: ألبسه ثوباً خلقاً أي بالياً، وكثرة الرد: كثرة ترديده على الألسنة بالقراءة.

(٤) ولوج السمع: دخول الآذان والمسامع.

(٥) حيزت: مُنعت.



وَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِم عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ، وَالأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذلِكَ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: «بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ»(١).

[١٥٧] ومن خطبة له عليه السلام(٢)

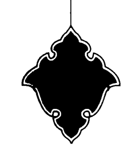
[يحثّ الناس على التقوى]

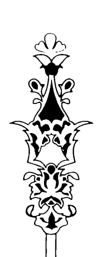
الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ،

---

(١) علّق ابن أبي الحديد في شرحه ٩: ٢٠٨ على هذا المقطع قائلاً: «وفي قوله: «بل بمنزلة فتنة» تصديق لمذهبنا في أهل البغي، وانّهم لم يدخلوا في الكفر بالكلّية، بل هم فسّاق والفاسق عندنا في منزلة بين المنزلتين، خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر». ويرد عليه: انّ المرتد هو من أنكر ضرورياً من ضروريات الدين بحيث يرجع انكاره إلى انكار الرسالة وتكذيب النبيّ صلى الله عليه وآله، وهذه الحالة غير مقصودة هنا في الخطبة، بل كلام رسول الله صلى الله عليه وآله يشير إلى حالة التهاون والتخاذل في أمر الدين نتيجة الانغماس في الملاهي] والملذات، ممّا لم يؤدّ إلى الارتداد وانكار الضروريات وجحدها، ولذا قال صلى الله عليه وآله: «يستحلّون حرامه بالشبهات الكاذبة، والأهواء الساهية» ممّا يدلّل على عدم وجود قصد وتعمّد، ولذا أنزلهم صلى الله عليه وآله بمنزلة المفتون بهم، وإلّا لحكم عليهم بالارتداد حالهم حال سائر المرتدين، مضافاً إلى انّ هذا الكلام لا صلة له بحكم أهل البغي من حيث الكفر أو الفسق، بل هو ـ كما قلنا ـ مسوق لشرح حالة المفتون بهم في الدنيا وزخرفها وزينتها، أمّا حكم أهل البغي، فيعرف من أدلّة أُخرى ليس هنا محل ذكرها، ولو لم يكن سوى قوله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «حربك حربي وسلمك سلمي» لكفى في المقام.

(٢) روى ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٢٣ قوله عليه السلام: «اعلموا عباد الله انّ التقوى ـ إلى قوله: ـ تردك الغاية القصوى»، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٢: ٥١٠ بقوله عليه السلام: «فكأنّكم بالساعة تحدوكم حدو الزاجر بشوله».





وَدَلِيلاً عَلَى آلَائِهِ وَعَظَمَتِهِ. عِبَادَ اللهِ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ، لا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ، وَلا يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ. آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُتَسَابِقَةٌ أُمُورُهُ[1]، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ[2].

فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ[3]، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّءَ أَعْمَالِهِ، فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ. اعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لا يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلا يُحْرِزُ[4] مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ، أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ[5] الْخَطَايَا، وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصوَى.

عِبَادَ اللهِ، اللهَ اللهَ فِي أَعَزِّ الأَنْفُسِ عَلَيْكُم، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ، فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ! فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ. قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ[6]، وَحُثِثْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ، لا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ، أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ! وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ!

---

(١) أُمور الدهر: مصائبه.

(٢) متظاهرة أعلامه: أي دلالاته على سجيته التي عامل الناس بها قديماً وحديثاً، متظاهرة: يقوى بعضها بعضاً.

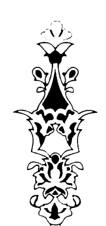
(٣) الشول: النوق التي جفّ لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية.

(٤) يحرز: يحفظ.

(٥) الحمة: إبرة العقرب وسمّها، والمراد: سطوة الذنوب.

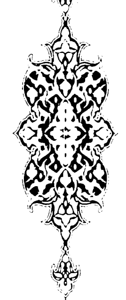
(٦) ظَعَنَ: سار.





عِبَادَ اللهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ، وَلا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ. عِبَادَ اللهِ، احْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الأَعْمَالُ(١)، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ، وَتَشِيبُ فِيهِ الأَطْفَالُ. اعْلَمُوا، عِبَادَ اللهِ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ، لا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ(٢)، وَلا يُكِنُّكُمْ(٣) مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ(٤)، وَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لاحِقاً بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ، فَيَالَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ! وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الأَبَاطِيلُ، وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ، وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ، وَصَدَرَتْ بِكُمُ الأُمُورُ مَصَادِرَهَا، فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ(٥)، وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ.



[١٥٨] ومن خطبة له عليه السلام(٦)

[ينبّه فيها على فضل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وفضل القرآن، ثمّ حال دولة بني أميّة]

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، ....

(١) تفحص فيه الأعمال: تكشف.
(٢) الدجى: الظلمة.
(٣) لا يكنّكم: لا يستركم.
(٤) الرتج: الباب العظيم.
(٥) واعتبروا بالغير: أي بتغيرات الدهر وانقلاباته على أهله.
(٦) روى صدر الخبر إلى: «علم ما يأتي» باختلاف كل من الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ١: ٦٠ ح ٧ «عن محمّد بن يحيى عن بعض أصحابه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام ...» =





وَطُولِ هَجْعَةٍ[1] مِنَ الأُمَمِ، وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ[2]، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ. ذٰلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلٰكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتي، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ.

منها: [في دولة بني أمية]

فَعِنْدَ ذٰلِكَ لا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ[3] إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً[4]، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً، فَيَوْمَئِذٍ لا يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّماءِ عَاذِرٌ، وَلا فِي الأَرْضِ نَاصِرٌ. أَصْفَيْتُمْ[5] بِالأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ وِرْدِهِ، وَسَيَنْتَقِمُ اللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ، مَأْكَلاً بِمَأْكَلٍ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ، وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ[6]، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ، وَدِثَارِ السَّيْفِ[7]. وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وَزَوَامِلُ الآثَامِ[8]. فَأُقْسِمُ، ثُمَّ أُقْسِمُ، لَتَنَخَّمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي

= والقمي (ت ٣٢٩) في تفسيره ١: ٢. وروى القمي أيضاً في تفسيره ١: ٣٨٤ ذيله، أي قوله عليه السلام: «وسينتقم الله من الظلمة ـ إلى قوله: ـ مشارب الصبر» قال: «حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خطب أميرالمؤمنين عليه السلام...»، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٥: ٣٤ بقوله: «أُقسم لتنخمنّها أُمية من بعدي كما تلفظ النخامة».

(١) الهجوع: النوم ليلاً.

(٢) الانتقاض: الحلّ والنقض، والمبرم: الحبل المفتول، والمراد: نقض الديانات السابقة.

(٣) بيت مدر ولا وبر: كناية عن أهل الحاضرة والبادية.

(٤) الترحة: الحزن.

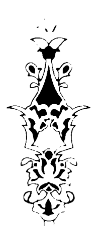
(٥) أصفيت فلاناً بكذا: خصصته به.

(٦) الصَّبْر: دواء مرّ، والمقِر: السم.

(٧) الدثار من اللباس: أعلاه وظاهره.

(٨) مطايا الخطيئات: حوامل الذنوب، والزوامل: جمع زاملة وهي بعير يستظهر به الإنسان يحمل متاعه عليه.





كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ(١)، ثُمَّ لا تَذُوقُهَا وَلا تَتَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ.

[١٥٩] ومن خطبة له عليه السلام

[يبيّن فيها حسن معاملته لرعيّته]

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ، وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ، وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ(٢) الذُّلِّ، وَحَلَقِ الضَّيْمِ(٣)، شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ، وَإِطْرَاقاً(٤) عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ، وَشَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ.

[١٦٠] ومن خطبة له عليه السلام(٥)

[في تحميد الله وتنزيهه]

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ. اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي. حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْداً يَمْلأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ، حَمْداً لا يُحْجَبُ عَنْكَ، وَلا يُقْصَرُ

---

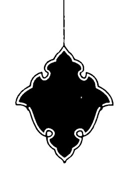
(١) نَخِمَ: أخرج النخامة من صدره فألقاها، والنُخامة: ما يدفعه الصدر أو الدماغ من المواد المخاطية.

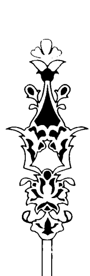
(٢) الربق: حبل فيه عدة عرى يشدّ به البهم، والواحدة: الربقة.

(٣) حَلَق: جمع حلقة، والضيم: الذل.

(٤) أطرق الرجل: إذا سكت ولم يتكلّم، أو أرخى عينيه ينظر إلى الأرض.

(٥) روى الإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٥٧ قوله «ما الذي نرى من خلقك ـ إلى قوله: ـ وفكره حائراً» باختلاف، وروى القمي (ت ٣٢٩) في تفسيره ٢: ١٣٨ وصفه عليه السلام لموسى، وروى الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٧١٨ ح ٧ قوله: «لقد رقعت مدرعتي» باختلاف، قال: «حدثنا عليّ بن أحمد بن موسى الدقاق ١، قال: حدثنا محمّد بن الحسن الطائي، قال: حدثنا محمّد بن الحسين الخشاب، قال: حدثنا محمّد بن موسى، عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه عن جده عن أبيه : قال: قال أميرالمؤمنين...».





دُونَكَ، حَمْداً لا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلا يَفْنَى مَدَدُهُ. فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ: حَيٌّ قَيُّومٌ، لا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكْتَ الأَبْصَارَ، وَأَحْصَيْتَ الأَعْمَالَ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ، وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سَوَاتِرُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ.

فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلى مَوْرِ[1] الماءِ أَرْضَكَ، رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً[2]، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً[3]، وَسَمْعُهُ وَالِهاً[4]، وَفِكْرُهُ حَائِراً.

منها: [كيف يكون الرجاء]

يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللهَ، كَذَبَ وَالْعَظِيمِ! مَا بَالُهُ لا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ! فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، وَكُلُّ رَجَاءٍ ـ إِلَّا رَجَاءَ اللهِ ـ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ[5]، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ اللهِ؛ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ[6]، يَرْجُو اللهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي العَبْدَ مَا لا يُعْطِي الرَّبَّ، فَمَا بَالُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِعِبَادِهِ!

---

(١) المور: الموج.

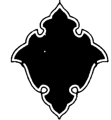
(٢) الحسير: المتعب.

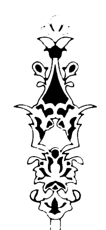
(٣) المبهور: المغلوب.

(٤) الواله: المتحيّر.

(٥) المدخول: المعيب أو المغشوش.

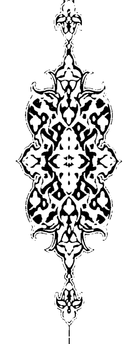
(٦) محقق: ثابت، والخوف المعلول: نقيض الثابت.





أَتَخافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً! أَوْ تَكُونَ لا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً! وَكَذلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لا يُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِماراً[1] وَوَعْداً، وَكَذلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ، آثَرَهَا عَلَى اللهِ، فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا، وَصَارَ عَبْداً لَهَا.

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ كَافٍ لَكَ فِي الأُسْوَةِ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا، وَفُطِمَ مِنْ رَضَاعِهَا، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا.



وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسى كَلِيمِ اللهِ إِذْ يَقُولُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، وَاللهِ، مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لِانَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ[2] بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ[3].

وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوودَ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وَقَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ[4] بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا! وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ[5] فِي

---

(١) الضمار: ما لا يرجى من الوعود.

(٢) الصفاق: الجلد الباطن الذي فوقه الجلد الظاهر من البطن، وشفيفه: رقيقه الذي يستشف ما وراءه.

(٣) تشذّب اللحم: تفرقه.

(٤) الخوص: ورق النخل، وسفافه: نسيجه.

(٥) الظلال: جمع الظل، وهو الكنّ والمأوى، ومن كان ظلاله المشرق والمغرب فلا ظلال له.



الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ!

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ صلى الله عليه وآله فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى ـ وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ ـ قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً[١]، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً، أَهْضَمُ[٢] أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً[٣]، وَأَخْمَصُهُمْ[٤] مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهُ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً للهِ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللهِ.

وَلَقَدْ كَانَ صلى الله عليه وآله يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: «يَا فُلَانَةُ لِاحْدَى أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا».

فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً[٥]، وَلا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، وَلا يَرْجُو فِيهَا مُقَاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا[٦] عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ.

---

(١) قضم الدنيا: تناول منها قدر الكفاف.

(٢) يقال: رجل أهضم: إذا كان خميصاً لقلّة الأكل.

(٣) الكشح: الخاصرة.

(٤) الخمص: خلو البطن وانطباقها من الجوع.

(٥) الرياش: الزينة.

(٦) أشخصها: أذهبها وأبعدها.



وَكَذلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ. وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا: إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ[١].

فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ: أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً عليه السلام بِذلِكَ أَمْ أَهَانَهُ! فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ ـ وَاللهِ الْعَظِيمِ ـ وَإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ.

فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ جَعَلَ مُحَمَّداً ﷺ عَلَماً لِلسَّاعَةِ[٢]، وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ. خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً، وَوَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً، لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ! وَاللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي[٣] هذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلَا تَنْبِذُهَا؟ فَقُلْتُ: أُعْزُبْ عَنِّي، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى[٤].

[١٦١] ومن خطبة له عليه السلام
[في صفة النبيّ وأهل بيته وأتباع دينه]

ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ، وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي، وَالْكِتَابِ

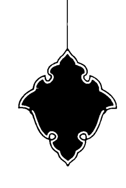
---

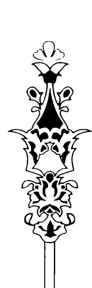
(١) زويت: طُويت وقُبضت. زلفته: قربته من الله تعالى.

(٢) العلم: العلامة، أي بعثه دليل على قرب القيامة.

(٣) المدرعة: ثوب من صوف.

(٤) السُّرى: السير بالليل، ومعناه: إذا أصبح النائمون ورأوا انّ السائرين قد وصلوا إلى مقاصدهم، حمدوا سيرهم وندموا على أنفسهم، وهو مثل يضرب لمحتمل المشقة العاجلة رجاء الراحة الآجلة.





الْهَادِي. أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ[١]. مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلا بِهَا ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ. أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلافِيَةٍ[٢]. أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ الأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ[٣]. فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ[٤]، وَيَكُنْ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ تَوَكُّلَ الإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلى جَنَّتِهِ، الْقَاصِدَةَ إِلى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَداً، وَالْمَنْجَاةُ أَبَداً. رَهَّبَ فَأَبْلَغَ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ[٥]، وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وَانْقِطَاعَهَا، وَزَوَالَهَا وَانْتِقَالَهَا.

فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا، أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللهِ! فَغُضُّوا عَنْكُمْ ـ عِبَادَ اللهِ ـ غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا، لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالاَتِهَا.

فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ، وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ، وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ[٦]، وَزَالَتْ أَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ؛ فَبُدِّلُوا

---

(١) متهدّلة: متدلية، كناية عن سهولة اجتناء العلم منها.

(٢) التلافي: تدارك الشيء بالاصلاح قبل أن يهلكه الفساد.

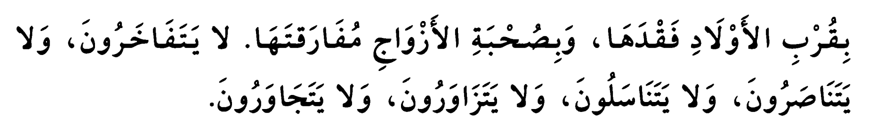
(٣) المفصولة: أي التي فصلها الله أي قضى بها.

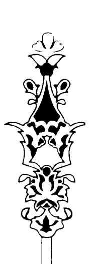
(٤) كبا الرجل لوجهه: أي سقط لوجهه.

(٥) أسبغ: أي أحاط بجميع وجوه الترغيب.

(٦) تزايلت: تفارقت، والأوصال: الأعضاء.







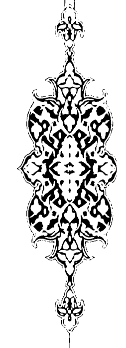
بِقُرْبِ الأَوْلَادِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا. لا يَتَفَاخَرُونَ، وَلا يَتَنَاصَرُونَ، وَلا يَتَنَاسَلُونَ، وَلا يَتَزَاوَرُونَ، وَلا يَتَجَاوَرُونَ.

فَاحْذَرُوا، عِبَادَاللهِ، حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ؛ فَإِنَّ الأَمْرَ وَاضِحٌ، وَالْعَلَمَ قَائِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ(١)، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ(٢).

[١٦٢] ومن كلام له عليه السلام(٣)

لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال:

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ(٤)، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ(٥)، وَلَكَ



---

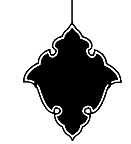
(١) الجدَدَ: الطريق المستوي المسلوك.

(٢) القصد: القويم.

(٣) رواه باختلاف الشيخ الصدوق (ت٣٨١) في الأمالي: ٧١٦ ح ٥ قال: «حدّثنا الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري، قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن رعل العبشمي، قال: حدثنا ثبيت بن محمّد، قال: حدثنا أبو الأحوص المصري، قال: حدثنا جماعة من أهل العلم عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه عن جده:، قال: بينما أميرالمؤمنين...» ورواه كذلك في علل الشرائع ١: ١٤٦ ح ٢، ورواه الطبري الشيعي (ق٤) في المسترشد: ٣٧١ ح ١٢٢، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١ : ٢٩٤ وقال: «وقد روى نقلة الآثار»، ورواه الخزاز القمي (ت٤٠٠) في كفاية الأثر: ٢١٣ باختلاف كلّي، إلّا أ نّه أورد قوله عليه السلام في النهاية: «فإن ترفع عنّا محن البلوى...» وقال: «حدثني عليّ بن الحسين بن مندة، قال: حدثنا محمّد بن الحسن الكوفي المعروف بأبي حكم، قال: حدثنا إسماعيل بن موسى بن إبراهيم، قال: حدثني سليمان بن حبيب، قال: حدثني شريك عن حكيم بن جبير، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس». واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ١: ٣٣٠، ٥: ١٩٩ ببعض فقراته.

(٤) الوضين: بِطان القتب وحزام السرج، ويقال للرجل المضطرب في أمره: إنّه لقلق الوضين، وذلك انّ الوضين إذا قلق اضطرب القتب أو الهودج أو السرج ومَن عليه.

(٥) السدد والاستداد: الاستقامة والصواب، ومعناه انّك ترسل السؤال في غير صواب.





بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ[(١)]، وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ:

أَمَّا الاسْتِبْدادُ عَلَيْنَا بِهذَا المقَامِ وَنَحْنُ الأَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالأَشَدُّونَ بِالرَّسُولِ نَوْطاً[(٢)]، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً[(٣)] شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَالْحَكَمُ اللهُ، وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ.

«وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ»[(٤)]

---

(١) الذمام: الحرمة، وذهب القطب الراوندي إلى أنّ المصاهرة أتت من قبل تزويجه عليه السلام من بني أسد، ولكن ردّه ابن أبي الحديد بأنّ المصاهرة جاءت من قبل زينب بنت جحش زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت أسدية.

(٢) النوط: العلقة. قال ابن أبي الحديد في شرحه ٩: ٢٥٠ «نقلت له [أي نقيب البصرة يحيى بن محمّد العلوي] انّ لفظه عليه السلام يدل على انّه لم يكن نص عليه، ألا تراه يقول: «ونحن الأعلون نسباً والأشدون بالرسول نوطاً» فجعل الاحتجاج بالنسب وشدة القرب، فلو كان عليه نص لقال عوض ذلك: «وأنا المنصوص عليَّ المخطوب باسمي» فقال رحمه الله: إنّما أتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل، ألا ترى انّه سأله فقال: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فهو إنّما سأل عن دفعهم عنه وهم أحق به من جهة اللحمة والعترة، ولم يكن الأسدي يتصوّر النص ولا يعتقده ولا يخطر بباله لأنّه لو كان هذا في نفسه لقال له: لِمَ دفعك الناس عن هذا المقام وقد نص عليك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ولم يقل له هذا، وإنّما قال كلاماً عاماً لبني هاشم كافة: كيف دفعكم قومكم عن هذا وأنتم أحق به، أي باعتبار الهاشمية والقربى، فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى الذي تعلّق به الأسدي بعينه تمهيداً للجواب، فقال: انّما فعلوا ذلك مع انّا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من غيرنا لأنّهم استأثروا علينا، ولو قال له: أنا منصوص عليَّ والمخطوب باسمي في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لما كان قد أجابه، لأنّه ماسأله: هل أنت منصوص عليك أم لا؟ ولا هل نص رسول الله صلى الله عليه وآله بالخلافة على أحد أم لا؟ وانّما قال: لِمَ دفعكم قومكم عن الأمر وأنتم أقرب إلى ينبوعه ومعدنه منهم؟ فأجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلائمه أيضاً، فلو أخذ يصرّح له بالنص ويعرّفه تفاصيل باطن الأمر لنفر عنه واتهمه ولم يقبل قوله ولم ينجذب إلى تصديقه، فكان أولى الاُمور في حكم السياسة وتدبير الناس أن يجيب بما لا نُفرة عنه، ولا مطعن عليه فيه».

(٣) الأثرة: الاستبداد بالشيء والتفرد به.

(٤) قال ابن الأثير في النهاية ١: ٣٤٢ بعد ذكر استشهاد أميرالمؤمنين عليه السلام بهذا =



وَهَلُمَّ الْخَطْبَ[1] فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ، وَلا غَرْوَ وَاللهِ، فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ، وَيُكْثِرُ الأَوَدَ، حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ[2]، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً[3]، فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى، أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

[١٦٣] ومن خطبة له عليه السلام[4]

[الخالق جلّ وعلا]

الْحَمْدُ للهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِحِ الْمِهَادِ[5]، ....

= المصرع: هذا مثل للعرب يضرب لمن ذهب من ماله شيء، ثم ذهب بعده ما هو أجل منه، وهو صدر بيت لامرئ القيس:

فَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ ... وَلكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

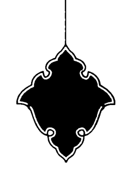
(١) هلمّ: اذكر، والخطب: الأمر العظيم.

(٢) فوّاره: مصدر فار الماء إذا نبع وجرى، والينبوع: عين الماء.

(٣) جدحوا: خلصوا ومزجوا. الوبيء: ذو الوباء والمرض.

(٤) روى الصدوق (ت٣٨١) في التوحيد: ٧٩ ح ٣٤ قوله: «لم يخلق الأشياء من أُصول أزلية ـ إلى قوله: ـ ولا له بطاعة أحد من خلقه انتفاع» ضمن خطبة طويلة اختصرها وأخذ منها موضع الحاجة، قال: «أخبرني أبو العباس الفضل بن الفضل بن العباس الكندي فيما أجازه لي بهمذان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، قال: حدثنا محمّد بن سهل يعني العطار البغدادي لفظاً من كتابه سنة خمس وثلاثمائة، قال: حدثنا عبدالله بن محمّد البلوي، قال: حدثني عمارة بن زيد، قال: حدثني عبد الله بن العلاء، قال: حدثني صالح سبيع، عن عمرو بن محمّد بن صعصعة بن صوحان، قال: حدثني أبي عن أبي المعتمر مسلم بن أوس» ورواها باختلاف أبو نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠) في حلية الأولياء ١: ١١٤ ح ٢٢٧ في ترجمة أميرالمؤمنين عليه السلام وقال: «حدثنا أبو بكر بن محمّد بن الحارث، حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي، حدثنا مسدد، حدثنا عبد الوارث بن سعيد، عن محمّد بن إسحاق، عن النعمان بن سعد»، وعنه المتقي الهندي (ت٩٧٥) في كنز العمال١: ٤٠٨ ح١٧٣٧.

(٥) الساطح: الباسط، والمهاد: الأرض.





وَمُسِيلِ الْوِهَادِ[1]، وَمُخْصِبِ النِّجَادِ[2]، لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، هُوَ الأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَالْبَاقِي بِلا أَجَلٍ، خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ، حَدَّ الأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا، لا تُقَدِّرُهُ الأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلا بِالْجَوَارِحِ وَالأَدَوَاتِ؛ لا يُقَالُ لَهُ: «مَتَى»؟ وَلا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ «بِحَتَّى»، الظَّاهِرُ لا يُقَالُ: «مِمَّ»؟ وَالْبَاطِنُ لا يُقَالُ: «فِيمَ»؟، لا شَبَحٌ فَيُتَقَصَّى[3]، وَلا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى[4]، لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ، وَلايَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ[5]، وَلا كُرُورُ لَفْظَةٍ[6]، وَلَا ازْدِلَافُ رَبْوَةٍ[7]، وَلا انْبِسَاطُ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ، وَلا غَسَقٍ سَاجٍ[8]، يَتَفَيَّأُ[9] عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الْكُرُورِ وَالأُفُولِ[10]، وَتَقْلِيبِ الأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ، قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ، تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الأَقْدَارِ[11]، وَنِهَايَاتِ الأَقْطَارِ، وَتَأَثُّلِ[12] الْمَسَاكِنِ، وَتَمَكُّنِ الأَمَاكِنِ؛ فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ.

---

(١) الوهاد: الأمكنة المنخفضة.

(٢) النجاد: ما ارتفع من الأرض، ومخصبها أي جاعلها ذوات خصب.

(٣) يُتقصّى: يطلب أقصاه.

(٤) وذلك انّ من شأن المحجوب بغيره أن يحويه حاجبه.

(٥) الشخوص: من شخص الرجل بصره إذا فتح عينه لا يطرف، واللحظة: امتداد البصر.

(٦) كرور لفظة: رجوعها.

(٧) ازدلف: تقدم واقترب، والربوة: المكان المرتفع.

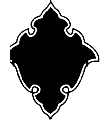
(٨) الغَسَق والغاسق: الليل إذا غاب الشفق، والساج: الساكن.

(٩) تفيّأ: تقلّب.

(١٠) الكرور: الطلوع والرجوع، والُافول: الغروب.

(١١) أي الأشياء التي لها مقدار، أو تعالى أن يوصف بقدر.

(١٢) التأثّل: الاتخاذ.



لَمْ يَخْلُقِ الأشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، وَلا مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ، وَلا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ انْتِفَاعٌ، عِلْمُهُ بِالأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّماوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الأَرَضِينَ السُّفْلَى[١].

منها

أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ[٢] فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ الأَسْتَارِ، بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لا تُحِيرُ[٣] دُعَاءً، وَلا تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا؛ فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ؟ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ! هَيْهَاتَ، إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ، وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ.

[١٦٤] ومن كلام له

لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته واستعتابه لهم، فدخل عليه السلام على عثمان فقال[٤]:

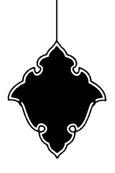
---

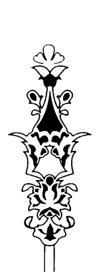
(١) قال ابن أبي الحديد في شرحه ٩: ٢٥٧ «ومعلوم انّ هذا الرجل انفرد بهذا الفن، وهو أشرف العلوم؛ لأنّ معلومه أشرف المعلومات، ولم يُنقل عن أحد من العرب غيره في هذا الفن حرف واحد، ولا كانت أذهانهم تصل إلى هذا، ولا يفهمونه بهذا الفن، فهو منفرد فيه».

(٢) المرعيّ: المحفوظ.

(٣) أحار يحير: أجاب.

(٤) رواه باختلاف الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٣: ٣٧٦ عن الواقدي، عن عبدالله بن=





إِنَّ النَّاسَ وَرَائي، وَقَدِ اسْتَسْفَرُونِي[1] بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ[2]! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لا تَعْرِفُهُ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله كَمَا صَحِبْنَا. وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلا ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَشِيجَةَ[3] رَحِمٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا.

فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ! فَإِنَّكَ ـ وَاللهِ ـ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ، وَإِنَّ الْطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ.

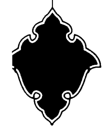
فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِاللهِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ، لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَاللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله

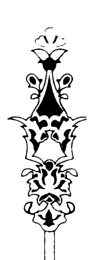
= محمّد عن أبيه، ورواه ابن عبد ربه (ت ٣٢٨) في العقد الفريد ٤ : ٢٨٤ عن ابن دأب، ورواه الشيخ المفيد (ت ٤١٣) في كتاب الجمل: ١٠٠، عن المدائني، عن عليّ بن صالح قال: ذكر ابن دأب، واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٢ : ٣٧٢ بقوله عليه السلام : «انّ الناس قد استسفروني ...».

(١) استسفروني: جعلوني سفيراً.

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرحه ٩ : ٢٦٢ «ثم قال له وأقسم على ذلك: انّه لا يعلم ماذا يقول له، لأنّه لا يعرف أمراً يجهله، أي من هذه الأحداث خاصة، وهذا حق لأنّ عليّاً عليه السلام لم يكن يعلم منها ما يجهله عثمان، بل كان أحداث الصبيان فضلاً عن العقلاء المميّزين، يعلمون وجهي الصواب والخطأ فيها».

(٣) الوشيجة: عرق الشجرة، والواشجة الرحم المشتبكة.

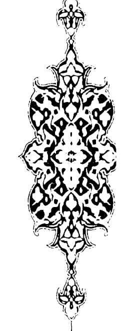




يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلا عَاذِرٌ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى، ثُمَّ يُرْتَبَطُ[١] فِي قَعْرِهَا».

وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللهَ أَنْ تَكُونَ إِمَامَ هذِهِ الأُمَّةِ الْمَقْتُولَ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هذِهِ الأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً[٢]. فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً[٣] يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السِّنِّ[٤] وَتَقَضِّي الْعُمُرِ.

فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِن مَظَالِمِهِمْ، فَقال عليه السلام: مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ.



[١٦٥] ومن خطبة له يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس[٥]

ابْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ، وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ

---

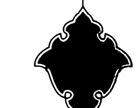
(١) يرتبط: يُشدّ.

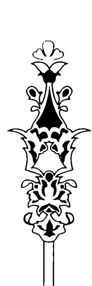
(٢) المرج: الخلط.

(٣) سيّقة: ما استاقه العدو من الدواب.

(٤) جلال السن: كبره.

(٥) قال ابن أبي الحديد في شرحه ٩: ٢٧٠ «فإن قلت: من أين للمدينة طواويس؟ وأين العرب وهذا الطائر حتى يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «أُحيلك من ذلك على معاينة» لا سيما وهو يعني السفاد، ورؤية ذلك لمن تكثر الطواويس في داره، ويطول مكثها عنده نادرة؟ قلت: لم يشاهد أميرالمؤمنين عليه السلام الطواويس بالمدينة بل بالكوفة، وكانت يومئذٍ تجبى إليها ثمرات كل شيء، وتأتي إليها هدايا الملوك من الآفاق، ورؤية المسافدة مع وجود الذكر والأنثى غير مستبعدة».





مُعْترِفَةً بِهِ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ الأَطْيَارِ الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ(١) الأَرْضِ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا(٢)، وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا(٣)، مِنْ ذَوَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ، وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ وَالْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ.

كَوَّنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلِ(٤) مُحْتَجِبَةٍ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ(٥) أَنْ يَسْمُوَ فِي الْهَوَاءِ خُفُوفاً(٦)، وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً(٧)، وَنَسَقَهَا(٨) عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الأَصَابِيغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ؛ فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ لَوْنٍ لا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ، وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ.

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ(٩)، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ(١٠). إِذَا دَرَجَ إِلَى الأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا بِهِ مُطِلّاً عَلَى رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ

---

(١) أخاديد: جمع أُخدود وهو الشق في الأرض.

(٢) الفجاج: جمع فج، وهو الطريق بين الجبلين.

(٣) الرواسي: الثوابت، وأعلامها: جبالها.

(٤) حقاق المفاصل: جمع حُقّ، رأس الورك الذي فيه عظم الفخذ، ورأس العضد الذي فيه الوابلة.

(٥) عبالة خلقه: كثافة جسمه.

(٦) الخفوف: سرعة الحركة.

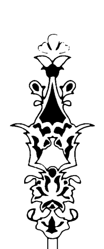
(٧) يدفّ دفيفاً: يحرّك جناحيه في الطيران.

(٨) نَسَقَها: نظّمها ورتبها.

(٩) أشرج قصبه: القصب هاهنا عروق الجناح، وأشرجها: ركب بعضها في بعض.

(١٠) مسحبه: مِن سحب ذيله إذا جرّه.





عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ. يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ(١)، يُفْضِي كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ، وَيَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ [لِلْضِّرابِ]. أُحِيلُكَ مِنْ ذلِكَ عَلَى مُعَايَنَةٍ، لا كَمَنْ يُحِيلُ عَلى ضَعِيفٍ إِسْنَادُهُ، وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا(٢) مَدَامِعُهُ، فَتَقِفُ في ضَفَّتَي جُفُونِهِ، وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذلِكَ، ثُمَّ تَبِيضُ لا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنبَجِسِ(٣)، لَمَا كَانَ ذلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ(٤)!

تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ(٥) مِنْ فِضَّةٍ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ(٦)، وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ(٧)، وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ. فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الأَرْضُ قُلْتَ: جَنىً جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ، وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ(٨) الْحُلَلِ أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ(٩) الْيَمَنِ، وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ(١٠).

---

(١) يميس بزيفانه: يتبختر; وزافت الحمامة: إذا نشرت جناحيها وذنبها وسحبته على الأرض.

(٢) تسفحها: ترسلها أوعية الدمع.

(٣) الدمع المنبجس: الذي يجيىء قليلاً قليلاً.

(٤) مطاعمة الغراب: تلقيحه لُانثاه. وقالوا: انّ مطاعمة الغراب بانتقال جزء من الماء المستقر في قانصة الذكر الى الُانثى تتناوله من منقاره.

(٥) قصبه: عظام أجنحته، والمدري والمدارة: شيء من حديد أو خشب على شكل سنّ من أسنان المشط وأطول منه، يسرّح به الشعر.

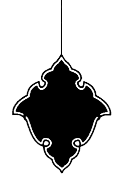
(٦) الدارات: جمع دارة وهي التي حول القمر.

(٧) العقيان: الذهب. شبّه عليه السلام أجنحة الطاووس بمداري من فضّة لبياضها، وشبّه ما أنبت الله عليها من تلك الدارات والشموس التي بالريش بخالص العقيان.

(٨) الموشي: من وشيت الثوب: رقمته ونقشته.

(٩) العصب: برد من برود اليمن.

(١٠) نطقت باللجين: جعلت الفضة كالنطاق لها، والمكلّل: المزيّن بالجواهر.





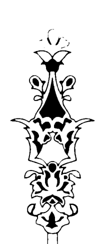
يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ(١)، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَهُ، فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ، وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ(٢)؛ فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً(٣) بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ(٤) كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلاسِيَّةِ(٥).

وَقَدْ نَجَمَتْ(٦) مِنْ ظُنْبُوبِ(٧) سَاقِهِ صِيصِيَةٌ(٨) خَفِيَّةٌ، وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ(٩) خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ(١٠)، وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالإِبْرِيقِ، وَمَغْرِزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ(١١) الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ(١٢)، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ(١٣)؛ إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ، وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ، أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ، وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ(١٤) ....

---

(١) المرح: المعجب، والمختال: الزاهي بنفسه.
(٢) الوشاح: ينسج من أديم عريضاً، ويرصّع بالجواهر، وتشدّه المرأة بين عاتقيها.
(٣) زقا: صاح وصوّت. معولاً: صارخاً.
(٤) قوائمه حُمش: دقاق.
(٥) الديكة الخلاسية: المتولّدة بين الدجاج الفارسي والهندي.
(٦) نجمت: ظهرت.
(٧) الظنبوب: عظم الساق من قدام.
(٨) الصيصية: شوكة مرتفعة تكون في رجل الديك.
(٩) القنزعة: الشعر حوالي الرأس، أو الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي.
(١٠) موشاة: منقوشة.
(١١) مغرزها: أي طرف العنق الذي يلي الجسد. الوسمة: نبات يخضب به.
(١٢) الصقال: الجلاء.
(١٣) المتلفّح: الملتحف، والمعجر: ما يعتجر به نحو ما تشدّه المرأة على رأسها كالرداء، والأسحم: الأسود.
(١٤) مستدق القلم: القلم الدقيق.





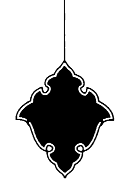
فِي لَوْنِ الأُقْحُوَانِ(١)، أَبْيَضُ يَقَقٌ(٢)، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ(٣).

وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ، وَبَصِيصِ(٤) دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ(٥)، فَهُوَ كَالأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ، لَمْ تُرَبِّهَا(٦) أَمْطَارُ رَبِيعٍ، وَلا شُمُوسُ قَيْظٍ(٧). وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِهِ(٨)، وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً، فَيَنْحَتُّ(٩) مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الأَغْصَانِ، ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ، لا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ!

وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً(١٠). فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ(١١)، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ! وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الأَوهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَالأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ! فَسُبْحَانَ

---

(١) الأقحوان: البابونج الأبيض، وهو نوع من النبات.
(٢) أبيض يقق: خالص البياض.
(٣) يأتلق: يلمع.
(٤) البصيص: البريق، وبصّ الشيء: لمع.
(٥) الرونق: الحُسن.
(٦) تربها الأمطار: تربيها وتجمعها.
(٧) القيظ: شدّة الحرّ في الصيف.
(٨) ينحسر من ريشه: ينكشف فيسقط.
(٩) ينحت: يتساقط.
(١٠) العسجد: الذهب.
(١١) عمائق الفطن: الفطن العميقة.





الَّذِي بَهَرَ[1] الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ[2] لِلْعُيُونِ، فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً، وَأَعْجَزَ الأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ!

فَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ[3] وَالْهَمَجَةِ[4] إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيْتَانِ وَالأَفْيِلَةِ! وَوَأَى[5] عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ، إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ[6] مَوْعِدَهُ، وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ.

منها: في صفة الجنة

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا، وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا، وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ[7] غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا[8]، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ[9]، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ[10].

---

(١) بهر: غلب.

(٢) جلّاه: أظهره وكشفه.

(٣) أدمج القوائم: أحكمها، والذّرّة: النملة.

(٤) الهَمَجَة: ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير.

(٥) وأى: وعد.

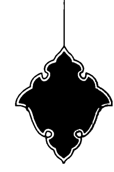
(٦) الحِمام: الموت.

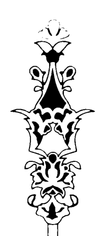
(٧) اصطفاق الأشجار: اضطرابها.

(٨) الأكمام: جمع كِم وعاء الطلع.

(٩) المصفّقة: المصفاة.

(١٠) راق الشراب: صفا.





قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الأَسْفَارِ. فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ(١)، لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا. جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

تفسير بعض ما في هذه الخطبة من الغريب

قَوْلُهُ عليه السلام: **«وَيَؤُرُّ بِمَلاقِحِهِ»** الأَرُّ: كِنَايَةٌ عَنِ النِّكَاحِ، يُقَالُ: أَرّ الْمَرْأَةَ يَؤُرّهَا، إِذَا نَكَحَهَا. وَقَوْلُهُ عليه السلام: **«كَأَنّهُ قَلْعُ دَارِيّ عَنَجَهُ نُوتيّهُ»** الْقَلْعُ: شِرَاعُ السّفِينَةِ، وَدَارِيّ: مَنْسُوبٌ إلى دَارِينَ، وَهِيَ بَلْدَةٌ عَلَى الْبَحْرِ يُجْلَبُ مِنْهَا الطّيبُ. وَعَنَجَهُ: أَيْ عطفه. يُقَالُ: عَنَجْتُ النّاقَةَ أَعْنُجُهَا عَنْجاً إِذَا عَطَفْتُهَا. وَالنّوتي: الْمَلاّحُ. وَقَوْلُهُ: **«ضَفّتَيْ جُفُونِهِ»** أَرَادَ جَانِبَيْ جُفُونِهِ. وَالضّفّتَانِ: الجانِبَانِ. وَقَوْلُهُ: **«وَفِلَذَ الزّبَرْجَدِ»** الْفِلَذُ: جَمْعُ فِلْذَة، وَهِيَ الْقِطْعَةُ. وَقَوْلُهُ: **«كَبَائِسِ اللّؤْلُؤِ الرّطْبِ»** الْكِبَاسَة: الْعِذْقُ. وَالْعَسَالِيجُ: الْغُصُونُ، وَاحِدُهَا عُسْلُوجٌ.



[١٦٦] ومن خطبة له عليه السلام(٢)
[الحثّ على التآلف]

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلْيَرأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغيرِكُمْ، وَلا تَكُونُوا كَجُفَاةِ

---

١) المونقة: المعجبة.

٢) رواها باختلاف الكليني (ت٣٢٩) في الكافي٨: ٦٥ ح٢٢ عن أحمد بن محمّد الكوفي، عن جعفر بن عبدالله المحمّدي عن أبي روح فرج بن قرة، عن جعفر بن عبدالله، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام .... وروى قطعة منها الشيخ المفيد (ت٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٩٣ عن محمّد بن=





الْجَاهِلِيَّةِ: لا فِي الدِّينِ تَتَفَقَّهُونَ، وَلا عَنِ اللهِ تَعْقِلُونَ، كَقَيْضِ[1] بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ[2] يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا[3] شَرّاً.

منها: [في بني أمية]

افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ، فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَما مَالَ مَالَ مَعَهُ، عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ[4] يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً[5] كَرُكَامِ السَّحَابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً، يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ[6] كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ[7]، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ[8]، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ[9]، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ[10]، وَلا حِدَابُ أَرْضٍ[11]، يُذَعْذِعُهُمُ[12] اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي

= صدقة، عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام.... واستشهد ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٤: ١٣٢ بقوله عليه السلام: «لا تكونوا كقيض بيض في أداح».

(١) القيض: قشر البيض.

(٢) أداح: جمع أدحياء، وهي الوكر للحية، وهو موضع البيض، وأدحيّ النعامة: الموضع الذي تبيض فيه.

(٣) حضانها: ما احتضن منها.

(٤) قزع الخريف: السحاب المتفرق في الخريف.

(٥) الركام: ما كثف من السحاب.

(٦) مستثارهم: موضع ثورانهم.

(٧) كسيل الجنتين: أي سيل العرم الذي أصاب جنتي قوم سبأ.

(٨) قارة: الجبل الصغير.

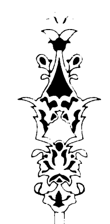
(٩) الأكمة: التلعة من الأرض.

(١٠) السَنَن: الطريق، وطود مرصوص: أي جبل شديدُ التصاقِ الأجزاءِ بعضها ببعض.

(١١) حداب أرض: مرتفعاتها.

(١٢) يذعذعهم: يفرقهم.





الأَرْضِ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ. وَأَيْمُ اللهِ، لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ، كَمَا تَذُوبُ الأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ، لكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً، [بِمَا] خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الأَدْنى، وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ الاعْتِسَافِ، وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ[1] عَنِ الأَعْنَاقِ.

[١٦٧] ومن خطبة له عليه السلام
في أوّل خلافته[2]

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ؛ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَاصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا[3].

الْفَرَائِضَ الْفَرائِضَ! أَدُّوهَا إِلَى اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ. إِنَّ اللهَ تَعالَى حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرَمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا[4]، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ.

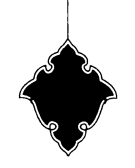
---

(١) الاعتساف: الأخذ على غير الطريق. الفادح: المثقل أي المؤثّر بثقله في الحامل.

(٢) رواها بأدنى اختلاف الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٣: ٤٥٧ عن السدي، عن شعيب، عن سيف، عن سليمان بن أبي المغيرة، عن عليّ بن الحسين.

(٣) أصدفوا: أعرضوا، السمت: الطريق، القصد: العدل.

(٤) معاقدها: مواضعها.





بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ، تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا[1]، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ. اتَّقُوا اللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ، أَطِيعُوا اللهَ وَلا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

[١٦٨] ومن كلام له عليه السلام
بعد ما بويع بالخلافة[2]

وقد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان! فقال:

يَا إِخْوَتَاهُ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلكِنْ كَيْفَ لي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ

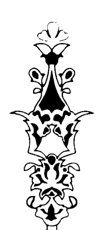
---

(١) قال الشريف الرضي رحمه الله في الخصائص: ١١٢ تعليقاً على هذه العبارة: «ما أقلّ هذه الكلمة، وأكثر نفعها، وأعظم قدرها، وأبعد غورها، وأسطع نورها».

(٢) رواه الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٣: ٤٥٨ عن السدي، عن شعيب، عن سيف، عن محمّد وطلحة.

واعلم أنّ المحقق التستري أنكر في شرحه بهج الصباغة٩: ٤٤٨ ـ ٤٦٥ نسبة هذا الكلام الى أمير المؤمنين عليه السلام حيث أنّ سيرته عليه السلام وتعامله مع قتلة عثمان تخالف هذا، وقال ابن أبي الحديد في شرحه ٩: ٢٩٣ «إنّه عليه السلام كان في نفسه عقاب الذين حصروا عثمان والاقتصاص ممن قتله»، ولكن يبدو أنّ كلاهما أخطأ، وذلك أنّنا لو جمعنا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في شأن عثمان، ولاحظناه مع ما يقترن به من ملابسات وفتن داخلية وخارجية تهدّد كيان الإسلام، علمنا أنّه عليه السلام كان بناؤه في أمر عثمان على ابهام المرام، واستعمال التورية في الكلام، لمصالح قاضية بذلك مانعة عن الإبانة والتصريح، كما قال عليه السلام في ذيل كلامه هذا: «ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة، وتسقط منّة، وتورث وهناً وذلّة»، وإلّا فكيف يخفى على أحد سخط أميرالمؤمنين عليه السلام على ما فعله عثمان من بدعٍ ومحدثات أودت بحياته، من نفي أبي ذر، وضرب عمّار وابن مسعود، وايواء طريد الرسول وغيرها ممّا اقترفها عثمان.





الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا وَلا نَمْلِكُهُمْ! وهَاهُمْ هؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ، وَالْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ(١) يَسُومُونَكُمْ مَا شَاؤُوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيءٍ تُرِيدُونَهُ! إنَّ هذَا الأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ، وَإِنَّ لِهؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً.

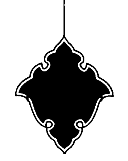
إِنَّ النَّاسَ مِنْ هذَا الأَمْرِ ـ إِذَا حُرِّكَ ـ عَلَى أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لا تَرَى لا هذَا وَلا هذَا، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً(٢)؛ فَاهْدَأُوا عَنِّي، وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً(٣)، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً، وَسَأُمْسِكُ الأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّواءِ الْكَيُّ.

[١٦٩] ومن خطبة له عليه السلام
عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة(٤)

إِنَّ اللهَ تَعالَى بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ، لا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلّا هَالِكٌ، وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ اللهُ مِنْهَا، وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ، فَأَعْطُوهُ طاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ(٥) وَلا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا.

---

(١) خلالكم: فيما بينكم.
(٢) مُسْمَحَة: من أسمح أي ذلّ وانقاد.
(٣) مُنَّة: قوة عمل.
(٤) رواها الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٣: ٤٦٥ عن السدي، عن شعيب، عن سيف، عن محمّد وطلحة، وشرح غريبها ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ١: ٤١، ٣: ٤٨٦.
(٥) ملوّمة: مبالغة في لامه، أي غير ملوم عليها بالنفاق.





وَاللهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الإِسْلَامِ، ثُمَّ لا يَنْقُلُهُ إِلَيكُمْ أَبَداً حَتَّى يَأْرِزَ[1] الأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ.

إِنَّ هؤُلَاءِ قَدْ تَمَالأُوا عَلَى سَخْطَةِ[2] إِمَارَتِي، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هذَا الرَّأْيِ[3] انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا رَدَّ الأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا.

وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ وَسِيرَةِ رَسُولِهِ، وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالنَّعْشُ[4] لِسُنَّتِهِ.

[١٧٠] ومن كلام له عليه السلام[5]

[في وجوب اتباع الحقّ عند قيام الحجّة]

كلّم به بعض العرب، وقد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب عليه السلام منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم، فبيّن له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنّه على الحقّ. ثمّ قال له: بايع. فقال: إنّي رسول قومٍ، ولا أحدِث حدثاً حتّى أرجع إليهم.

---

(١) يأرز: يجتمع وينضمّ.

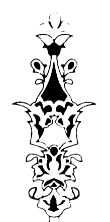
(٢) تمالأوا: اجتمعوا. السخطة: الكراهة وعدم الرضا.

(٣) فيالة الرأي: ضعفه.

(٤) النعش: الرفع.

(٥) رواه الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٣: ٥٠٥ عن مصعب بن سلام التميمي، عن محمّد بن سوقة، عن عاصم بن كليب الجرمي، عن أبيه، وروى بمعناه ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥) في المصنّف ٨: ٧٠٤ قال: حدثنا عبدالله بن يونس، قال: حدثنا بقي بن مخلّد، قال: حدثنا أبو بكر قال: حدثنا أُسامة، قال: حدثنا العلاء بن المنهال، قال: حدثنا عاصم بن كليب الجرمي، قال: حدثني أبي»، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في كتاب الجمل: ١٥٦ عن الواقدي، عن شيبان بن عبدالرحمن، عن عاصم بن كليب، عن أبيه.





فقال عليه السلام: **أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ، فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلأ وَالْمَاءِ، فَخَالَفُوا إِلى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ، مَا كُنْتَ صَانِعاً؟** قال: كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلى الْكَلإِ وَالْمَاءِ. فَقَالَ لَهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: **فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ.**

فَقَالَ الرَّجُلُ: فَوَاللهِ مَااسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَالرَّجُلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبٍ الجَرْمِيّ.

[١٧١] ومن كلام له عليه السلام
لما عزم على لقاء القوم بصفين[١]

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ[٢]، الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً[٣] لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَجْرًى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ، وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً[٤] مِنْ مَلَائِكَتِكَ، لا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ. وَرَبَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلأَنَامِ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ والأَنْعَامِ، وَمَا لا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمَا لا يُرَى. وَرَبَّ الجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلأَرْضِ أَوْتَاداً، وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً[٥]. إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ، وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشهَادَةَ وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ.

---

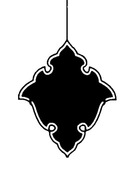
(١) رواه المنقري (ت٢١٢) في وقعة صفين: ٢٣٢ قال: «حدّثني عمر بن سعد، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب»، والحسين بن سعيد الأهوازي (ق ٣) في كتاب الدعاء عن يعقوب بن شعيب عن الإمام الصادق عليه السلام ـ كما في مهج الدعوات للسيّد ابن طاووس ص: ١٠٢ـ وورواه الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤ : ١٠ وقال: «قال أبو مخنف: حدّثني مالك بن أعين، عن زيد بن وهب الجهني».

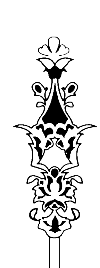
(٢) كفّه: جمعه وضمّ بعضه إلى بعض، أو منعه عن السقوط.

(٣) المغيض: الموضع الذي يغيض فيه الماء.

(٤) سبطاً: طائفة.

(٥) اعتماداً: معتمداً، أو ملجأ يعتصم به.





أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ[1]، وَالْغَائِرُ[2] عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ[3] مِنْ أَهْلِ الحِفَاظِ؟! العَارُ وَرَاءَكُم، وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُم!

[١٧٢] ومن خطبة له عليه السلام[4]

الْحَمْدُ لله الَّذِي لا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلا أَرْضٌ أَرْضاً.

منها: [في يوم الشورى]

وَقَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ يَابْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَى هذَا الأَمْرِ لَحَرِيصٌ. فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللهِ أَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي[5] دُونَهُ، فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالْحُجَّةِ[6] فِي الْمَلَإِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ[7] كَأَنَّهُ بُهِتَ لا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ!

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ[8] عَلى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي، ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ.

---

(١) الذمار: ما يلزمك حفظه.

(٢) الغائر: الغيور.

(٣) نزول الحقائق: نزول الأُمور الشديدة كالحرب ونحوها.

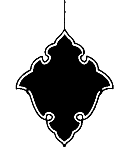
(٤) رواها باختلاف ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٧٦، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ٣٠٨ عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه، ورواها الطبري الإمامي (ق ٤) في المسترشد: ٤١٦ ح ١٤١ عن الشعبي، عن شريح بن هاني، وقال ابن أبي الحديد ٩: ٣٠٥ «وقد رواه الناس كافة».

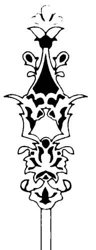
(٥) ضرب الوجه: كناية عن الرد والمنع.

(٦) القرع بالحجة: استعارة، والأصل في القرع ضرب الرأس بالعصا.

(٧) هبّ: استيقظ.

(٨) استعديت: استعنت.

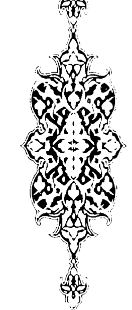




منها: في ذكر أصحاب الجمل

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا تُجَرُّ الأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ، فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً[(١)]، وَطَائِفَةً غَدْراً.

فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلاً وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ[(٢)] لِقَتْلِهِ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلا يَدٍ. دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ[(٣)]!



[١٧٣] ومن خطبة له عليه السلام[(٤)] [في رسول الله ﷺ]

أَمِينُ وَحْيِهِ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهذَا الأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللهِ فِيهِ، فَإِنْ شَغَبَ[(٥)] شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ[(٦)]، فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ.

---

(١) القتل صبراً: أن تحبس الشخص ثم ترميه حتى يموت.

(٢) معتمدين: قاصدين.

(٣) أي لو كان المقتول واحداً لحلّ لي قتلهم كلّهم، فكيف وقد قتلوا من المسلمين عدّة مثل عدّتهم التي دخلوا بها البصرة.

(٤) روى ذيل الخطبة باختلاف كثير الإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١١١، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٨٤.

(٥) الشغب: تهييج الشرّ والفساد.

(٦) استعتب: طلب منه الرضا بالحقّ.





وَلَعَمْرِي، لَئِنْ كَانَتِ الإِمَامَةُ لا تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ، مَا إِلَى ذلِكَ سَبِيلٌ، وَلكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلا لِلغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ(١).

أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ. أُوصِيكُمْ [عِبَادَ اللهِ] بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّها خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الأُمُورِ عِنْدَ اللهِ، وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلا يَحْمِلُ هذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ والصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ، فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً.

أَلا وَإِنَّ هذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَلا مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ، أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا، وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا، فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وَأَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا، وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا، وَلا

(١) كان معاوية يطعن على أميرالمؤمنين عليه السلام بعدم بيعة عامة الناس إليه عليه السلام إذ كتب له: «انّ أهل البصرة بايعوك ولم يبايعك أحد من أهل الشام» [الإمامة والسياسة ١: ١٠١] فكان يتضرّع بهذه الحجج ويبرّر موقفه وتمرّده، فكلام أميرالمؤمنين عليه السلام كان صادراً في مقام الردّ على شغبه، لأنّ الواجب في مقام الاحتجاج، أنّ الإنسان يحتج بما يقرّ به الخصم لا بما ينكره، فمعاوية كان ينكر النصّ فلم يحتجّ به أميرالمؤمنين عليه السلام، ويدلّ عليه قوله عليه السلام: «ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى يحضرها عامة الناس...»، فلا مجال اذن لما توهمه ابن أبي الحديد في شرحه ٩: ٣٢٩ من انّ هذا الكلام مبطل لقول الإمامية في مسألة النصّ.



يَخِنَّ[1] أَحَدُكُمْ خَنِينَ الأَمَةِ عَلَى مَا زُوِيَ[2] عَنْهُ مِنْهَا، وَاسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ.

أَلَا وَإِنَّهُ لا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ، أَلَا وَإِنَّهُ لا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ، أَخَذَ اللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ!

[١٧٤] ومن كلام له عليه السلام
في معنى طلحة بن عبيدالله[3]

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ، وَأَنَا عَلَى مَا وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ. وَاللهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً[4] لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمانَ إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ، لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبِسَ الأَمْرُ وَيَقَعَ الشَّكُّ.

وَوَاللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ: لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً ـ كَمَا كَانَ يَزْعُمُ ـ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ وَأَنْ يُنَابِذَ[5]

---

(١) الخنين: البكاء في الأنف.

(٢) زوي: قبض.

(٣) روى صدره الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٥: ٥٣ ح ٤ من قوله: «قد كنت وما أهدد بالحرب ـ إلى قوله: ـ وعدني ربّي من النصر» وقال: «عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب رفعه أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام خطب يوم الجمل...»، وروى جميعه باختلاف الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ١٦٩ ح٣٦ وقال: «أخبرنا محمّد بن محمّد، قال: أخبرني أبو الحسن عليّ بن محمّد الكاتب، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ ابن عبدالكريم الزعفراني، قال: حدثنا إبراهيم بن محمّد الثقفي، قال: حدثنا عبيدالله بن إسحاق الضبي، عن حمزة بن نصر، عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي».

(٤) تجرّد زيد لأمره: جدّ فيه.

(٥) يوازر: يعين، ينابذ: يحارب.





نَاصِرِيهِ، وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِينَ(١) عَنْهُ وَالْمُعَذِّرِينَ فِيهِ(٢)، وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِباً وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

[١٧٥] ومن خطبة له عليه السلام

[في الموعظة وبيان قرباه من رسول الله]

أَيُّهَا الغَافِلُونَ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ، مَالِي أَرَاكُمْ عَنِ اللهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ! كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ(٣) إِلَى مَرْعىً وبِيٍّ، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ(٤)، وَإِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى؛ لا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا! إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا.

وَاللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذلِكَ مِنْهُ.

وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَآلِ هذَا الأَمْرِ، وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَاللهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا.

---

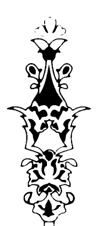
(١) المنهنهين: الكافّين والزاجرين.

(٢) المعذّرين فيه: المعتذرين عنه فيما نقم منه.

(٣) أراح بها: ذهب بها. والسائم: الراعي.

(٤) المشرب الدوي: ذو المرض والداء.



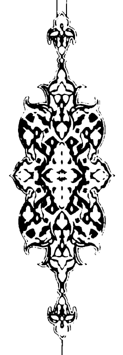


[١٧٦] ومن خطبة له عليه السلام[(١)]

[وفيها يعظ ويبيّن فضل القرآن وينهى عن البدعة]

انْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللهِ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ[(٢)]، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الأَعْمَالِ، وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا، لِتَتَّبِعُوا هذِهِ، وَتَجْتَنِبُوا هذِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ»[(٣)].

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتي فِي كُرْهٍ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ شَيءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ، فَرَحِمَ اللهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً[(٤)]، وَإِنَّهَا لا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوىً.



وَاعْلَمُوا ـ عِبَادَ اللهِ ـ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لا يُصْبِحُ وَلا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ[(٥)] عِنْدَهُ، فَلَا يَزَالُ زَارِياً[(٦)] عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيْداً لَهَا، فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ، وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ، قَوَّضُوا[(٧)] مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وَطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ.

---

(١) روى القمّي (ت ٣٢٩) ذيلها باختلاف في تفسيره ٢ : ٧٠ من قوله: «طوبى لمن شغله... الناس منه في راحة» واستشهد ببعض فقراتها ابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية.

(٢) أعذر إليكم بالجلية: أي بالأعذار الجلية والبراهين الواضحة.

(٣) رواه عن النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلم) ابن راهويه (ت ٢٣٨) في مسنده ١ : ٤٠٨، وعن ابن مسعود ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥) في المصنّف ٨ : ١٥٩ ح ١٢، والطبراني (ت ٣٦٠) في المعجم الكبير ٩ : ١٠٤.

(٤) أبعد منزعاً: أي نزوعاً بمعنى الانتهاء والكف عن المعاصي.

(٥) ظنون: متهمة.

(٦) زارياً: عائباً.

(٧) التقويض: نزع أعمدة الخيمة وأطنابها، والمراد أنّهم قطعوا علائق الدنيا وارتحلوا إلى الآخرة، كما أنّ الراحل إذا أراد الارتحال يقوض متاعه.



وَاعْلَمُوا أَنَّ هذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لا يُضِلُّ، وَالمُحَدِّثُ الَّذِي لا يَكْذِبُ، وَمَا جَالَسَ هذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ: زِيَادَةٍ فِي هُدًى، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ[1]، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى؛ فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ[2]، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ، وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ، وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ، فَاسْأَلُوا اللهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ بِمِثْلِهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ[3] يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْه، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامةِ: أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلىً فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ، غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ؛ فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ[4]، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ.

الْعَمَلَ الْعَمَلَ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ، وَالاسْتِقَامَةَ الاسْتِقَامَةَ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ! إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلى نِهَايَتِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ، وَإِنَّ لِلإِسْلَامِ غَايَةً فانْتَهُوا إِلى غَايَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلَى اللهِ

---

(١) الفاقة: الحاجة.

(٢) اللأواء: الشدة.

(٣) محل به القرآن: أي سعى به إلى الله تعالى، وقال في حقّه قولاً يضرّه ويوقعه في المكروه.

(٤) اتهموا عليه آراءكم: أي إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ.



مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَبَيَّنَ لكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ، أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ، وَحَجِيجٌ[١] يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ.

أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ[٢]، وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللهِ وَحُجَّتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، وَقَدْ قُلْتُمْ: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ، وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لا تَمْرُقُوا مِنْهَا، وَلا تَبْتَدِعُوا فِيهَا، وَلا تُخَالِفُوا عَنْهَا؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الأَخْلَاقِ[٣] وَتَصْرِيفَهَا، وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً، وَلْيَخْتَزِنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ، فَإِنَّ هذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ، وَاللهِ مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَىً تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَزِنَ لِسَانَهُ، وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لا يَدْرِي مَاذَا لَهُ، وَمَاذَا عَلَيْهِ، وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»[٤]؛

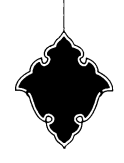
---

(١) حجيج: أي مخاصم ومجادل.

(٢) تورّد: ورد قليلاً قليلاً.

(٣) تهزيع الأخلاق: تغييرها.

(٤) رواه أحمد (ت ٢٤١) في المسند ٣: ١٩٨، وابن أبي الدنيا (ت ٢٨١) في كتاب الصمت: ٤٨، والطبراني (ت ٣٦٠) في المعجم الكبير ١٠: ٢٢٧، وابن سلامة (ت ٤٥٤) في مسند الشهاب ٢: ٦٢ ح ٨٨٧، والمتقي الهندي (ت ٩٧٥) في كنز العمال ٩: ٥٦ ح ٢٤٩٢٥.





فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللهَ سُبْحانَهُ وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ، فَلْيَفْعَلْ.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عاماً أَوَّلَ، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عاماً أَوَّلَ، وَأَنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَلكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ اللهُ، وَالْحَرامَ مَا حَرَّمَ اللهُ، فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا[1]، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَضُرِبَتِ الأَمْثَالُ لَكُمْ، وَدُعِيتُمْ إِلَى الأَمْرِ الْوَاضِحِ؛ فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذلِكَ إِلَّا أَصَمُّ، وَلا يَعْمَى عَنْهُ إِلَّا أَعْمَى.

وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ، حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ. وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ، وَلا ضِياءُ حُجَّةٍ.

وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحداً بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَسَبَبُهُ الأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جَلاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوِ الْمُتَنَاسُونَ. فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَانَ يَقُولُ: «يَابْنَ آدَمَ، اعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ»[2].

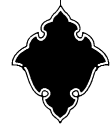
أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لا يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لا يُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لا يُطْلَبُ.

فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ

---

(١) ضرستموها: أي جربتموها وعضضتموها بالأضراس.

(٢) رواه ابن أبي جمهور (ق ٩) في عوالي اللآلي ١: ٢٧٩ ح ١١٢.



أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾. وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ[١].
وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لا يُتركُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً. الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَى وَلا ضَرْباً بِالسِّيَاطِ، وَلكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذلِكَ مَعَهُ. فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ، خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى، وَلا مِمَّنْ بَقِيَ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ طُوبى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَكَلَ قُوتَهُ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ!

[١٧٧] ومن كلام له عليه السلام

في معنى الحكمين[٢]

فأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى أَنِ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجَعْجِعَا[٣] عِنْدَ الْقُرْآنِ ولَا يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُما مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، وَالاعْوِجَاجُ دَأْبُهُمَا؛ وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا، وَالثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا، حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَتَيَا بِمَا لا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ.

[١٧٨] ومن خطبة له عليه السلام

[في الشهادة والتقوى]

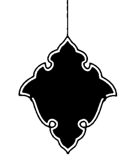
لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلا يَحْوِيهِ مَكَانٌ، وَلا يَصِفُهُ لِسَانٌ،

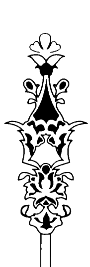
---

(١) الهنات: الأُمور المنكرة.

(٢) رواه الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٦٣ عن أبي مخنف، عن أبي سلمة الزهري.

(٣) يجعجعا عند القرآن: يقيما عنده.





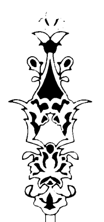
وَلا يَعْزُبُ عَنْهُ[1] عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ، وَلا نُجُومِ السَّماءِ، وَلَاسَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَلا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا[2]، وَلا مَقِيلُ[3] الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ. يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الأَوْرَاقِ، وَخَفِيَّ طَرْفِ الأَحْدَاقِ[4].

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهِ إِلَّا اللهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ، وَلا مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلا مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ، شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ[5]، وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُه. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ، وَالْمُعْتَامُ[6] لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ، وَالْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ[7] كَرَامَاتِهِ، وَالْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ، وَالْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى، وَالْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ[8] الْعَمَى.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا وَالْمُخلِدَ إِلَيْهَا، وَلا تَنْفَسُ[9] بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا. وَأَيْمُ اللهِ، مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ[10] نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا، لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ، وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ،

(١) لا يعزب عنه: لا يخفى عليه.
(٢) الصفا: الحجر الأملس.
(٣) مقيل: موضع القيلولة، أو محل الاستراحة والمبيت.
(٤) الحدقة: العين، وطرفه: الجفن.
(٥) الدخلة: الضمير والباطن.
(٦) المعتام: المختار.
(٧) العقائل: جمع عقيلة، وهي الكريمة من كلّ شيء.
(٨) الغربيب: شديد السواد.
(٩) لا تنفس: لا تضنّ به.
(١٠) الغضّ: الناضر.





فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ، وَإِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ(١)، وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ، مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً، كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ، وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ، عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ!

[١٧٩] ومن كلام له عليه السلام(٢)

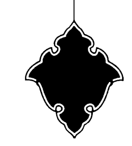
وقد سأله ذِعلبٌ اليماني فقال: هل رأيت ربّك يا أميرالمؤمنين؟ فقال عليه السلام: **أَفأَعْبُدُ مَا لا أَرَى؟** قال: وكيف تراه؟

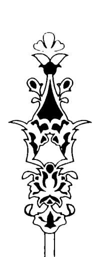
قال: لا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ، قَرِيبٌ مِنَ الأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلَامِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ بِلَا رَوِيَّةٍ، مُرِيدٌ بِلَا هِمَّةٍ، صَانِعٌ لا بِجَارِحَةٍ، لَطِيفٌ لا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ

---

(١) أي: فترة من عذاب ينتظر بكم عقاباً من الله.

(٢) رواه باختلاف الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ١: ١٣٨ ح ٤ عن محمّد بن أبي عبدالله رفعه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: بينا أميرالمؤمنين عليه السلام .... ورواه الصدوق (ت ٣٨١) في التوحيد: ٣٠٥ وقال: «حدثنا أحمد بن الحسن القطان وعلي بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق رحمه الله قالا: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، قال: حدثنا محمّد بن العباس، قال: حدثني محمّد بن أبي السري، قال: حدثنا أحمد بن عبدالله بن يونس، عن سعد الكناني، عن الأصبغ بن نباتة»، وبنفس السند رواه المفيد (ت ٤١٣) في الاختصاص: ٢٣٥، ورواه الصدوق بسند آخر وقال: «حدثنا عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق رحمه الله قال: حدثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي، قال: حدثنا محمّد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدثني الحسين بن الحسن، قال: حدثنا عبدالله بن داهر، قال: حدثني الحسين بن يحيى الكوفي، قال: حدثني قثم بن قتادة، عن عبدالله بن يونس، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: بينا أميرالمؤمنين عليه السلام...»، ورواه سبط ابن الجوزي في (التذكرة) ١٥٧ نقلاً عن عطية العوفي عن ابن عباس.





لا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ، تَعْنُو[1] الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

[١٨٠] ومن كلام له عليه السلام في ذمّ أصحابه[2]

أَحْمَدُ اللهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُم أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ، وَإذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ، إنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ، وَإنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ[3]، وَإنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إمَامٍ طَعَنْتُمْ، وَإنْ أُجِئْتُمْ إلَى مُشَاقَّةٍ[4] نَكَصْتُمْ[5].

لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ[6]! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ! الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ! فَوَاللهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي ـ وَلَيَأْتِيَنِّي ـ لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ[7]، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ.



للهِ أَنْتُمْ! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ! وَلا مَحْمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ! أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ[8] فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلا عَطَاءٍ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ ـ وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الإِسْلَامِ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ ـ إلَى الْمَعُونَةِ أَو طَائِفَةٍ مِنَ

---

(١) تعنو: تخضع.

(٢) رواه باختلاف الثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ٢٩١ عن جندب بن عبدالله، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه٤: ٨١. وليس المقصود من قول الرضي: «في ذم أصحابه» شيعته الخلص الّذين بذلوا أنفسهم دونه أمثال عمّار ومالك وغيرهما، بل المقصود من كان في عسكره من عامة الناس ومن بايعه كما بايع من سبقه.

(٣) خرتم: ضعفتم وانكسرتم.

(٤) المشاقة: مغالظة العدو، أو الخلاف والعداوة.

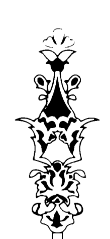
(٥) نكصتم: رجعتم.

(٦) لا أبا لغيركم: أي الرداءة لغيركم، فالإمام عليه السلام وجّه الدعاء والذم لغيرهم.

(٧) قال: مبغض.

(٨) الجفاة: الغلاظ، والطغام: أراذل الناس وأوغادهم.





الْعَطاءِ، فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ! إِنَّهُ لا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًى فَتَرْضَوْنَهُ، وَلا سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ! قَدْ دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ(١)، وَفَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ(٢)، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ(٣)، لَوْ كَانَ الأَعْمَى يَلْحَظُ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ! وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ! وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ!

[١٨١] ومن كلام له عليه السلام(٤)

وقد أَرسل رجلاً من أصحابه، يَعْلَمُ له عِلمَ قوم من جند الكوفة، همّوا باللحاق بالخوارج، وكانوا على خوف منه عليه السلام، فلمّا عاد إليه الرجل قال له عليه السلام: **أأمِنُوا فَقَطَنُوا(٥)، أَمْ جَبُنُوا فَظَعَنُوا(٦)؟**

فقال الرجلُ: بل ظَعَنُوا يا أَميرالمؤمنين. فقال عليه السلام: **بُعْداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ! أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ(٧) الأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ، وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّىءٌ مِنْهُمْ، وَمُخَلٍّ عَنْهُمْ، فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَارْتِكَاسِهِمْ(٨) فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى، وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقّ، وَجِمَاحِهِمْ(٩) فِي التِّيْهِ.**

---

(١) دارستكم الكتاب: أي قرأت عليكم القرآن تعليماً وتفهيماً.

(٢) فاتحتكم الحجاج: فتحت لكم أبواب المحاجة في الدين.

(٣) مجّ الماء من فيه: رمى به.

(٤) رواه باختلاف الثقفي (ت٢٨٣) في الغارات ١: ٣٣٦، والطبري (٣١٠) في تاريخه ٤: ٨٨ عن أبي مخنف، عن الحارث الأزدي، عن عمّه عبدالله بن فقيم.

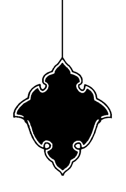
(٥) قطن: أقام.

(٦) ظعن: ارتحل.

(٧) أشرعت الرمح إليه: سددته نحوه.

(٨) الارتكاس: هو الوقوع في الأمر الذي نجا منه.

(٩) جماحهم: اسراعهم.





[١٨٢] ومن خطبة له عليه السلام

روي عن نوف البكالي قال: خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالكوفة وهو قائم على حجارة، نصبها له جَعْدَة بن هُبَيْرة المخزومي، وعليه مِدْرَعَةٌ من صُوف وحمائل سيفه لِيفٌ، وفي رجليه نعلان من لِيف، وكأنّ جبينه ثَفِنَةُ[1] بعير، فقال:

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ، وَعَوَاقِبُ الأَمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي[2] فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً.

وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ[3]، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ. وَنُؤْمِنُ بِه إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً، وَخَنَعَ[4] لَهُ مُذْعِناً، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّداً، وَلاَذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً.

لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكاً، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلا زَمَانٌ، وَلَمْ يَتَعَاوَرْهُ[5] زِيَادَةٌ وَلا نُقْصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلاَمَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ.

فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّماوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ، دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلا مُبْطِئَاتٍ، وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ، وَلا

(١) الثفنة: ما يمسّ الأرض من البعير بعد البروك ويكون فيه غلظ من ملاطمة الأرض.

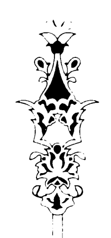
(٢) نوامي: زوائد.

(٣) الطول: الفضل.

(٤) خنع: خضع وذلّ.

(٥) لم يتعاوره: لم يعترضه.

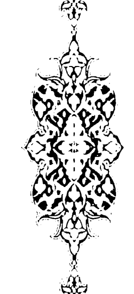




مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِهِ، وَلا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ.

جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَاماً يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلَفِ فِجَاجِ[١] الأَقْطَارِ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ سُجُفِ[٢] اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ[٣] سَوَادِ الْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّماوَاتِ مِنْ تَلأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ لا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ[٤]، وَلا لَيْلٍ سَاجٍ[٥]، فِي بِقَاعِ الأَرَضِينَ الْمُتَطَأْطِئَاتِ، وَلا فِي يَفَاعِ السُّفْعِ[٦] الْمُتَجَاوِرَاتِ، وَمَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ[٧] فِي أُفُقِ السَّماءِ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الأَنْوَاءِ[٨] وَانْهِطَالُ السَّماءِ[٩]! وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا، وَمَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى فِي بَطْنِهَا.



وَالْحَمْدُ للهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ، لا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ، وَلا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، وَلا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ، وَلا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ[١٠]، وَلا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ، وَلا يُحَدُّ بِأَيْنٍ، وَلا يُوصَفُ

---

(١) الفجاج: الطريق الواسع بين جبلين.

(٢) ادلهمام: ظلمة. وسجف: ستور.

(٣) الجلباب: ما يستر البدن من الثياب.

(٤) الغسق: أوّل ظلمة الليل، ودجا الليل: إذا ألبس كلّ شيء.

(٥) الساجي: الساكن.

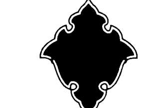
(٦) اليفاع: الارتفاع، والسفع: سواد مشروب بحمرة.

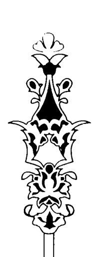
(٧) الجلجلة: صوت الرعد.

(٨) عواصف: الر ياح الشديدة، والأنواء: سقوط النجوم.

(٩) انهطال السماء: تتابع المطر.

(١٠) نائل: عطاء.





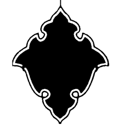
بِالأَزْوَاجِ(١)، وَلا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ(٢)، وَلا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلا يُقَاسُ بِالنَّاسِ، الَّذِي كَلَّمَ مُوسى تَكْلِيماً، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيْماً، بِلَا جَوَارِحَ وَلا أَدَوَاتٍ، وَلا نُطْقٍ وَلا لَهَوَاتٍ(٣).

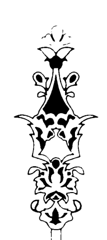
بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، فِي حُجُراتِ(٤) الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّينَ(٥)، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ، وَإِنَّمَا يُدرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَالأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً، أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلاً، لَكَانَ ذلِكَ سُلَيْمانُ بنُ دَاوُدَ عليه السلام، الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ(٦)، فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ(٧)، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِيُّ(٨) الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَالْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً، وَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً!

أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ! أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ! أَيْنَ أَصْحَابُ

(١) الأزواج: الأجزاء والأبعاض، أو القرناء والأمثال.
(٢) العلاج من المعالجة: أي المزاولة.
(٣) اللهوات: جمع لهات، اللحمة المشرفة على الحلق من أقصى الفم.
(٤) الحجرات: النواحي.
(٥) مرجحنّين: خاشعين.
(٦) الزلفة: القرب.
(٧) طعمته: كناية عن الرزق.
(٨) القسي: القوس.





مَدائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وَأَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ! أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ، وَهَزَمُوا الأُلُوفَ، وَعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ!

منها:

قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا[١]، مِنَ الإِقْبَالِ عَلَيْهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا، فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُو مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الإِسْلَامُ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ[٢]، وَأَلْصَقَ الأَرْضَ بِجِرَانِهِ[٣]، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ[٤].

ثم قال عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا[٥]. للهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ!

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ[٦] عِبَادُاللهِ الأَخْيَارُ، وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لا يَبْقَى، بِكَثِيرٍ مِنَ الآخِرَةِ لَايَفْنَى. مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ ـ وَهُمْ بِصِفِّينَ ـ

---

(١) أدبها: شرائطها وآدابها.

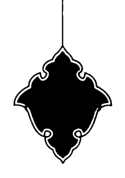
(٢) عسيب الذَنَب: منبته من الجلد والعظم.

(٣) الجران: مقدم عنق البعير.

(٤) كلامه عليه السلام هذا يؤيّد ما ذكره أيضاً: «اللّهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة امّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً، لئلّا تبطل حجج الله وبيّناته».

(٥) وسقت: جمعت.

(٦) أزمع: عزم، والترحال: الارتحال.





أَلّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً! يُسِيغُونَ الْغُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ[1]! قَدْ - وَاللهِ - لَقُوا اللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ.

أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ! أَيْنَ عَمَّارٌ! وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ! وَأَيْنَ ذُوالشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَأُبْرِدَ[2] بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ!

قال: ثمّ ضرب عليه السلام بيده إلى لحيته، فأطال البكاء، ثمّ قال: **أَوِّهِ[3] عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ.**

ثمّ نادى بأعلى صوته: **الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللهِ! أَلَا وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَى اللهِ فَلْيَخْرُجْ.**

قال نوْفٌ: وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد أخر، وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر، فكنّا كأغنام فقدت راعيها، تختطفها الذئاب من كل مكان!

[١٨٣] ومن خطبة له عليه السلام

[في قدرة الله وفي فضل القرآن وفي الوصية بالتقوى]

الْحَمْدُ للهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ[4]، خَلَقَ

---

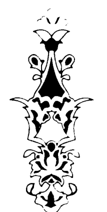
(١) الرنق: الكدر.

(٢) أُبرد: أرسل.

(٣) أوه: كلمة توجّع.

(٤) المنصبة: التعب والمشقة.





الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، [وَأَسْبَغَ النِّعْمَةَ عَلَى خَلْقِهِ] وَاسْتَعْبَدَ الأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالإِنْسِ رُسُلَهُ، لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا، وَلِيُبَصِّرُوهُم عُيُوبَهَا، وَلِيَهْجُمُوا[١] عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ[٢] مَصَاحِّهَا وَأَسْقَامِهَا، وَحَلَالِهَا وحَرَامِهَا، وَمَا أَعَدَّ اللهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ، وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ.

أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ[٣] إِلَى خَلْقِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً.

منها: في ذكر القرآن

فَالْقُرآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ، حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثاقَهُ، وَارْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ، أَتَمَّ نُورَهُ، وَأَكْرَمَ بِهِ دِينَهُ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ ﷺ وَقَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحكَامِ الْهُدَى بِهِ.

فَعَظِّمُوا مِنهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئَاً مِنْ دِينِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئَاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً، وَآيَةً مُحْكَمَةً، تَزْجُرُ عَنْهُ، أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ.

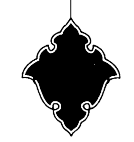
وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُم، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ، قَدْ كَفَاكُمْ مَؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ،

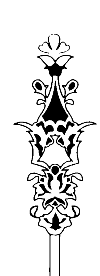
---

(١) هجمت على الشيء: بغتّه.

(٢) التصرّف: التبدّل.

(٣) استحمد إلى خلقه: امّا بمعنى طلب منهم حمده، وامّا بمعنى أحسن إليهم فاستحق عليهم أن يحمدوه.





وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ.

وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى، وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ. فَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ(١)، وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ، إِن أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وَإِن أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ، قَدْ وَكَّلَ بِذلِكَ حَفَظَةً كِرَاماً، لا يُسْقِطُونَ حَقّاً، وَلا يُثْبِتُونَ بَاطِلاً.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ، وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ، ظِلُّهَا عَرْشُهُ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ.

فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وَسَابِقُوا الآجَالَ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الأَمَلُ، وَيَرْهَقَهُمُ(٢) الأَجَلُ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ، عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ(٣) مِنهَا بِالارْتِحَالِ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ، فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا، فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءِ(٤) تُحْرِقُهُ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ، وَقَرِينَ شَيْطَانٍ! أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ(٥) بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ

---

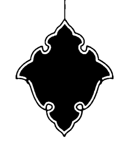
(١) يقال: فلان بعين فلان إذا كان بحيث لا يخفى عليه منه شيء.

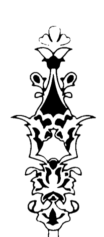
(٢) رهقه الأمر: غشيه وفاجئه.

(٣) أُوذن فلان: أُعلم.

(٤) الرمضاء: الرملة الحارّة.

(٥) توثّبت: قرّت.





زَجْرَتِهِ! أَيُّهَا الْيَفَنُ[١] الْكَبِيرُ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ[٢]، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الأَعْنَاقِ، وَنَشِبَتِ الجَوَامِعُ[٣] حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ!

فَاللهَ اللهَ مَعْشَرَ الْعِبَادِ! وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا[٤]، أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ، وَأَضْمِرُوا[٥] بُطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ تَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ، [بَلِ] اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً.

فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللهِ فِي دَارِهِ، رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ[٦] نَارٍ أَبَداً، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً[٧] ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

---

(١) اليفن: الشيخ.

(٢) لهزه القتير: خالطه الشيب.

(٣) نشبت: علقت، والجامعة: الغل، تجمع اليدين الى العنق.

(٤) غلق الرهن: أي استحقه المرتهن، وذلك إذا لم يفتك في الوقت المشروط.

(٥) الضمر: الهزال وخفّة اللحم.

(٦) حسيس: صوت.

(٧) اللغوب: النصب والتعب.





أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ!

[١٨٤] ومن كلام له عليه السلام

قاله للبرج بن مسهر الطائي، وقد قال له بحيث يسمعه: لا حكم إلّا لله، وكان من الخوارج:

اسْكُتْ قَبَّحَكَ اللهُ يَاأَثْرَمُ[١]، فَوَاللهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً[٢] شَخْصُكَ، خَفِيّاً صَوْتُكَ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ[٣] الْبَاطِلُ نَجَمْتَ[٤] نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ[٥].

[١٨٥] ومن خطبة له عليه السلام

[يحمد الله فيها ويثني على رسوله ويصف خلقاً من الحيوان]

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، وَلا تَرَاهُ النَّوَاظِرُ، وَلا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، الدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وجُودِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لا شَبَهَ لَهُ، الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ، مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ، وَاحِدٌ لا بِعَدَدٍ، وَدَائِمٌ لا بِأَمَدٍ، وَقَائِمٌ لا بِعَمَدٍ، تَتَلَقَّاهُ الأَذْهَانُ لا بِمُشَاعَرَةٍ[٦]، وَتَشْهَدُ لَهُ

---

(١) الأثرم: من سقطت ثناياه.

(٢) ضئيلاً: نحيفاً.

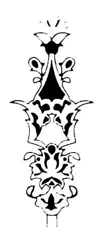
(٣) نعر: صاح.

(٤) نجم: طلع.

(٥) الماعز: الشاة.

(٦) المشاعرة: انفعال احدى الحواس بما تحسّه.





الْمَرَائِي[1] لا بِمُحَاضَرَةٍ، لَمْ تُحِطْ بِهِ الأَوْهَامُ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا، لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً، وَلا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً بَلْ كَبُرَ شَأْناً، وَعَظُمَ سُلْطَاناً.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الصَّفِيُّ، وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ ﷺ أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ[2]، وَإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً[3] بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالّاً عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الاهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ[4] الإِسْلَامِ مَتِينَةً، وَعُرَى الإِيمَانِ وَثِيقَةً.

منها: في صفة عجيب خلق أصناف من الحيوان

وَلَوْ فَكَّروا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَلكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ، وَالأَبْصَارَ مَدْخُولَةٌ[5]! أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ اللهُ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ[6]!

انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، وَلا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا. تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا،

---

(١) المرائي: جمع مرآة، وهو المنظر الحسن.

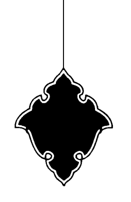
(٢) الفلج: الظفر.

(٣) صادعاً: مبيناً صائحاً.

(٤) أمراس: الحبال المحكمة.

(٥) مدخولة: معيبة أو دغلة.

(٦) البشر: جمع بشرة وهي ظاهر الجلد.





وَفِي وُرُودِهَا لِصَدَرِهَا[1]، مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا[2]، لا يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ، وَلا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ[3]، وَلَوْ فِي الصَّفَا[4] الْيَابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ[5]!

وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أُكلِهَا، وَفِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ[6] بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً! فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا! لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ.

وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ، وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ، وَالثَّقِيلُ والْخَفِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ. وَكَذلِكَ السَّماءُ وَالْهَوَاءُ، وَالرِّيَاحُ وَالْمَاءُ. فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتِلَافِ هذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفَجُّرِ هذِهِ الْبِحَارِ، وَكَثْرَةِ هذِهِ الْجِبَالِ، وَطُولِ هذِهِ الْقِلَالِ[7]، وَتَفَرُّقِ هذِهِ اللُّغَاتِ، وَالأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ.

فَالوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ الْمُقَدِّرَ، وَأَنْكَرَ الْمُدَبِّرَ، زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوا،

---

(١) الصَدَر ـ محركة ـ: الرجوع بعد الورود.

(٢) بوفقها: بما يوافقها من الرزق.

(٣) الدَّين: الجزاء والمكافأة، والديّان من صفات الله تعالى.

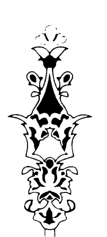
(٤) الصفا: الحجر الأملس.

(٥) الجامس: الجامد.

(٦) الشراسيف: أطراف الضلع التي تشرف على البطن.

(٧) القلال: جمع قلة الجبل.





وَلا تَحْقِيقِ لِمَا أَوْعَوْا، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ، أَوْ جِنَايَةٌ مِن غَيْرِ جَانٍ!

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ، وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ، وَمِنْجَلَيْنِ[1] بِهِمَا تَقْبِضُ، يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، وَلا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا، وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِم، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا[2]، وَتَقْضِي مِنْهُ شَهَوَاتِهَا، وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لا يُكَوِّنُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً.

فَتَبَارَكَ اللهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً، وَيُعَفِّرُ لَهُ خَدّاً وَوَجْهاً، وَيُلْقِي بِالطَّاعَةِ إِلَيْهِ سِلْماً وَضَعْفاً، وَيُعْطِي الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً!

فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ، أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفَسَ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَالْيَبَسِ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا، وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا، فَهذَا غُرَابٌ وَهذَا عُقَابٌ، وَهذَا حَمَامٌ وَهذَا نَعَامٌ، دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ. وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثِّقَالَ، فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا[3]، وَعَدَّدَ قِسَمَهَا[4]، فَبَلَّ الأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا[5].

---

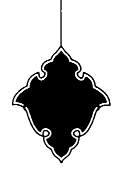
(١) المنجل: ما يحصد به الزرع.

(٢) النزوات: الوثبات.

(٣) الهطل: تتابع المطر والدمع. والديم: جمع ديمة، مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق.

(٤) تعديد القِسَم: احصاء ما قُدّر منها بكلّ بقعة.

(٥) جدوبها: قحوطها.





[١٨٦] ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد(١)

وتجمع هذه الخطبة من أصول العلوم ما لا تجمعه خطبة:

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ، وَلا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلا صَمَدَهُ(٢) مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ. كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ. فَاعِلٌ لا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ، مُقَدِّرٌ لا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ، غَنِيٌّ لا بِاسْتِفَادَةٍ. لا تَصْحَبُهُ الأَوْقَاتُ، وَلا تَرْفِدُهُ(٣) الأَدَوَاتُ، سَبَقَ الأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ، وَالابْتِدَاءَ أَزَلُهُ. بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ(٤) عُرِفَ أَنْ لا مَشْعَرَ لَهُ، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لا ضِدَّ لَهُ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لا قَرِينَ لَهُ.

ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ(٥)، وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ، وَالْحَرُورَ بِالصَّرَدِ(٦). مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا، مُقَرِّبٌ بَيْنَ

---

(١) من قوله عليه السلام: «سبق الأوقات كونه ـ إلى قوله: ـ متدانياتها» رواه بأدنى اختلاف الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ١: ١٣٩ ح ٤ وقال: «محمّد بن أبي عبدالله رفعه عن أبي عبدالله عليه السلام...»، وكذلك الشيخ الصدوق (ت٣٨١) في التوحيد: ٣٠٨ ح ٢ وقال: «حدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق رحمه الله، قال: حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي، قال: حدّثنا محمّد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدّثني الحسين بن الحسن، قال: حدّثنا عبدالله بن داهر، قال: حدّثني الحسين بن يحيى الكوفي، قال: حدّثني قثم بن قتادة، عن عبدالله ابن يونس، عن أبي عبدالله عليه السلام...» وكذلك ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٦٣. وروى من قوله عليه السلام: «لم يتكاءده صنع شيء ـ إلى قوله ـ ضدّ مثاور»، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ١٧٣.

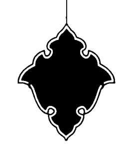
(٢) صمده: قصده.

(٣) ترفده: تعينه.

(٤) المشاعر: الحواس.

(٥) البهمة: الظلمة.

(٦) الصَرَد: البرد.



مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا. لا يُشْمَلُ بِحَدٍّ، وَلا يُحْسَبُ بِعَدٍّ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ الأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الآلاَتُ إِلَى نَظَائِرِهَا، مَنَعَتْهَا «مُنْذُ» الْقِدْمَةَ، وَحَمَتْهَا «قَدُ» الأَزَلِيَّةَ، وَجَنَّبَتْهَا «لَوْلاَ»[1] التَّكْمِلَةَ! بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ، وَبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ.

لَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ، وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ! إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ، وَلاَمْتَنَعَ مِنَ الأَزَلِ مَعْنَاهُ، وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ، وَلاَلْتَمَسَ التَّمامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ. وَإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ، وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الامْتِنَاعِ[2] مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ. الَّذِي لا يَحُولُ وَلا يَزُولُ، وَلا يَجُوزُ عَلَيْهِ الأُفُولُ.

لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً، جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الأَبْنَاءِ، وَطَهُرَ عَنْ مُلاَمَسَةِ النِّسَاءِ. لا تَنَالُهُ الأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ، وَلا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ، وَلا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ، وَلا تَلْمِسُهُ الأَيْدِي فَتَمَسَّهُ. لا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلا يَتَبَدَّلُ فِي الأَحْوَالِ، وَلا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ، وَلا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلاَمُ، وَلا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الأَجْزَاءِ، وَلا بِالْجَوَارِحِ وَالأَعْضَاءِ، وَلا بِعَرَضٍ مِنَ الأَعْرَاضِ[3]، وَلا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالأَبْعَاضِ.

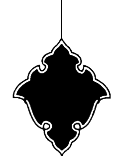
وَلَا يُقَالُ: لَهُ حَدٌّ وَلا نِهَايَةٌ، وَلا انقِطَاعٌ وَلا غَايَةٌ، وَلا أَنَّ الأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ

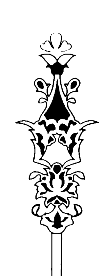
---

(١) منذ، قد، لولا: فواعل للأفعال قبلها، أي كلّ مخلوق يقال فيه: قد وجد، ووجد منذ كذا، وهذا مانع للقدم والأزليّة، وكلّ مخلوق يقال فيه: لولا خالقه ما وجد، فهو ناقص لذاته محتاج للتكملة بغيره.

(٢) سلطان الامتناع: سلطان العزّة الأزلية.

(٣) أي من حركة وسكون وانتقال.





فَتُقِلَّهُ[1] أَوْ تُهْوِيَهُ[2]، أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ، فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدِّلَهُ. لَيْسَ فِي الأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ، وَلا عَنْهَا بِخَارِجٍ. يُخْبِرُ لا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ[3]، وَيَسْمَعُ لا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ، يَقُولُ وَلا يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلا يَتَحَفَّظُ[4]، وَيُرِيدُ وَلا يُضْمِرُ. يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ.

يَقُولُ لِمَا أَرَادَ كَوْنَهُ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، لا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا كَلامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَّلَهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذلِكَ كَائِناً، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلَهاً ثَانِياً.

لَا يُقَالُ: كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ، وَلا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ، وَلا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ والْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأَ الْمُبْتَدَعُ وَالْبَدِيعُ.

خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ. وَأَنْشَأَ الأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الأَوَدِ وَالاعْوِجَاجِ، وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالانْفِرَاجِ[5]، أَرْسَى أَوْتَادَهَا، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا[6]، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا[7]، وَخَدَّ أَوْدِيَتَهَا، فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ، وَلا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ.

---

(١) تُقلّه: تحمله.

(٢) تهويه: تضعه وتسقطه.

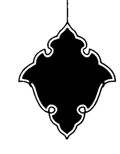
(٣) اللهوات: جمع لهات، اللحمة في سقف أقصى الفم.

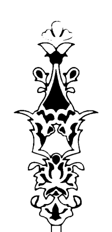
(٤) لا يتحفّظ: لا يتكلّف الحفظ.

(٥) التهافت: التساقط، والانفراج: الانفصال.

(٦) السد: الحاجز والجبل.

(٧) استفاض عيونها: أي أفاض ماء عيونها.





هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ. لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ، وَلا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ، وَلا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ، وَلا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ. خَضَعَتِ الأَشْيَاءُ لَهُ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ، لا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَلا كُفءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ، وَلا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ. هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا، وَكَيفَ وَلَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، ومَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا[(١)] وَسَائِمِهَا[(٢)]، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا[(٣)] وَأَجْنَاسِهَا، وَمُتَبَلِّدَةِ[(٤)] أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا[(٥)]، عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ، مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا، وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذلِكَ وَتاهَتْ، وَعَجِزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً[(٦)]، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا، مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا!

وَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لا شَيْءَ مَعَهُ، كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، كَذلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِلَا وَقْتٍ وَلا مَكَانٍ، وَلا حِينٍ وَلا زَمَانٍ، عُدِمَتْ عِنْدَ ذلِكَ الآجَالُ وَالأَوْقَاتُ، وَزَالَتِ السِّنُونَ وَالسَّاعَاتُ، فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الأُمُورِ، بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا

---

(١) المراح: الموضع الذي يراح الإبل إليه بعد الرواح.

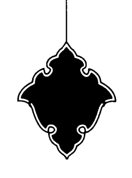
(٢) السائم: الّذي يرعى من الماشية.

(٣) الأسناخ: الُاصول، والمراد منها الأنواع.

(٤) المتبلّدة: الغبية.

(٥) الأكياس: جمع كيس، العاقل الحاذق.

(٦) خاسئة: صاغرة. حسيرة: منقطعة معيبة.





كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا، وَبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا، وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى الامْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا.

لَمْ يَتَكَاءَدْهُ[1] صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ، وَلَمْ يَؤُدْهُ[2] مِنْهَا خَلْقُ مَا بَرَأَهُ وَخَلَقَهُ، وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ، وَلا لِلاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ[3]، وَلا لِلاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ[4]، وَلا لِلازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ، وَلا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ، وَلا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا.

ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، لا لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا، وَلا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ، وَلا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ. لا يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا، لكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ، وَأمسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ. ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلا اسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلا لِانصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاسٍ، وَلا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَعَمًى إِلَى عِلْمٍ وَالْتِمَاسٍ، وَلا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنًى وَكَثْرَةٍ، وَلا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ.

[١٨٧] ومن خطبة له عليه السلام تختصّ بذكر الملاحم

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي، هُمْ مِنْ عِدَّةٍ أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّماءِ مَعْرُوفَةٌ وَفِي الأَرْضِ مَجْهُولَةٌ. أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَانْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ،

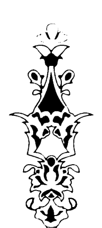
(١) لم يتكاءده: لم يشق عليه.

(٢) لم يؤده: لم يثقله.

(٣) الند: المثل. المكاثرة: المغالبة بالكثرة.

(٤) المثاورة: المواثبة.





وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ: ذاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ!

ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ الْمُعْطِي! ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ والنَّعِيمِ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمُ الْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعيرِ(١).

مَا أَطْوَلَ هذَا الْعَنَاءَ، وَأَبْعَدَ هذا الرَّجَاءَ! أَيُّهَا النَّاسُ، أَلْقُوا هذِهِ الأَزِمَّةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا(٢) الأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ، وَلا تَصَدَّعُوا(٣) عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ، وَلا تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ(٤) نَارِ الْفِتْنَةِ، وأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا(٥)، وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا، فَقدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ. إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ، يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا. فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا، وَأَحْضِروا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا.



[١٨٨] ومن خطبة له عليه السلام(٦)
[في الوصية بأمور]

أُوصِيكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ بِتَقْوَى اللهِ، وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلائِهِ إِلَيْكُمْ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ، وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ. فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ!

---

(١) القَتَب: رحل صغير عد قدر السنام، والغارب من البعير: ما بين السنام إلى العنق.
(٢) الأزمّة: جمع زمام، والمراد بظهورها ظهور المزمومات بها.
(٣) لا تصدعوا: لا تتفرقوا.
(٤) الفور: الغليان.
(٥) أميطوا عن سننها: أي تنحّوا عن طريقها.
(٦) رواها عبدالملك الثعالبي (ت ٤٢٩) في الإعجاز والإيجاز: ٣١ [على ما في مصادر نهج البلاغة ٣: ٦].





أَعْوَرْتُمْ[1] لَهُ فَسَتَرَكُمْ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ!

وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ!

فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً، وَكَأَنَّ الآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً، أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ، وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا، لا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالاً، وَلا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَاداً، أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ، وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ.

فَسَابِقُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا، وَالَّتِي رُغِّبْتُمْ فِيهَا، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا. وَاسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ. مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ الأَيَّامَ فِي الشَّهْرِ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ!

[١٨٩] ومن خطبة لمولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه[2]

[في الإيمان ووجوب الهجرة]

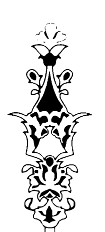
فَمِنَ الإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ.

---

(١) أعورتم: أي بدا منكم موضع الخلل والعوار.

(٢) وقد روى العياشي (ت٣٢٠) في تفسيره ٢: ٢٨٢ ح ٢٢ قوله عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني ـ إلى قوله: ـ خطامها»، وروى نحوها باختلاف الثعالبي (ت ٤٢٩) في الإعجاز والإيجاز: ٣٢.





وَالْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الأَوَّلِ، مَا كَانَ للهِ تعالى فِي أَهْلِ الأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الأُمَّةِ(١) وَمُعْلِنِهَا، لا يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ في الأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلا يَقَعُ اسْمُ الاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ.

إِنَّ أَمْرَنا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ، وَلا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلَامٌ(٢) رَزِينَةٌ. أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلأَنا بِطُرُقِ السَّماءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ(٣)، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ(٤) بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا(٥) وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا.

[١٩٠] ومن خطبة له(٦)
[يحمد الله ويثني على نبيّه ويعظ بالتقوى]

أَحْمَدُهُ شُكْراً لإِنْعَامِهِ، . . . .

(١) استسرّ الأمر: كتمه.

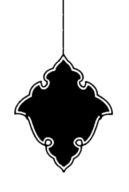
(٢) أحلام: عقول.

(٣) قال ابن أبي الحديد في شرحه ١٣ : ١٠٦ «قوله: «سلوني قبل أن تفقدوني» أجمع الناس كلّهم على انّه لم يقل أحد من الصحابة، ولا أحد من العلماء سلوني غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ذكر ذلك ابن عبدالبر المحدّث في كتاب الاستيعاب. والمراد بقوله: «فلأنا أعلم بطرق السماء منّي بطرق الأرض»، ما اختص به من العلم بمستقبل الأُمور، ولا سيّما في الملاحم والدول، وقد صدّق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الإخبار بالغيوب المتكرّرة، لا مرّة ولا مائة مرّة، حتى زال الشك والريب في انّه إخبار عن علم، وانّه ليس على طريق الاتفاق، وقد ذكرنا كثيراً من ذلك فيما تقدّم من هذا الكتاب [أي شرح نهج البلاغة]».

(٤) تشغر: ترفع.

(٥) تطأ في خطامها: أي تتعثّر فيه.

(٦) قال ابن أبي الحديد في شرحه ١٣ : ١١٤ «واعلم انّ هذه الخطبة من أعيان خطبه عليه السلام، ومن ناصع كلامه ونادره، وفيها من صناعة البديع الرائقة المستحسنة =





وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ[1] حُقُوقِهِ، عَزِيزَ الْجُنْدِ، عَظِيمَ الْمَجْدِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَنْ دِينِهِ، لا يَثْنِيهِ عَنْ ذلِكَ اجْتِماعٌ على تَكْذِيبِهِ، وَالْتِمَاسٌ لإِطْفَاءِ نُورِهِ.

فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً[2] مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ، وَامْهَدُوا[3] لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ، فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ، وَكَفَى بِذلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ! وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الأَرْمَاسِ[4]، وَشِدَّةِ الإِبْلَاسِ[5]، وَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ[6]، وَرَوْعَاتِ الْفَزَعِ، وَاخْتِلَافِ الأَضْلَاعِ[7]، وَاسْتِكَاكِ الأَسْمَاعِ[8]، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وَخِيفَةِ الْوَعْدِ، وغَمِّ الضَّرِيحِ[9]، وَرَدْمِ الصَّفِيحِ[10].

فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي

= البريئة من التكلّف ما لا يخفى، وقد أخذ ابن نباتة الخطيب كثيراً من ألفاظها فأودعها خطبه»، وابن نباتة هذا توفي عام (٣٧٤ هـ).

(١) الوظائف: جمع الوظيفة، وهي هنا الواجبات.

(٢) المعقل: ما يعتصم به.

(٣) امهدوا: اتخذوا مهاداً وهو الفراش، كناية عن الاستعداد له.

(٤) الأرماس: جمع رمس وهو القبر.

(٥) الإبلاس: مصدر أبلس أي خاب وانقطع ويئس.

(٦) المطّلع: موضع الاطلاع من ارتفاع إلى انحدار، كناية عن المنزلة التي منها يشرف الإنسان على أُمور الآخرة، وهي منزلة البرزخ.

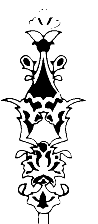
(٧) اختلاف الأضلاع: دخول بعضها في بعض من شدّة الضغط.

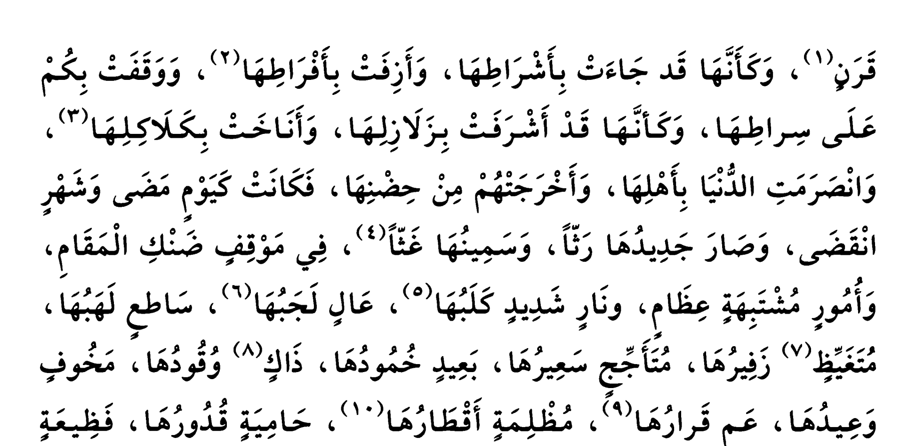
(٨) استكاك الأسماع: صممها.

(٩) غمّ الضريح: ضيق القبر وكربه.

(١٠) الصفيح: الحجر، وردمه: سدّه.







قَرنٍ[١]، وَكَأَنَّهَا قَد جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا[٢]، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى سِراطِهَا، وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا[٣]، وَانْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى وَشَهْرٍ انْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً، وَسَمِينُهَا غَثّاً[٤]، فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ الْمَقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، ونَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا[٥]، عَالٍ لَجَبُهَا[٦]، سَاطِعٍ لَهَبُهَا، مُتَغَيِّظٍ[٧] زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا، ذَاكٍ[٨] وُقُودُهَا، مَخُوفٍ وَعِيدُهَا، عَمٍ قَرارُهَا[٩]، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا[١٠]، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾، قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ، الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً، تَخَشُّعاً وَاسْتِغْفَاراً، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً، تَوَحُّشاً وَانْقِطَاعاً، فَجَعَلَ اللهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ ثَوَاباً، ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ فِي مُلْكٍ دَائِمٍ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ.



---

(١) القرن: الحبل.

(٢) أزفت: قربت، وأفراطها: جمع فرط أي مقدم القوم إلى الماء.

(٣) كلاكل: جمع كلكل وهو الصدر.

(٤) الغث: الهزيل.

(٥) كلبها: شرّها وأذاها.

(٦) اللجب: الصوت.

(٧) متغيّظ: متعال من الغيظ.

(٨) ذكت النار: اشتعلت.

(٩) عم قرارها: أي لا يهتدى فيه لظلمته، ولأنّه عميق جدّاً.

(١٠) القطر: الناحية والجانب.



فَارْعَوْا عِبَادَ اللهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ الْمَخُوفُ، فَلَا رَجْعَةً تَنَالُونَ، وَلا عَثْرَةً تُقَالُونَ.

اسْتَعْمَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ.

الْزَمُوا الأَرْضَ[١]، وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلاءِ، وَلا تُحرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ وهَوَى أَلْسِنَتِكُمْ، وَلا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللهُ لَكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ عَزَّوَجَلّ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ، واسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ[٢] لِسَيْفِهِ، فإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً.

[١٩١] ومن خطبة له عليه السلام
[يحمد الله ويثني على نبيه ويوصي بالزهد والتقوى]

الْحَمْدُ للهِ الْفَاشِي[٣] حَمْدُهُ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ، وَالْمُتَعَالِي جَدُّهُ[٤]. أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التُّوأَمِ[٥]، وَآلَائِهِ الْعِظَامِ، الَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى، مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ، بِلَا اقْتِدَاءٍ وَلا تَعْلِيمٍ، وَلا احْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ، وَلا إِصابَةِ خَطَأٍ، وَلا حَضْرَةِ مَلَأٍ.

---

(١) الزموا الأرض: كناية عن السكون، ينصحهم به عند عدم توفّر أسباب المغالبة.

(٢) الإصلات: مصدر أصلت أي سلّ.

(٣) الفاشي: الذائع المنتشر.

(٤) جَدُّهُ: أي المتعالي جلاله وعظمته.

(٥) التوأم: كناية عن المتواترة، والأصل فيها: الولدان التوأمان.





وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ[١]، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ[٢]، وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ[٣].

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهَا حَقُّ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللهِ حَقَّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللهِ، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللهِ، فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَالْجُنَّةُ، وَفِي غَدٍ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ، مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ، لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الأُمَمِ الْمَاضِينَ وَالْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً، إِذَا أَعَادَ اللهُ مَا أَبْدَى، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى، وَسَأَلَ عَمَّا أَسْدَى[٤].

فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا! أُولئِكَ الأَقَلُّونَ عَدَداً، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾.

فَأَهْطِعُوا[٥] بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وأكظّوا بِجِدِّكُمْ[٦] عَلَيْهَا، وَاعْتَاضُوهَا[٧] مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفاً، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً. أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، واقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ، وَارْحَضُوا[٨] بِهَا ذُنُوبَكُمْ، وَدَاوُوا بِهَا الأَسْقَامَ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلا يَعْتَبِرَنَّ بِكُم مَنْ

---

(١) الغمرة: الجهل والضلال.

(٢) الأزمّة: جمع زمام ما تقاد به الدابة، والحين: الهلاك.

(٣) الرين: الدنس.

(٤) الإسداء: الإعطاء.

(٥) أهطعوا: أسرعوا.

(٦) المواكظة: الملازمة، بجدّكم: باجتهادكم.

(٧) اعتاضوها: خذوها عوضاً.

(٨) ارحضوا: اغسلوا.



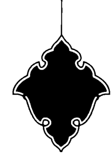
أَطَاعَهَا. أَلَا وصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهاً[١]، وَإِلَى الآخِرَةِ وُلّاهاً[٢].

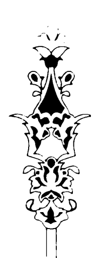
وَلا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى، وَلا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا، وَلا تَشِيمُوا[٣] بَارِقَهَا، وَلا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا، وَلا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَلا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا، وَلا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا[٤]، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ[٥]، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ[٦]، وَأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ.

أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّيَةُ الْعَنُونُ[٧]، وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونُ، وَالْمَائِنَةُ[٨] الْخَؤُونُ، وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ[٩]، وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ[١٠]، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ[١١]. حَالُهَا انْتِقَالٌ، وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعُلْوُهَا سُفْلٌ، دَارُ حَرَبٍ[١٢] وَسَلَبٍ، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ، أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ[١٣]، وَلَحَاقٍ وَفِرَاقٍ.

---

(١) النزّه: جمع نزيه، وهو المتباعد عمّا يوجب الذم.
(٢) ولّاهاً: جمع واله، وهو المشتاق.
(٣) الشيم: النظر الى البرق طمعاً في المطر.
(٤) الأعلاق: جمع علق، وهو الشيء النفيس.
(٥) خالب: أي لا مطر معه.
(٦) محروبة: منهوبة.
(٧) المتصدية: المتعرّضة، والعنون: المتعرّضة أيضاً.
(٨) الحرون: الفرس الذي لا ينقاد. المائنة: الكاذبة.
(٩) كند النعمة: كفرها.
(١٠) العنود: الناقة تعدل عن المرعى وترعى ناحية، والصدود: المعرضة.
(١١) الحيود الميود: أي المائلة.
(١٢) الحَرَب: سلب المال.
(١٣) على ساق: أي شدّة، وسياق: نزع الروح.





قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ مَهارِبُهَا، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا، فَأَسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ، وَلَفَظَتْهُمُ[1] الْمَنَازِلُ، وَأَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ[2]، فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ[3]، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ، وَشِلْوٍ[4] مَذْبُوحٍ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ، وَعَاضٍّ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافِقٍ لِكَفَّيْهِ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ[5]، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ، وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ، ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾.

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا[6] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾.

[١٩٢] ومن خطبة له عليه السلام[7]

ومن الناس من يسمّي هذه الخطبة القاصعة، وهي تتضمن ذم إبليس عَلى



---

(١) لفظتهم: نبذتهم.

(٢) المحاول: المطالب.

(٣) معقور: مجروح.

(٤) الشلو: العضو.

(٥) مرتفق بخدّيه: أي معتمد عليها حزناً وابلاساً.

(٦) مضت الدنيا لحال بالها: كلمة تقال فيما انقضى وفرط أمره بما فيه، إن كان خيراً وإن كان شراً.

(٧) ذكر ابن طاووس (ت ٦٦٤) في كتاب اليقين: ٤١٤، ٥٠٤ روايتين من كتاب عتيق تاريخه (٢٠٨ هـ) وذكر انّه رأى الخطبة القاصعة فيه، وروى الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٤: ١٩٨ ح ٢ من قوله: «ولو أراد الله سبحانه بأنبيائه ـ إلى قوله ـ أبواباً فتحاً إلى فضله». أمّا حديث مجيئ الشجرة فقد وردت بألفاظ مختلفة راجع على سبيل المثال: الخصيبي (ت ٣٣٤) في الهداية الكبرى: ٥٧، والماوردي (ت ٤٥٠) في أعلام النبوة: ٩٧ [على ما في مصادر نهج البلاغة للخطيب ٣: ٤٧]، والطبرسي (ت ٥٤٨) في اعلام الورى ١: ٧٤. وقال ابن أبي الحديد في شرحه ١٣: ٢١٤ «وأمّا أمر الشجرة التي دعاها رسول الله صلى الله عليه وآله، فالحديث الوارد فيها كثير مستفيض، قد ذكره المحدّثون في كتبهم، وذكره المتكلّمون في معجزات الرسول صلى الله عليه وآله، والأكثرون رووا الخبر فيها على الوضع الّذي جاء في خطبة =



استكباره، وتركه السجود لآدم عليه السلام، وأنه أوّل من أظهر العصبية وتبع الحمية، وتحذير الناس من سلوك طريقته:

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمىً[١] وَحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ، وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ. وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ، ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِيْنَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ **اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ.**

فَعَدُوُّ اللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِيْنَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنازَعَ اللهَ رِدَاءَ الْجَبَرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ.

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللهُ بِتَكَبُّرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً[٢]، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الآخِرَةِ سَعِيراً!

وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ[٣]، وَطِيبٍ يَأْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُهُ[٤] لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، وَلَخَفَّتِ الْبَلْوَى فِيهِ عَلَى الْمَلائِكَةِ.

= أميرالمؤمنين، ومنهم من يروي ذلك مختصراً انّه دعا شجرة فأقبلت تخدّ الأرض خدّاً، وقد ذكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة حديث الشجرة، ورواه أيضاً محمّد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة والمغازي على وجه آخر...».

(١) الحمى: المحلّ الّذي يمنع الأغيار من الاستفادة منه.

(٢) مدحوراً: مطروداً مبعداً.

(٣) رواؤه: منظره.

(٤) عَرفه: ريحه.



وَلكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمْيِيزاً بِالاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْياً لِلاسْتِكبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلَاءِ مِنْهُم.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ(١) الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ، لا يُدْرَى أَمِنْ سِنِيِّ الدُّنْيَا أَمْ سِنِيِّ الآخِرَةِ، عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ.

فَمَنْ بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ، كَلّا، مَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وأَهْلِ الأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ(٢) فِي إِبَاحَةِ حِمىً حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِيْنَ.

فَاحْذَرُوا [عِبَادَ اللهِ] عَدُوَّ اللهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ(٣) بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ(٤).

فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ(٥) الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ لَكُم بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ(٦)، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، و﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ، صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ.

---

(١) جهده: اجتهاده وجدّه.

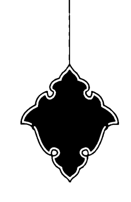
(٢) الهوادة: المصالحة والموادعة.

(٣) يستفزّكم: يستخفّكم.

(٤) أجلب عليكم بخيله: أي ركبانه، ورجله: أي مشاته، والمراد أعوان السوء.

(٥) فوّقت السهم: جعلت له فوقاً، وهو موضع الوتر، وهذا كناية عن الاستعداد.

(٦) أغرق لكم بالنزع الشديد: استوفى مدّ القوس وبالغ في نزعها ليكون مرماه أبعد، ووقع سهامه أشدّ.





حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ[1] مِنْهُ فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الأَمْرِ الْجَلِيِّ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ[2] بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ[3] وَلَجَاتِ[4] الذُّلِّ، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطَأُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ[5]، طَعْناً فِي عُيُونِكُم، وَحَزّاً فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ[6] الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ، فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحاً، وَأَوْرَى[7] فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ[8].

فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ، وَلَهُ جِدَّكُمْ[9]، فَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ، وَوَقَعَ في حَسَبِكُمْ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصَدَ بِرَجِلِهِ سَبِيلَكُمْ، يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ[10]، لا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ، فِي حَوْمَةِ[11] ذُلٍّ، وَحَلْقَةِ ضِيقٍ، وَعَرْصَةِ مَوْتٍ، وَجَوْلَةِ بَلاَءٍ.

فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، وإِنَّمَا

---

(١) الطماعية: مصدر طمع.

(٢) دلف: تقدّم.

(٣) أقحموكم: من الإقحام وهو الإدخال.

(٤) ولجات: جمع ولجة، وهو موضع يستتر فيه.

(٥) أوطأوكم: أوردوكم، وإثخان الجراحة: المبالغة في القتل.

(٦) خزائم: جمع خزامة وهو الزمام.

(٧) أورى: أكثر إيراء، والإيراء إخراج النار من الزند.

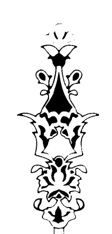
(٨) متألّبين: مجتمعين.

(٩) حدّكم: بأسكم وشدّتكم.

(١٠) البنان: أطراف الأصابع.

(١١) الحومة: معظم الشيء.





تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخواتِهِ، وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ. وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ، وَإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ.

وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّة جُنُوداً وأَعْوَاناً، وَرَجِلاً وَفُرْسَاناً، وَلا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ اللهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أَلَا وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ[١] فِي الْبَغْيِ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الأَرْضِ، مُصَارَحَةً للهِ[٢] بِالْمُنَاصَبَةِ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ. فَاللهَ اللهَ في كِبْرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الجَاهِلِيَّةِ! فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَآنِ[٣]، وَمَنَافِخُ الشَّيْطانِ، اللَّاتِي خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ الْمَاضِيَةَ، والْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا[٤] فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ، وَمهَاوِي[٥] ضَلَالَتِهِ، ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ، سُلُساً[٦] فِي قِيَادِهِ، أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرونُ عَلَيْهِ، وَكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ.

ألا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبرَائِكُمُ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ

---

(١) أمعنتم: أسرعتم.

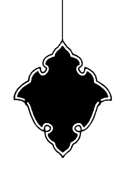
(٢) مصارحة لله: مواجهة له.

(٣) ملاقح: جمع ملقح والمصدر اللقاح، والشنآن: البغض.

(٤) أعنقوا: أسرعوا.

(٥) المهاوي: مساقط.

(٦) ذلل: جمع ذلول وهو السهل، والسياق هنا: السوق. والسلس: السهل أيضاً.





حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ[1] عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لآلائِهِ، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ[2] الْجَاهِلِيَّةِ.

فَاتَّقُوا اللهَ وَلا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً، وَلَا تُطِيعُوا الأَدْعِيَاءَ[3] الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ[4]، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ[5]، اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ، وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ، وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ، وَمَوْطِىءَ قَدَمِهِ، وَمأْخَذَ يَدِهِ.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَصَوْلَاتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ[6]، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ[7]، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ[8]، وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ[9]، كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ[10]، فَلَوْ رَخَّصَ اللهُ فِي الْكِبْرِ لأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ

---

(١) الهجينة: العيب والقبح.

(٢) الاعتزاء: الانتساب.

(٣) الأدعياء: جمع دعي، وهو من يدّعي ما ليس له.

(٤) شربتم بصفوكم كدرهم: أي شربتم كدرهم مستبدلين ذلك بصفوكم.

(٥) أحلاس العقوق: ملازميه.

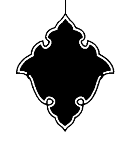
(٦) المثلات: العقوبات.

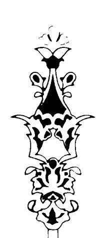
(٧) مثاوي: جمع مثوى وهو المنزل، ومنازل الخدود: مواضعها من الأرض بعد الموت.

(٨) مصارع جنوبهم: مطارحها على التراب.

(٩) لواقح الكبر: جمع لاقح وهو ناتج.

(١٠) طوارق الدهر: حوادثه.

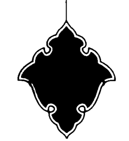




أَنبيَائِهِ، وَلكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ، فَأَلْصَقُوا بِالأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤمِنِينَ، وَكَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ، قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللهُ بِالْمَخْمَصَةِ، وَابْتَلاَهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ، فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالإِخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ الْغِنَى وَالافْتِقَارِ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ.

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ(عليهما السلام) عَلَى فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ ـ إِنْ أَسْلَمَ ـ بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَدَوامَ عِزِّهِ، فَقَالَ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ! إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ! وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ[1]، وَمَغَارِسَ الجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّماءِ وَوُحُوشَ الأَرَضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّ الأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ، وَلا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلا لَزِمَتِ الأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا، وَلكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنىً، وَخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الأَبْصَارَ وَالأَسْمَاعَ أَذىً.

(١) العِقْيان: الذهب.





وَلَوْ كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ، لَكَانَ ذلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الاعتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ مِنَ الاسْتِكْبَارِ، وَلآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً.

وَلكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، وَالاسْتِكَانَةُ لأَمْرِهِ، وَالاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ، أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً، لا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

أَلا تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، إِلَى الآخِرِينَ مِنْ هذا الْعَالَمِ، بِأَحْجَارٍ لا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلا تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً.

ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ[1] بِقَاعِ الأَرْضِ حَجَراً، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً[2]، وَأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ[3]، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ[4]، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ، لا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ وَلا حَافِرٌ وَلا ظِلْفٌ.

ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ[5] نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ[6]

---

(١) أوعر: أغلظ.

(٢) النتائق: جمع نتيقة وهي البقاع المرتفعة. المدر: قطع الطين اليابس.

(٣) دمثة: ليّنة.

(٤) وشلة: قليلة الماء.

(٥) عطفا الرجل: جانباه.

(٦) مثابة: مرجعاً. والنجعة: طلب الكلأ، وسمّى كلّ من قصد أمراً يروم النفع منه منتجعاً.



أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ، تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الأَفْئِدَةِ[١] مِنْ مَفَاوِزَ[٢] قِفَارٍ سَحِيقَةٍ[٣]، وَمَهَاوِي فِجَاجٍ[٤] عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ للهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ[٥] عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً[٦] لَهُ، قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ[٧] وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا[٨] بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمُ، ابْتِلَاءً عَظِيماً، وَامْتِحَاناً شَدِيْدَاً، وَاخْتِبَاراً مُبِيناً، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً، جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ.

وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ[٩]، جَمَّ[١٠] الأَشْجَارِ، دَانِيَ الثِّمَارِ، مُلْتَفَّ الْبُنَى[١١]، مُتَّصِلَ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ[١٢] سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ[١٣] مُحْدِقَةٍ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ[١٤]، وَزُرُوعٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ.

---

(١) ثمرة القلب: سويداه.

(٢) المفاوز: الصحاري الموحشة.

(٣) القفار: جمع القفر، ما لا نبت فيه. والسحيقة: البعيدة.

(٤) المهاوي: المساقط. والفجاج: جمع فج، الطريق بين جبلين.

(٥) الرمل: السعي فوق المشي قليلاً.

(٦) الأشعث: المنتشر الشعر، والأغبر: من علا بدنه الغبار.

(٧) السرابيل: الألبسة.

(٨) شوّهوا: قبّحوا.

(٩) السهل: نقيض الجبل، والقرار: المستقر من الأرض.

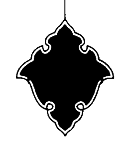
(١٠) الجمّ: الكثير.

(١١) ملتف البنى: مشتبك العمارة.

(١٢) البرّة: الحنطة.

(١٣) أرياف: جمع ريف، وهو كلّ أرض بها خصب.

(١٤) عراص: جمع عرصة. ومغدقة: كثيرة الماء والنبت.





وَلَوْ كَانَتِ الأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذلِكَ مُضَارَعَةَ الشَّكِّ[1] فِي الصُّدُورِ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ[2] الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ. وَلكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَلْوَانِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ.

فَاللهَ اللهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ، فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ[3] قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ، فَمَا تُكْدِي[4] أَبَداً، وَلا تُشْوِي[5] أَحَداً، لا عَالِماً لِعِلْمِهِ، وَلا مُقِلّاً في طِمْرِهِ[6].

وَعَنْ ذلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَسْكِيناً لأَطْرَافِهِمْ[7]، وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ، وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ، وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ، وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلاءِ عَنْهُمْ، لِما فِي ذلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عَتَائِقِ الْوُجُوهِ[8] بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً، وَالْتِصَاقِ كَرَائِمِ

---

(١) مضارعة الشكّ: مقارنته.

(٢) معتلج: مصدر ميمي من الاعتلاج وهو الالتطام.

(٣) تساور: تخالط.

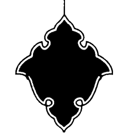
(٤) أكدى الحافر: إذا عجز عن التأثير في الأرض.

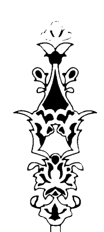
(٥) الإشواء: خطأ المقتل، يقال: رمى فأشوى أي لم يصب المقتل كأنّه يصيب الشوى وهي الأطراف كاليد والرجل.

(٦) الطمر: الثوب الخلق.

(٧) أطرافهم: أعضاؤهم.

(٨) عتائق الوجوه: كرامها.





الْجَوَارِحِ بِالأَرْضِ تَصَاغُراً، وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتونِ[1] مِنَ الصِّيَام تَذَلُّلاً، مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ. انْظُرُوا إِلَى مَا فِي هذِهِ الأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ[2] الْفَخْرِ، وَقَدْعِ[3] طَوَالِعِ الْكِبْرِ!

وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحداً مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجُهَلَاءِ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ[4] بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ، فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلا عِلَّةٌ.

أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ، فَقَالَ: أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ. وَأَمَّا الأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ[5] الأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ، ﴿وَقَالُوا۟ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلًا وَأَوۡلَٰدًا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ، فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، وَمَحَامِدِ الأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ الأُمُورِ، الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ[6] الْقَبَائِلِ، بِالأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ[7]، وَالأَحْلَامِ[8] الْعَظِيمَةِ، وَالأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ، وَالآثَارِ الْمَحْمُودَةِ.

---

(١) المتون: الظهور.

(٢) نواجم: جمع نجم، وهو ما طلع من الأرض.

(٣) القدع: الكف.

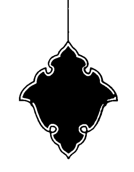
(٤) تليط: تلصق.

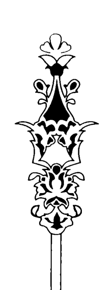
(٥) المترف: الذي أطغته النعمة.

(٦) يعاسيب: سادات.

(٧) الرغيبة: المرغوب فيها.

(٨) الأحلام: العقول.





فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ[1]، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ[2]، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ، وَالأَخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، وَالإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ، وَالإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ، وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ.

واحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ[3] بِسُوءِ الأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ الأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ.

فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ[4]، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ حَالَهُمْ، وَزَاحَتِ[5] الأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ فِيهِ بِهِمْ، وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُم: مِنَ الاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ، وَاللُّزُومِ لِلأُلْفَةِ، وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا، وَالتَّوَاصِي بِهَا. وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ[6]، وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ[7]: مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الأَيْدِي.

وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمحِيصِ وَالْبَلَاءِ. أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالاً. اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُم سُوءَ الْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْغَلَبَةِ، لا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ، وَلا سَبِيلاً إِلَى دِفَاعٍ، حَتَّى إِذَا رَأَى اللهُ جِدَّ الصَّبْرِ

(١) الجِوار: المجاورة بمعنى الاحتماء بالغير من الظلم.

(٢) الذمام: العهد.

(٣) المثلات: العقوبات.

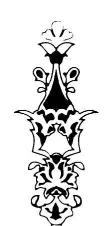
(٤) تفاوت حاليهم: اختلافهما.

(٥) زاحت: بعدت وذهبت.

(٦) الفقرة: عظم الظهر.

(٧) المُنّة: القوّة.





مِنْهُمْ عَلَى الأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَالاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلَاءِ فَرَجاً، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، وَالأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً، وأَئِمَّةً أَعْلاماً، وَبَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الأَمْلَاءُ[1] مُجْتَمِعَةً، وَالأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَالأَيْدِي مُتَرَادِفَةً[2]، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً، أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الأَرَضِينَ، وَمُلُوكاً عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ!

فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتَتِ الأُلْفَةُ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالأَفْئِدَةُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ[3] نِعْمَتِهِ، وَبَقَّى قَصَصَ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنْكُمْ.

فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ[4] الأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ[5] الأَمْثَالِ! تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ، لَيَالِيَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الآفَاقِ[6]، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ[7]،

---

(١) الأملاء: جمع ملأ، جماعة الرؤساء.

(٢) الأيدي المترادفة: المتعاونة.

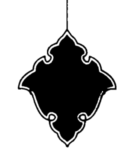
(٣) غضارة النعمة: سعتها.

(٤) الاعتدال ـ هنا ـ: التناسب.

(٥) الاشتباه ـ هنا ـ: التشابه.

(٦) يحتازونهم: يبعدونهم، وريف الآفاق: خصبها.

(٧) الشيح: نبت معروف.



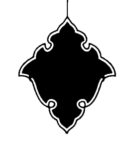


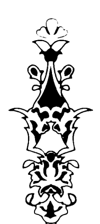
وَمَهَافِي[(١)] الرِّيحِ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ[(٢)]، أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً، لا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا، فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلاءِ أَزْلٍ[(٣)]، وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ![(٤)] مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ[(٥)]، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ[(٦)].

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ[(٧)] بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ، قَدْ تَرَبَّعَتِ[(٨)] الأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الأَرَضِينَ، يَمْلِكُونَ الأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمْضُونَ الأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ! لا تُغْمَزُ لَهُمْ

---

(١) مهافي: مذاهب.
(٢) الدَبَر: القرحة في ظهر البعير، والوَبَر: شعر الجمال. والمراد انّهم رعاة.
(٣) أزل: ضيق.
(٤) أطباق جهل: أي جهل مطبق متراكم بعضه فوق بعض.
(٥) الموءودة: المدفونة حياً.
(٦) مشنونة: متفرقة من كلّ جانب.
(٧) العوائد: ما يعود على الناس من الخيرات والنعيم.
(٨) تربعت: أقامت.





قَنَاةٌ[١]، وَلا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ[٢]!

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَد نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَثَلَمْتُمْ[٣] حِصْنَ اللهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هذِهِ الأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هذِهِ الأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا، بِنِعْمَةٍ لا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً، وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ أَحْزَاباً، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلا تَعْرِفُونَ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ، تَقُولُونَ: النَّارَ وَلا الْعَارَ! كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ، انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ، وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ.

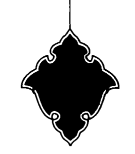
وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لا جِبْرَائِيلُ وَلا مِيكَائِيلُ وَلا مُهَاجِرُونَ وَلا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ. وَإِنَّ عِنْدَكُمُ الأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللهِ تَعَالَى وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ، وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ، وَيأْساً مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنكَرِ، فَلَعَنَ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِيْ!

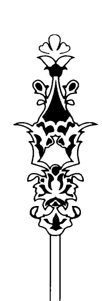
---

(١) يكنّى عن العزيز الذي لا يضام فيقال: لا تغمز له قناة، أي هو صلب. والقناة: الرمح، وغمزها: لمسها باليد للتقويم.

(٢) لا تقرع لهم صفاة: مثل يضرب لمن لا يطمع في جانبه لعزّته وقوّته. والصفاة: الحجر الصلد، وقرعها: صدمها.

(٣) ثلمتم: خرقتم.



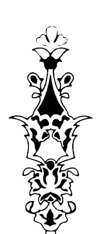


أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الإِسْلَامِ، وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ، وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ. أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكْثِ وَالْفَسَادِ فِي الأَرْضِ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَأَمَّا المَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ[1]، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ[2] فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ[3] سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ[4] وَرَجَّةُ صَدْرِهِ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ، وَلَئِنْ أَذِنَ اللهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ[5] إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ[6] فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ تَشَذُّراً! أَنَا وَضَعْتُ بِكَلَاكِلِ[7] الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ[8] قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ: وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ[9]، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلا خَطْلَةً[10] فِي فِعْلٍ. وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ تَعَالَى بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ

(١) دوّخت: ذلّلت.
(٢) الردهة: النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء، وشيطان الردهة: ذو الثدية، وُجد مقتولاً في ردهة.
(٣) الصعق: الغشوة من صوت شديد وربّما مات منه.
(٤) وجبة قلبه: اضطرابه.
(٥) أدلت من فلان: غلبته وقهرته.
(٦) يتشذّر: يتفرّق.
(٧) الكلاكل: الصدور.
(٨) نواجم: طوالع.
(٩) العرف: الرائحة الطيبة.
(١٠) الخطلة في الفعل: الخطأ فيه.





الْفَصِيلِ[1] أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لي فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَماً مِنْ أَخْلاقِهِ، وَيَأْمُرُني بِالاقْتِدَاءِ بِهِ.

وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ.

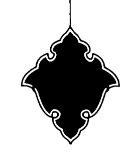
وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: «هذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»[2].

وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ ﷺ لَمَّا أَتَاهُ المَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلا أَحَدٌ مِن بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

---

(١) الفصيل: ولد الناقة.

(٢) أُنظر إلى هذه الفضيلة العظمى، والمنقبة الكبرى، حيث كان عليه السلام مصاحباً للنبيّ ﷺ في حراء، يرى نور الوحي والرسالة، ويشمّ ريح النبوّة، وقد شهد نزول الوحي، وسمع رنّة الشيطان، وتوسّم بوسام: «ولكنّك وزير وانّك لعلى خير». وقد قال ابن أبي الحديد في شرحه للنهج ١٣ : ٢٥٢ نقلاً عن شيخه أبي جعفر: «ثمّ أنتم معاشر العثمانية تثبتون لأبي بكر فضيلة بصحبة الرسول ﷺ من مكة إلى يثرب، ودخوله معه في الغار، فقلتم: مرتبة شريفة وحالة جليلة، إذ كان شريكه في الهجرة، وأنيسه في الوحدة، فأين هذه من صحبة علي عليه السلام له في خلوته، وحيث لا يجد أنساً غيره ليله ونهاره، أيام مقامه بمكة يعبد الله معه سرّاً، ويتكلف له الحاجة جهراً، ويخدمه كالعبد يخدم مولاه، ويشفق عليه ويحوطه، وكالولد يبرّ والده ويعطف عليه».





فَقَالَ لَهُمْ صلى الله عليه وآله: «وَمَا تَسْأَلُونَ؟». قَالُوا: تَدْعُو لَنا هذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللهُ ذلِكَ لَكُمْ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ!». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، وَمَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ».

ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤمِنِينَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللهِ».

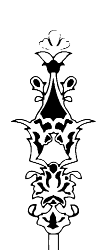
فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيّاً لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَقَصْفٌ[1] كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مُرَفْرِفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ عليه السلام.

فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذلِكَ قَالُوا ـ عُلُوّاً وَاسْتِكْبَاراً ـ: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا. فَأَمَرَهَا بذلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله. فَقَالُوا ـ كُفْراً وَعُتُوّاً ـ: فَمُرْ هذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ. فَأَمَرَهُ عليه السلام فَرَجَعَ. فَقُلْتُ أَنَا: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللهِ تَصْدِيقاً لِنُبُوَّتِكَ، وإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ.

فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هذَا! يَعْنُونَنِي. وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لا تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الأَبْرَارِ، عُمَّارُ اللَّيْلِ،

(١) قصف: صوت شديد.





وَمَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللهِ وسُنَنَ رَسُولِهِ، لا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَايَعْلُونَ، وَلَايَغُلُّونَ(1) وَلا يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ في الْعَمَلِ.

[١٩٣] ومن خطبة له عليه السلام(2)

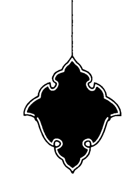
[يصف فيها المتقين]

روي أنّ صاحباً لأميرالمؤمنين عليه السلام يقال له همّامٌ كان رجلاً عابداً، فقال له: يا أميرالمؤمنين، صف لي المتقين كأنّي أنظر إليهم. فتثاقل عن جوابه، ثمّ قال عليه السلام: **يا همّامُ، اتقِ اللهَ وأحسِنْ فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم**

---

(١) يغلّون: يخونون.

(٢) رواها بألفاظ متقاربة كل من سليم بن قيس (ق ١) في كتابه: ٣٧١، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٢: ٢٢٦ ح ١ عن محمد بن جعفر، عن محمد بن إسماعيل، عن عبدالله بن داهر، عن الحسن بن يحيى، عن قثم ابن أبي قتادة الحراني، عن عبدالله بن يونس، عن أبي عبدالله عليه السلام.... ورواها أيضاً محمد بن همام الاسكافي (ت ٣٣٦) في كتاب التمحيص: ٧١ ح ١٧٠، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٦٦٦ ح٢ قال: «حدّثني محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدّثني محمد بن الحسن الصفّار، قال: حدّثنا علي بن حسان الواسطي، عن عمه عبدالرحمن بن كثير الهاشمي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام ...»، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٥٩، والكراجكي (ت ٤٤٩) في كنز الفوائد: ٣١ قال: «أخبرني أبو الرجا محمد بن علي بن طالب الرازي، قال: أخبرني أبو المفضل محمد بن عبدالله بن محمد بن المطلب الشيباني، قال: حدّثني أبو عبدالله جعفر بن محمد بن جعفر العلوي الحسني، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن عيسى الوابشي، قال: حدّثني عاصم بن حميد الخياط، قال أبو المفضل الشيباني: وحدّثنا محمد بن علي بن أحمد بن عامر البندار بالكوفة من أصل كتابه، وهذا الحديث بلفظه وهو أتم سياقه، قال: حدّثنا الحسن ابن علي بن بزيع، قال: حدّثنا مالك بن إبراهيم بن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن رجل من قومه يعني يحيى ابن ام الطويل انّه أخبره عن نوف الكسائي، قال: عرضت لي إلى أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حاجة...».





مُحْسِنُونَ﴾ .فلم يقنع همّامٌ بِذَلِكَ القول حتّى عزم عليه. قال: فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قال عليه السلام :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ.

فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ[1]، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ. نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ[2]. وَلَوْلَا الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِم لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ. عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ.

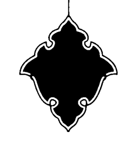
قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُم.

أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا وَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ[3] بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً،

(١) ملبسهم الاقتصاد: أي ليس بالثمين جدّاً ولا بالحقير جدّاً.

(٢) نزلت أنفسهم منهم في ...: أي أنّهم موطّنون أنفسهم على ما قدّره الله في حقهم من الشدّة والرخاء والسراء والضراء والضيق والسعة.

(٣) يستثيرون: يهيّجون ويطلبون.



وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ[١]، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ[٢] وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللهِ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ.

وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ[٣]، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، وَيَقُولُ: قَدْ خُولِطُوا! وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ!

لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ، فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ. إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسي! اللَّهُمَّ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لا يَعْلَمُونَ.

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْماً فِي لِينٍ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ، وَقَصْداً[٤] فِي غِنىً، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ[٥]، وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ، وَطَلَباً فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطاً فِي هُدًى، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ[٦]. يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ

---

(١) حانون على أوساطهم: من حنيت العود عطفته، يصف هيئة ركوعهم وانحنائهم في الصلاة.

(٢) مفترشون لجباههم: باسطون لها على الأرض.

(٣) براهم: من البري وهو النحت، والقداح: السهام.

(٤) قصداً: أي اقتصاداً.

(٥) تجمّلاً في فاقة: أي التظاهر باليسر عند الفاقة أي الفقر.

(٦) تحرّجاً عن طمع: أي تباعداً عن طمع.





وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ، يَبِيتُ حَذِراً، وَيُصْبِحُ فَرِحاً، حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ.

إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ. قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لا يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لا يَبْقَى، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ. تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلاً زَلَلُهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً[1] أَكْلُهُ، سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيزاً[2] دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ. الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ. إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ. يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ.

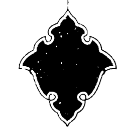
بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ. فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ[3]، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ. لا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ. يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ. لا يُضَيِّعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلا يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ، وَلا يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ، وَلا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ.

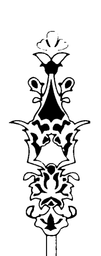
إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي

(١) منزوراً: أي قليلاً.

(٢) حريزاً: حصيناً ومحروزاً.

(٣) أي لا يضطرب في الشدائد المرعدة.





رَاحَةٍ. أَتْعَبَ نفسه لِآخِرَتِهِ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزاهَةٌ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ.

قال: فصعق همّامٌ رحمه الله صعقةً كانت نفسُه فيها، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: **أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: هكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا؟** فقال له قائل: فما بالك يا أميرالمؤمنين؟ فقال عليه السلام: **وَيْحَكَ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لا يَعْدُوهُ، وَسَبَباً لا يَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلاً لا تَعُدْ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ!**

[١٩٤] ومن خطبة له عليه السلام
يصف فيها المنافقين



نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ[١] عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً، وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً.

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ[٢]، وَقَدْ تَلَوَّنَ لَه الأَدْنَوْنَ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الأَقْصَوْنَ[٣]، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا[٤]، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا، مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ، وَأَسْحَقِ[٥] الْمَزَارِ.

---

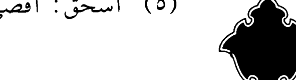
(١) ذاد: دفع.

(٢) الغمرة: الشدّة. الغصة: الشجا، والجمع غصص.

(٣) تألّب: تجمّع، والأقصون: الأبعدون منه في النسب.

(٤) خلعت إليه العرب أعنّتها وضربت إلى محاربته بطون رواحلها: مثلان كُنّي بهما عن المسارعة إلى حربه لأنّ أقوى عَدو الخيل إذا خلعت أعنّتها، وأقوى عدو الرواحل إذا ضربت بطونها، وفيه إيماء إلى انّهم أتوه فرساناً وركباناً مسرعين إلى حربه.

(٥) أسحق: أقصى وأبعد.





أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ، بِتَقْوَى اللهِ، وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ، فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً، وَيَفْتَنُّونَ[١] افْتِنَاناً، وَيَعْمِدُونَكُمْ[٢] بِكُلِّ عِمَادٍ، وَيَرْصُدُونَكُمْ[٣] بِكُلِّ مِرْصَادٍ.

قُلوبُهُمْ دَوِيَّةٌ[٤]، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ[٥]، يَمْشُونَ الْخَفَاءَ[٦]، وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ. وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ[٧]، حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَمُؤَكِّدُوا الْبَلَاءِ، وَمُقْنِطُوا الرَّجَاءِ.

لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ، وَإِلى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ، يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ[٨]، وَيَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ، إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا[٩]، وَإِنْ عَذَلُوا[١٠] كَشَفُوا، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا. قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلاً، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً، يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، وَيُنَفِّقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ[١١]. يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ، وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ، قَدْ هَيَّأُوا الطَّرِيقَ، وَأَضْلَعُوا

---

(١) يفتنّون: يأخذون في فنون من القول ولا يذهبون مذهباً واحداً.

(٢) يعمدونكم: يقصدونكم أو يفدحونكم.

(٣) يرصدونكم: يقعدون لكم بكلّ طريق ويعدّون المكايد لهم.

(٤) دويّة: فاسدة ومريضة.

(٥) صفاحهم: بشرة جلدهم، ونقية: نظيفة.

(٦) يمشون الخفاء: أي في الخفاء.

(٧) الداء العياء: الذي أعيى الأطباء ولا يمكن الشفاء منه.

(٨) يتقارضون الثناء: كل واحد منهم يثني على الآخر ليثني الآخر عليه، كأنّ كلاً منهم يسلف الآخر ديناً ليؤديه إليه.

(٩) ألحفوا: ألحّوا.

(١٠) عذلوا: لاموا.

(١١) أعلاقهم: أمتعتهم.





الْمَضِيقَ[1]، فَهُمْ لُمَّةُ[2] الشَّيْطَانِ، وَحُمَةُ[3] النِّيرَانِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

[١٩٥] ومن خطبة له عليه السلام

[يحمد الله ويثني على نبيّه ويعظ]

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ، وَجَلَالِ كِبْرِيَائِهِ، مَا حَيَّرَ مُقَلَ[4] الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُدرَتِهِ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ[5] عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ صلى الله عليه وآله وسلم. وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً، عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، وَأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ، فَاسْتَفْتِحُوهُ وَاسْتَنْجِحُوهُ، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ[6]، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ، لا يَثْلِمُهُ[7] الْعَطَاءُ، وَلا يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ، وَلا يَسْتَنْفِدُهُ[8] سَائِلٌ، وَلا يَسْتَقْصِيهِ

---

(١) أضلعوا المضيق: أمالوه وجعلوه ضلعاً، أي معوجّاً.

(٢) اللمة: الجماعة.

(٣) الحمة: السم.

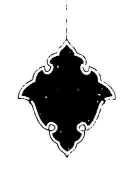
(٤) المقل: جمع مقلة، وهي شحمة العين التي تجمع السواد والبياض.

(٥) هماهم النفوس: أفكارها.

(٦) استمنحوه: اطلبوا منه المنحة.

(٧) لا يثلمه: لا يورد عليه خللاً.

(٨) لا يستنفده: لا يجعل ما عنده فانياً.





نَائِلٌ، وَلا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَلا يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ، وَلا تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ، وَلا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ، وَلا تُوَلِّهُهُ(١) رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ، وَلا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ، وَلا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ، قَرُبَ فَنَأَى، وَعَلَا فَدَنَا، وَظَهَرَ فَبَطَنَ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ، ودَانَ(٢) وَلَمْ يُدَنْ، لَمْ يَذْرَإِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ(٣)، وَلا اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا، تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ(٤)، وَأَوْطَانِ السَّعَةِ، وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ(٥)، وَمَنَازِلِ الْعِزِّ في يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ، وَتُظْلِمُ لَهُ الأَقْطَارُ، وَتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ(٦)، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وَتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ(٧)، وَالصُّمُّ الرَّوَاسِخُ(٨)، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا(٩) سَرَاباً رَقْرَقاً(١٠)، وَمَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً(١١)، فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ، وَلا حَمِيمٌ يَنْفَعُ، وَلا مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ.

---

(١) لا تولّهه: لا تذهله وتغفله.

(٢) دان: جازى وحاسب.

(٣) الاحتيال: النظر في العمل.

(٤) أكنان: جمع كن، وهو المكان الخالي من الآفات. الدعة: الراحة وسعة العيش.

(٥) المعقل: الملجأ. والحرز: الحفظ.

(٦) الصروم: جمع صرمة، القطعة من الإبل، والعشار: النوق لها عشرة أشهر من يوم اللقاح.

(٧) الشمّ الشوامخ: الجبال الشواهق.

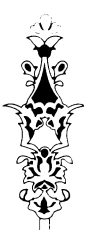
(٨) الصمّ الرواسخ: الجبال الثابتة والمستحكمة.

(٩) الصلد: الصلب الأملس.

(١٠) الرقرق: المتلألأ.

(١١) المعهد: الموضع كنت تعهد به شيئاً. والقاع: المستوي من الأرض. والسملق: الفضاء الواسع.



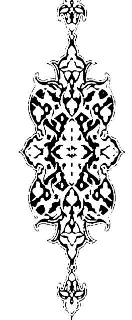


[١٩٦] ومن خطبة له عليه السلام

[بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله والعظة بالزهد]

بَعَثَهُ حِينَ لا عَلَمٌ قَائِمٌ، وَلا مَنَارٌ سَاطِعٌ[١]، وَلا مَنْهَجٌ وَاضِحٌ، أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ، وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ[٢]، تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَصْفِقُهَا الْعَوَاصِفُ[٣] فِي لُجَجِ الْبِحَارِ، فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ[٤]، وَمِنْهُمُ النَّاجِي عَلى مُتُونِ الأَمْوَاجِ، تَحْفِزُهُ[٥] الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلى أَهْوَالِهَا، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلى مَهْلَكٍ!

عِبَادَ اللهِ، الآنَ فَاعْمَلُوا، وَالأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ[٦]، وَالْمُنقَلَبُ فَسِيحٌ، وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ إِرْهَاقِ[٧] الْفَوْتِ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ، فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ، وَلا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ.



[١٩٧] ومن خطبة له عليه السلام[٨]

[ينبّه فيها على فضيلته لقبول قوله وأمره ونهيه]

وَلَقَدْ عَلِمَ. . . . .

---

(١) المنار الساطع: المرتفع.

(٢) القاطن: المقيم، والبائن: البعيد.

(٣) تصفقها العواصف: تضربها بشدّة ضرباً بعد ضرب.

(٤) الغرق الوبق: الهالك.

(٥) تحفزه: تسوقه.

(٦) لدنة: ليّنة، رطبة.

(٧) أرهقه الشيء: أعجله فلم يتمكن من فعله.

(٨) رواها باختصار نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٢٢٤ عن عمر ابن سعد، عن أبي يحيى، عن محمد بن طلحة، عن أبي سنان الأسلمي. والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الأمالي: ٢٣٥ وقال: «أخبرني أبو الطيب الحسين بن محمد =





الْمُسْتَحْفَظُونَ(١) مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللهِ وَلا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ(٢) فِيهَا الأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ الأَقْدَامُ، نَجْدَةً(٣) أَكْرَمَنِيَ اللهُ بِهَا.

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي. وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي. وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صلى الله عليه وآله وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ والأَفْنِيَةُ، مَلأٌ يَهْبِطُ، وَمَلأٌ يَعْرُجُ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ(٤) مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ. فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً! فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ، فَوَالَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ(٥) الْبَاطِلِ. أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ!

= النحوي التمار، قال: حدّثنا محمد بن الحسن، قال: حدّثنا أبو نعيم، قال: حدّثنا صالح بن عبدالله، قال: حدّثنا هشام عن أبي مخنف، عن الأعمش، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الأصبغ بن نباتة ...»، وعنه الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ١٠ ح ١٣. وقد قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٠: ١٨٥ «وأمّا حديث الهينمة وسماع الصوت، فقد رواه خلق كثير من المحدّثين عن علي عليه السلام».

(١) المستحفظون: الذين أودعهم النبي صلى الله عليه وآله أمانة سرّه وطالبهم بحفظها.

(٢) تنكص: تتراجع.

(٣) النجدة: الشجاعة. قال ابن أبي الحديد في شرحه ١٠: ١٨١ «وهذا ممّا اختص عليه السلام بفضيلته غير مدافَع، ثبت معه يوم أحد وفرّ الناس، وثبت معه يوم حنين وفرّ الناس، وثبت تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها وفرّ من كان بعث بها من قبله...» ثم ذكر باقي مواقفه عليه السلام.

(٤) الهينمة: الصوت الخفي.

(٥) المزلّة: مكان الزلل الموجب للسقوط والهلاك.





[١٩٨] ومن خطبة له عليه السلام
[ينبّه على إحاطة علم الله بالجزئيات، ثمّ يحثّ على التقوى، ويبيّن فضل الإسلام والقرآن]

يَعْلَمُ عَجِيجَ(١) الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ، وَمَعاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ، وَاخْتِلَافَ النِّينَانِ(٢) فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ، وَتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ اللهِ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ(٣)، فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَجِلَاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ(٤)، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ.



فَاجْعَلُوا طَاعَةَ الله شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ(٥)، وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ(٦)، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ، وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ، وَمَنْهَلاً لِحِينِ وِرْدِكُم، وَشَفِيعاً لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ، وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ، وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ، وَنَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ، فَإِنَّ طَاعَةَ اللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ(٧)، وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ، وَأُوَارِ(٨) نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ.

---

(١) العج: رفع الصوت.

(٢) النينان: جمع نون، وهو الحوت.

(٣) مرامي مفزعكم: أي إليه تفزعون وتلجؤون.

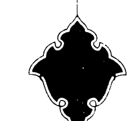
(٤) الجأش: ما يضطرب به القلب عند الفزع.

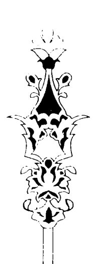
(٥) الدثار: ما يكون من الإنسان فوق الشعار.

(٦) دخيلاً دون شعاركم: أي داخلاً في باطنكم تحت الشعار.

(٧) متالف: جمع متلف وهو المهلكة. ومكتنفة: محيطة.

(٨) الأوار: حرّ النار والشمس.





فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا، وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا، وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا، وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا[1]، وَتَحَدَّبَتْ[2] عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا[3]، وَوَبَلَتْ[4] عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا[5].

فَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ، وَامْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ، فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

ثُمَّ إِنَّ هذَا الإِسْلَامَ دِينُ اللهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَاصْطَنَعَهُ عَلى عَيْنِهِ، وَأَصْفَاهُ خِيْرَةَ خَلْقِهِ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، أَذَلَّ الأَدْيَانَ بِعِزِّهِ، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ، وَخَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ، وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ، وَأَتْأَقَ الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ[6].

ثُمَّ جَعَلَهُ لا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلا انْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ، وَلا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ، وَلا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، وَلا عَفَاءَ[7] لِشَرَائِعِهِ، وَلا جَذَّ لِفُرُوعِهِ، وَلا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ، وَلَا وُعُوثَةَ[8] لِسُهُولَتِهِ، وَلَا

---

(١) قحوطها: قِلّتها.

(٢) تحدّبت: تعطّفت.

(٣) نضوبها: انقطاعها.

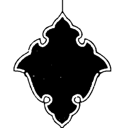
(٤) وَبَلت: أمطرت شديداً.

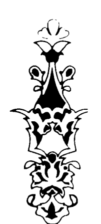
(٥) الرذاذ: المطر القليل.

(٦) أتاق: ملأ. والمواتح: الدلاء يُمتح بها أي يُسقى بها.

(٧) العفاء: الدروس والإنمحاء.

(٨) الوعث: مكان تعيث فيه الأقدام فيصعب فيه المشي.





سَوَادَ لِوَضَحِهِ[1]، وَلا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ، وَلا عَصَلَ[2] فِي عُودِهِ، وَلا وَعَثَ لِفَجِّهِ[3]، وَلا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلا مَرَارَةَ لِحَلاوَتِهِ.

فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ[4] فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا[5]، وَثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا، وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ[6] عُيُونُهَا، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا، وَمَنَارٌ[7] اقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا[8]، وَأَعلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا[9]، وَمَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا.

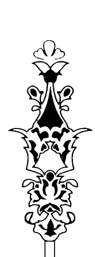
جَعَلَ اللهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ، وَذِرْوَةَ[10] دَعَائِمِهِ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ وَثِيقُ الأَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِيءُ النِّيرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ[11]، مُعْوِذُ الْمَثَارِ[12]. فَشَرِّفُوهُ وَاتَّبِعُوهُ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ.

ثُمَّ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الانْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ الآخِرَةِ الاطِّلَاعُ[13]، وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ، وَقَامَتْ

---

(١) الوضح: بياض الصبح.
(٢) العصل: الالتواء والاعوجاج.
(٣) وعث الطريق: تعسّر المشي فيه. والفجّ: الطريق الواسع بين جبلين.
(٤) أساخ: أدخل وأثبت.
(٥) أسناخها: أصولها.
(٦) غَزُرت: كثرت.
(٧) المنار: علم الطريق.
(٨) سفّارها: مسافروها.
(٩) أعلام قصد بها فجاجها: أي مثل أعلام قصد بنصبها اهداء المسافرين في تلك الفجاج.
(١٠) الذروة: أعلى السنام والرأس وغيرهما.
(١١) مشرف المنار: مرتفعه.
(١٢) معوذ المثار: أي يعجز الناس ازعاجه واثارته لقوّته وثباته.
(١٣) الإطلاع: الإشراف.





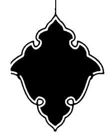
بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ، وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ[1]، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ[2]، فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، وَاقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَانْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا، وَانْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا[3]، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِها، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا. جَعَلَهُ اللهُ تَعَالى بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ، وَرَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ، وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ، وَشَرَفاً لِأَنْصَارِهِ.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجاً لا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ، وَبَحْراً لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَاجاً لا يُضِلُّ نَهْجُهُ، وَشُعَاعاً لا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ، وَفُرْقَاناً لا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ، وَتِبْيَاناً لا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَشِفَاءً لا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَعِزّاً لا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقّاً لا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ.

فَهُوَ مَعْدِنُ الإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ[4]، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ[5] الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ، وَأَثَافِيُّ[6] الإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ، وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُ[7]. وَبَحْرٌ لا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ، وَعُيُونٌ لا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ[8]، وَمَنَاهِلُ لا يَغِيضُهَا[9] الْوَارِدُونَ، وَمَنَازِلُ لا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وَأَعْلَامٌ لا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ، وَآكَامٌ[10] لا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ.

---

(١) خشونة المهاد: كناية عن شدة الآم الدنيا.
(٢) أزف: قرب، والمراد من القياد انقيادها للزوال.
(٣) انتشار من سببها: أي تفرّق من حبلها وربقتها المشدود بها رقاب أهلها وهو حبل الإسلام.
(٤) بحبوحة المكان: وسطه.
(٥) الرياض جمع روضة: مستنقع الماء في رمل أو عشب.
(٦) الأثافي جمع أثفية: الحجر يوضع عليه القدر.
(٧) الغيطان: المكان المطمئنّ من الأرض.
(٨) لا ينضبها: لا ينقصها. الماتحون جمع ماتح: نازع الماء من الحوض.
(٩) المناهل: موضع الشرب من النهر. لا يغيضها: لا ينقصها.
(١٠) آكام جمع أكمة: التلّ.





جَعَلَهُ اللهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وَعِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَهُدًى لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وَعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلْأَمَ(١)، وَعِلْماً لِمَنْ وَعَى، وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى، وَحُكْماً لِمَنْ قَضَى.

[١٩٩] ومن كلام له عليه السلام كان يوصي به أصحابه(٢)



تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا، فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً. أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾. وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ، وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبَقِ(٣)، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِالْحَمَّةِ(٤) تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ!

وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، وَلا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلا مَالٍ، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ﴾.

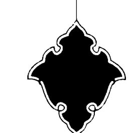
---

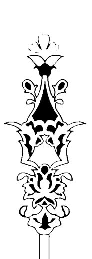
(١) استلأم: اتخذه لأمة وهي الدرع الواسع.

(٢) روى نحوه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٥: ٣٦ ح ١ عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن أبي حمزة، عن عقيل الخزاعي.

(٣) ربق: جمع ربقة، وهي الحبل.

(٤) الحمة: الحفيرة فيها الماء الحار.





وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَصِباً بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ، لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيُصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ الإِسْلَامِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً وَوِقَايَةً، فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونُ الأَجْرِ[1]، ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ.

ثُمَّ أَدَاءَ الأَمَانَةِ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ، وَالأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ[2]، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ؛ فَلَا أَطْوَلَ وَلا أَعْرَضَ، وَلا أَعْلَى وَلا أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَامْتَنَعْنَ، وَلكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ، وَهُوَ الإِنْسَانُ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً. إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ[3] فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ، لَطُفَ بِهِ خُبْراً، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ.

[٢٠٠] ومن كلام له عليه السلام[4] [في معاوية]

وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، وَلكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ

---

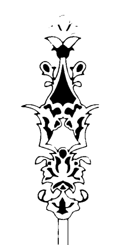
(١) مغبون الأجر: منقوصه.

(٢) المدحوّة: المبسوطة.

(٣) الاقتراف: الاكتساب.

(٤) رواه الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٦٦، والكليني (ت ٣٢٩) في





لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ، وَكُلُّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بالمَكِيدَةِ، وَلا أُسْتَغْمَزُ[1] بالشَّدِيدَةِ.

[٢٠١] ومن كلام له عليه السلام[2]

[يعظ بسلوك الطريق الواضح]

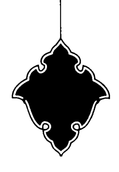
أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَى وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَى، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الأَرْضِ الْخَوَّارَةِ[3].

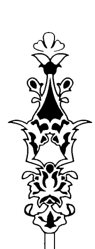
الكافي ٢ : ٣٣٨ ملخصاً عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن أسباط، عن عمه يعقوب بن سالم، عن أبي الحسن العبدي، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة.

(١) الغَمَز: الرجل الضعيف، أي لا يستضعفني شديد القوة.

(٢) رواه باختلاف الثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ٢ : ٥٨٤ عن فرات بن أحنف، والطبري الإمامي (ق ٤) في المسترشد: ٤٠٧، والنعماني (ت ٣٨٠) في الغيبة: ٣٧ بطريقين، الأول قال: أخبرنا أبو العباس بن أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي، قال: حدّثنا أبو عبدالله جعفر بن عبدالله المحمّدي من كتابه في المحرم سنة ثمان وستين ومائتين، قال: حدّثني يزيد بن إسحاق الأرحبي ـ ويعرف بشعر ـ قال: حدّثنا مخول، عن فرات بن أحنف، عن الأصبغ بن نباتة. والطريق الثاني قال: ورواه لنا محمد بن همام ومحمد بن الحسن بن محمد بن جمهور جميعاً، عن الحسن بن محمد بن جمهور، عن أحمد بن نوح، عن ابن عليم، عن رجل، عن فرات بن أحنف، قال: أخبرني من سمع أميرالمؤمنين عليه السلام ـ وذكر مثله ـ ....

(٣) الأرض الخوارة: الضعيفة واللينة.





أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ!

[٢٠٢] ومن كلام له عليه السلام (١)

رُوي عنه أنّه قاله عند دفن سيّدة النساء فاطمة صلّى الله عليها، كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره:

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ! قَلَّ يَا رَسُولَ اللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ. إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ! أَمَّا

---

(١) رواه باختلاف قليل كل من الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ١: ٤٥٩ ح ٣ عن أحمد بن مهران رحمه الله رفعه وأحمد بن إدريس، عن محمد بن عبدالجبار الشيباني، قال: وحدّثني القاسم بن محمد الرازي قال: حدّثنا علي بن محمد الهرمزاني، عن أبي عبدالله الحسين بن علي عليه السلام.... والطبري الإمامي (ق ٤) في دلائل الإمامة: ١٣٨ ح ٤٦ وقال: «أخبرني أبو الحسن علي بن هبة الله، قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي، قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن الوليد، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفّار، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن عيسى، قال: حدّثنا علي بن مسكان، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين: قال: قال لي أبي الحسين بن علي عليه السلام...». والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الأمالي: ٢٨١ ح ٧ وقال: «حدّثنا أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا أحمد بن إدريس، قال: حدّثنا محمد بن عبدالجبار، عن القاسم بن محمد الرازي، عن علي بن محمد الهرمزاني، عن علي بن الحسين بن علي، عن أبيه الحسين :» وعنه بنفس السند الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ١٠٩ ح ٢٠. ورواه أيضاً سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤) في تذكرة الخواص: ٢٨٧.





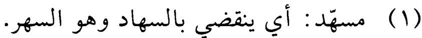
حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ[1]، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ. وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ [بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا]، فَأَحْفِهَا[2] السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، هذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ، لا قَالٍ وَلا سَئِمٍ[3]، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ.

[٢٠٣] ومن كلام له عليه السلام[4]

[في التزهيد من الدنيا والترغيب في الآخرة]

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دارُ مَجَازٍ، وَالآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُم، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ. إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟

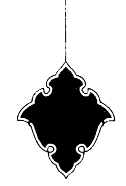


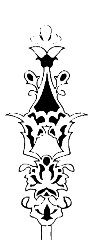
(١) مسهّد: أي ينقضي بالسهاد وهو السهر.

(٢) أحف: استقص.

(٣) القال: المبغض. والسئم: من السآمة وهي الضجر.

(٤) رواه باختلاف قليل الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٦٧ ح ٥٦ وأحال في إسناده إلى الحديث الذي قبله وسنده هكذا: «حدّثنا محمد بن القاسم المفسر (رضي الله عنه)، قال: حدّثنا أحمد بن الحسن الحسيني، عن الحسن بن علي، عن أبيه علي بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه الرضا علي بن موسى، عن موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي ابن الحسين بن علي ...». وكذلك في الأمالي: ١٧٢ ح ١٠. والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٩٥، وقال ابن أبي الحديد في شرحه ١١: ٣ بعدما أورد عن المبرد في الكامل من نسبة هذا الكلام إلى أعرابي، فقال: «وأكثر الناس على انّ هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام، ويجوز أن يكون الأعرابي حفظه فأورده كما يورد الناس كلام غيرهم».





للهِ آبَاؤُكُمْ ! فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً[1]، وَلا تُخَلِّفُوا كُلّاً فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ كَلّاً[2].

[٢٠٤] ومن كلام له عليه السلام
كان كثيراً ما ينادي به أصحابه[3]

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللهُ! فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ[4] عَلَى الدُّنْيَا، وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً[5]، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لَابُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ الْمَنِيَّةِ[6] نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ[7] فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ[8] الأُمُورِ، وَمُعْضِلَاتُ[9] الْمَحْذُورِ.

---

(١) أصل القرض ما يعطيه الرجل أو يفعله ليُجازى عليه.

(٢) نسخة ابن أبي الحديد هكذا: «فقدّموا بعضاً يكن لكم، ولا تخلفوا كُلاً فيكون فرضاً عليكم» وأثبتنا ما في المتن بالاستعانة من هامش بعض النسخ المخطوطة عندنا.

(٣) رواه باختلاف الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٧٠، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٥٨٧ ح ٨١٠ بإسناد الحديث الذي قبله، قال: «حدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، قال: حدّثنا إبراهيم بن هاشم، عن عبدالرحمن بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن محمد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي (عليه السلام ...». والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الأمالي: ١٩٨ ح ٣٢ وقال: «وبالإسناد الأول [أي قوله: حدّثنا أحمد بن محمد، عن أبيه محمد بن الحسن بن الوليد القمي، عن محمد ابن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف] عن علي بن مهزيار، عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان أميرالمؤمنين عليه السلام». وفي الإرشاد ١: ٢٣٤ وقال: «رواه العلماء بالأخبار ونقلة السيرة والآثار».

(٤) العرجة: التعريج وهو الإقامة.

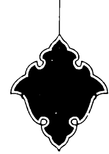
(٥) العقبة الكؤود: الصعبة.

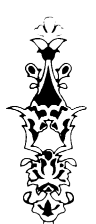
(٦) ملاحظ المنية: منبعث نظرها.

(٧) المخلب للسبع بمنزلة الظفر للإنسان. نشبت: علقت.

(٨) الفظيع: ما جاوز الحد الشديد.

(٩) أعضل الأمر إذا صعب وتعذّر.





فَقَطِّعُوا عَلاَئِقَ الدُّنْيَا، وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى.

وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدّم، بخلاف هذه الرواية.

[٢٠٥] ومن كلام له عليه السلام

كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة(١)

وقد عتبا من ترك مشورتهما، والاستعانة في الأمور بهما:

لَقَدْ نَقَمْتُما(٢) يَسِيراً، وَأَرْجَأْتُمَا(٣) كَثِيراً، أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ! وأَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ! أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهِلْتُهُ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ؟!

وَاللهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ، وَلا فِي الْوِلَايَةِ إِرْبَةٌ، وَلكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا اسْتَسَنَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَاقْتَدَيْتُهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلا رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ، فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَوْ كَانَ ذلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا، وَلا عَنْ غَيْرِكُمَا.

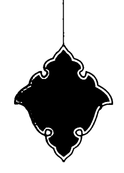
وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأَسْوَةِ(٤)، فَإِنَّ ذلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُما مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله

(١) رواه باختلاف الاسكافي(ت٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١١٣، ورواه ابن أبي الحديد في شرحه ٧: ٤٢ عن كتاب نقض العثمانية للاسكافي، وأشار الشيخ الطوسي(ت٤٦٠) إلى بعض فقراته في الأمالي: ٧٣٢ ح٥.

(٢) نقمتما: أنكرتما وعتبتما.

(٣) أرجأتما: أخّرتما.

(٤) أمر الأُسوة: أي المساواة بين الناس في العطاء.





قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللهُ مِنْ قَسْمِهِ، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا، وَاللهِ، عِنْدِي وَلا لِغَيْرِكُمَا فِي هذَا عُتْبَى[1]. أَخَذَ اللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ. ثم قال عليه السلام: رَحِمَ اللهُ رَجُلاً رَأَى حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ.

[٢٠٦] ومن كلام له عليه السلام

وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيام حربهم بصفين[2]:

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَرْعَوِيَ[3] عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ[4].

[٢٠٧] وقال عليه السلام في بعض أيام صِفِّين وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرّع إلى الحرب[5]

امْلِكُوا[6] عَنِّي هذَا الْغُلَامَ لا يَهُدَّنِي، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ[7] بِهذَيْنِ - يَعْنِي

(١) العتبى: الرضا، أي لست أرضيكما بارتكاب ما لا يحلّ لي من ارتكابه.

(٢) رواه باختلاف المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ١٠٢ عن عمر بن سعد، عن عبد الرحمن، عن الحارث بن حصيرة، عن عبدالله بن شريك. والاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٣٧، والدينوري (ت ٢٨٢) في الأخبار الطوال: ١٦٥.

(٣) ارعوى عن الغيّ: رجع وكفّ.

(٤) لهج به: ولع به وحرص عليه.

(٥) رواه الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٥١ إلى قوله: «لا يهدّني».

(٦) املكوا عنّي: أي خذوه بالشدة وأمسكوا به. أنفس: أبخل.

(٧) رواه باختلاف نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٤٨٤، =





الحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام ـ عَلَى الْمَوْتِ، لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله.

قوله عليه السلام: « امْلِكُوا عنِّي هذَا الْغُلَامَ » من أعلى الكلام وأفصحه.

[٢٠٨] ومن كلام له عليه السلام

قاله لمّا اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة[١]

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ، حَتَّى نَهَكَتْكُمُ[٢] الْحَرْبُ، وَقَدْ وَاللهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ.

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً! وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً! وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ!



[٢٠٩] ومن كلام له عليه السلام[٣]

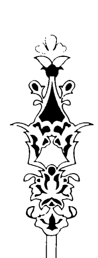
بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي ـ وهو من أصحابه ـ يعوده، فلما رأى سعة داره قال:

= والاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٧٥، وابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٣٩، وابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ٣: ١٨٣ ط دار الكتب العلمية عام ١٤٠٦، والمسعودي (ت٣٤٦) في مروج الذهب ٢: ٣٩٠ تحقيق يوسف أسعد ط عام ١٣٩٣.

(١) نهكتكم: أضعفتكم وأذابتكم.

(٢) رواه باختلاف الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٤٣، وابن عبد ربه (ت ٣٢٨) في العقد الفريد ٢: ٣٧٣ تحقيق أحمد أمين ط القاهرة ١٣٧٥ هـ، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ١: ٤١١ ح ٣ عن علي ابن محمد، عن صالح بن أبي حماد، وعدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد وغيرهما بأسانيد مختلفة في احتجاج أميرالمؤمنين عليه السلام على عاصم بن زياد.

(٣) وقد اختلفت المصادر في اسم الشخص الذي عاده أميرالمؤمنين عليه السلام، فقد ورد في العقد الفريد، وما رآه ابن أبي الحديد ورواه عن الشيوخ اسم الربيع بن زياد الحارثي، وفي الاختصاص أنّ زياد بن شداد الحارثي استعدى على أخيه عبيد الله =



مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا، [أما] أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ! وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ، تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا[1]، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ.

فقال له العلاء: يا أميرالمؤمنين، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد. قال: وما له؟ قال: لبس العباءة وتخلّى من الدنيا. قال: عليَّ به. فلمّا جاء قال:

يَا عُدَيَّ[2] نَفْسِهِ! لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ! أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ! أَتَرَى اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا! أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذلِكَ!

قال: يا أميرالمؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجُشوبة مأكلك!

قال: وَيْحَكَ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ على أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ[3] بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ!

[٢١٠] ومن كلام له عليه السلام[4]

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال عليه السلام:

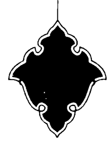
= بن شداد، وذهب المحقق التستري في بهج الصباغة ٦: ٣٧١ أنّ العلاء بن زياد كان من مبغضي أميرالمؤمنين عليه السلام، ولكن الاسكافي في المعيار والموازنة أثبت العلاء بن زياد كما في النهج، والله العالم.

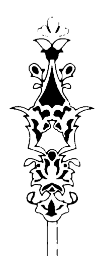
(١) مطالعها: مواضعها.

(٢) عُديّ: تصغير عدو.

(٣) يتبيّغ: يتهيّج.

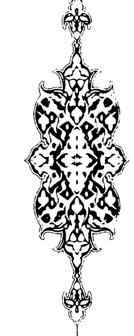
(٤) رواه سليم بن قيس الهلالي (ق ١) في كتابه: ١٨١، ثم ذكر تصديق الأئمّة: ـ إلى الإمام الباقر عليه السلام ـ بصحة هذا الحديث، والاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٣٠٢، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ١: ٦٢ ح١ عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبان =





إنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلاً، وَصِدْقاً وَكَذِباً، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفْظاً وَوَهْماً، وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1]، وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلَامِ، لَايَتَأَثَّمُ وَلا يَتَحَرَّجُ[2]، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُتَعَمِّداً، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَآهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ[3]، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ عليه السلام،



= ابن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي، والنعماني (ت ٣٨٠) في كتاب الغيبة: ٧٦ ح ١٠ وقال: «وبهذا الاسناد [أي ما رواه أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة ومحمد بن همام بن سهيل وعبد العزيز وعبدالواحد ابنا عبدالله بن يونس الموصلي عن رجالهم] عن عبدالرزاق، عن معمر، عن أبان، عن سليم بن قيس الهلالي»، والصدوق (ت ٣٨١) في الخصال: ٢٥٥ ح ١٣١ قال: «حدّثنا أبي رضي الله عنه، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني وعمر بن أُذينة، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي»، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٩٣ عن سليم، والطبري الإمامي (ق٤) في المسترشد: ٢٣٢ ح٦٧ عن محمد بن عبدالله بن مهران عن حماد بن عيسى، عن ابن أُذينة، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي، وأبو حيان التوحيدي (ت ٤٠٠) في الإمتاع والمؤانسة ٣: ١٩٧ [كما في نهج السعادة للمحمودي ٢: ٦١٤].

(١) ورد في كثير من مصادر الخاصة والعامة، راجع مسند أحمد ١: ٧٨، السنن للدارمي ١: ٧٦، صحيح البخاري٢: ٨١، المستدرك للحاكم٣: ٢٦٢، ٢٨٠، المصنف لعبدالرزاق١١: ٢٦١ ح٢٠٤٩٣، وغيرها.

(٢) أي لا يرى إثماً ولا حرجاً.

(٣) لقف عنه: تناول عنه.





فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ، وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمُ الأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ، فَهذَا أَحَدُ الأَرْبَعَةِ.

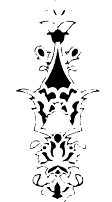
وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهِمَ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، يَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذلِكَ لَرَفَضَهُ!

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنسُوخَ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَآخَرُ رَابِعٌ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللهِ، وَلا عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ، خَوْفاً للهِ، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللهِ، وَلَمْ يَهِمْ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، وَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ، وَعَرَفَ الْمُتَشَابِهَ وَمُحْكَمَهُ.

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلَامٌ خَاصٌّ، وَكَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللهُ بِهِ، وَلا مَا عَنَى بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ أَوِ الطَّارِئُ،





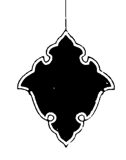
فَيَسْأَلَهُ عليه السلام حَتَّى يَسْمَعُوا، وَكَانَ لا يَمُرُّ بِي مِنْ ذلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ. فَهذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ، وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ.

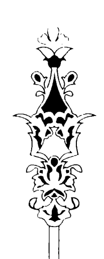
[٢١١] ومن خطبة له عليه السلام
[في عجيب صنعة الكون]

وَكَانَ مِنِ اقْتِدَارِ جَبَروتِهِ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ[١] الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ[٢]، يَبَساً جَامِداً، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا[٣]، فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ[٤]، [وَأَرْسَى أَرْضاً] يَحْمِلُهَا الأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ[٥]، وَالْقَمْقَامُ[٦] الْمُسَخَّرُ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ، وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا[٧]، وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادِهَا[٨]، فَأَرْسَاهَا في مَرَاسِيهَا[٩]، وَأَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا، فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ[١٠] أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ، فَأَنْهَدَ[١١] جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَأَسَاخَ[١٢] قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ

---

(١) الزاخر: المرتفع الممتد.
(٢) المتقاصف: المتدافع، أو الشديد الصوت.
(٣) أي كانت متصلة بعضها ببعض.
(٤) قامت على حدّه: أي قامت السماوات على تحديده تعالى لها.
(٥) الأخضر المثعنجر: البحر السائل.
(٦) القمقام: البحر أيضاً.
(٧) جبل: خلق، وجلاميدها: أحجارها.
(٨) النشوز: الارتفاع، متونها: ما صلب منها، والأطواد: الجبال.
(٩) مراسيها: مواقفها.
(١٠) رَسَتْ: ثبتت.
(١١) أنهد: أنهض.
(١٢) أساخ: أغاص، من ساخت قدمه في الأرض إذا غاصت فيها.





أَقْطَارِهَا، وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا[1]، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا[2]، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا[3]، وَجَعَلَهَا لِلأَرْضِ عِمَاداً، وَأَرَّزَهَا[4] فِيهَا أَوْتَاداً، فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِن أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ[5] بِحِمْلِهَا، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً! فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لا يَجْرِي، وَقَائِمٍ لَا يَسْرِي، تُكَرْكِرُهُ[6] الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ، وَتَمْخُضُهُ[7] الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ[8]، إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى.

[الْقَمْقَامُ هَاهُنا: البَحرُ، سُمّي بذلكَ لاجتماع مائِهِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَمْقَمَ اللهُ عَصَبَهُ أي جَمَعَهُ. والأَرْزُ يُقَالُ: أَرَزَ الشَّيْءُ ـ على مثال فعل ـ إذا ثَبَتَ، يَأْرِزُ أُرُوزاً وَأَرْزاً أيضاً، إذا تَقَبَّضَ وَاجْتَمَعَ].

[٢١٢] ومن خطبة له عليه السلام[9]

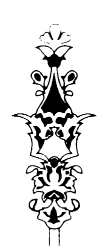
[كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه]

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، وَالْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ

---

(١) مواضع أنصابها: في مواضع نصبت فيها.
(٢) أشهق: أعلى، والقلال: جمع قلة أعلى الجبل.
(٣) أنشازها: ارتفاعاتها.
(٤) أرّزها: أثبتها فيها.
(٥) تسيخ: تغوص.
(٦) تكركره: تحركه.
(٧) المخض: تحريك اللبن لإخراج زبده.
(٨) الذوارف: من ذرف الدمع إذا سال.
(٩) روى نحوها الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٧٩.





نُصْرَتِكَ، وَالإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَاوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ، وَالآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

[٢١٣] ومن خطبة له عليه السلام
[في تمجيد الله وتعظيمه]

الْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ، الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ، الْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ، الْعَالِمِ بِلَا اكْتِسَابٍ وَلا ازْدِيَادٍ، وَلا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلا ضَمِيرٍ، الَّذِي لا تَغْشَاهُ الظُّلَمُ، وَلا يَسْتَضِيءُ بِالأَنْوَارِ، وَلا يَرْهَقُهُ[١] لَيْلٌ، وَلا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالأَبْصَارِ، وَلا عِلْمُهُ بِالأَخْبَارِ.

منها: في ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله

أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي الاصْطِفَاءِ، فَرَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ[٢]، وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ[٣]، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ[٤]، حَتَّى سَرَّحَ[٥] الضَّلَالَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

[٢١٤] ومن خطبة له عليه السلام
[يصف جوهر الرسول صلى الله عليه وآله، ويصف العلماء، ويعظ بالتقوى]

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ، وَحَكَمٌ فَصَلَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،

---

(١) لا يرهقه: لا يغشاه.

(٢) رتق: سدّ، والمفاتق: مواضع الفتق.

(٣) ساور به المغالب: أي واثب بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) كل من يغالب الحقّ.

(٤) الحزونة: ضد السهولة، والحزن: ما غلظ من الأرض.

(٥) سرّح: فرّق.





وَسَيِّدُ عِبَادِهِ، كُلَّمَا نَسَخَ[١] اللهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ، وَلا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ. أَلَا وإِنَّ اللهَ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلاً، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً[٢]، وإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِنَ اللهِ يَقُولُ عَلَى الأَلْسِنَةِ، وَيُثَبِّتُ الأَفْئِدَةَ، فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ، وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ[٣]، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ، يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ، وَيَتَلَاقَوْنَ بالْمَحَبَّةِ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ[٤]، وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ[٥]، لا تَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ، وَلا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغِيبَةُ. عَلَى ذٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ، وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ، فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَى، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ[٦]، وَهذَّبَهُ التَّمْحِيصُ.

فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا، وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا، وَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ، فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً، فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ، وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ[٧]. فَطُوبَى لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ، أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ، وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ، وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ، وَبَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ، وَتُقْطَعَ أَسْبَابُهُ، وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ،

---

(١) النسخ: النقل.

(٢) العصم: جمع عصمة، وهو ما يحفظ به الشيء ويمنع.

(٣) ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ١١ : ٧٢ إنّ هذا الكلام في وصف العارفين، ثم قال: واعلم أنّ الكلام في العرفان لم يأخذه أهل الملّة إلّا عن هذا الرجل، ولعمري لقد بلغ منه إلى أقصى الغايات، وأبعد النهايات.

(٤) روية: أي مرويّة من: رويت لأهلي إذا أتيتهم بالماء.

(٥) بريّة: أي بالارتواء من الماء.

(٦) قد ميّزه التخليص: أي قد فرّق الانتقاء بين جيّده ورديئه.

(٧) معارف المنتقل: المواضع التي يعرف الانتقال إليها.





وَأَمَاطَ الْحَوْبَةَ[1]، فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ.

[٢١٥] ومن دعائه عليه السلام [كان يدعو به كثيراً]

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يُصبِحْ بِي مَيِّتاً وَلا سَقِيماً، وَلا مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ، وَلا مَأْخُوذاً بِأَسْوَأ عَمَلِي، وَلا مَقْطُوعاً دَابِرِي، وَلا مُرْتَدّاً عَنْ دِينِي، وَلا مُنْكِراً لِرَبِّي، وَلا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي، وَلا مُلْتَبِساً عَقْلِي، وَلا مُعَذَّباً بِعَذابِ الأُمَمِ مِنْ قَبْلِي. أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلا حُجَّةَ لِي، لا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي، وَلا أَتَّقِيَ إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي.



اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ، أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَالأَمْرُ لَكَ! اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي! اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ، أَوْ تَتَابَعَ[2] بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ!

[٢١٦] ومن خطبة له عليه السلام بصفين[3]

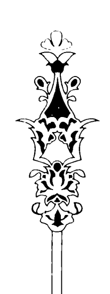
أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا

---

(١) أماط: أزال، والحوبة: الإثم.

(٢) التتابع: التهافت في اللجاج والشر.

(٣) رواها الكليني (ت ٣٢٩ هـ) في روضة الكافي ٨: ٣٥٢ ح ٥٥٠ عن عليّ بن الحسن المؤدب، عن أحمد بن محمّد بن خالد، وأحمد بن محمّد بن عليّ بن الحسن التيمي جميعاً عن إسماعيل بن مهران قال: حدّثني عبدالله بن الحارث عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أميرالمؤمنين عليه السلام الناس بصفين....



فِي التَّنَاصُفِ، لَايَجْرِي لأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ، وَلا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ، وَلَوْ كَانَ لأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلا يَجْرِيَ عَلَيْهِ، لَكَانَ ذٰلِكَ خَالِصاً للهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلٰكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ، وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ.

ثُمَّ جَعَلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلايُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ.

وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةً فَرَضَهَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ، وَلا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ.

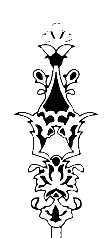
فَإِذا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا[1] السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ.

وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الإِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ[2] السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلا

(١) جرت على أذلالها: أي على مجاريها وطرقها.

(٢) المحجة: الطريق الواضح.





يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ الأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ عِنْدَ الْعِبَادِ.

فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذلِكَ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ ـ وَإِنِ اشْتَدَّ عَلَى رِضَى اللهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ ـ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللهُ [سُبْحَانَهُ] أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ، وَلكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللهِ عَلى العِبَادِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ، وَلَيْسَ امْرُؤٌ ـ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ ـ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ، وَلا امْرُؤٌ ـ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ(١) الْعُيُونُ ـ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلى ذلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ.

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل، يكثر فيه الثناء عليه، ويذكر سمعه وطاعته له.

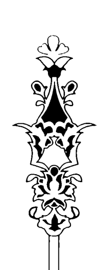
فقال عليه السلام : إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللهِ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ ـ لِعِظَمِ ذلِكَ ـ كُلُّ مَا سِوَاهُ(٢)، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا ازْدَادَ حَقُّ اللهِ عَلَيْهِ عِظَماً، وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلَاةِ

---

(١) اقتحمته: أي حقرته.

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرحه ١١ : ١٠٢ تعليقاً على هذا الكلام: «وهذا مقام جليل من مقامات العارفين، وهو استحقار كل ما سوى الله تعالى، وذلك انّ من عرف الله تعالى فقد عرف ما هو أعظم من كل عظيم، بل لا نسبة لشيء من الأشياء أصلاً إليه سبحانه، فلا يظهر عند العارف عظمة غيره البتة، كما انّ من شاهد الشمس المنيرة يستحقر ضوء القمر والسراج الموضوع في ضوء الشمس حال مشاهدته جرم الشمس، بل لا تظهر له في تلك الحال صنوبرة السراج، ولا تنطبع صورتها في بصره».





عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ.

وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الإِطْرَاءَ، وَاسْتِماعَ الثَّنَاءِ، وَلَسْتُ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ كَذلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً للهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ.

وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ[1]، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ، لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللهِ وَ إِلَيْكُمْ مِنَ الْبَقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لا بُدَّ مِنْ إِمْضائِهَا، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ[2]، وَلا تَظُنُّوا بِيَ اسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي، وَلا التِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ.

فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِىءَ، وَلا آمَنُ ذلِكَ مِنْ فِعْلِي، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي[3]، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لا

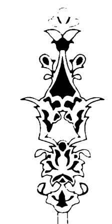
---

(١) أي بعد المشقة على فعل حسن.

(٢) أهل البادرة: أي من تخشى بوادره. المصانعة: الرشوة والمداراة.

(٣) هذا الكلام الشريف لا يدلّ اطلاقاً على نفي العصمة، ولا يصلح شاهداً لذلك كما توهّمه من أراد نقض عقيدة الشيعة في العصمة، إذ انّ العصمة عندنا ـ كما قال الشيخ المفيد في نكته ـ: «لطف يفعله الله بالمكلّف بحيث يمتنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليهما» وكلام أميرالمؤمنين عليه السلام صدراً وذيلاً لا يعدو هذا التعريف. نحن لا نعتقد انّ المعصوم معصوم بنفسه، بل يحصل له ذلك بلطف الله تعالى وتثبيته، كما قال تعالى في حقّ نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ الإسراء ٧٤ ـ ٧٥. وأمير المؤمنين عليه السلام أكّد ذلك بقوله: «فإنّي لست في =





نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى.

[٢١٧] ومن كلام له عليه السلام(١)

[في التّظلُّم والتشكي من قريش]

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ(٢) عَلَى قُرَيْشٍ [وَمَنْ أَعَانَهُمْ]، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَأَكْفَأُوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً.



فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ(٣)، وَلا ذَابٌّ وَلا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذى، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا(٤)، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الغَيْظِ عَلى أَمَرَّ مِنَ العَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشِّفَارِ(٥).

وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدّمة، إلّا أنّني كرّرتُهُ هاهنا لاختلاف الروايتين.

ومنه: في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي، وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي في يَدَيَّ، وَعَلى

= نفسي بفوق أن أُخطئ ولا آمن ذلك من فعلي إلّا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي» فهو عليه السلام ينفي عن نفسه الاستقلال بالعصمة من دون لطف الله تعالى وعونه.

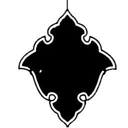
(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت٢٧٦) ١ : ١٣٤، الغارات للثقفي (ت٢٨٣) ١ : ٣٠٨، المسترشد للطبري (ق ٤): ٤١٦.

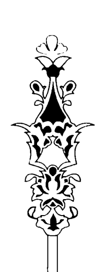
(٢) أستعديك: أطلب الإعانة منك.

(٣) الرافد: المعين.

(٤) الشجا: ما يعترض في الحلق.

(٥) الحزّ: القطع، والشفار: حدّ السيف والسكين.





أَهْلِ مِصْرٍ، كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلى شِيعَتِي، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً، وَطَائِفَةٌ عَضُّوا عَلى أَسْيَافِهِمْ[١]، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللهَ صَادِقِينَ.

[٢١٨] ومن كلام له عليه السلام
لما مرَّ بطلحة وعبدالرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهذَا الْمَكَانِ غَرِيباً! أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ! أَدْرَكْتُ وَتْرِي[٢] مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ[٣] إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا[٤] دُونَهُ.

[٢١٩] ومن كلام له عليه السلام
[في وصف السالك الطريق إلى الله سبحانه]

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ[٥]، وَلَطُفَ غَلِيظُهُ[٦]، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ الأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ، وَدَارِ الإِقَامَةِ، وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الأَمْنِ وَالرَّاحَةِ، بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ.

---

(١) عضّوا على أسيافهم: كناية عن الصبر في الحرب وترك الإستسلام.

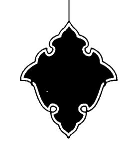
(٢) الوتر: الثار.

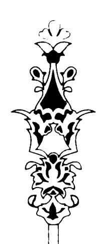
(٣) أتلعوا أعناقهم: رفعوها.

(٤) وقصوا: كسرت أعناقهم.

(٥) دق جليله: نحف بدنه.

(٦) لطف غليظه: صَفَتْ أخلاقه.





[٢٢٠] ومن كلام له عليه السلام

قاله بعد تلاوته ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ :

يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ(١)! وَزَوْراً(٢) مَا أَغْفَلَهُ! وَخطراً مَا أَفْظَعَهُ! لَقَدِ اسْتَخْلَوْا(٣) مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ، وَتَنَاوَشُوهُمْ(٤) مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ! أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ! أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ!

يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ(٥)، وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ، وَلأَنْ يَكُونُوا عِبَراً، أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً، وَلأَن يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ، أَحْجَى(٦) مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ!

لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ(٧)، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ(٨)، وَلَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ(٩) الْخَالِيَةِ، لَقَالَتْ: ذَهَبُوا فِي الأَرْضِ ضُلَّالاً، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً، تَطَؤُونَ فِي هَامِهِمْ، وَتَسْتَنْبِتُونَ(١٠) فِي أَجْسَادِهِمْ، وَتَرْتَعُونَ(١١) فِيمَا لَفَظُوا، وَتَسْكُنُونَ

---

(١) ياله مراماً ما أبعده: جمع عليه السلام بين نداء التعجّب في قوله: «يا له مراماً» وفعل التعجب في قوله: «ما أبعده» تنبيهاً على انّ هذا المرام وهذا المقصد من التفاخر بالموتى في غاية التعجب.

(٢) الزور: الزائرون.

(٣) استخلى: ذكر اموراً خالية.

(٤) تناوشوهم: تناولوهم.

(٥) خوت: سقطت.

(٦) أحجى: أحرى وأجدر وأولى.

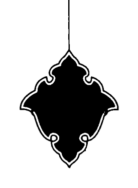
(٧) العشوة: سوء البصر بالليل، أو مرض في العين ينقص به الإبصار.

(٨) في غمرة جهالة: أي مجرى جهالة.

(٩) الربوع: المساكن.

(١٠) تستنبتون: أي تزرعون النبات في أجسادهم.

(١١) ترتعون: من رتعت الماشية أكلت ما شاءت.





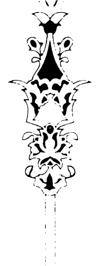
فِيمَا خَرَّبُوا، وَإِنَّمَا الأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ.

أُولئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ، وَفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ[١]، الَّذِينَ كَانتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ[٢] الْعِزِّ، وَحَلَبَاتُ[٣] الْفَخْرِ، مُلُوكاً وَسُوَقاً[٤]، سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلاً سُلِّطَتِ الأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لا يَنْمُونَ، وَضِمَاراً[٥] لا يُوجَدُونَ، لا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الأَهوَالِ، وَلا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الأَحْوَالِ، وَلا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ، وَلا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ[٦]، غُيَّباً لا يُنْتَظَرُونَ، وَشُهُوداً لا يَحْضُرُونَ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا، وَأُلاّفاً فَافْتَرَقُوا، وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ، وَلا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ، عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ، وَلكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً، وَبِالسَّمْعِ صَمَماً، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً، فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ[٧] صَرْعَى سُبَاتٍ[٨]، جِيرَانٌ لا يَتَأَنَّسُونَ، وَأَحِبَّاءُ لا يَتَزَاوَرُونَ، بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى التَّعَارُفِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الإِخَاءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ، وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ، لا يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً، وَلا لِنَهَارٍ مَسَاءً.

---

(١) سلف الغاية: السابق إليها. الفارط: السابق إلى الماء، والمناهل: موارد الماء.
(٢) المقوم: الخشبة التي يمسكها الحرّاث.
(٣) حلبات: جمع حلبة، وهي جماعة خيل السباق.
(٤) سوقاً: جمع سوقة، وهي الرعيّة.
(٥) الضمار: خلاف العيان، والمراد انّهم مستورون في القبور.
(٦) لا يحفلون بالرواجف: أي لا يبالون بالزلازل. لا يأذنون للقواصف: أي لا يستمعون للشدائد.
(٧) ارتجال الصفة: الإتيان بها على غير تروّ وتأمّل.
(٨) السبات: النوم.





أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ[١] ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً، شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا، فَكِلا الْغَايَتَيْنِ[٢] مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ[٣]، فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.

فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا، وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ، فَقَالُوا: كَلَحَتِ[٤] الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ[٥]، وَخَوَتِ الأَجْسَادُ النَّوَاعِمُ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى، وَتَكَاءَدَنَا[٦] ضِيقُ الْمَضْجَعِ، وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ، وَتَهَكَّمَتْ[٧] عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ[٨]، فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً، وَلا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً!



فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ، وَقَدِ ارْتَسَخَتْ[٩] أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ[١٠]، وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ، وَتَقَطَّعَتِ الأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا، وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي

---

(١) الجديدان: الليل والنهار.

(٢) الغايتان: الجنة والنار.

(٣) المباءة: مكان التبوّء والاستقرار، والمراد منها ما يرجعون إليه في الآخرة.

(٤) كلحت: تغيّرت.

(٥) النواضر: الحسنة البواسم.

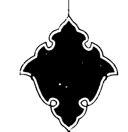
(٦) أهدام: جمع هدم، وهو الثوب البالي. تكاءدنا: شق علينا.

(٧) تهكّمت: تهدّمت.

(٨) الربوع الصموت: الربوع جمع الربع وهو الدار، والصموت: السكوت.

(٩) ارتسخت: من رسخ الغدير: نش ماؤه أي أخذ في النقصان والنضب.

(١٠) استكّت: صمّت.



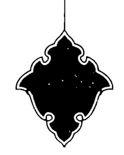


صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقظَتِهَا، وعَاثَ[1] فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جدِيدُ بِلَى سَمَّجَهَا[2]، وَسَهَّلَ طُرُقَ الآفَةِ إِلَيْهَا مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلا قُلُوبٌ تَجْزَعُ، لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ، وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ، لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لا تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ[3] لا تَنْجَلِي.

فَكَمْ أَكَلَتِ الأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ، وَأَنِيقِ لَوْنٍ، كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ، وَرَبِيبَ شَرَفٍ! يَتعَلَّلُ[4] بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ[5] إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَنّاً بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ، وَشَحَاحَةً[6] بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ!

فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ، إِذْ وَطِىءَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ، وَنَقَضَتِ الأَيَّامُ قُوَاهُ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ، فَخَالَطَهُ بَثٌّ[7] لا يَعْرِفُهُ، وَنَجِيُّ هَمٍّ[8] مَا كَانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ[9] عِلَلٍ، آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ، فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ الأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ[10]، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِىءْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً، وَلا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً، وَلا اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ

(١) العيث: الإفساد.
(٢) سمّجها: قبّحها.
(٣) الغمرة: الشدّة.
(٤) يتعلّل: يتشاغل.
(٥) السلوة: من سلى همّه أي انكشف.
(٦) الشحاحة: أشدّ البخل.
(٧) حسكه: شوكته. الحتوف: جمع حتف، أي الموت. بثّ: حزن.
(٨) نجيّ الهمّ: ما يناجيك ويسارك.
(٩) الفترات: أوائل المرض.
(١٠) القار: البارد.



مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ، حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ[(١)]، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ، فَقَائِلٌ [يَقُولُ] هُو لِمَا بِهِ، وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ.

فَبَيْنَا هُوَ كَذلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا، وَتَرْكِ الأَحِبَّةِ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ[(٢)]، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ، فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ لِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ! وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا[(٣)].

[٢٢١] ومن كلام له عليه السلام

قاله عند تلاوته ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾:

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاَءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ[(٤)]، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ[(٥)]، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ، وَمَا بَرِحَ للهِ ـ عَزَّتْ آلاؤهُ

(١) المعلّل: الممرّض.

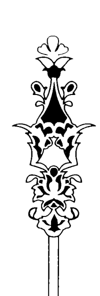
(٢) نوافذ الفطنة: ما كان من أفكار نافذة.

(٣) قال ابن أبي الحديد في شرحه١١: ١٥٣: «وأقسم بما تقسم الأُمم كلّها به، لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرّة، وما قرأتها قط إلّا وأحدثت عندي روعة وخوفاً وعظة، وأثّرت في قلبي وجيباً، وفي أعضائي رعدة، ولا تأمّلتها إلّا وذكرت الموتى من أهلي وأقاربي وأرباب ودّي، وخيّلت في نفسي إنّي أنا ذلك الشخص الذي وصف عليه السلام حاله. وكم قد قال الواعظون والخطباء والفصحاء في هذا المعنى، وكم وقفت على ما قالوه وتكرّر وقوفي عليه، فلم أجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام في نفسي».

(٤) الوقرة: ثقل السمع.

(٥) العشوة: ضعف البصر.





ـ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ[1]، وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ، عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الأَسْمَاعِ وَالأَبْصَارِ وَالأَفْئِدَةِ، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللهِ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ[2]، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ[3] حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، فَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ.

وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَاوَرَاءَ ذَلِكَ، فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا[4]، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لا يَسْمَعُونَ.

فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ[5] الْمَحْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الاسْتِقْلَالِ بِهَا، فَنَشَجُوا[6] نَشِيجاً، وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً،

---

(١) البرهة: قطعة من الزمان.

(٢) الفلوات: المفازات والقفار.

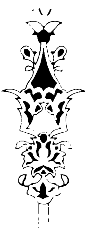
(٣) أخذ القصد: ركب الإعتدال في سلوكه.

(٤) عداتها: جمع عدة وهي الوعد.

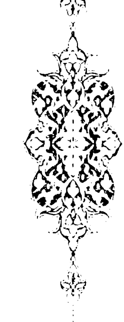
(٥) مقاوم: جمع مقام، أي مقاماتهم.

(٦) نشج الباكي نشيجاً أي غصّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.





يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى، وَمَصَابِيحَ دُجًى، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ، فِي مَقْعَدٍ اطَّلَعَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ، يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ، رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأُسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طُولُ الأَسَى[1] قُلُوبَهُمْ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ. لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى اللهِ سُبحانَهُ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ، يَسْأَلُونَ مَنْ لا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ[2]، وَلا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ. فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ.



[٢٢٢] ومن كلام له عليه السلام

قاله عند تلاوته ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾:

أَدْحَضُ[3] مَسْؤُولٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً، لَقَدْ أَبْرَحَ[4] جَهَالَةً بِنَفْسِهِ.

يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ، مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ، وَمَا آنَسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ! أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ[5]، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقَظَةٌ! أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ! فَلَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ[6] مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ[7] فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ! فَمَا صَبَّرَكَ

(١) الأسى: الحزن.

(٢) المنادح: جمع مندحة، وهي في الأصل الفضاء المتسع بين الجبلين.

(٣) دحضت حجته: بطلت.

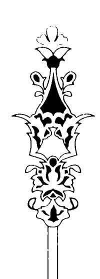
(٤) هذا الأمر أبرح من هذا: أي أشدّ.

(٥) بلّ الرجل من دائه: أي شفي.

(٦) الضاحي: البارز.

(٧) يمض جسده: يؤلم جسده.





عَلَى دائِكَ، وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ، وَعَزَّاكَ[1] عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الأَنْفُسِ عَلَيْكَ! وَكَيْفَ لا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ[2]، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ[3] سَطَوَاتِهِ!

فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ[4] فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَى[5] الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ، وَكُنْ للهِ مُطِيعاً، وَبِذِكْرِهِ آنِساً، وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ، يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ، وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ.

فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ! وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ! وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ، بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرِفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ! وَأَيْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ هذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ، مُتَوَازِيَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ، لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الأَخْلَاقِ، وَمَسَاوِئِ الأَعْمَالِ.

وَحَقّاً أَقُولُ! مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ، وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتِ[6]، وَآذَنَتْكَ[7] عَلَى سَوَاءٍ، وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ، أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ،

---

(١) العزاء: الصبر.

(٢) بيّت العدوّ أي أوقع بهم ليلاً.

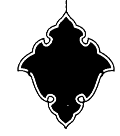
(٣) مدارج: جمع مدرجة بمعنى الطريق والمسلك.

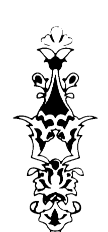
(٤) الفترة: الانكسار والضعف.

(٥) الكرى: النعاس.

(٦) كاشفتك العظات: أظهرت لك العظات.

(٧) آذنتك: أعلمتك.





وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ، وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا[١] فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ[٢] الْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَالشَّحِيحِ بِكَ! وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلّاً! وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ.

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ، وَحَقَّتْ[٣] بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ[٤] أَهْلُهُ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ، وَلا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ، وَعَلَائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ!

فَتَحَرَّ[٥] مِنْ أَمْرِكَ مَايَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ، وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لا تَبْقَى لَهُ، وَتَيَسَّرْ[٦] لِسَفَرِكَ، وَشِمْ بَرْقَ[٧] النَّجَاةِ، وَارْحَلْ[٨] مَطَايَا التَّشْمِيرِ.

[٢٢٣] ومن كلام له عليه السلام[٩]

[يتبرّأ من الظلم]

وَاللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ. . . . .

---

(١) تعرفتها: طلبت معرفتها.

(٢) الربع: الدار.

(٣) حقّ الشيء: وجب.

(٤) المنسك: العبادة أو مكانها.

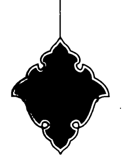
(٥) تحرّ من التحرّي أي: اطلب ما هو أحرى وأليق.

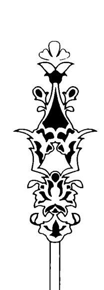
(٦) تيسّر: تأهّب.

(٧) شام البرق: نظر إليه نظر طامع راغب.

(٨) رحلت البعير: إذا شددت على ظهره الرحل. والتشمير: الجد.

(٩) رواه باختلاف الشيخ الصدوق(ت٣٨١) في الأمالي: ٧٢ ح٧ قال: حدّثنا عليّ بن=





مُسَهَّداً[١]، أَوْ أُجَرَّ فِي الأَغْلَالِ مُصَفَّداً[٢]، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا[٣]، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا!

وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ[٤] حَتَّى اسْتَماحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ[٥] [الشُّعُورِ، غُبرَ] الأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ[٦]، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ[٧] مُفَارِقاً طَرِيقِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ[٨] مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحترِقَ مِنْ مِيسَمِهَا[٩]، فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ! أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَى وَلا أَئِنُّ مِنْ لَظَىً[١٠]؟!

= أحمد بن موسى الدقاق (رضي الله عنه)، قال: حدّثنا محمّد بن الحسن الطائي، قال: حدّثنا محمّد بن الحسين الخشّاب، قال: حدّثنا محمّد بن محسن، عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جده عن أبيه .:

(١) الحسك: الشوك، السعدان: نبت كثير الشوك. المسهّد: قليل النوم.

(٢) مصفّداً: مشدوداً موثّقاً.

(٣) قفولها: رجوعها.

(٤) أملق: افتقر.

(٥) الأشعث: مغبرّ الرأس.

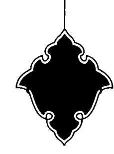
(٦) العظلم: نبت يصبغ به.

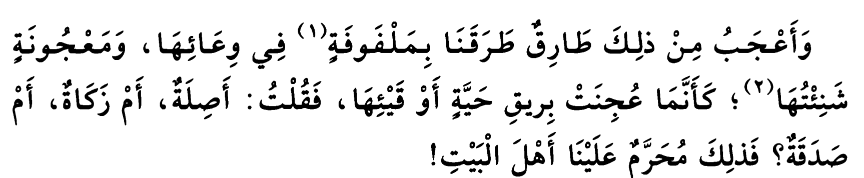
(٧) القياد: ما يقاد به كالزمام.

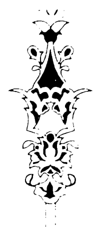
(٨) الدَنَف: المرض الملازم.

(٩) الميسم: المكواة.

(١٠) لظى: اسم من أسماء النار.







وَأَعْجَبُ مِنْ ذلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ[1] فِي وِعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا[2]؛ كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ!

فَقَالَ: لا ذَا وَلا ذَاكَ، وَلكِنَّهَا هَدِيَّةٌ، فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ[3]!

أَعَنْ دِينِ اللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي!

أَمُخْتَبِطٌ أَمْ ذُوجِنَّةٍ، أَمْ تَهْجُرُ!

وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ[4] شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا[5]، مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى، وَلَذَّةٍ لا تَبْقَى! نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ[6]، وَبِهِ نَسْتَعِينُ.



[٢٢٤] ومن دعاء له عليه السلام

[يلتجئ إلى الله أن يغنيه]

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي[7] بِالْيَسَارِ، وَلاَتَبْذُلْ جَاهِيَ[8] بِالإِقْتَارِ، فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الإِعْطَاءِ والْمَنْعِ، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

---

(١) الملفوفة: نوع من الحلواء أهداها الأشعث بن قيس إلى عليّ عليه السلام.

(٢) شنئتها: أبغضتها وكرهتها.

(٣) هبلتك: ثكلتك، والهَبول ـ بفتح الهاء ـ: المرأة لا يعيش لها ولد.

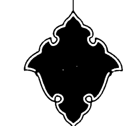
(٤) الجلب: قشر الشعيرة.

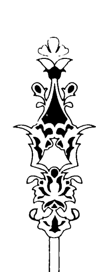
(٥) القضم: الأكل بأطراف الأسنان.

(٦) سبات العقل: نومه، والزلل: السقوط في الخطأ.

(٧) صيانة الوجه: حفظه من التعرّض للسؤال.

(٨) بذل الجاه: اسقاط المنزلة من القلوب.





[٢٢٥] ومن خطبة له عليه السلام(١)
[في التنفير من الدنيا]

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لَاتَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَايَسْلَمُ نُزَّالُهَا. أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ(٢)، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ، تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّكُم وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً، وَأَعْمَرَ دِيَاراً، وَأَبْعَدَ آثَاراً، أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً(٣)، فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ، وَالنَّمَارِقِ(٤) الْمُمَهَّدَةِ(٥)، الصُّخُورَ وَالأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ، وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ(٦) الْمُلْحَدَةَ(٧)، الَّتي قَدْ بُنِيَ عَلَى الْخَرَابِ فِنَاؤُهَا، وَشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا، فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ، لَايَسْتَأْنِسُونَ بِالأَوْطَانِ، وَلا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيْرَانِ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ،

---

(١) ورد نحوها في مصادر متأخرة عن الرضي أمثال: الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ) في المناقب: ٣٧٠ ح ٣٨٩، وابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) في تاريخ دمشق ٤٢ : ٥٠٠، وسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ) في تذكرة الخواص: ١١٦ الباب السادس.

(٢) تارات: مرّات، ومتصرفة: متحوّلة.

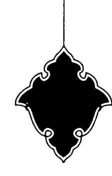
(٣) عافية: مندرسة.

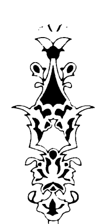
(٤) النمارق جمع نمرقة: الوسادة الصغيرة.

(٥) الممهدة: المفروشة.

(٦) اللاطئة: أي اللاصقة.

(٧) الملحدة: من ألحد القبر جعل له لحداً أي شقاً في وسطه أو جانبه.





وَدُنُوِّ الدَّارِ، وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ، وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ[١] الْبِلَى، وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى[٢]!

وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَارْتَهَنَكُمْ ذلِكَ الْمَضْجَعُ، وَضَمَّكُمْ ذلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الأُمُورُ، وبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ!

هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كَانُوا يفْتَرُون.

[٢٢٦] ومن دعاء له عليه السلام

[يلجأ فيه إلى الله ليهديه إلى الرشاد]

اللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ، وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ، فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ[٣]، إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ، وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجأُوا إِلَى الاسْتِجَارَةِ بِكَ، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ الأُمُورِ بِيَدِكَ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ.

اللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ[٤] عَنْ مَسْأَلَتِي، أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي، فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي، فَلَيْسَ ذَاكَ بِنُكْرٍ[٥] مِنْ هِدَايَاتِكَ، وَلا بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ، اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ، وَلا تَحْمِلْنِي عَلَى عدْلِكَ.

---

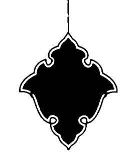
(١) الكلكل: الصدر.

(٢) الجنادل: الحجارة، والثرى: التراب.

(٣) الملهوفة: من اللهف وهو التحسّر.

(٤) فههت: عجزت.

(٥) النكر: المنكر.





[٢٢٧] ومن كلام له عليه السلام
[يريد به بعض أصحابه][(١)]

للهِ بِلَاءُ فُلَان، فَلَقَدْ قَوَّمَ الْأَوَدَ، وَدَاوَى الْعَمَدَ[(٢)]، وَأَقَامَ السُّنَّةَ، وَخَلَّفَ الْفِتْنَةَ[(٣)]! ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ، أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا، أَدَّى إِلَى اللهِ طَاعَتَهُ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ، رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ، لا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ، وَلا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي.

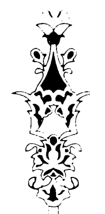
---

(١) وقع خلاف في المعنيّ بهذا الكلام ويمكن ايجازه فيما يلي:
ألف: انّه عليه السلام أراد به عمر بن الخطاب كما ادعى ذلك ابن أبي الحديد، ب: انّه عليه السلام أراد به أبا بكر كما مال إليه ابن ميثم البحراني، ج: إنّه عليه السلام أراد بعض أصحابه كمالك الأشتر كما ذهب إليه الراوندي وكما هو في بعض النسخ، د: إنّه كلام موضوع على أميرالمؤمنين عليه السلام ولم يصدر منه، كما ذهب إليه المحقق التستري في بهج الصباغة ٩: ٤٨٠، هـ: إنّه لم يكن قول عليّ عليه السلام بل هو قول نائحة عمر أجراه أميرالمؤمنين عليه السلام على لسانه حكاية عنها كما ورد في المصادر التي روت الحدث كتاريخ الطبري، وابن عساكر، وابن شبة في تاريخ المدينة.
أقول: ان ما وجدناه ثابتاً وصحيحاً عنه وعن فاطمة الزهراء عليها السلام التظلّم والشكوى ممّن تقدّم عليهما قولاً وعملاً، أمّا قولاً فيكفيك الخطبة الشقشقية والخطبة الفدكية لفاطمة الزهراء ٣، وأمّا عملاً كرفضه عليه السلام العمل بسنّة الشيخين وسيرتهما في مؤتمر الشورى بعد مقتل عمر بن الخطاب، فكيف يقول عليه السلام بعدها: «وأقام السنّة» ولو كان أقامها فلماذا رفض عليه السلام الخلافة لما سيقت إليه يوم الشورى ولم يقبلها للاشتراط عليه بالعمل بسيرة الشيخين مع ما جرى عليه وعلى ذويه وصحبه الخلّص من جرّائها، والأمثل عندي أنّ هذا لم يثبت عن أميرالمؤمنين عليه السلام، بل كما ورد في المصادر ـ على اختلاف ألفاظها ـ انّه قول نائحة عمر، وفي نهايته أشار الإمام بقوله: «والله ما قالت ولكن قوّلت» ما يشير إلى وجود ضغط وكبت سياسي آنذاك حتى على نائحة عمر ونادبته.
ومهما حاول البعض ايجاد الصلة الوديّة بين العترة الطاهرة وبين الخلفاء، تمسّكاً بهكذا نصوص ـ بعضها صحيح ومؤوّل، وبعضها غير صحيح ـ فانّه جهد عبث، فهذان طريقان لا يتفقان. كما ثبت في الصحاح.

(٢) الأود: العوج. العَمَد: العلة.

(٣) خلف الفتنة: تركها.





[٢٢٨] ومن كلام له عليه السلام
في وصف بيعته بالخلافة

وقد تقدّم مثله بألفاظٍ مختلفةٍ:

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ[١] عَلَيَّ تَدَاكَّ الإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا، حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ، وَوُطِىءَ الضَّعِيفُ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ[٢] إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ[٣].

[٢٢٩] ومن خطبة له عليه السلام
[في مقاصد أُخرى]

فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ[٤]، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ. فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِئَةٌ، وَالأَقْلَامُ جَارِيَةٌ.

وَبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً[٥]، أَوْ مَرَضاً حَابِساً، أَوْ مَوْتاً خَالِساً[٦]، فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ[٧]، زَائِرٌ غَيْرُ

---

(١) التداك: الزحام الشديد.

(٢) هَدَجَ: مشى مشياً ضعيفاً.

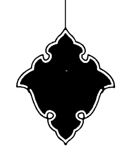
(٣) حسرت: كشفت عن وجهها. الكعاب: جمع كاعب، الجارية قد نهد ضرعها.

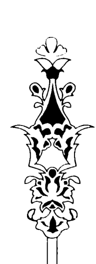
(٤) من كل ملكة: أي كل ذنب موبق يملك الشيطان فاعله.

(٥) ناكساً: ناقصاً.

(٦) حابساً: أي يمنع من العمل. الخالس: الخاطف.

(٧) طياتكم: منازلكم.





مَحْبُوبٍ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، وَوَاتِرٌ[1] غَيْرُ مَطْلُوبٍ، قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ[2]، وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ[3]، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ[4]، وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ[5]، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ[6]، فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي[7] ظُلَلِهِ[8]، وَاحْتِدَامُ[9] عِلَلِهِ، وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ[10]، وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ، وَأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ[11]، وَدُجُوُّ أَطْبَاقِهِ[12]، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ؛ فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ[13]، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ[14]، وَعَفَّى آثَارَكُمْ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ، وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ.

فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ، وَالتَّأَهُّبِ وَالاسْتِعْدَادِ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ. وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ،

---

(١) القِرن ـ بالكسر ـ: الكفؤ في الشجاعة. الواتر: القاتل.

(٢) أعلقتكم حبائله: جعلتكم متعلقين فيها.

(٣) تكنفتكم غوائله: أحاطت بكم دواهيه ومصائبه.

(٤) أقصدتكم: أصابتكم، والمعابل: السهام.

(٥) العدوة: العدوان.

(٦) نبوته: مصدر نبا السيف إذا لم يؤثر في الضرب.

(٧) دواجي: جمع داجية وهي الظلمة.

(٨) الظلل: جمع ظلة وهي السحاب.

(٩) الاحتدام: الاضطرام والإشتداد.

(١٠) الحنادس: الظلمات، والغمرات: الشدائد.

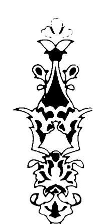
(١١) إرهاقه: إعجاله، من أرهقه إذا أعجله.

(١٢) الدجوّ: الظلام، أطباقه: جمع طبق، والمراد تكاثف الظلمات طبقاً فوق طبق.

(١٣) النجي: المتناجون.

(١٤) الندي: مجتمع القوم.





وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا[١]، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا[٢]، أَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً[٣]، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً، لا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، وَلا يَحْفِلُونَ[٤] مَنْ بَكَاهُمْ، وَلا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ.

فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا [غَدَّارَةٌ] غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لا يَدُومُ رَخَاؤُهَا، وَلا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا، وَلا يَرْكُدُ[٥] بَلاؤُهَا.

منها: في صفة الزّهاد

كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا، عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ، تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ الآخِرَةِ، يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

[٢٣٠] ومن خطبة له عليه السلام

خطبها بذي قار، وهو متوجّه إلى البصرة وذكرها الواقدي في كتاب الجمل[٦]:

فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ، وَبَلَّغَ رِسَالَةِ رَبِّهِ، فَلَمَّ اللهُ بِهِ الصَّدْعَ[٧]، وَرَتَقَ بِهِ

---

(١) الدِرّة: اللبن. غرّتها: غفلتها.

(٢) عدّتها: عددها. أخلقوا جدّتها: جعلوا جديدها خلقاً قديماً.

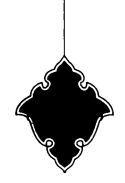
(٣) الأجداث: القبور.

(٤) لا يحفلون: لا يبالون.

(٥) لا يركد: لا يزول.

(٦) رواها الواقدي (ت٢٠٧ هـ) في كتاب الجمل كما ذكره الشريف الرضي رحمه الله، ونحوها ابن عبد ربه (ت٣٢٨ هـ) في العقد الفريد ٤: ٧١، ٣١٩، والشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) في الإرشاد ١: ٢٤٤، وكتاب الجمل: ١٤٤.

(٧) لمّ به الصدع: جمع به الشق والخلاف.





الْفَتْقَ[١]، وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَ ذَوِي الأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ[٢] فِي الصُّدُورِ، والضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ.

[٢٣١] ومن كلام له عليه السلام

كلّم به عبدالله بن زمعة وهو من شيعته وذلك أنه قَدِمَ عليه في خلافته يطلب منه مالاً، فقال عليه السلام:

إِنَّ هذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلا لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلَّا فَجَنَاةُ[٣] أَيْدِيهِمْ لَاتَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ.

[٢٣٢] ومن كلام له عليه السلام[٤]

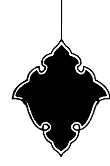
[بعد أن أقدم أحدهم على الكلام فحصر وهو في فضل أهل البيت، ووصف فساد الزمان]

أَلا إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الإِنْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، وَلا يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ، وَإِنَّا لأُمَرَاءُ الْكَلَامِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ[٥]، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ[٦] غُصُونُهُ.

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ[٧]، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ، أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ،

---

(١) الفتق: نقص خياطة الثوب فينفصل بعض أجزائه عن بعض.
(٢) الواغرة: الحاصلة.
(٣) الجناة: من جني الثمرة.
(٤) ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ١٣ : ١٣ انّ هذا الكلام من خطبة طويلة انتخب منها الرضي هذه الجمل، ممّا يظهر اطلاعه على تمام الخطبة من مصدر آخر.
(٥) تنشّبت عروقه: علقت وتمكّنت كتمكّن عروق الشجر.
(٦) تهدلت: تدلّت.
(٧) كلّ لسانه: نبا عن الغرض.



مُصْطَلِحُونَ عَلَى الإِدْهَانِ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ[1]، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ[2]، لا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، وَلا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ.

[٢٣٣] ومن كلام له عليه السلام في ذكر اختلاف الناس

روى اليماني، عن أحمد بن قتيبة، عن عبدالله بن يزيد، عن مالك بن دِحْيَةَ، قال: كنّا عند أميرالمؤمنين عليه السلام، فقال ـ وقد ذكر عنده اختلاف الناس ـ:

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِىءُ طِينِهِمْ[3]، وَذلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً[4] مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا، وَحَزْنِ[5] تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ، فَتَامُّ الرُّوَاءِ[6] نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبرِ[7]، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ[8] مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ[9]، وَتَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حدِيدُ الْجَنَانِ.

[٢٣٤] ومن كلام له عليه السلام

قاله وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه[10]

بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي، لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ

---

(١) عارم: شرس الخلق، مفسد.

(٢) مماذق: مرائي، يمزج ودّه بالغش.

(٣) أي ابتداء أصلهم.

(٤) الفلقة: القطعة.

(٥) الحَزن: ما غلظ من الأرض.

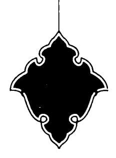
(٦) الرواء: المنظر الحسن.

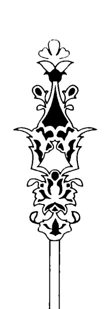
(٧) قريب القعر: قصير القامة. بعيد السبر: أي هو داهية لا يُوقف على أسراره.

(٨) الضريبة: الطبيعة.

(٩) الجليبة: ما يفعله الإنسان على خلاف طبعه.

(١٠) ورد باختلاف عند محمّد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) في أماليه ـ كما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه ١٣: ٤٢ ـ والشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) في أماليه قال: «أخبرني =





وَالإِنْبَاءِ وأَخْبَارِ السَّماءِ، خَصَّصْتَ[1] حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَمَّمْتَ[2] حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَواءً، وَلَوْ لا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجزَعِ، لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ[3]، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً[4]، وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً[5]، وَقَلَّا لَكَ[6]، وَلكِنَّهُ مَا لا يُمْلَكُ رَدُّهُ، وَلا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ. بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي، اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ.

[٢٣٥] ومن كلام له عليه السلام

اقتصّ فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ لحاقه به

فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَأَطَأُ ذِكْرَهُ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ[7]، في حديث طويل.

قال الرضي رحمه الله قوله عليه السلام:

«فَأَطَأُ ذِكْرَهُ»، من الكلام الذي رُمِيَ به إلى غايتي الفصاحة والإيجاز، وأراد أنّي كنتُ أُعْطي خبره عليه السلام من بدء خروجي إلى أن انتهيتُ إلى هذا الموضع، وكنّى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة.

= أبو نصر محمّد بن الحسين المقري البصير، قال: حدّثنا عبدالله بن يحيى القطان، قال: حدّثنا أحمد بن الحسين بن سعيد القرشي، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا عبدالله بن مخارق، عن عبد الصمد بن عليّ، عن أبيه، عن عبدالله بن عباس»، وابن عبدالبر (ت ٤٦٣ هـ) في التمهيد ٢: ١٦٢.

(١) خصّصت: أي خصت مصيبتك أهل بيتك حتى انّهم لا يكترثون بما يصيبهم بعدك من المصائب ولا بما أصابهم من قبل.

(٢) عمّمت: عمّت هذه المصيبة أيضاً الناس حتى استوى الخلائق كلّهم فيها.

(٣) الشؤون: مجاري الدمع من الرأس.

(٤) كان الداء مماطلاً: أي مماطلاً بالشفاء.

(٥) محالفاً: ملازماً.

(٦) قلّا لك: أي انّ مماطلة الداء ومحالفة الكمد قليلتان لك.

(٧) العرج: منزل.



[٢٣٦] ومن خطبة له عليه السلام
في شأن الحكمين وذمّ أهل الشام[١]

جُفَاةٌ طَغَامٌ، عَبِيدٌ أَقْزَامٌ[٢]، جُمِّعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ[٣]، وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ[٤]، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَلا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّؤا الدَّارَ.

أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ، وَاخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ، وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ بِالأَمْسِ يَقُولُ: إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَشِيمُوا[٥] سُيُوفَكُمْ، فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهَمَةُ.

فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَخُذُوا مَهَلَ الأَيَّامِ، وَحُوطُوا قَوَاصِيَ الإِسْلَامِ[٦]، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ[٧] تُرْمَى!

[٢٣٧] ومن خطبة له يذكر فيها آل محمّد عليهم السلام[٨]

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ،

---

(١) روى صدرها ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) في الإمامة والسياسة ١: ١٣٥، والثقفي (ت ٢٨٣ هـ) في الغارات ١: ٣١٢.

(٢) جفاة: أي أهل الجفاء، والطغام: الأوغاد والرذّال. أقزام: سفلة.

(٣) أوب: ناحية.

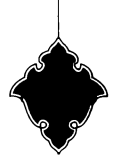
(٤) الشوب: الخلط، كناية عن كونهم أخلاطاً ليسوا من صراحة النسب في شيء.

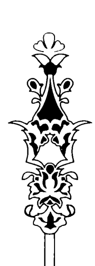
(٥) الأوتار: جمع الوَتَر ـ بفتحتين ـ واحد أوتار القوس. شيموا: اغمدوا.

(٦) قواصي الإسلام: أطرافه.

(٧) الصفاة: الحجر الصلب، وهو كناية عن طمع العدو بأرضهم.

(٨) رواها الكليني (ت ٣٢٩ هـ) في روضة الكافي ٨: ٣٨٦ ح ٥٨٦ ضمن خطبة طويلة =





وَظَاهِرُهُم عَنْ باطِنِهِم، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ، لا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، هُمْ دَعَائِمُ الإِسْلَامِ، وَوَلَائِجُ[1] الاعْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ فِي نِصَابِهِ[2]، وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ، عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

[٢٣٨] ومن خطبة له عليه السلام
[في المسارعة إلى العَمَل]

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ[3]، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ، وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى، وَالْمُسِيءُ يُرْجَى، قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ العَمَلُ[4]، وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ، وَتَنْقَضِيَ الْمُدَّةُ، وَتُسَدَّ أَبْوابُ التَّوْبَةِ، وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ.

فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّت، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ. امْرُؤٌ خَافَ اللهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ. امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا[5]، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللهِ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللهِ.

= رواها عن أحمد ابن محمّد، عن سعد بن المنذر بن محمّد، عن أبيه، عن جده، عن محمّد بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه، ورواها أيضاً ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٢٨ ولكن عن الإمام الحسن عليه السلام.

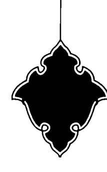
(١) ولائج: جمع وليجة وهي أوطانه.

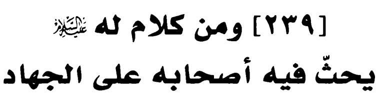
(٢) نصاب الحقّ: أصله.

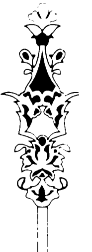
(٣) نفس البقاء: سعته.

(٤) خمود العمل: انقطاعه بحلول الموت.

(٥) زمّها بزمامها: أي قادها بقيادها.





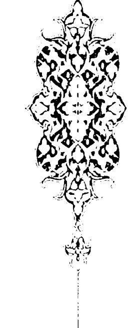


[٢٣٩] ومن كلام له عليه السلام
يحثّ فيه أصحابه على الجهاد

وَاللهُ مُسْتأْدِيكُمْ شُكْرَهُ(١)، وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمارٍ مَحْدُودٍ، لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ(٢)، فَشدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ(٣)، وَاطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ(٤)، وَلا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ، وَمَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ، وأَمحَى الظُّلَمَ(٥) لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ.

[٢٤٠] ومن كلام له عليه السلام
قاله لعبد الله بن العباس

وقد جاء برسالة من عثمان بن عفان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبُع، ليقلّ هَتْفُ الناس باسمه للخلافة، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل، فقال عليه السلام:



يَابْنَ عَبَّاسٍ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ(٦): أَقْبِل وَأَدْبِر، بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ، ثُمَّ هُوَ الآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ! وَاللهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً.

آخر الخطب، و يتلوه المختار من كتبه ورسائله

❋❋❋

---

(١) مستأديكم شكره: طالب منكم شكره.

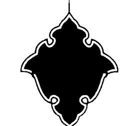
(٢) السَبَق ـ بالتحريك ـ: الخطر يوضع بين المتسابقين يأخذه السابق منهم.

(٣) شدّ عقد المآزر: كناية عن الجدّ والتشمير.

(٤) الخصر: وسط الإنسان، وطي فضل الخواصر كناية عن ترك الإفراط في الأكل.

(٥) الظلم: جمع الظلمة، وهي متى ما دخلت محت تذكار الهمة التي كانت في النهار.

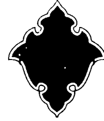
(٦) ناضحاً: مستقياً عليه، وبالغرب: أي بالدلو العظيم.

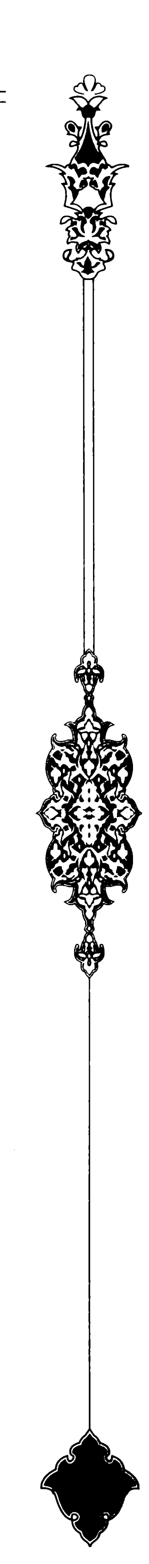






ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله
ووصاياه لأهله وأصحابه







[١] من كتاب له عليه السلام
إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة(١)

مِنْ عَبْدِاللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، جَبْهَةِ(٢) الأَنْصَارِ، وَسَنَامِ(٣) الْعَرَبِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ. إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَه، وَأُقِلُّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ(٤)، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا(٥) الْعَنِيفُ، وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ(٦) وَلا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ جَيْشَ

(١) رواه باختلاف ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ٦٣، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في كتاب الجمل: ١٣٢، والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في كتاب الأمالي: ٧١٨، «باسناده، عن عبد الله بن أبي بكير، قال: حدّثني أبو جعفر محمد ابن علي عليهما السلام، قال: حدّثني عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري... قال: لمّا بلغ علياً مسير طلحة والزبير...».

(٢) قد يراد من الجبهة الجماعة أو سادة الأنصار وأشرافهم لأنّ جبهة الإنسان أعلى أعضائه.

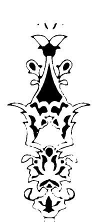
(٣) السنام: أعلى أعضاء البعير.

(٤) الوجيف: السير السريع.

(٥) الحداء: زجل الإبل وسوقها.

(٦) قال ابن أبي الحديد في شرحه ١٤: ٧: «وقد ذكر انّ خط الرضي رحمه الله (مستكرهين) بكسر الراء، والفتح أحسن وأصوب، وإن كان قد جاء: استكرهت الشيء بمعنى كرهته».





الْمِرْجَلِ[1]، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ، فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

[٢] ومن كتاب له عليه السلام إليهم، بعد فتح البصرة[2]

وَجَزَاكُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ.

[٣] ومن كتاب كتبه عليه السلام لشريح بن الحارث قاضيه[3]

روي أنّ شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً، فبلغه عليه السلام ذلك، فاستدعى شريحاً، وقال له:

بَلَغَنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمانِينَ دِينَاراً، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً.

فقال شريح: قد كان ذلك يا أميرالمؤمنين. قال: فنظر إليه عليه السلام نظر مغضب ثمّ قال له:

يَا شُرَيْحُ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً[4]، وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً. فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لا تَكُونُ ابْتَعْتَ هذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الآخِرَةِ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ

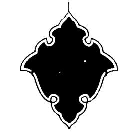
---

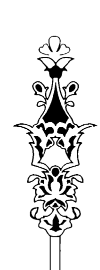
(١) المرجل: القدر.

(٢) رواه الشيخ المفيد (ت ٤١٣) في كتاب الجمل: ٢١٦.

(٣) روى نحوه الصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٣٨٨ ح ١٠ وقال: حدّثنا صالح بن عيسى بن أحمد بن محمّد العجلي، قال: حدّثنا محمّد بن محمّد بن عليّ، قال: حدّثنا محمّد بن الفرج الروياني، قال: حدّثنا عبدالله ابن محمّد العجلي، قال: حدّثني عبد العظيم بن عبدالله الحسني، عن أبيه، عن أبان مولى زيد بن عليّ، عن عاصم بن بهدلة قال: قال لي شريح القاضي....

(٤) شاخصاً: ذاهباً مبعداً.





أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتاباً عَلَى هذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقَهُ.

والنسخة هذه:

هذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةِ[1] الْهَالِكِينَ، وَتَجْمَعُ هذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ: الْحَدُّ الأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الآفَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وَفِيهِ يُشْرَعُ[2] بَابُ هذِهِ الدَّارِ.

اشْتَرَى هذَا الْمُغْتَرُّ بِالأَمَلِ، مِنْ هذَا الْمُزْعَجِ بِالأَجَلِ، هذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ، وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ[3]، فَمَا أَدْرَكَ هذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْ دَرَكٍ[4]، فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ ـ مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ[5]، وَادَّخَرَ واعْتَقَدَ[6]، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ، إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، إِذَا وَقَعَ الأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ. شَهِدَ عَلَى ذلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى، وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا.

---

(١) الخِطة ـ بالكسر ـ: الموضع يُعلمه الشخص ثم يعمره، والمراد به هنا المنزل.

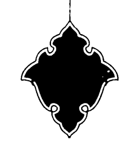
(٢) يُشرع: يُفتح.

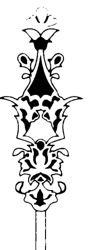
(٣) الضراعة: الذل.

(٤) الدرك ـ بالتحريك ـ: التبعة.

(٥) نجّد: زيّن.

(٦) اعتقد: أي جمع.



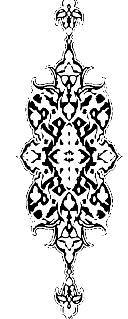


[٤] ومن كتاب كتبه إلى بعض أُمراء جيشه

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ الأُمُورُ[١] بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ[٢] بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ[٣] عَنْكَ، فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهُودِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ.

[٥] ومن كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس عامل آذربيجان[٤]

وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ، وَلكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تفتَاتَ[٥] فِي رَعِيَّةٍ، وَلا تُخَاطِرَ[٦] إِلَّا بِوَثِيقَةٍ، وَفي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ، وَالسَّلَامُ.



[٦] ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية[٧]

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ،

---

١) توافت الأمور: تتامّت.

٢) انهد: انهض.

٣) تقاعس: أبطأ وتأخّر.

٤) رواه باختلاف المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٢٠ عن محمّد بن عبيد الله، عن الجرجاني، وابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ٨٣، وابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ٢: ٥٠٣.

٥) افتات فلان على فلان: إذا فعل بغير إذنه ما سبيله أن يستأذنه فيه.

٦) لا تخاطر: أي لا تقدم على أمر مخوف فيما يتعلّق بالمال الذي تتولّاه إلّا بعد أن تتوثق لنفسك وتحتاط.

٧) رواه بتفاوتٍ يسير كل من المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٢٩، وابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ٨٤، والبلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ٢٨١، والدينوري (ت ٢٨٢) في الأخبار الطوال: ١٦٣، وابن أعثم الكوفي (ت =





....

= ٣١٤) في الفتوح ٢: ٨٩٤، وابن عبد ربه (ت ٣٢٨) في العقد الفريد ٤: ٣٣٢ العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم.

وقد استشهد كثير من أهل السنّة بهذا الكلام دعماً لنظرية الاختيار في مسألة الإمامة، وانّ أميرالمؤمنين عليه السلام يعترف بأنّ سبيل الإمامة هو الاختيار، ولكن استدلالهم هذا غير صحيح ويرد عليه:

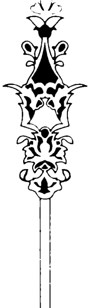
أ: انّ المعتمد في مسألة الإمامة والمعوّل عليه هو الأدلّة العقلية المدعومة بالنقل الواردة في كتب الكلام، وقد تمّ البرهنة فيها على أنّ الإمامة بالنص دون الاختيار، وما خالفها إمّا أن يرد أو يؤوّل، وعليه لايمكن الاستشهاد علينا بهكذا نصوص مؤوّلة.

ب: إنّ الكلام يفسّر بعضه بعضاً، والمحكمات في كلام أميرالمؤمنين عليه السلام تفسّر متشابهات كلامه، فما ورد عنه عليه السلام في نهج البلاغة وغيره يؤكّد لنا انّ أميرالمؤمنين عليه السلام لم يكن راضياً بما جرى من أمر الخلافة بل كان دائم الشكوى من ذلك، يشهد بذلك قوله عليه السلام: «اللّهمّ إنّي أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي» [نهج البلاغة الخطبة رقم ١٧٠]. وقال عليه السلام: «فَجَزَت قريشاً عنّي الجوازي، فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن أمي» [نهج البلاغة الكتاب: ٣٦]. وكتب عليه السلام لمعاوية حينما استهزأ به لما أجبر على البيعة: «وقلت إنّي كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذمّ فمدحت، وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه» [نهج البلاغة الكتاب: ٢٨]. فهذه النصوص موجودة أيضاً في نهج البلاغة ولا يمكن تركها والتمسك بالمتشابهات.

ج: كان موقف أميرالمؤمنين عليه السلام هذا موقفاً احتجاجياً، ولم يكن بصدد تبيين الشرعية الإلهية لمسألة الإمامة، بل كان بصدد بيان الشرعية الدنيوية لمسألة الامارة وانّها تنعقد بإجماع الناس، وهذا قد حصل فيه كما حصل في غيره على نحو أضعف، فهو احتجاج على معاوية.

د: أما قوله عليه السلام: «فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضاً» فيقصد بالرجل نفسه، كما ذكره الجحاف في إرشاد المؤمنين ٣: ٢٠، وفحوى كلامه انّ أهل الشورى التي يعتبرونها طريقاً للإمامة قد اجتمعوا على تسميتي إماماً، فكان إجماعهم على ذلك مطابقاً لحكم الله ورسوله فيَّ فكان لله رضى، ولا يصح أن يقال: إنّه أراد ما اجتمعوا عليه من إمامتي وإمامة غيري كان لله رضى.



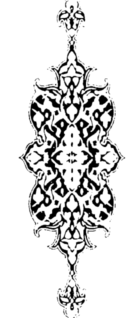


فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلا لِلغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذلِكَ للهِ رِضىً، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْبِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَاخَرَجَ منه، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللهُ مَا تَوَلَّى.

وَلَعَمْرِي، يَا مُعَاوِيَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى[١] ؛ فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ ! وَالسَّلَامُ.

[٧] ومن كتاب منه عليه السلام إليه أيضاً[٢]

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَتْني مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ، نَمَّقْتَهَا[٣] بِضَلَالِكَ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ، وَكِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لَاغِطاً[٤]، وَضَلَّ خَابِطاً[٥].



ومن هذا الكتاب:

---

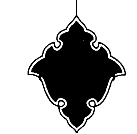
(١) تجنّى: ادعى الجناية على من لم يفعلها.

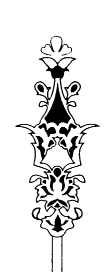
(٢) وقد روى قوله عليه السلام: «لأنّها بيعة لا يثنى فيها النظر، ولا يستأنف فيها الخيار»، بأدنى اختلاف كل من المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٥٨، وابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ٩٢، والمبرد (ت٢٨٥) في الكامل ١: ٤٢٨ ط مؤسسة الرسالة، وابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ٢: ٥٥١ ط.دار الكتب العلمية، وابن عبد ربه (ت ٣٢٨) في العقد الفريد ٤: ٣٣٣ ط مكتبة النهضة، وقال ابن أبي الحديد في شرحه ١٤: ٤٢ «وهذا الكتاب كتبه عليه السلام جواباً عن كتاب كتبه معاوية إليه في أثناء حرب صفين بل في أواخرها» ثم ذكر الكتاب.

(٣) الرسالة المحبرة: المزيّنة الألفاظ. التنميق: التزيين.

(٤) هجر: هذى، واللاغط: ذو اللغط وهو الصوت والجلبة.

(٥) خبط البعير فهو خابط: إذا مشى ضالاً فخبط بيديه كل ما يلقاه ولا يتوقى شيئاً.





لأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لا يُثَنَّى[1] فِيهَا النَّظَرُ، وَلا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ، الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّي[2] فِيهَا مُدَاهِنٌ.

[٨] ومن كتاب له عليه السلام

إلى جرير بن عبدالله البجلي لما أرسله إلى معاوية[3]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ[4]، وَخُذْهُ بِالأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ[5]، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ، فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ، وَالسَّلامُ.

[٩] ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية[6]

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ[7] أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ[8]، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ[9]، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ[10]،

---

(١) لا يثنّى: لا ينظر فيها ثانياً بعد النظر الأوّل.

(٢) المروّي: هو المتفكر هل يقبل الشيء أو ينبذه.

(٣) رواه بأدنى اختلاف كل من المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٥٥، وابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ٢: ٥١٦، وابن عبد ربه (ت ٣٢٨) في العقد الفريد ٤: ٣٣٢.

(٤) الفصل: القطع.

(٥) حرب مجلية: تجلي المقهورين فيها عن ديارهم أي تخرجهم.

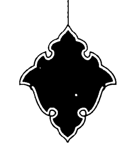
(٦) رواه باختلاف المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٨٩، والبلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ٢٨٠، والدينوري (ت ٢٨٢) في الأخبار الطوال: ١٦٣ ط دار الكتب العربية، وابن عبد ربه (ت ٣٢٨) في العقد الفريد ٤: ٣٣٥.

(٧) الإجتياح: الاستئصال والإهلاك.

(٨) أحلسونا الخوف: أي جعلوا الخوف ملازماً لنا كحلس البعير يلازم ظهره، وهو كساء يجعل تحت الرحل.

(٩) الجبل الوعر: الصعب الذي لا يرقى إليه.

(١٠) فعزم الله لنا ...: أي أراد لنا أن نذبّ عن حوزته أي شريعته الحقة.



وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ[1]. مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذلِكَ الأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ. وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالأَسِنَّةِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ وَمَنِيَّتَهُ أُخِّرَتْ.

فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لا أَعْرِفُهُ، وَلا أَظُنُّ اللهَ يَعْرِفُهُ[2]، وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمانَ إِلَيْكَ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هذَا الأَمْرِ، فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلا إِلَى غَيْرِكَ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ[3] عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلا بَحْرٍ، وَلا جَبَلٍ وَلا سَهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ، وَزَوْرٌ[4] لا يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ، وَالسَّلامُ لِأَهْلِهِ.

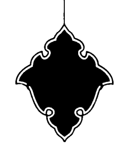
---

(١) الرمي من وراء الحرمة: جعل نفسه وقاية لها يدافع السوء عنها، فهو من ورائها أو هي من ورائه.

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٤: ٥٠ في تعليقه على هذا الكلام: «الظن هاهنا بمعنى العلم... وأخرج هذه الكلمة مخرج قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وليس المراد سلب العلم بل العلم بالسلب، كذلك ليس مراده عليه السلام سلب الظن الذي هو بمعنى العلم، بل ظن السلب أي علم السلب، أي وأعلم أنّ الله سبحانه يعرف انتفاءه، وكل مايعلم الله انتفاءه فليس بثابت».

(٣) لئن لم تنزع: أي لئن لم تنته وتفارقه.

(٤) الزور: الزائر.





[١٠] ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً

وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلابِيبُ(١) مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ(٢) بِزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا، دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا، وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لا يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ، فَاقْعَسْ عَنْ هذَا الأَمْرِ، وَخُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ(٣)، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ، وَلا تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ.

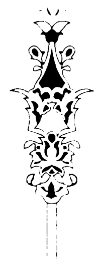
وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوُلَاةَ أَمْرِ الأُمَّةِ! بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ، وَلا شَرَفٍ بَاسِقٍ(٤)، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ، وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمادِياً فِي غِرَّةِ الأُمْنِيَّةِ، مُخْتَلِفَ الْعَلَانِيَةِ والسَّرِيرَةِ.

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ، فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَاخْرُجْ إِلَيَّ، وَأَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ(٥) عَلَى قَلْبِهِ، وَالْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ! فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَخَالِكَ وأَخِيكَ شَدْخاً(٦) يَوْمَ بَدْرٍ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي، وَبِذلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي، مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً، وَلا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً، وَإِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ.

---

(١) جلابيب ـ جمع جلباب ـ: هو الثوب فوق جميع الثياب كالملحفة.
(٢) تبهّجت: أبدت بهجة وحسناً.
(٣) أهبة الحساب: عدته.
(٤) الباسق: العالي الرفيع.
(٥) الرين: الطبع والتغطية.
(٦) الشدخ: كسر الشيء الأجوف.





وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائراً بِدَمِ عُثْمانَ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنتَ طَالِباً، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالأَثْقَالِ، وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ، إِلَى كِتَابِ اللهِ[1] وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ، أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ.

[١١] ومن وصية وصّى بها عليه السلام جيشاً بعثه إلى العدو



فَإِذَا نزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ، فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الأَشْرَافِ[2]، أَوْ سِفَاحِ[3] الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ الأَنْهَارِ[4]، كَيْما يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً، وَدُونَكُمْ مَرَدّاً[5]، وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ، واجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ[6]، وَمَنَاكِبِ[7] الْهِضَابِ[8]، لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَومِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ. وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا

---

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٥ : ٨٣ في تعليقه على قوله عليه السلام: «وكأنّي بجماعتك...»: «امّا أن يكون فراسة نبوية صادقة وهذا عظيم، وامّا أن يكون إخباراً عن غيب مفصل وهو أعظم وأعجب، وعلى كلا الأمرين فهو غاية العجب».

(٢) الأشراف: الأماكن العالية.

(٣) سفاح ـ جمع سفح ـ: أسفل الجبل.

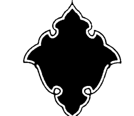
(٤) أثناء الأنهار: ما انعطف منها.

(٥) المرد: مكان الرد والدفع.

(٦) صياصي الجبال: أعاليها.

(٧) المناكب: المرتفعات.

(٨) الهضاب: التلال.





غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً[(١)]، وَلا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً[(٢)].

[١٢] ومن وصيته لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدّمةً له[(٣)]

اتَّقِ اللهَ الَّذِي لَابُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ، وَلا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ، وَسِرِ الْبَرْدَيْنِ[(٤)] وغَوِّرْ[(٥)] بِالنَّاسِ، وَرَفِّهْ[(٦)] فِي السَّيْرِ، وَلا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وَقَدَّرَهُ مُقَاماً لا ظَعْناً[(٧)]، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ، فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ[(٨)]، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ، فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً، وَلا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ، وَلا تَبَاعَدْ مِنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي، وَلا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ، قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ.

[١٣] ومن كتاب له عليه السلام إلى أمير ين من أُمراء جيشه[(٩)]

وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلى مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا مَالِكَ ابْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ،

---

(١) الكِفّة: الدائرة، وكلّ ما استدار فهو كِفّة.

(٢) الغرار: النوم الخفيف، وكذلك المضمضة، وكلاهما عبارة عن النوم القليل.

(٣) رواها باختلاف المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ١٤٨، وروى ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥) في المصنف ٨: ٥٥ إلى قوله عليه السلام: «ولا منتهى لك دونه».

(٤) البردين: الغداة والعشيّ، أي وقت ابتراد الأرض والهواء من حرّ النهار.

(٥) غوّر: انزل بهم في الغائرة، وهي القائلة: وقت اشتداد الحرّ.

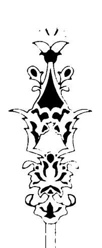
(٦) رفّه: يسّر وهوّن.

(٧) الظعن: السفر.

(٨) ينبطح السحر: ينبسط.

(٩) رواه باختلاف المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ١٥٤، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٣: ٥٦٥.





فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، واجْعَلاَهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لا يُخَافُ وَهْنُهُ، وَلا سَقْطَتُهُ[1]، وَلا بُطْؤُهُ عَمَّا الإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطءُ عَنْهُ أَمْثَلُ.

[١٤] ومن وصيّته عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفّين[2]

لا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلا تُصِيبُوا مُعْوِراً[3]، وَلا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، لَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذىً، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ[4] فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

[١٥] وكان عليه السلام يقول إذا لقى العدوّ محارباً[5]

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ[6] الْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ الأَعْنَاقُ، وَشَخَصَتِ الأَبْصَارُ،

---

(١) الوهن: الضعف. السقطة: الغلطة والخطأ.

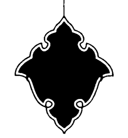
(٢) رواها بأدنى اختلاف المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٢٠٤، وكذلك ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ٣: ٣٢ أخصر ممّا رواه المنقري، ورواها إلى قوله عليه السلام: «لا تجهزوا على جريح» الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٦، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٥: ٣٨ ح ٣.

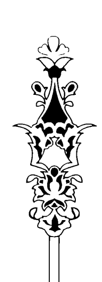
(٣) أعور الفارس: إذا بدا فيه موضع خلل للضرب، أو الذي عجز عن حماية نفسه.

(٤) الفهر: المجر. الهراوة: العصا.

(٥) رواه المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٢٣٠، ٤٧٧، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الجمل: ١٨٢.

(٦) أفضت: انتهت ووصلت.





وَنُقِلَتِ الأَقْدَامُ، وَأُنْضِيَتِ الأَبْدَانُ[1]. اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ[2]، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الأَضْغَانِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا، رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ.

[١٦] وكان يقول عليه السلام لأصحابه عند الحرب[3]

لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ[4]، وَلا جَوْلَةٌ[5] بَعْدَهَا حَمْلَةٌ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا[6]، وَاذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ[7]، وَالضَّرْبِ الطِّلَحْفِيِّ[8]، وَأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ، [فـ]والَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنِ اسْتَسْلَمُوا، وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ.

[١٧] ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية، جواباً عن كتاب منه[9]

وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ.

---

(١) أنضيت الأبدان: هزلت.

(٢) صرّح: انكشف، الشنآن: البغض.

(٣) روى ذيله من قوله عليه السلام: «والّذي خلق الحبة...» المنقري ت (٢١٢) في وقعة صفين: ٢١٥، والقاضي نعمان (ت٣٦٣) في شرح الأخبار ٢: ٥٣١.

(٤) أي لا يشق عليكم الأمر إذا انهزمتم متى عدتم للكرة.

(٥) الجولة: هزيمة قريبة ليست بالممعنة.

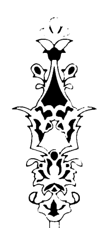
(٦) وطّئوا للجنوب مصارعها: أي لتكن ضرباتكم للعدو محكمة بحيث لا يحتاج إلى تثنية لصرع جنب المضروب، أو كما قال المجلسي في البحار ٣٣: ٤٦٠ استعدوا للسقوط على الأرض والقتل.

(٧) اذمروا: حرّضوا. الدعسي: الشديد.

(٨) ضرب طلحف: شديد.

(٩) روى صدره إلى قوله عليه السلام: «المبطل كالمحق» كل من سليم بن قيس الهلالي (ق ١)=





وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ[1] أَنْفُسٍ بَقِيَتْ، فَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى النّارِ. وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ والرِّجَالِ، فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الآخِرَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، فَكَذلِكَ نَحْنُ، وَلكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلا أَبُوسُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ[2]، وَلا الصَّرِيحُ[3] كَاللَّصِيقِ[4]، وَلا الْمُحِقُّ كَالْمُبطِلِ، وَلا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ[5]، وَلَبِئْسَ الْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا[6] بِهَا الذَّلِيلَ.

وَلَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هذِهِ الأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ: إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ. فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً، وَلا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً، وَالسَّلَامُ.

= في كتابه: ٣٣٧، والمنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٤٧١، وابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٠٤، والدينوري (ت ٢٨٢) في الأخبار الطوال: ١٨٧، وابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ٣: ١٥٤، والكراجكي (ت ٤٤٩) في كنز الفوائد: ٢٠١، وروى ذيله: «وأسلمت له هذه الأمة...» المنقري (ت٢١٢) أيضاً في وقعة صفين: ١٥٠.

(١) حشاشات ـ جمع حشاشة ـ: بقية الروح.

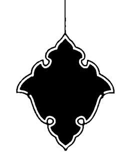
(٢) الطليق: الذي أُسر فأُطلق بالمنّ عليه أو الفدية، وأبو سفيان ومعاوية كانا من الطلقاء يوم الفتح.

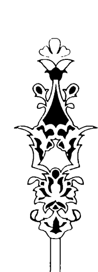
(٣) الصريح: صحيح النسب.

(٤) اللصيق: من ينتمي إليهم وهو أجنبي عنهم.

(٥) المدغل: صاحب الدغل وهو الفساد.

(٦) نعشنا: رفعنا.





[١٨] ومن كتاب له عليه السلام
إلى عبدالله بن العباس وهو عامله على البصرة

وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ، وَمَغْرِسُ الْفِتَنِ، فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ.

وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ[١] لِبَنِي تَمِيمٍ، وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ؛ وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ[٢] فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلا إِسْلَامٍ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً، وَقَرَابَةً خَاصَّةً، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا، وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا.

فَارْبَعْ[٣] أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَكَ اللهُ، فِيمَا جَرَى عَلَى يَدِكَ وَلِسَانِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذلِكَ، كُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ، وَلا يَفِيلَنَّ[٤] رَأْيِي فِيكَ، وَالسَّلَامُ.

[١٩] ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله[٥]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ[٦] أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً، وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ، وَلا أَنْ يُقْصَوا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ، وَدَاوِلْ[٧]

---

(١) التنمّر للقوم: الغلظة عليهم.

(٢) الوغم: الترة، أي لم يهدر لهم دم في جاهلية ولا إسلام، يصفهم بالشجاعة والحمية.

(٣) اربع: قف وتثبّت.

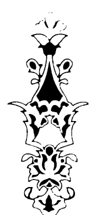
(٤) فال الرأي: ضعف وأخطأ.

(٥) رواه باختلاف البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١٦١.

(٦) الدهاقين: الزعماء أرباب الأملاك بالسواد.

(٧) داول: اسلك فيهم منهجاً متوسطاً.





لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالإِدْنَاءِ، وَالإِبْعَادِ وَالإِقْصَاءِ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

[٢٠] ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه(١)

وهو خليفة عامله عبدالله بن العباس على البصرة، وعبدالله عامل أمير المؤمنين عليه السلام يومئذٍ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان:

وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً، لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ(٢)، ضَئِيلَ الأَمْرِ(٣)، وَالسَّلاَمُ.

[٢١] ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً

فَدَعِ الإِسْرَافَ مُقْتَصِداً، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ. أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ ! وَتَطْمَعُ ـ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ، تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ والأَرْمَلَةَ ـ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمتَصَدِّقِينَ؛ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا سَلَّفَ، وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَالسَّلاَمُ.

[٢٢] ومن كتاب له عليه السلام إلى عبدالله بن العباس(٤)

وكان ابن عبّاس يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله كانتفاعي بهذا الكلام:

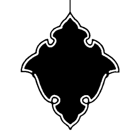
---

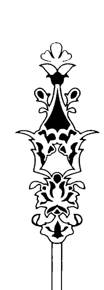
(١) رواه البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١٦١، ونحوه اليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٤.

(٢) ثقيل الظهر: أي مسكين لا تقدر على مؤونة عيالك.

(٣) ضئيل الأمر: الحقير.

(٤) رواه كل من المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ١٠٦، والبلاذري (ت ٢٧٩) في=





أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرَكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

[٢٣] ومن كلام له عليه السلام

قاله قُبَيْلَ موته لمّا ضربه ابن ملجم على سبيل الوصية[(١)]:

وَصِيَّتِي لَكُمْ: أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيمُوا هذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ[(٢)].

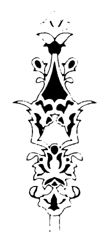
أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ، إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ

= أنساب الأشراف: ١١٦ عن هشام ابن الكلبي عن أبيه، واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٥، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٢٤٠ ح ٣٢٧ قال: «عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عليّ بن أسباط، رفعه»، وأبي عليّ القالي (ت ٣٥٦) في الأمالي ٢: ٩٤، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠٠، والباقلاني (ت ٤٠٣) في إعجاز القرآن: ١٤٦، وابن مسكويه (ت ٤٢١) في الحكمة الخالدة: ١٧٩، والقاضي القضاعي (ت٤٥٤) في دستور معالم الحكم: ١١١.

(١) رواه باختلاف ابن أبي الدنيا (ت٢٨١) في مقتل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ٥٦ قال: «حدّثنا الحسين، حدّثنا عبدالله قال: حدّثني أبو عليّ أحمد بن الحسن الضرير، حدّثنا الحسين بن هارون، عن ابن زبار الكلبي، عن حكيم بن نافع، عن العلاء بن عبدالرحمن» والشيخ الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ١: ٢٩٩، عن الحسين بن الحسن الحسني رفعه ومحمد بن الحسن، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمري رفعه، والطبراني (ت ٣٦٠) في المعجم الكبير ١: ٩٦ ح ١٦٧ وقال: «حدّثنا القاسم بن عباد الخطابي البصري، ثنا سعيد ابن صبيح، قال: قال هشام ابن الكلبي، عن عوانة بن الحكم».

(٢) خلالكم ذمّ: أي قد أعذرتم وسقط عنكم الذم.





حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ. وَاللهِ مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ، وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ[1] وَرَدَ، وَطَالِبٍ وَجَدَ، وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ.

قال السيد الشريف الرضي (رض):

أقول:

وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدّم من الخطب، إلّا أنّ فيه هاهنا زيادة أوجبت تكريره.

[٢٤] ومن وصية له عليه السلام

بما يُعمل في أمواله، كتبها بعد منصرفه من صفين[2]

هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ، لِيُولِجَنِي بِهِ الْجَنَّةَ، وَيُعْطِيَنِي الأَمَنَةَ.

منها

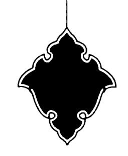
فَإِنَّهُ يَقُومُ بِذلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، يأْكُلُ مِنْهُ بِالْمعْرُوفِ، وَيُنْفِقُ مِنْهُ فِي المعْرُوفِ، فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَحُسَيْنٌ حَيٌّ، قَامَ بِالأَمْرِ بَعْدَهُ، وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ.

وَإِنَّ لِابْنَيْ فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ، وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذلِكَ إِلَى ابْنَيْ فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ، وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ.

---

(١) القارب: الذي يسير إلى الماء وقد بقي بينه وبينه ليلة واحدة.

(٢) رواها باختلاف ابن شبة (ت ٢٦٢) في تاريخ المدينة ١: ٢٢٦، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٧: ٤٩ عن أبي عليّ الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبار ومحمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان ابن يحيى، عن عبدالرحمن بن الحجاج. والقاضي النعمان (ت ٣٦٣) في دعائم الإسلام ٢: ٣٤٢.





وَيَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْمَالَ عَلَى أُصُولِهِ(1)، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وَهُدِيَ لَهُ، وَأَلَّا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هذِهِ الْقُرَى وَدِيَّةً حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً. وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي ـ اللَّاتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ ـ لَهَا وَلَدٌ، أَوْ هِيَ حَامِلٌ، فَتُمْسَكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ، فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ، قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ.

[كلام الشريف الرضي]:

قوله عليه السلام في هذه الوصية: «**وألّا يبيع من نخلها وَدِيَّةً**»، **الوَدِيَّةُ: الفَسِيلَةُ، وجمعها وَدِيٌّ**. وَقوله عليه السلام: «**حتى تُشْكِلَ أرضُها غِرَاساً**» هو من أفصح الكلام، والمراد به: أَنَّ الأَرْضَ يَكْثُرُ فِيهَا غِرَاسُ النَّخْلِ حتّى يَرَاها النَّاظِرُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الصِّفَةِ الَّتي عَرَفَها بها فَيُشْكِلَ عَلَيهِ أَمْرُها وَيحْسبها غَيْرَها.

[٢٥] ومن وصية له عليه السلام

كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات(2)

وإنّما ذكرنا منها جملاً هاهنا ليُعلَمَ بها أنه عليه السلام كان يقيم عماد الحقّ، ويشرع أمثلة العدل، في صغير الأمور وكبيرها، ودقيقها وجليلها:

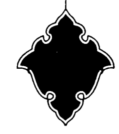
انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَلا تُرَوِّعَنَّ(3) مُسْلِماً، وَلا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً، وَلا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ.

---

(١) ترك المال على أصوله: أن لا يباع منه شيء ولا يقطع منه غرس.

(٢) رواها باختلاف الثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ١٢٥ وقال: «حدّثنا محمّد، قال: حدّثنا الحسن، قال: حدّثنا إبراهيم، قال: وأخبرني يحيى بن صالح الحريري، قال: أخبرنا أبو العباس الوليد بن عمرو ـ وكان ثقة ـ عن عبدالرحمن بن سليمان، عن جعفر بن محمّد بن عليّ:»، والشيخ الكليني (ت٣٢٩) في الكافي ٣: ٥٣٦ ح ١ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن بريد بن معاوية. والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في المقنعة: ٢٥٥ عن حمّاد عن حريز عن بريد العجلي.

(٣) لا تروعنّ: لا تفزعنّ.



فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، وَلا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ[١]، ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ اللهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللهِ وَخَلِيفَتُهُ، لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ للهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ! فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا، فَلَا تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ[٢] مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ[٣] أَوْ تُرْهِقَهُ[٤]، فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْها دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلا عَنِيفٍ بِهِ، وَلا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلا تُفْزِعَنَّهَا، وَلَا تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا، وَاصْدَعِ الْمَالَ[٥] صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَ، فَلَا تَزَالُ بِذلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ، فَاقْبِضْ حَقَّ اللهِ مِنْهُ، فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ، ثُمَّ اخْلِطْهُمَا، ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلاً حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللهِ فِي مَالِهِ.

وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْداً[٦]، وَلَا هَرِمَةً[٧]، وَلَا مَكْسُورَةً، وَلا مَهْلُوسَةً[٨]، وَلا ذَاتَ عَوَارٍ.

وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوصِلَهُ

(١) أي حيّهم تحيّة كاملة غير مخدجة أي غير ناقصة.

(٢) أنعم لك: قال نعم.

(٣) تعسفه: تأخذه بشدّة.

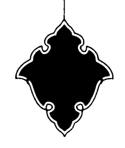
(٤) ترهقه: تكلّفه العسر والمشقة.

(٥) صَدَع المال: قسّمه قسمين.

(٦) العود: المسنّ من الإبل.

(٧) الهرمة: المسنّة أيضاً والضعيفة.

(٨) المهلوسة: المريضة قد هلسها المرض وأفنى لحمها.





إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ. وَلا تُوَكِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحاً شَفِيقاً، وَأَمِيناً حَفِيظاً، غَيْرَ مُعَنِّفٍ وَلا مُجْحِفٍ، وَلا مُلْغِبٍ(1) وَلا مُتْعِبٍ.

ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ، نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ بِهِ. فَإِذَا أَخذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ: أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلا يَمْصُرَ(2) لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذلِكَ بِوَلَدِهَا، وَلا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرَفِّهْ عَلَى اللَّاغِبِ(3)، وَلْيَسْتَأْنِ(4) بِالنَّقِبِ(5) وَالظَّالِعِ(6)، وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ، وَلا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ(7)، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ(8) وَالأَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللهِ بُدناً مُنْقِيَاتٍ(9)، غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلا مَجْهُودَاتٍ، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله فَإِنَّ ذلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

[26] ومن عهد له عليه السلام
إلى بعض عمّاله، وقد بعثه على الصدقة

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ فِي سَرَائِرِ أُمُورِهِ وَخَفِيَّاتِ أَعْمَالِهِ، حَيْثُ لا شَهِيدَ غَيْرُهُ،

---

(1) الملغب: المتعب، واللغوب: الإعياء.
(2) المصر: حلب ما في الضرع جميعه.
(3) اللاغب: ما أعياه التعب.
(4) ليستأن: من التأني.
(5) بعير نقب: دقيق الخفّ.
(6) الظالع: الذي ظلع أي غمز في مشيه.
(7) جواد الطرق: الطرق التي لا مرعى فيها.
(8) النطاف: المياه القليلة.
(9) البدن: السمينة، ومنقيات: ذوات نِقي وهو المخّ في العظم.



وَلا وَكِيلَ دُونَهُ. وَأَمرَهُ أَلَّا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ، وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ، فَقَدْ أَدّى الأَمَانَةَ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ. وَأَمرَهُ أَلَّا يَجْبَهَهُمْ[1]، وَلا يَعْضَهَهُمْ[2]، وَلا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمُ الإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ.

وَإِنَّ لَكَ فِي هذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً، وَحَقّاً مَعْلُوماً، وَشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ، وَضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ إِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ، فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبُؤْساً لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ اللهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ وَالْغَارِمُ وَابْنُ السَّبِيلِ!

وَمَنِ اسْتَهَانَ بِالأَمَانَةِ، وَرَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ، وَلَمْ يُنَزِّه نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا، فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا الْخِزْيَ، وَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخزَى. وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الأُمَّةِ، وَأَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الأَئِمَّةِ، وَالسَّلَامُ.

[٢٧] ومن عهد له عليه السلام
إلى محمّد بن أبي بكر حين قلّده مصر[3]

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، حَتَّى لا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ[4]، وَلا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ. وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ

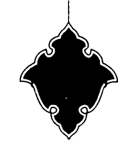
---

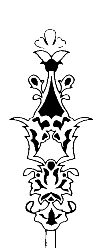
(١) لا يجبههم: لا يواجههم بما يكرهونه.

(٢) لا يعضههم: لا يرميهم بالبهتان والكذب.

(٣) رواه باختلاف الثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ٢٣٣، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٧٨، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الأمالي: ٢٦٠ ح ٣.

(٤) حيفك لهم: ظلمك لأجلهم.





الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ.

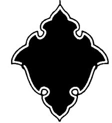
وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ؛ سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ، وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ، أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللهِ غَداً فِي آخِرَتِهِمْ، لا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ.

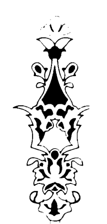
فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً؛ أَوْ شَرٍّ لا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً، فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا! وَمَنْ أَقْرَبُ إِلى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا! وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْتِ(١)، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ، الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ، وَالدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ.

فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ، دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ. وَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللهِ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ، فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً للهِ.

---

(١) طرداء: جمع طريد بمعنى مطرود، أي ملحوق كما يطرد الصيد.





وَاعْلَمْ ـ يَا مُحَمَّدُ ابْنَ أَبِي بَكْرٍ ـ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ[1] أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ، وَأَنْ تُنَافِحَ[2] عَنْ دِينِكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَلا تُسْخِطِ اللهَ بِرِضا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ فِي اللهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ. صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا الْمُوَقَّتِ لَهَا، وَلا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلا تُؤْخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لاشْتِغَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلَاتِكَ.

ومن هذا العهد

فَإِنَّهُ لا سَوَاءَ إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى، وَوَلِيُّ النَّبِيِّ وَعَدُوُّ النَّبِيِّ، وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنِّي لا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلا مُشْرِكاً، أَمَّا الْمُؤمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللهُ بِشِرْكِهِ، وَلكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ».

[٢٨] ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً وهو من محاسن الكتب[3]

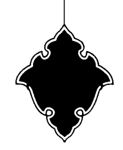
أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ [فِيهِ] اصْطِفَاءَ اللهِ تَعَالى مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم

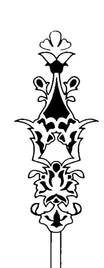
---

(١) محقوق: جدير.

(٢) تنافح: تجالد.

(٣) ورد بتفاوت عند المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٨٨، وابن أعثم الكوفي (٣١٤) في الفتوح ٢: ٥٦٠. وقال ابن أبي الحديد في شرحه ١٥: ١٨٤ ما لفظه: «سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن زيد فقلت: أرى هذا الجواب منطبقاً على كتاب معاوية الذي بعثه مع أبي مسلم الخولاني إلى عليّ عليه السلام، فإن كان هذا هو الجواب فالجواب الذي ذكره أرباب السير وأورده نصر بن مزاحم في كتاب صفين إذن غير صحيح، وإن كان ذلك الجواب فهذا الجواب اذن غير صحيح ولا ثابت، فقال لي: بل كلاهما ثابت مروي، وكلاهما كلام أميرالمؤمنين عليه السلام وألفاظه».





لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً[١]، إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلاَءِ اللهِ[٢] عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذلكِ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ[٣]، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ[٤].

وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلاَمِ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ[٥] كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ[٦]، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ!

وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ، وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ! هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا[٧]، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا!

أَلاَ تَرْبَعُ أَيُّهَا الإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ[٨]، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ[٩]، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ! وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ، رَوَّاغٌ[١٠] عَنِ الْقَصْدِ. أَلاَ تَرَى ـ غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ، لكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ ـ أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَلِكُلٍّ

(١) خَبّأ عجباً: أخفى أمراً عجيباً ثم أظهره.

(٢) بلاء الله: إنعامه وإحسانه.

(٣) هجر: مدينة بالبحرين كثيرة النخيل.

(٤) المسدّد: معلم رمي السهام، والنضال: الترامي بالسهام.

(٥) اعتزلك: جعلك بمعزل عنه.

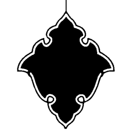
(٦) ثلمه: عيبه.

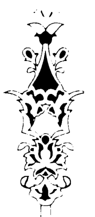
(٧) مثل يضرب لمن يدخل نفسه بين قوم ليس له أن يدخل بينهم.

(٨) الظلع: مصدر ظلع البعير إذا اغمز في مشيه، يقال: اربع على ظلعك أي قف عند حدّك.

(٩) الذرع: بسط اليد.

(١٠) الروّاغ: الميّال.





فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ: سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلاتِهِ عَلَيْهِ!

أَوَلَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ـ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ ـ حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا كَمَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ: الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُوالْجَنَاحَيْنِ! وَلَوْلَا مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلا تَمُجُّهَا[١] آذَانُ السَّامِعِينَ.

فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ[٢]، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا[٣]. لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا، وَلا عَادِيُّ طَوْلِنَا[٤] عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنفُسِنَا، فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنا، فِعْلَ الأَكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ!

وَأَنَّى يَكُونُ ذلِكَ كَذَلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ، وَمِنَّا أَسَدُ اللهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الأَحْلَافِ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ!

فَإِسْلَامُنَا مَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لا تُدْفَعُ[٥]، وَكِتَابُ اللهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا

---

(١) المجّ: قذف الشيء وإلقاؤه.

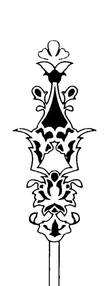
(٢) الرمية: الصيد يرميه الصائد، والمعنى: دع ذكر من مال إلى الدنيا ومالت به، أي أمالته إليها.

(٣) قال ابن أبي الحديد في شرحه ١٥: ١٩٤ في هذا المقطع: «هذا كلام عظيم، عالٍ على الكلام، ومعناه عالٍ على المعاني، وصنيعة الملك من يصطنعه الملك ويرفع قدره، يقول: ليس لأحد من البشر علينا نعمة بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنائعنا، فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى، وهذا مقام جليل ظاهره ما سمعت، وباطنه انّهم عبيدالله وانّ الناس عبيدهم».

(٤) عادي: قديم، الطول: الفضل.

(٥) أي: شرفنا وفضلنا في الجاهلية لا ينكره أحد.





شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ.

وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ.

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ فَلَيْسَ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ.

«وَتِلْكَ شَكَاةٌ[1] ظَاهِرٌ[2] عَنْكَ عَارُهَا»

وَقُلْتَ: إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ[3] حَتَّى أُبَايِعَ، وَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ[4] فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ، وَلا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ! وَهٰذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلٰكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا.

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هٰذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ، فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ[5]! أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ

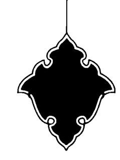
(١) شكاة: نقيصة، وأصلها المرض.

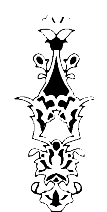
(٢) ظاهر: بعيد، زائل.

(٣) الجمل المخشوش: هو الذي جعل في أنفه الخشاش، وهو حلقة أو سير يقاد به.

(٤) الغضاضة: النقص.

(٥) المقاتل: وجوه القتال ومواضعه.





فَاسْتَقْعَدَهُ[١] وَاسْتَكَفَّهُ[٢]، أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ؛ حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ؛ كَلَّا وَاللهِ لَقَد عَلِمَ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ[٣] مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً. وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً، فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ، فَرُبَّ مَلُومٍ لا ذَنْبَ لَهُ.

«وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ»

وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ. وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلا لأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ، وبِالسُّيُوفِ مُخَوَّفِينَ!

فَـ (لَبِّثْ[٤] قَلِيلاً يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلْ[٥])

فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ[٦] نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ[٧] مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ [لَهُمْ] بِإِحْسَانٍ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ[٨]، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ

---

(١) استقعده: طلب قعوده ولم يقبل نصره.

(٢) استكفّه: طلب كفّه عن الشيء.

(٣) المعوقون: المانعون من النصرة.

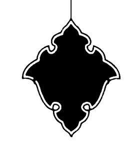
(٤) لبّث: امهل.

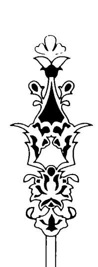
(٥) الهيجا: الحرب، وحَمَل: هو ابن بدر، رجل من قشير أُغير على إبله في الجاهلية فاستنقذها.

(٦) مرقل: مسرع.

(٧) جحفل: الجيش العظيم.

(٨) الساطع: الظاهر، والقتام: الغبار.





لِقَاءُ رَبِّهِمْ، قَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ.

[٢٩] ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل البصرة(١)

وَقَدْ كَانَ مِنِ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ(٢) وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبَوْا عَنْهُ(٣)، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ. فَإِنْ خَطَتْ(٤) بِكُمُ الأُمُورُ الْمُرْدِيَةُ، وَسَفَهُ الآرَاءِ الْجَائِرَةِ(٥)، إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلَافِي، فَهَا أَنَاذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي(٦)، وَرَحَلْتُ رِكَابِي(٧).

وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ، لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لا يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعْقَةِ(٨) لَاعِقٍ، مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ، وَلِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَى بَرِيٍّ، وَلا نَاكِثاً إِلَى وَفِيٍّ.

[٣٠] ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية(٩)

فَاتَّقِ اللهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً، وَسُبُلاً نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً

---

(١) روى نحوه الثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ٢: ٤٠٣، عن كعب بن قعين.

(٢) انتشار الحبل: تفرّق طاقاته وانحلال فتله.

(٣) غبا عنه: جهله.

(٤) خطت: تجاوزت.

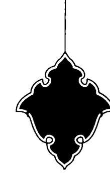
(٥) سفه الآراء: ضعفها، والجائرة: المائلة عن الحق.

(٦) قرّبت جيادي: أي أمرت بتقريب خيلي إليَّ لأركب وأسير إليكم.

(٧) رحلت ركابي: الركاب: الإبل، ورحلتها: شددت على ظهورها الرحل.

(٨) اللعقة: اللحسة.

(٩) ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ١٦: ٧ الخطبة كاملة، وقال: «في الخطبة زيادات يسيرة لم يذكرها الرضي رحمه الله» ممّا يدلّ على أنّه وجدها من غير طريق الرضي رحمه الله.



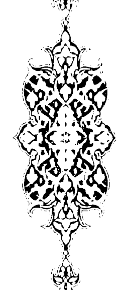
نَهْجَةً[1]، وَغَايَةً مُطَّلَبَةً[2]، يَرِدُهَا الأَكْيَاسُ، وَيُخَالِفُهَا الأَنْكَاسُ[3]، مَنْ نَكَبَ[4] عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ، وَخَبَطَ[5] فِي التِّيهِ، وَغَيَّرَ اللهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ.

فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ! فَقَدْ بَيَّنَ اللهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ، وَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْحَلَتْكَ شَرّاً[6]، وَأَقْحَمَتْكَ[7] غَيّاً، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ، وَأَوْعَرَتْ[8] عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ.

[٣١] ومن وصيّته عليه السلام للحسن بن عليّ عليه السلام

كتبها إليه بـ «حاضرين» عند انصرافه من صفّين[9]

مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ[10]، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ، الذَّامِّ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى، وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لَايُدْرِكُ[11]، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الأَسْقَامِ، رَهِينَةِ



---

(١) النهجة: الواضحة.

(٢) غاية مطلبة: مساعفة لطالبها بما يطلبها.

(٣) الأنكاس ـ جمع نِكس ـ: وهو الدنيء من الرجال.

(٤) نكب: عدل.

(٥) خبط: مشى على غير هداية.

(٦) أوحلتك شراً: أي أورطتك في الوحل.

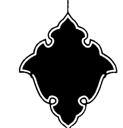
(٧) أقحمتك: أدخلتك.

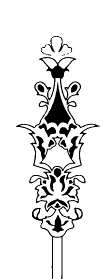
(٨) أوعرت: أخشنت وصعبت.

(٩) روى قطعة منها ابن عبد ربه (ت ٣٢٨) في العقد الفريد ٣: ١٠٠، وروى نحوها كل من الكليني (ت٣٢٩) في كتاب الرسائل كما في كشف المحجة للسيّد ابن طاووس: ٢١٩ فصل ١٥٤، والحسن بن عبدالله العسكري (٣٨٢) في كتاب الزواجر والمواعظ نقلاً عن كشف المحجة أيضاً: ٢١٨ فصل ١٥٤، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٦٨.

(١٠) المقرّ للزمان: المعترف له بالشدة.

(١١) قال ابن أبي الحديد في شرحه ١٦: ٥٢ ما لفظه: «إنّما أراد جنس البشر لا





الأَيَّامِ[1] وَرَمِيَّةِ[2] الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ الْهُمُومِ، وَقَرِينِ الأَحْزَانِ، وَنُصْبِ[3] الآفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ[4] عَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي[5] عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَفَنِي رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي، فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لَايَشُوبُهُ كَذِبٌ.

وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذا، مُسْتَظْهِراً بِهِ[6] إِنْ أَنا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ.

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ ـ أَيْ بُنَيَّ ـ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ!

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ،

خصوص الحسن، وكذلك سائر الأوصاف التي تلي هذه اللفظة لا تخصّ الحسن عليه السلام بعينه، بل هي وإن كانت له في الظاهر بل هي للناس كلّهم في الحقيقة».

(١) رهينة الأيّام: الرهينة المرهونة، أي انّه في قبضة الأيّام وحكمها.

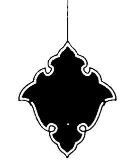
(٢) الرمية: ما أصابه السهم.

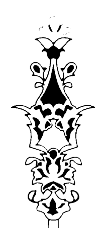
(٣) النصب: ما تنصب لترمى.

(٤) جموح الدهر: تقلّبه وجوره.

(٥) يزعني: يكفّني ويصدّني.

(٦) مستظهراً به: مستعيناً به.





وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ[١]، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَأعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ مَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا! فَإِنَّكَ تَجِدُهُمُ انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دَارَ الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ.

فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لا تَعْرِفُ، وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلالَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ، وَجَاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلا تَأْخُذْكَ فِي اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، وَخُضِ الْغَمَرَاتِ[٢] إِلَى الْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ، وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلٰهِكَ، فَإِنَّكَ تُلجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ، وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ، وَأَكْثِرِ الاسْتِخَارَةَ، وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، وَلا تَذْهَبَنَّ [عَنْكَ] صَفْحاً[٣]، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَلا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي،

---

(١) قرّره بالفناء: اطلب منه الإقرار بالفناء.

(٢) الغمرات: الشدائد.

(٣) صفحاً: جانباً.





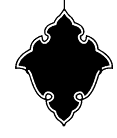
أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا[1]، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ[2] مِنَ الأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ.

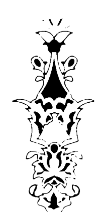
أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَتَهُ[3]، وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ، وَمُقْتَبَلُ الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لا أُجَاوِزُ ذلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ. ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ

(١) بعدما ثبت بالأدلّة العقلية والنقلية القاطعة لزوم عصمة المعصوم وتنزّهه عمّا يشينه وينفّر عنه الطباع، لا مجال للتمسك بظاهر هذا الكلام على نفي العصمة عنهم: ـ كما زعمه ابن أبي الحديد في شرحه ١٦ : ٦٦ ـ إذ أنّه جارٍ مجرى: إياك أعني واسمعي يا جارة، أو من باب الانغماس في الأنوار الإلهية حيث يرى العارف نفسه أقلّ شيء وأذلّها في مقابل عظمة الله تعالى، ويقول: «وجودك ذنب لا يقاس به ذنب».

(٢) جدّ رأيك: محقّقه وثابته.

(٣) النخيل: المختار المصفّى، وفي بعض النسخ المطبوعة: جليله.





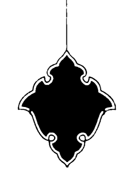
الَّذي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلامِكَ إِلَى أَمْرٍ لا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هذِهِ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللهِ، وَالاقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ، وَالأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذلِكَ إِلَى الأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلَقِ الْخُصُومَاتِ.

وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذلِكَ بِالاسْتِعَانَةِ بِإِلهِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ.

فَإِذا أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ وَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذلِكَ هَمّاً وَاحِداً، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ، وَتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ وَلا مَنْ خَلَّطَ، وَالإِمْسَاكُ عَنْ ذلِكَ أَمْثَلُ.

فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ، وَالابْتِلاءِ، وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، أَوْ مَاشَاءَ مِمَّا لا تَعْلَمُ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ





شَيْءٌ مِنْ ذلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ جَاهِلاً ثُمَّ عَلِمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذلِكَ، فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ نَبِيُّنَا صلى الله عليه وآله فَارْضَ بِهِ رَائِداً[1]، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِداً، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ[2] نَصِيحَةً، وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ ـ وَإِنِ اجْتَهَدْتَ ـ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وصِفَاتَهُ، وَلكِنَّهُ إِلهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلا يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلٌ قَبْلَ الأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ.

فَإِذَا عَرَفْتَ ذلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ[3]، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ.

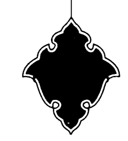
يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا.

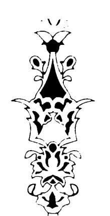
---

(١) الرائد: من ترسله في طلب الكلأ ليتعرّف موقعه.

(٢) الإلو: التقصير.

(٣) خطره: قدره ومنزلته.





إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا[1] كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ[2]، نَبَا[3] بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ[4] الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذلِكَ أَلَماً، وَلا يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرَماً، وَلا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ.

وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلا تَظْلِمْ كَمَا لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلا تَقُلْ مَا لا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تعْلَمُ، وَلا تَقُلْ مَا لا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

وَاعْلَمْ، أَنَّ الإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الأَلْبَابِ، فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ، وَلا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ، وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.

وَاعْلَمْ، أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لا غِنَى

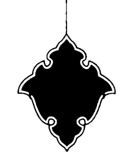
---

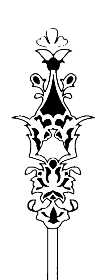
(١) خبر الدنيا: عرفها باختبار وامتحان.

(٢) سَفْر ـ بفتح فسكون ـ: المسافرون.

(٣) نبا: لم يطب.

(٤) الوعثاء: الشدّة والمشقّة.





بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الارْتِيَادِ، وَقَدْرِ بَلَاغِكَ[1] مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذلِكَ وَبَالاً عَلَيْكَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ، وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ في حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ في يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

وَاعْلَمْ، أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤُوداً، الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ الْمُثْقِلِ، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبِطَهَا بِكَ لَامَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدْ[2] لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، وَلا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ.

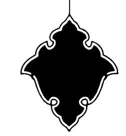
وَاعْلَمْ، أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالإِنَابَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ[3] عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ

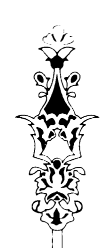
---

(١) البلاغ: الكفاية.

(٢) الارتياد: الطلب، والمراد: ابعث لنفسك رائداً من طيبات الأعمال.

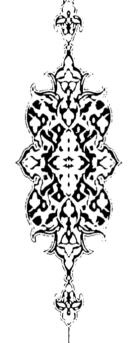
(٣) النزوع: الرجوع.





هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الأَرْزَاقِ.

ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعَمِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ[١] رَحْمَتِهِ، فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذٰلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الآمِلِ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، فَالْمَالُ لا يَبْقَى لَكَ وَلا تَبْقَى لَهُ.



وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لا لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لا لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ[٢]، وَدَارِ بُلْغَةٍ[٣]، وَطَرِيقٍ إِلَى الآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَابُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذٰلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

يَا بُنَيَّ، أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ، وَلا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ[٤].

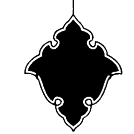
---

(١) الشؤبوب: الدفعة من المطر.

(٢) منزل قلعة: أي ليس بمستوطن.

(٣) البلغة: ما يتبلغ به العيش.

(٤) يبهرك: يغلبك على أمرك.





وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ(1)، يَهِرُّ(2) بَعْضُهَا بَعْضاً، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ(3)، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا(4)، سُرُوحُ عَاهَةٍ(5) بِوَادٍ وَعْثٍ(6)، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلا مُسِيمٌ(7) يُسِيمُهَا، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى، فَتاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا. رُوَيْداً يُسْفِرُ الظَّلَامُ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الأَظْعَانُ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ(8)!

وَاعْلَمْ، أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً(9). وَاعْلَمْ يَقِيناً، أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ(10) فِي الطَّلَبِ،

---

(١) ضارية: مولعة بالافتراس.

(٢) يهرّ: يعوي وينبح.

(٣) النعم: الإبل، ومعقّلة من عقّل البعير: أي شدّ.

(٤) ركبت مجهولها: أي سارت في الطريق المجهول لها.

(٥) السروح: السائمة من الأنعام، والعاهة: الآفة، والمراد انّهم يسرحون لرعي الآفات.

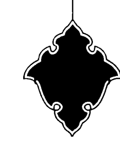
(٦) الوعث: هو الذي لا يثبت قوائم المشاة فيه، بل تغيب فيه لفرط سهولته.

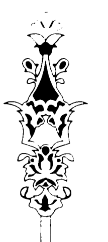
(٧) المسيم: من يسرح بالدواب إلى المرعى.

(٨) قال ابن أبي الحديد في شرحه ١٦: ٩١ ما لفظه: «واستقرأني أبو الفرج محمّد بن عباد رحمه الله، وأنا يومئذٍ حدث هذه الوصية، فقرأتها عليه من حفظي، فلمّا وصلت إلى هذا الموضع صاح صيحة شديدة وسقط، وكان جباراً قاسي القلب».

(٩) الوادع: الساكن المستريح.

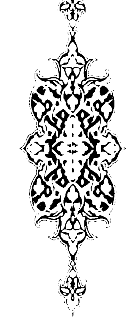
(١٠) خفّض: سهّل وأرفق.





وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ[١]، فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ، وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً. وَلا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً. وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ لا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ؟!

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ[٢] الْهَلَكَةِ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ.



وَتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ[٣] مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ، وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ، وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ، مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ[٤]، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ، قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ، وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ، إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً[٥] كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً، رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً، وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ.

---

(١) الحرب: إذهاب المال.

(٢) المناهل: ما ترده الإبل ونحوها للشرب.

(٣) فرط: قصر.

(٤) أهجر الرجل: هذى في كلامه.

(٥) الخرق: الخفّة أو العنف.





وَإِيَّاكَ وَالاتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى، فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى، وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ، بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلا كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ، وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ، وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ، التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ، وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ، لا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ، وَلا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ، سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ[1]، وَلا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ.

اِحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ[2] عَلَى الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ[3] عَلَى اللَّطَفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ، لا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَمْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلا أَلَذَّ مَغَبَّةً[4]، وَلِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ، وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذلِكَ يَوْماً مَا، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ،

---

(١) القَعُود: البكر عندما يمكّن ظهره من الركوب إلى أن يثني. وهنا يعني: دُرْ مع الدهر كيفما دار.

(٢) صرمه: قطيعته.

(٣) الصدود: الهجر والامتناع.

(٤) المغبّة: العاقبة.



وَلا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ، وَلا يكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ، وَلا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ فِيكَ، وَلا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ، وَلا تكُونَنَّ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الإِحْسَانِ، وَلا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى! إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ، وَإِنْ جَزِعْتَ عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ. اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الأُمُورَ أَشْبَاهٌ، وَلا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلَامِهِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالأَدَبِ، وَالْبَهَائِمَ لا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ.

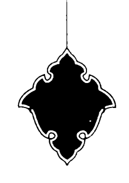
اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ، مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ[1]، الصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ[2]، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ[3]، وَالْهَوَى شَرِيكُ الْعَمَى، رُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ، مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ، وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ[4] فَهُوَ عَدُوُّكَ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكاً، إِذَا كَانَ

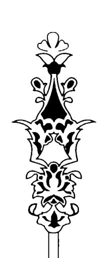
(١) القصد: الاعتدال، وجار: مال عن الصواب.

(٢) الصاحب مناسب: أي يراعى فيه ما يراعى في قرابة النسب.

(٣) صدق غيبه: أي حفظ لك حقك وهو غائب عنك.

(٤) لم يبالك: أي لم يهتم بأمرك.





الطَّمَعُ هَلَاكاً، لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ وَأَصَابَ الأَعْمَى رُشْدَهُ.

أَخِّرِ الشَّرَّ، فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ، مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ، لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ. سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ. إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكاً، وَإِنْ حَكَيْتَ ذلِكَ عَنْ غَيْرِكَ.

وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ(١)، وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ. وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مَنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَايُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ. وَلا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ(٢). وَلا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا(٣)، وَلا تُطْمِعْهَا [فِي] أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا.

وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَة، فَإِنَّ ذلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ. وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَلَّا يَتَوَاكَلُوا(٤) فِي خِدْمَتِكَ. وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتي بِهَا تَصُولُ.

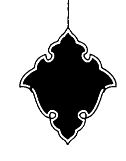
---

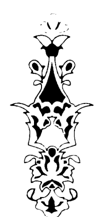
(١) الأفن: النقص.

(٢) القهرمان: الذي يتحكّم في الامور ويتصرّف فيها.

(٣) أي لا تجاوز بإكرامها نفسها فتكرم غيرها بشفاعتها.

(٤) يتواكلوا: يتكل بعضهم على بعض.





أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ، وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إنْ شَاءَ اللهُ.

[٣٢] ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية[١]

وَأَرْدَيْتَ[٢] جِيلاً مِنَ النَّاسِ كَثِيراً، خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ وَتَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ، فَجَارُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ[٣]، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا[٤] عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ، فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ مِنْ مُوَازَرَتِكَ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ.

فَاتَّقِ اللهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ[٥] قِيَادَكَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، وَالسَّلَامُ.

[٣٣] ومن كتاب له عليه السلام
إلى قثم بن العبّاس، وهو عامله على مكّة[٦]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَيْنِي - بِالْمَغْرِبِ[٧] - كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الموْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، الْعُمْيِ الْقُلُوبِ، الصُمِّ الأَسْمَاعِ، الْكُمْهِ[٨] الأَبْصَارِ،

---

(١) أورد ذيله: «فاتق الله يا معاوية» الإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٣٨.

(٢) أرديت: أهلكت.

(٣) وجهتهم: جهة قصدهم.

(٤) عولوا: اعتمدوا.

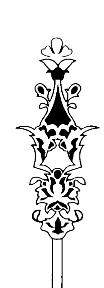
(٥) جاذب الشيطان: أي إذا جذبك فامنع نفسك من متابعته.

(٦) روى نحوه الثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ٢: ٥٠٩، وابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ٤: ٢٢٢.

(٧) بالمغرب: الأقاليم الغربية.

(٨) الأكمه: من ولد أعمى.





الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْحَقَّ بِالبَاطِلِ، وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا[١] بِالدِّينِ، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ، وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ، وَلا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ. فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ[٢]، وَالنَّاصِحِ اللَّبِيبِ، التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ، الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ. وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ، وَلا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً[٣]، وَلا عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلاً[٤]، وَالسَّلَامُ.

[٣٤] ومن كتاب له عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر[٥]

لما بلغه توجّده من عزله بالأشتر عن مصر، ثمّ توفي الأشتر في توجهه إلى هناك قبل وصوله إليها :

وَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي الْجَهْدِ[٦]، وَلا ازدِياداً لَكَ فِي الْجِدِّ، وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ، لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلَايَةً.

إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلاً لَنَا نَاصِحاً، وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً، فَرَحِمَهُ اللهُ، فَلَقَدِ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلَاقَى حِمَامَهُ، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ، أَوْلَاهُ اللهُ رِضْوَانَهُ، وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ. فَأَصْحِرْ

---

(١) الدر: اللبن.

(٢) الصليب: الشديد على الأمر.

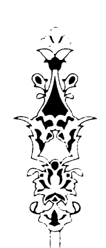
(٣) البطر: الشديد الفرح مع الثقة بدوام النعمة.

(٤) البأساء: الشدة، والفشل: الجبن والضعف.

(٥) رواه باختلاف البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ٣٩٦، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ٦٧، عن ابن أبي سيف عن أصحابه، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٧٢.

(٦) الجهد: الطاقة.





لِعَدُوِّكَ[١]، وَامْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ، وَشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ، وَادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَأَكْثِرِ الاسْتِعَانَةَ بِاللهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِنْكَ عَلَى مَا يُنْزِلُ بِكَ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

[٣٥] ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبدالله بن العباس، بعد مقتل محمّد بن أبي بكر بمصر[٢]:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتُتِحَتْ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قَدِ اسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً، وَعَامِلاً كَادِحاً[٣]، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَرُكْناً دَافِعاً.

وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ عَلَى لَحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَجَهْراً، وَعَوْداً وَبَدْءاً، فَمِنْهُمُ الآتِي كَارِهاً، وَمِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ كَاذِباً، وَمِنْهُمُ الْقَاعِدُ خَاذِلاً. أَسْأَلُ اللهَ تَعَالى أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلاً، فَوَاللهِ لَوْلَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ، وَتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ، لَأَحْبَبْتُ أَلَّا أَبْقَى مَعَ هؤُلَاءِ يَوْماً وَاحِداً، وَلا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَداً.

---

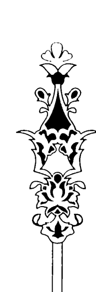
(١) أصحر لعدوّك: ابرز له ولا تستتر عنه بالمدينة التي أنت فيها.

(٢) رواه الثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ٢٩٩، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٨٣.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ١٦: ١٤٥ تعليقاً على هذا الكتاب: «انظر إلى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها، وتملّكه زمامها، واعجب لهذه الألفاظ المنصوبة يتلو بعضها بعضاً كيف تواتيه وتطاوعه، سلسلة سهلة، تتدفّق من غير تعسّف ولا تكلّف... وأنت وغيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب أو خطبة، جاءت القرائن والفواصل تارة مرفوعة، وتارة مجرورة، وتارة منصوبة، فإن أرادوا قسرها بإعراب واحد ظهر منها في التكلّف أثر بيّن وعلامة واضحة، وهذا الصنف من البيان أحد أنواع الإعجاز في القرآن... ولا غرو فيمن كان محمّد عليه السلام مربّيه ومخرجه، والعناية الإلهية تمدّه وترفده أن يكون منه ما كان».

(٣) الكادح: المبالغ في سعيه.





[٣٦] ومن كتاب له عليه السلام

في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء، وهو جواب كتاب كتبه إليه أخوه عقيل بن أبي طالب[١].

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذلِكَ شَمَّرَ هَارباً، وَنَكَصَ نَادِماً، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ طَفَّلَتِ[٢] الشَّمْسُ لِلإِيَابِ، فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً كَلَا وَلَا[٣]، فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضاً[٤] بَعْدَمَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ[٥]، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ، فَلأياً بِلأيٍ[٦] مَا نَجَا.

فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وَتَرْكَاضَهُمْ[٧] فِي الضَّلَالِ وَتَجْوَالَهُمْ[٨] فِي الشِّقَاقِ، وَجِمَاحَهُمْ[٩] فِي التِّيهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله قَبْلِي، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي، فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي[١٠].

---

(١) رواه باختلاف ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١ : ٧٥، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ٢ : ٤٣١، وأبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦) في الأغاني ١٦ : ٢٨٩.

(٢) طفّلت: مالت.

(٣) شيئاً كلا ولا: أي شيئاً قليلاً، وهي كلمة تقال لما يستقصر وقته جداً.

(٤) نجا جريضاً: أي غصّ بالريق من شدّة الجهد والكرب.

(٥) المخنّق: موضع الخنق من الحيوان.

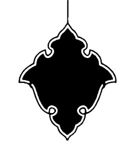
(٦) فلأياً بلأي: أي بعد بطء وشدّة.

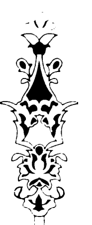
(٧) التركاض: مبالغة في الركض.

(٨) التجوال: مبالغة في الجول والجولان.

(٩) جماحهم: استعصاؤهم على الحقّ.

(١٠) ابن أُمّي: رسول الله صلى الله عليه وآله، إمّا لكونه رُبّي في حجر فاطمة بنت أسد أم أميرالمؤمنين عليه السلام فكانت بمثابة الأم له صلى الله عليه وآله، أو لكونهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائذ ابن مخزوم أُم عبدالله وأبي طالب، كما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه ١٦ : ١٥١.





وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأيِي فِي الْقِتَالِ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ[1] حَتَّى أَلْقَى اللهَ، لا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً، وَلا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ ـ وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ ـ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً، وَلا مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِناً، وَلا سَلِسَ الزِّمَامِ[2] لِلْقَائِدِ، وَلا وَطِيءَ[3] الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُقْتَعِدِ[4]، وَلكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سُلَيْمٍ:

فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنَّنِي ... صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَآبَةٌ ... فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

[٣٧] ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية[5]

فَسُبْحَانَ اللهِ! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ، مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ الَّتِي هِيَ للهِ طِلْبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ. فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ فِي عُثْمانَ وَقَتَلَتِهِ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ، وَالسَّلَامُ.

[٣٨] ومن كتاب له عليه السلام
إلى أهل مصر، لما ولّى عليهم الأشتر رحمه الله[6]

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الْقَومِ الَّذِينَ غَضِبُوا للهِ حِينَ عُصِيَ

---

(١) قتال المحلين: أي الخارجين من الميثاق والبيعة.

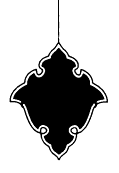
(٢) السلس: السهل، والزمام: العنان الذي تقاد به الدابة.

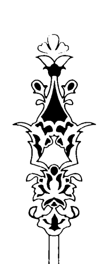
(٣) وطئ الظهر: اللّيّن.

(٤) مقتعد البعير: راكبه.

(٥) ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ١٦: ١٥٣ تمام الكتاب، ممّا يبدو اطلاعه على المصدر الذي نقل عنه الشريف الرضي رحمه الله.

(٦) رواه باختلاف الثقفي (ت٢٨٣) في الغارات ١: ٢٦٧، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٧٢ عن أبي مخنف قال: حدّثني فضيل بن خديج، عن مولى الأشتر، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الاختصاص: ٨٠، والأمالي: ٨٠.





فِي أَرْضِهِ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ[١] عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ[٢]، فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ، وَلا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِاللهِ عَزَّوَجَلَّ، لَايَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلا يَنْكُلُ عَنِ الأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجَ[٣]، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، لا كَلِيلُ الظُّبَةِ[٤]، وَلا نَابِي الضَّرِيبَةِ[٥]، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لا يُقْدِمُ وَلا يُحْجِمُ، وَلا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي، وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ[٦] عَلَى عَدُوِّكُمْ.

[٣٩] ومن كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص[٧]

فَإِنَّكَ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ، اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ، يَلُوذُ إِلَى مَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ

---

(١) السرادق: الغطاء الذي يمد فوق صحن الدار.

(٢) الظاعن: المسافر.

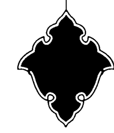
(٣) مذحج: قبيلة مالك.

(٤) الكليل: الذي لا يقطع، والظبة: حدّ السيف والسنان.

(٥) النابي من السيوف: الذي لا يقطع، والضريبة: موضع الضرب.

(٦) شدّة الشكيمة: كناية عن الإباء وقوّة النفس، والأصل في الشكيمة: الحديدة المعترضة في فم الفرس.

(٧) أورد ابن أبي الحديد في شرحه ١٦: ١٦٣ هذا الكتاب كاملاً وقال: «وذكر نصر بن مزاحم في كتاب صفين هذا الكتاب بزيادة لم يذكرها الرضي»، ولم نعثر عليه في كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم.



فَرِيسَتِهِ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ، وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ، فَإِنْ يُمَكِّنِ اللهُ مِنْكَ وَمِنِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُما، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا، وَالسَّلَامُ.

[٤٠] ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله(١)

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ، إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ(٢). بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ(٣) الأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ، وَالسَّلَامُ.

[٤١] ومن كتاب له عليه السلام
إلى بعض عماله وهو عبدالله بن العباس(٤)

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي،

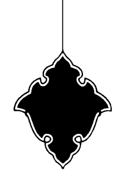
---

(١) رواه البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١٧٠، وابن عبد ربه (ت٣٢٨) في العقد الفريد ٤ : ٣٥٥.

(٢) أخزيت أمانتك: ألصقت بأمانتك خزية أي رزية أفسدتها وأهنتها.

(٣) جرّدت: أي أخليت من النعمة وأخذت.

(٤) روى قطعة منه ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في غريب الحديث ١ : ٣٦٩، ورواه أيضاً البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١٧٤، والطوسي (ت ٤٦٠) في اختيار معرفة الرجال ١ : ٢٧٩ عن شيخ من أهل اليمامة، عن معلّى بن هلال عن الشعبي.
وقد أشكل أمر هذا الكتاب على المؤرّخين والباحثين، فبين ناف له أساساً، وبين مصدّق له تماماً مع بعض الإضافات، وبين من توقّف في أمره، كابن أبي الحديد حيث قال في شرحه ١٦ : ١٧٢ «وقد أشكل عليَّ أمر هذا الكتاب، فإن أنا كذّبت النقل وقلت: هذا كلام موضوع على أميرالمؤمنين عليه السلام خالفت الرواة، فإنّهم قد أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه، وقد ذكر في أكثر كتب السير، وإن صرفته إلى عبدالله بن عباس صدّني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أميرالمؤمنين عليه السلام في حياته وبعد وفاته، وإن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل =





. . . .

= أميرالمؤمنين عليه السلام، والكلام يشعر بأنّ الرجل المخاطب من أهله وبني عمه، فأنا في هذا الموضع من المتوقّفين».

وقد قال العلّامة السيد محمد تقي الحكيم رحمه الله في كتابه عبدالله بن عباس ١ : ٣٩٦ في الجمع بين الأقوال والروايات المختلفة:

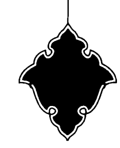
«والطبيعي أن نقول: إنّ يده امتدت ـ لأي اعتبار ـ إلى بيت المال، فتجاوزت حدودها المرسومة من قبل الإمام عليه السلام، وإنّ أبا الأسود كتب بذلك إلى إمامه عليه السلام والإمام كتب إليه مؤنّباً؛ لأنّ الإمام عليه السلام لم يعوّد عمّاله السكوت على هناتهم، وهم المسؤولون عن حفظ حقوق الناس.

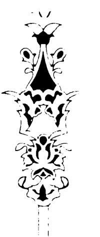
ثم دارت بينهما بعض المكاتبات انتهت بإرجاع ما أخذ من مال، ورضا الإمام عليه السلام عنه، وبقائه على موضعه بالبصرة].

ومثل هذا الغرض على بساطته ـ إذا حصلنا على سند تاريخي له ـ يملأ جميع الفجوات السابقة؛ لأنّ مثله لا يعلم به عادة إلّا الأقلّون، وهو لا يستوجب وصمته إذا كان له مبرره ـ كما سنرى ـ ليتمسك به أعداؤه إذا علموا، كما أنّه ينسجم مع تاريخه بعد هذه الفترة تمام الانسجام، وهذه التزيّدات التي حدثت بعد زمن طويل طبيعية جداً إذا أحطنا بدوافع الوضع عليه كما جاء في مقدّمة هذا الكتاب، وإلّا فمن المستحيل أن يجد من يهمّهم الوضع عليه كوّة ينفذون منها فلا يوسعونها، ويسلكون إلى انتقاصه من طريقها.

وهذا الفرض لا يتنافى مع مذهب النافين، إذا كان مصدرهم الوحيد هو بقاءه بالبصرة حتى وفاة الإمام عليه السلام وحتى صلح الحسن عليه السلام، ولا ينافي مذهب المثبتين في أساسه أيضاً، وإن نافاه في تفاصيله....

أما السند التأريخي لهذا الجمع بين الروايات فهو ما ورد في تاريخ اليعقوبي، وهو من أقدم الكتب التاريخية عهداً وأوثقها نقلاً قال: «وكتب أبو الأسود الدؤلي ـ وكان خليفة عبدالله بن عباس في البصرة ـ إلى علي عليه السلام يعلمه أنّ عبدالله بن عباس أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم، فكتب إليه يقسم له بالله لتردّنّها، فلمّا ردّها عبدالله بن عباس، أو ردّ أكثرها كتب إليه علي عليه السلام: «أما بعد فإنّ المرء يسرّه درك ما لم يكن ليفوته، ويسؤوه فوت ما لم يكن ليدركه، فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً، واجعل همّك لما بعد الموت والسلام...» فكان ابن عباس يقول: ما اتّعظت بكلام قطّ اتعاضي بكلام أميرالمؤمنين».





وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِي رَجُلٌ أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي، لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ إِلَيَّ.

فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ، وَالْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ[١]، وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ، وَهذِهِ الأُمَّةَ قَدْ فَتَنَتْ وَشَغَرَتْ[٢]، قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ، فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ، وَخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ، فَلا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ، وَلا الأَمَانَةَ أَدَّيْتَ. وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ، وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ[٣] هذِهِ الأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ.



فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الأُمَّةِ، أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ، وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ، وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمِ الْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمْ، اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الأَزَلِّ[٤] دَامِيَةَ[٥] الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ، فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ، غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ، كَأَنَّكَ ـ لا أَبَا لِغَيْرِكَ ـ حَدَرْتَ[٦] إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، فَسُبْحَانَ اللهِ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ! أَوَ مَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ!

أَيُّهَا الْمَعْدُودُ ـ كَانَ ـ عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي الأَلْبَابِ، كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَطَعَاماً، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً، وَتَشْرَبُ حَرَاماً، وَتَبْتَاعُ الإِمَاءَ

---

(١) حرب: اشتد غضبه.

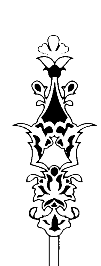
(٢) شغرت: خلت من الخير أو تفرّقت.

(٣) كاده عن الأمر: خدعه حتى ناله منه.

(٤) الذئب الأزل: الخفيف الوركين، وذلك أشد لعدوه.

(٥) الدامية: المجروحة.

(٦) حدرت: أسرعت إليهم.



وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ مَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ، الَّذِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِمْ هذِهِ الأَمْوَالَ، وَأَحْرَزَ بِهِمْ هذِهِ الْبِلَادَ!

فَاتَّقِ اللهَ، وَارْدُدْ إِلَى هؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللهِ فِيكَ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ النَّارَ! وَوَاللهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ[1]، وَلا ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا.

وَأُقْسِمُ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي، أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي، فَضَحِّ رُوَيْداً[2]، فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى[3]، وَدُفِنْتَ تَحتَ الثَّرَى، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى الْمُضَيِّعُ الرَّجْعَةَ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ! وَالسَّلَامُ.

[٤٢] ومن كتاب له عليه السلام

لى عمر بن أبي سلمة المخزومي[4]

وكان عامله على البحرين، فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزّرقي مكانه.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرَقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا ذَمٍّ لَكَ، وَلا تَثْرِيبٍ[5] عَلَيْكَ، فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ،

---

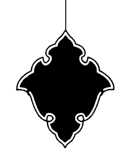
(١) الهوادة: الصلح واختصاص من شخص ما بميل إليه وملاطفة له.

(٢) فضح رويداً: كلمة تقال لمن يؤمر بالتؤدة والأناة والسكينة.

(٣) المدى: الغاية.

(٤) رواه باختلاف البلاذري(ت٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١٥٩، واليعقوبي(ت٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠١.

(٥) التثريب: اللوم.



وَأَدَّيْتَ الأَمَانَةَ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ، وَلا مَلُومٍ، وَلا مُتَّهَمٍ، وَلا مَأْثُومٍ، فَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ[1] عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

[٤٣] ومن كتاب له عليه السلام

إلى مصقلة بن هُبَيرة الشيباني وهو عامله على أردشير خُرّة[2]

بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلهَكَ، وَأَغْضَبْتَ إِمَامَكَ: أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنِ اعْتَامَكَ[3] مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَئِنْ كَانَ ذلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَاناً، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً، فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً.

أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَقِبَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ، يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ، والسَّلامُ.

[٤٤] ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد ابن أبيه

وقد بلغه أنّ معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ[4] لُبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ[5] غَرْبَكَ[6]،

---

(١) أستظهر به: أستعين به.

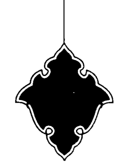
(٢) رواه البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١٦٠، واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠١.

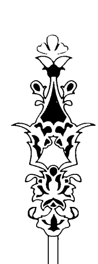
(٣) اعتامك: اختارك، وفي ج، د: اعتمك.

(٤) يستزل: يطلب زلله.

(٥) يستفلّ: يحاول أن يفل.

(٦) الغرب: الجدّ والنشاط.





فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ[1]، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ.

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ، لا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ، وَالنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ.

فلمّا قرأ زياد الكتاب قال: شهد بها وربِّ الكعبة، ولم يزل في نفسه حتى ادّعاه معاويةُ.

قوله عليه السلام: «**كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ**» الواغلُ: هوالذي يهجم على الشَّرْبِ ليشربَ معهم وَليس منهم، فلا يزال مُدَفَّعاً محاجزاً. و«**النَّوْطُ المُذَبْذَبُ**»: هو ما يُنَاطُ بِرَحْلِ الراكبِ من قَعْبٍ أو قدَحٍ أو ما أشبهَ ذلك، فهو أبداً يتقلقلُ إذا حثَّ ظهرَه واستعجل سيرَه.

[٤٥] ومن كتاب له عليه السلام

إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليهم.

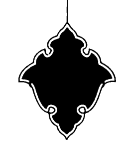
أَمَّا بَعْدُ، يَابْنَ حُنَيْفٍ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلى مَأْدُبَةٍ[2]، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ[3] الأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ.

---

(١) ليقتحم غفلته: أي ليلج ويهجم عليه وهو غافل.

(٢) المأدبة: الطعام يصنع لدعوة أو عرس.

(٣) تستطاب لك: يطلب لك طيّبها.



فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ[1] مِنْ هذَا الْمَقْضَمِ[2]، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ[3]، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ. أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ. أَلَا وَإِنَّكُمْ لا تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ. فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً. [وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْرَاً، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ، وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَهْوَنُ مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ].

بَلَى! كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ[4]. وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكَ وَغَيْرِ فَدَكَ، وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا[5] فِي غَدٍ جَدَثٌ[6]، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لَأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ[7]، وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ.

وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هذَا الْقَمْحِ،

(١) قَظِمَ: أكل بأطراف أسنانه.

(٢) المقضم: المأكل.

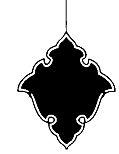
(٣) الفظه: إطرحه من فمك.

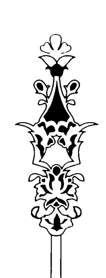
(٤) وكلامه عليه السلام هذا هو الدليل على عدم الإقدام لأخذ فدك عندما استخلفه الناس.

(٥) المظان: جمع مظنة وهو المكان الذي يظن فيه وجود الشيء.

(٦) جدث: قبر.

(٧) المدر: التراب المتلبّد أو قطع الطين.





وَنَسَائِجِ هذَا الْقَزِّ[1]، وَلكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لاطَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى[2]، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ ... وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ، وَلا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ! فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا[3]، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدًى، أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلَالَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ[4] طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ[5]!

وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هذَا قُوتَ ابْنِ أَبِي طَالِب، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ. أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ[6] أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ[7] أَرَقُّ جُلُوداً، وَالنَّابِتَاتِ العِذْيَةَ[8] أَقْوَى وَقُوداً، وَأَبْطَأُ خُمُوداً، وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ[9]،

---

(١) القزّ: الحرير.

(٢) بطون غرثى: جائعة. حرّى مؤنث حران: عطشان.

(٣) التقمّم: أكل الشاة ما بين يديها بمقمّتها أي شفتها.

(٤) الاعتساف: ركوب الطريق على غير قصد.

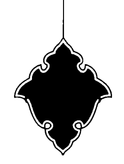
(٥) المتاهة: الحيرة.

(٦) الشجرة البرية: التي تنبت في البرّ الذي لا ماء فيه.

(٧) الروائع الخضرة: الأشجار الناعمة الغضّة التي تنبت في الأرض الندية.

(٨) العذي: الزرع لا يسقيه إلّا ماء المطر.

(٩) الصنوان: النخلتان يجمعهما أصل واحد.



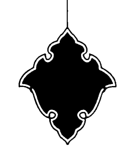
وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ. وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا، وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالجِسْمِ الْمَرْكُوسِ[١]، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ[٢] مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ[٣].

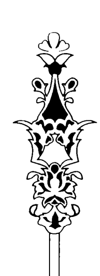
إِلَيْكِ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ[٤]، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ[٥].

أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ[٦]! أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ! هَاهُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ. وَاللهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً، وَقَالَباً حِسِّيّاً، لأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللهِ فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالأَمَانِي، وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ، وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ، إِذْ لا وِرْدَ وَلا صَدَرَ[٧]! هَيْهَاتَ! مَنْ وَطِىءَ دَحْضَكِ[٨] زَلِقَ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، وَمَنِ ازْوَرَّ[٩] عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ، وَالسَّالِمُ مِنْكِ لَايُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ[١٠]، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلَاخُهُ[١١].

---

(١) الركس: ردّ الشيء مقلوباً، وقلب آخره على أوله.
(٢) المدرة: قطعة الطين اليابس.
(٣) حب الحصيد: حب النبات المحصود.
(٤) الغارب: ما بين السنام إلى العنق.
(٥) المداحض: المزالق.
(٦) المداعب: جمع مدعبة من الدعابة وهي المزاح.
(٧) الورد: ورود الماء، والصَّدَر: الصدور عنه بعد الشرب.
(٨) الدحض: المكان الذي لا تثبت فيه الأرجل.
(٩) ازورّ: مال وتنكّب.
(١٠) مناخه: أي مقامه في الدنيا.
(١١) حان انسلاخه: حضر زواله.





اعْزُبِي عَنِّي! فَوَاللهِ لا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي، وَلا أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي. وَأَيْمُ اللهِ - يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ - لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ[1] مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً؛ وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي[2] كَعَيْنِ مَاءٍ، نَضَبَ مَعِينُهَا[3]، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا.

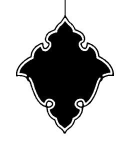
أَتَمْتَلِىءُ السَّائِمَةُ مِنْ رَعْيِهَا فَتَبْرُكَ! وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ[4] مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ[5]! وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ! قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ!

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا[6] بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا[7]، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى[8] عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِم شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ[9] بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِم ذُنُوبُهُمْ [﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

فَاتَّقِ اللهَ يَابْنَ حُنَيْفٍ، وَلْتَكْفُفْ أَقْرَاصُكَ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ].

---

(١) تهشّ: تتمنّى.
(٢) مقلتي: عيني.
(٣) نضب معينها: فني ماؤها.
(٤) الربيضة: الغنم مع رعاتها إذا كانت في مرابضها.
(٥) الربوض للغنم: كالبروك للإبل.
(٦) يقال: عرك فلان بجنبه الأذى: أي أغضى عنه وصبر عليه.
(٧) غمضها: نومها.
(٨) الكرى: النعاس.
(٩) تقشّعت: انحلّت وذهبت.



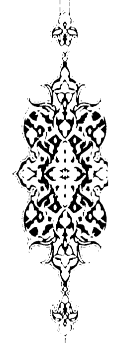
[٤٦] ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله[(١)]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الأَثِيمِ، وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ[(٢)] الثَّغْرِ[(٣)] الْمَخُوفِ.

فَاسْتَعِنْ بِاللهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ، وَاخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ، وَارْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ، وَاعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ حِينَ لا تُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشِّدَّةُ، وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، [وَابْسِطْ لَهُمْ وَجْهَكَ] وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، وَالإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ[(٤)]، وَلايَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ، وَالسَّلَامُ.

[٤٧] ومن وصية له للحسن والحسين عليهما السلام
لما ضربه ابن ملجم لعنه الله[(٥)]

أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللهِ، وَأَنْ لا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا، وَلا تَأْسَفَا عَلَى



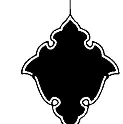
(١) أشار إليه البلاذري (ت٢٧٩) في أنساب الأشراف: ٣٩٨، ورواه باختلاف الثقفي (ت٢٨٣) في الغارات ١: ٢٥٧، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٧١، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الأمالي: ٧٩ وقال: «أخبرني أبو الحسن عليّ بن محمّد بن حبيش الكاتب، قال: أخبرني الحسن بن عليّ الزعفراني، قال: حدّثنا إبراهيم بن محمّد الثقفي، عن محمّد بن زكريا، عن عبدالله بن الضحاك، عن هشام بن محمّد».

(٢) اللهاة: قطعة لحم مدلاة في سقف الفم على باب الحلق.

(٣) الثغر: المكان الذي يظن طروق الأعداء له على الحدود

(٤) أي حتى لا يطمع العظماء في أن تماثلهم على حيف الضعفاء.

(٥) روى هذه الوصية بألفاظ مختلفة وباختلاف وتقديم وتأخير كل من سليم بن قيس الهلالي (ق ١) في كتابه: ٤٤٦، والأسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٤٥، والطبري (ت٣١٠) في تاريخه ٤: ١١٣، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٧: ٥١، وأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦) في مقاتل الطالبيين: ٢٤، والطبراني (ت ٣٦٠) في المعجم الكبير ١: ١٠١، والشيخ الصدوق (ت٣٨١) في من لا يحضره الفقيه ٤: ١٩٠، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٩٨، وروى صدره مختصراً القاضي النعمان (ت٣٦٣) في شرح الأخبار ٢: ٤٤٣، وغيرها من المصادر الكثيرة.





شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا، وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَاعْمَلَا لِلأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً.

أُوصِيكُمَا - وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي - بِتَقْوَى اللهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ والصِّيَامِ».

اللهَ اللهَ فِي الأَيْتَامِ، فَلَا تُغِبُّوا[1] أَفْوَاهَهُمْ، وَلا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ. وَاللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ. وَاللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ، لا يَسْبِقْكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ. وَاللهَ اللهَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ. وَاللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لا تُخْلُوهُ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا[2]. وَاللهَ اللهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ. وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ. لَا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ أَشْرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ.

ثمّ قال: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً، تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ. أَلَا لا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي. انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، وَلا يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ».

[٤٨] ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية[3]

وَإِنَّ الْبَغْيَ.........................

---

(١) أغبّ القوم: جاءهم يوماً وترك يوماً، أي صلوا أفواههم بالطعام ولا تقطعوه عنهم.

(٢) لم تناظروا: لم ينظر إليكم بالكرامة والرحمة.

(٣) رواه باختلاف المنقري(ت٢١٢) في وقعة صفين: ٤٩٣، وابن أعثم الكوفي(ت٣١٤) في الفتوح ٣: ١٩١.



وَالزُّورَ يُوتِغَانِ[١] الْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُبْدِيَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ[٢]، وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْراً بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَتَأَوَّلُوا عَلَى اللهِ فَأَكْذَبَهُمْ، فَاحْذَرْ يَوْماً يُغْتَبَطُ[٣] فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ، وَيَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَاذِبْهُ. وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا، وَلَكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ إِلى حُكْمِهِ، وَالسَّلَامُ.

[٤٩] ومن كتاب له عليه السلام إلى غيره[٤]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا، وَلَهَجاً بِهَا، وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، وَمِنْ وَرَاءِ ذلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ، وَنَقْضُ مَا أَبْرَمَ وَلَوِ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ، وَالسَّلَامُ.

[٥٠] ومن كتاب له عليه السلام إلى أمرائه على الجيوش[٥]

مِنْ عَبْدِاللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسَالِحِ[٦]:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ حَقّاً عَلَى الْوَالِي أَلَّا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ، وَلا

---

(١) يوتغان: يهلكان.

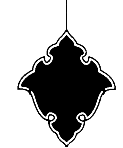
(٢) ما قضي فواته: أي ما فات منه لا يدرك.

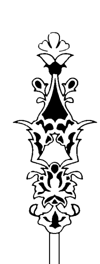
(٣) يغتبط فيه: يفرح ويسر.

(٤) والكتاب رواه باختلاف المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٤٩٨، والاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٠٣، والدينوري (ت ٢٨٢) في الأخبار الطوال: ١٩١، وابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ٣: ٦٩٢.

(٥) روى نحوه المنقري (ت٢١٢) في وقعة صفين: ١٠٧، والاسكافي (ت٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٠٣.

(٦) المسالح: جمع مسلحة أي الثغور.





طَوْلٌ[1] خُصَّ بِهِ، وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ، وَعَطْفاً عَلَى إِخْوَانِهِ.

أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أَحْتَجِزَ دُونَكُم سِرّاً إِلَّا فِي حَرْبٍ، وَلا أَطْوِيَ[2] دُونَكُمْ أَمْراً إِلَّا فِي حُكْمٍ، وَلا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ، وَلا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ[3]، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ وَجَبَتْ للهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ، وَلِي عَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ، وَأَلَّا تَنْكُصُوا[4] عَنْ دَعْوَةٍ، وَلا تُفَرِّطُوا فِي صَلَاحٍ، وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنِ اعْوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ، وَلا يَجِدُ عِنْدِي فِيها رُخْصَةً، فَخُذُوا هذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللهُ بِهِ أَمْرَكُمْ.

[٥١] ومن كتاب له عليه السلام إلى عماله على الخراج[5]

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ يَسِيرٌ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ.

---

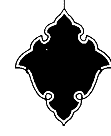
(١) الطَول: عظيم الفضل.

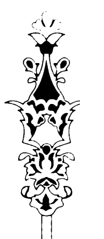
(٢) طواه عنه: لم يجعل له نصيباً فيه.

(٣) دون مقطعه: دون الحد الذي قطع به أن يكون لكم.

(٤) لا تنكصوا: لا ترجعوا.

(٥) روى نحوه المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ١٠٨، والاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٢٢.





فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، وَوُكَلاَءُ الأُمَّةِ، وَسُفَرَاءُ الأَئِمَّةِ.

وَلَا تَحْسِمُوا(١) أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ، وَلَاتَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ، وَلا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلا صَيْفٍ، وَلا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، وَلا عَبداً، وَلا تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَم، وَلا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، مُصَلٍّ وَلا مُعَاهَدٍ، إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلَاحاً يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الإِسْلَام، فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ.

وَلَا تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً، وَلا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ، وَلا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، وَلا دِينَ اللهِ قُوَّةً، وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِهِ(٢) مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ اصْطَنَعَ(٣) عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا، وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا، وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

[٥٢] ومن كتاب له عليه السلام
إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة

أَمَّا بَعْدُ، فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ(٤) الشَّمْسُ مِثْلَ مَرْبِضِ الْعَنْزِ(٥). وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ(٦) مِنَ النَّهَارِ

---

(١) لا تحسموا: لا تقطعوا.

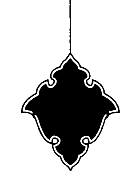
(٢) أبلوا في سبيله: اصطنعوا من المعروف في سبيل الله.

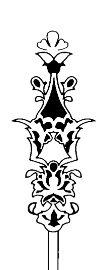
(٣) اصطنعت عنده: طلبت منه أن يصنع لي شيئاً.

(٤) تفيء: أي تصل في ميلها جهة الغرب إلى أن يكون لها ظل.

(٥) مثل مربض العنز: مثل موضع ربضها، وهو نحو ذراع.

(٦) في عضو: أي في مدّة.





حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ. وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ، وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ[1]. وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ. وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ والرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ. وَصَلُّوا بِهِمْ صَلَاةَ أَضْعَفِهِمْ، وَلا تَكُونُوا فَتَّانِينَ[2].

[٥٣] ومن عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النَّخَعي رحمه الله[3]

[لمّا ولاه] على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمّد بن أبي بكر رحمه الله، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن:

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَميرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ: جِبْوَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا.

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ ـ جَلَّ اسْمُهُ ـ قَدْ

(١) يدفع الحاج: أي يفيض من عرفات.

(٢) الفتان هنا: من يطيل الصلاة فيوجب تفرّق المأمومين عن الصلاة جماعة.

(٣) رواه ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٢٦، وأسنده النجاشي (ت ٤٥٠) في رجاله: ٨ وقال: «أخبرنا ابن الجندي، عن عليّ بن همام، عن الحميري، عن هارون بن مسلم، عن الحسين بن علوان، عن سعد ابن طريف، عن الأصبغ بالعهد» وكذلك أسنده الطوسي (ت ٤٦٠) في الفهرست: ٨٥ قائلاً: «أخبرنا بالعهد ابن أبي الجيّد، عن محمّد بن الحسن، عن الحميري، عن هارون بن مسلم، والحسن بن طريف جميعاً، عن الحسين بن علوان الكلبي، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عن أميرالمؤمنين».



تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ. وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا[١] عِنْدَ الْجَمَحَاتِ[٢]، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللهُ.

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ. فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ[٣] عَمَّا لا يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ وَكَرِهَتْ.

وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ[٤] مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي العَمْدِ وَالْخَطَإِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَ وَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ، وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ.

وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ، فَإِنَّهُ لا يَدَيْ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلا تُسْرِعَنَّ إِلَى

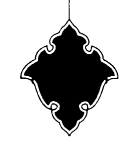
---

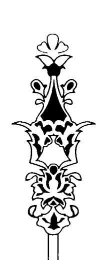
(١) يزعها: يكفّها.

(٢) الجمحات: منازعة النفس إلى شهواتها ومآربها.

(٣) شح بنفسك: ابخل بنفسك عن الوقوع في غير الحل.

(٤) يفرط: يسبق.





بَادِرَةٍ[(١)] وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ[(٢)] آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذلِكَ إِدْغَالٌ[(٣)] فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ[(٤)] لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ[(٥)].

وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لا تَقْدرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذلِكَ يُطَامِنُ[(٦)] إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ[(٧)]، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ.

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ[(٨)] اللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ. أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ[(٩)] حُجَّتَهُ، وَكَانَ للهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ.

وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ. وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا

---

(١) البادرة: ما يبدر من الحدّة عند الغضب.

(٢) مؤمّر: مسلط.

(٣) الإدغال: إدخال الفساد.

(٤) منهكة: مضعفة.

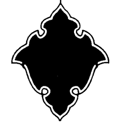
(٥) الغير: حادث الدهر بتبدّل الدول.

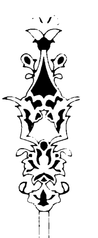
(٦) يطامن الشيء: يخفض منه.

(٧) الطماح: النشوز والجماح.

(٨) المساماة: المباراة في السموّ والعلوّ.

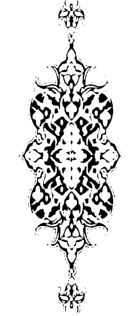
(٩) أدحض: أبطل.





الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ(١)، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ.

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ، أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالإِلْحَافِ(٢)، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ(٣) لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ.



وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ(٤) عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ، فإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللهُ مِنْكَ ما تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ. أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ(٥)، وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ(٦)، وَتَغَابَ عَنْ كلِّ مَا لا يَضِحُ(٧) لَكَ، وَلا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلا جَبَاناً يُضعِّفُكَ عَنِ الأُمُورِ، وَلا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ

---

(١) يجحف: يذهب، أي لا ينفع مع رضا الخاصة.

(٢) الإلحاف: الإلحاح والشدّة في السؤال.

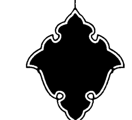
(٣) الصغو: الميل.

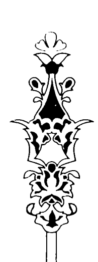
(٤) أشنأهم عندك: أبغضهم إليك.

(٥) أطلق عقدة كل حقد: أحلل عقد الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم.

(٦) الوتر: العداوة.

(٧) يضح: يظهر.





الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ.

شَرُّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ، فَلا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ[1]، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ[2] وَأَوْزَارِهِمْ[3] وَ آثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ، وَلا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ، أُولئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَاتَّخِذْ أُولئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ، وأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعاً ذلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ.

وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ[4] عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ وَلا وَيُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ[5]. وَلا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ؛ فَإِنَّ فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ، وَأَلْزِمْ كُلّاً مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ وَالٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ

---

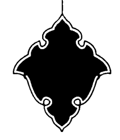
(١) الأثمة: جمع آثم، وهو فاعل الإثم أي الذنب.

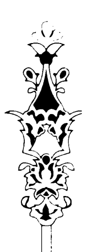
(٢) الآصار: جمع إصر وهو الوزر والثقل.

(٣) الأوزار: جمع وزر، وهو الذنب والإثم أيضاً.

(٤) رضهم: عوّدهم.

(٥) تدني: تقرّب، والعزّة ـ هنا ـ: الكبر.

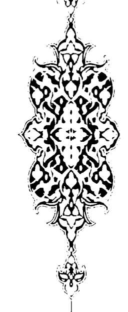




حَسُنَ بَلَاؤُكَ[1] عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ.

وَلا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هذِهِ الأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ، وَلا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ الأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا. وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَافَثَةَ[2] الْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ اللهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنْهَا عُمَّالُ الإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الجِزْيَةِ وَالْخَراجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَمِنهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَكُلّاً قَدْ سَمَّى اللهُ سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيضَتِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً.



فَالْجُنُودُ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلَاةِ، وعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ. ثُمَّ لا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا أَصْلَحَهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ.

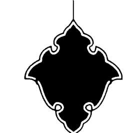
ثُمَّ لا قِوَامَ لِهذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ[3]، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وَعَوَامِّهَا.

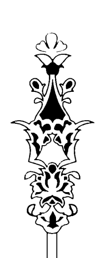
---

(١) البلاء ـ هنا ـ: الصنع مطلقاً حسناً كان أو قبيحاً.

(٢) المنافثة: المجالسة.

(٣) المعاقد: العقود وغيرها.





وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ[١]، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ[٢] بِأَيْدِيهِمْ مِمَّا لا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ. ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ[٣] وَمَعُونَتُهُمْ. وَفِي اللهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ.

[وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ مِنْ ذلِكَ إِلَّا بِالاهْتِمَامِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ].

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلإِمَامِكَ، [وَأَطْهَرَهُمْ] جَيْباً، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ؛ وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ. ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالأَحْسَابِ؛ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ.

ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلا يَتَفَاقَمَنَّ[٤] فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ. وَلا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

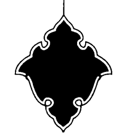
---

(١) مرافقهم: منافعهم.

(٢) الترفق: التكسّب.

(٣) رفدهم: مساعدتهم وصلتهم.

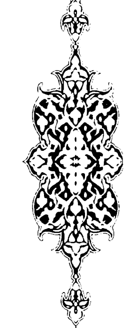
(٤) تفاقم الأمر: عظم.





وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ[1]، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.

[وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ،] وَلا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيِّطَتِهِمْ[2] عَلَى وُلَاةِ أُمُورِهِمْ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ.



فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُوالْبَلَاءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ[3]، إِنْ شَاءَ اللهُ.

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلا تَضُمَّنَّ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ، وَلا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعَظِّمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، وَلا ضَعَةُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلائِهِ مَاكَانَ عَظِيماً.

وَارْدُدْ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ[4]، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا

(١) من خلوف أهليهم: ممّن يخلفونه من أولادهم وأهليهم.

(٢) بحيطتهم: أي بتعطّفهم عليهم وتحنّنهم.

(٣) الناكل: القاعد.

(٤) يضلعك: يؤذيك ويضعفك، والخطوب: الأمور العظام.





ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، فَالرَّدُّ إِلَى اللهِ: الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ.

ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لا تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ، وَلا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ[1]، وَلا يَتَمادَى فِي الزَّلَّةِ[2]، وَلا يَحْصَرُ[3] مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ، وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ[4] عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لا يَزْدَهِيهِ[5] إِطْرَاءٌ، وَلا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، وَأُولئِكَ قَلِيلٌ.

ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ.

فَانْظُرْ فِي ذلِكَ نَظَراً بَلِيغاً، فَإِنَّ هذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا. ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً، وَلا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً[6] وَأَثَرَةً[7]، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ

---

(١) تمحّكه الخصوم: تجعله ما حقاً لجوجاً.

(٢) لا يتمادى: لا يستمر عليها، والزلّة: الخطأ.

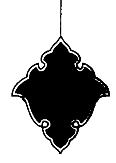
(٣) لا يحصر: لا يعجز عن النطق.

(٤) أصرمهم: أكثرهم صرماً وهو القاطع أي أقطعهم وأمضاهم.

(٥) يزدهيه: يستخفّه أو يجعله مزهوّاً.

(٦) محاباة: اختصاصاً وميلاً منك لمعاونتهم.

(٧) الأثرة: الاستبداد بلا مشورة.



الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ. وَتوخَّ[1] مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظَراً.

ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنىً لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ.

ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ[2] عَلَى اسْتِعْمَالِ الأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ.

وَتَحَفَّظْ مِنَ الأَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، اكْتَفَيْتَ بِذلِكَ شَاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَ وَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ.

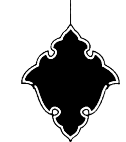
وَتفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلاحِهِ وَصَلاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ.

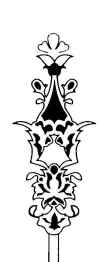
وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ، لِأَنَّ ذلِكَ لا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً.

---

(١) توخّ: اقصد واطلب.

(٢) حدوة لهم: سوق لهم وحثّ.





فَإِنْ شَكَوْا ثِقْلاً أَوْ عِلَّةً، أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةٍ[1]، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ[2]، أَوْ أَجْحَفَ[3] بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِما تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ، وَلا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ، وَتَزْيِينِ وِلَايَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ[4] فِيهِمْ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ، بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ[5] لَهُمْ، وَالثِّقَةِ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ؛ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ، فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ[6] أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ.

ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُودِ صَالِحِ الأَخْلَاقِ مِمَّنْ لا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ، فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلأٍ، وَلا تُقَصِّرُ بِهِ الْغَفْلَةُ[7] عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى

---

(١) بالّة: ما يبلّ الأرض من ندى ومطر.

(٢) إحالة أرض اغتمرها الغرق: أي كون الأرض قد حالت، ولم يحصل منها ارتفاع، لأنّ الغرق غمرها وأفسد زرعها.

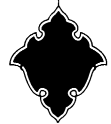
(٣) أجحف: أتلف.

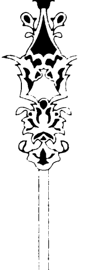
(٤) استفاضة العدل: ايصاله وانتشاره.

(٥) الإجمام: الترفيه والراحة.

(٦) الإعواز: الفقر والحاجة.

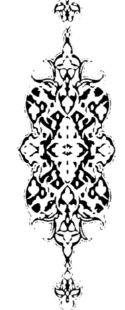
(٧) لا تقصر به الغفلة: أي لا تكون غفلته موجبة لتقصيره في اطلاعك على ما يرد عليك.





الصَّوَابِ عَنْكَ، وَفِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلا يُضعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفسِهِ فِي الأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ.

ثُمَّ لا يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ[(١)] وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالأَمَانَةِ شَيْءٌ؛ وَلكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً، وَأَعْرَفِهِمْ بِالأَمَانَةِ وَجْهاً، فَإِنَّ ذلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلّهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ. وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ، لا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْه أُلْزِمْتَهُ.



ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ[(٢)] بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ[(٣)]، وَجُلَّابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ[(٤)]، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لا تُخَافُ بَائِقَتُهُ[(٥)]، وَصُلْحٌ لا تُخْشَى غَائِلَتُهُ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ.

وَاعْلَمْ - مَعَ ذلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً، وَشُحّاً قَبِيحاً،

---

(١) الاستنامة: السكون والثقة.

(٢) المضطرب بماله: المتردّد به بين البلدان. المترفّق: المكتسب.

(٣) المرافق: ما ينتفع به من الأدوات والآنية.

(٤) المطارح: الأماكن البعيدة.

(٥) البائقة: الداهية.





وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ، فَامْنَعْ مِنَ الاحْتِكَارِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله مَنَعَ مِنْهُ.

وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً: بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ، وَعَاقِبْ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ.

ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُمْ، وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فَإِنَّ فِي هذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً[1]، وَاحْفَظْ لِلّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الإِسْلَامِ[2] فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ، فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ، فَإِنَّكَ لا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهِ لإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ.

فَلَا تُشْخِصْ[3] هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ[4]، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لأُولئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِم بِالإِعْذَارِ إِلَى اللهِ تَعَالَى يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيهِ.

وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ[5] مِمَّنْ لا حِيلَةَ لَهُ، وَلا يَنْصِبُ

---

(١) القانع: السائل، والمعتر: المتعرّض للعطاء بلا سؤال.

(٢) صوافي الإسلام: الأرضون التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

(٣) تشخص: تذهب.

(٤) تقتحمه العيون: تزدريه النفوس، فلا تقع عليه الأبصار.

(٥) ذوو الرقة في السن: المتقدّمون فيه.



لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذلِكَ عَلَى الْوُلَاةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ.

وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ[1]، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ».

ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ[2] مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحِّ عَنْكَ الضِّيقَ[3] وَالأَنَفَ، يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بِذلِكَ أَكْنَافَ[4] رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ، وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ[5]. ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ عِنْدَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ مِمَّا تَحْرَجُ[6] بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ.

وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ[7] تِلْكَ الأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلّٰهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ.

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ لِلّٰهِ بِهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ

(١) التعتعة في الكلام: التردّد فيه من عجز وعيّ.

(٢) الخُرق: الجهل أو الحمق.

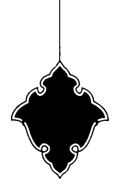
(٣) الضيق: ضيق الصدر بسوء الخلق.

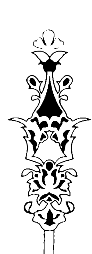
(٤) أكناف: أطراف.

(٥) امنع في إجمال وإعذار: أي إذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر.

(٦) تحرج: تضيق.

(٧) أجزل: أكثر وأعظم.





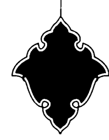
خَاصَّةً، فَأَعْطِ اللهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللهِ مِنْ ذلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ[1] وَلا مَنْقُوصٍ، بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ.

وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلاتِكَ لِلنَّاسِ، فَلَا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلا مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ وَجَّهَنِي إِلى الْيَمَنِ: كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً».

وَأَمَّا بَعْدَ هذا، فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ، وَالاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ، فَفِيمَ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ، أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنعِ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ! مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ ما لا مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ، مِنْ شَكَاةِ مَظْلَمَةٍ، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وبِطَانَةً، فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ [فِي مُعَامَلَةٍ]، فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ، وَلا تُقْطِعَنَّ[2] لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ[3] قَطِيعَةً، وَلا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ

(١) غير مثلوم: غير مخدوش.
(٢) الاقطاع: المنحة من الأرض.
(٣) الحامّة: الخاصّة والقرابة.



عُقْدَةٍ[١]، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ، فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ، يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً، وَاقِعاً ذلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ[٢] ذلِكَ مَحْمُودَةٌ. وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً، فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ؛ فَإِنَّ فِي ذلِكَ [رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ، وَ] إِعْذَاراً[٣] تَبْلُغُ فِيهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ.

وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ لِلّهِ فِيهِ رِضاً، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْناً لِبِلَادِكَ، وَلَكِنَّ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَاتَّهِمْ فِي ذلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ.

وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوٍّ لَكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً[٤] دُونَ مَا أَعْطَيْتَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً، مَعَ تَفْرِيقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشْتِيتِ آرَائِهِمْ، مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَقَدْ لَزِمَ ذلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا[٥] مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ، فَلَا

---

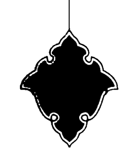
(١) الاعتقاد: الامتلاك، والعقدة: الضيعة.

(٢) المغبّة: العاقبة.

(٣) الإعذار: تقديم العذر.

(٤) الجُنة: الوقاية، أي حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك.

(٥) استوبلوا: وجدوه وبيلاً ثقيلاً.





تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ[1]، وَلا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لا يَجْتَرِئُ عَلَى اللهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ[2]، وَيَسْتَفِيضُونَ[3] إِلَى جِوَارِهِ، فَلَا إِدْغَالَ[4]، وَلا مُدَالَسَةَ، وَلا خِدَاعَ فِيهِ، وَلا تَعْقِدْ عَقْداً تَجُوزُ فِيهِ الْعِلَلُ[5]، وَلا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ القَوْلِ[6] بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ، وَلا يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللهِ إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللهِ فِيهِ طِلْبَةٌ، لا تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلا آخِرَتَكَ.

إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ، وَلا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ، لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ[7] الْبَدَنِ، وَإِنِ ابْتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ [أَوْ سَيْفُكَ]

---

(١) خاس بعهده: خانه ونقضه.

(٢) المنعة: ما تمتنع به من القوّة.

(٣) يستفيضون: يفزعون إليه.

(٤) الإدغال: الافساد.

(٥) العلل: جمع علّة، وهي ما يصرف الأمر والعقد عن وجهه.

(٦) لحن القول: ما يقبل التوجيه كالتورية والتعريض.

(٧) القود: القصاص.



أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ، فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ[1] فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً، فَلَا تَطْمَحَنَّ[2] بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ.

وَإِيَّاكَ وَالإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الإِطْرَاءِ؛ فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ، لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ. وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الإِحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَاللهِ وَالنَّاسِ، قَالَ اللهُ سبحانه: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوِ التَّسَاقُطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذا تَنَكَّرَتْ، أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ، فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ.

وَإِيَّاكَ وَالاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ، وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الأُمُورِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ، اِمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ[3]، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ[4]، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ[5] لِسَانِكَ، وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ[6]، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الاخْتِيَارَ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.

---

(١) الوكزة: الضربة بجمع الكف.

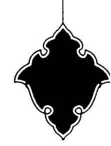
(٢) تطمحنّ بك: ترتفعنّ بك.

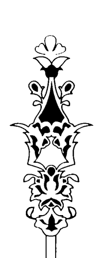
(٣) في مجمع البحرين: «املك حمية أنفك» يريد التكبّر.

(٤) السورة: الحدّة، حدّك: بأسك.

(٥) الغرب: الحدّ.

(٦) الكفّ: المنع، والبادرة: ما يبدر من الإنسان عند الغضب.





وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ: مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وآله أَوْفَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هذَا، وَاسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ، لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا، فَلَنْ يَعْصِمَ مِنَ السُّوءِ وَلا يُوَفِّقَ لِلْخَيْرِ إِلَّا اللهُ تَعَالى.

وَقَدْ كَانَ فِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُهُ عليه السلام فِي وَصَايَاهُ: «تَحضِيْضاً عَلَى الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»، فَبِذَلِكَ أَخْتِمُ لَكَ مَا عَهِدْتُ، وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَظِيمِ.

ومن هذا العهد وهو آخره:

وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فيهِ رِضَاهُ مِنَ الإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ، وَجَمِيلِ الأَثَرِ فِي الْبِلَادِ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله كثيراً.

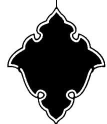
[٥٤] ومن كتاب كتبه عليه السلام

إلى طلحة والزبير، مع عمران بن الحصين الخزاعي

وقد ذكره أبو جعفر الإسكافي في كتاب المقامات(١):

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُما، وَإِنْ كَتَمْتُما، أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي،

(١) لم نعثر على كتاب المقامات لأبي جعفر الاسكافي، ولكن رواه أيضاً ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ٦٦، وابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ٢: ٤٦٥.



وَلَمْ أُبايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي، وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي، وَإِنَّ العَامَّةَ لَمْ تُبايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَاصِبٍ، وَلا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ، فَإِنْ كُنْتُما بَايَعْتُماني طَائِعَيْنِ، فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللهِ مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ كُنْتُما بَايَعْتُمانِي كَارِهَيْنِ، فَقَدْ جَعَلْتُما لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ، وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ، وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُما بِأَحَقِّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَانِ؛ وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هذَا الأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ، كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ، بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ.

وَقَدْ زَعَمْتُما أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمانَ، فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ امْرِىءٍ بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ. فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا، فَإِنَّ الآنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا الْعَارُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعَ الْعَارُ وَالنَّارُ، وَالسَّلَامُ.

[٥٥] ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية[١]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا، وَلا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا، وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا، وَقَدِ ابْتَلَانِي بِكَ وَابْتَلَاكَ بِي، فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الآخَرِ، فَعَدَوْتَ[٢] عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلا لِسَانِي، وَعَصَيْتَهُ أَنْتَ وأَهْلُ الشَّامِ بِي، وَأَلَّبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ، وَقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ.

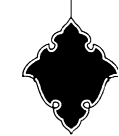
فَاتَّقِ اللهَ فِي نَفْسِكَ، وَنَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ[٣]، وَاصْرِفْ إِلَى الآخِرَةِ وَجْهَكَ، فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ.

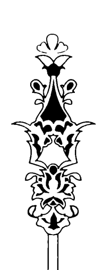
---

(١) رواه مختصراً الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٣٧.

(٢) عدوت: وثبت.

(٣) القياد: الزمام، ونازعه قياده: إذا لم يسترسل معه.





وَاحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ(١) تَمَسُّ الأَصْلَ(٢)، وَتَقْطَعُ الدَّابِرَ، فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِاللهِ أَلِيَّةً(٣) غَيْرَ فَاجِرَةٍ، لَئِنْ جَمَعَتْنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ الأَقْدَارِ لا أَزَالُ بِبَاحَتِكَ(٤) حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

[٥٦] ومن كلام وصّى به شريح بن هانىء لما جعله على مقدمته إلى الشام(٥)

اتَّقِ اللهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغَرُورَ، وَلا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ، سَمَتْ(٦) بِكَ الأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ. فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً، وَلِنَزْوَتِكَ(٧) عِنْدَ الْحَفِيظَةِ(٨) وَاقِماً قَامِعاً(٩).

[٥٧] ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة(١٠)

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هذَا إِمَّا ظَالِماً، وَإِمَّا مَظْلُوماً، وَإِمَّا

---

(١) القارعة: الداهية المهلكة.

(٢) تمسّ الأصل: تصيبه وتقلعه.

(٣) أُولي ألية: احلف بالله حلفة غير حانثة.

(٤) الباحة: الساحة.

(٥) رواه المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ١٢١ عن عمر بن سعد، عن يزيد بن خالد بن قطن، والاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٤٠، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٩١، علماً أنّ المصادر تشير إلى أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام جعل زياد بن النضر الحارثي وشريح بن هانئ كلاهما على مقدمته، وأنّ الكلام كان موجّهاً إلى زياد بن النضر.

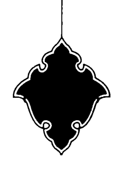
(٦) سمت: ارتفعت.

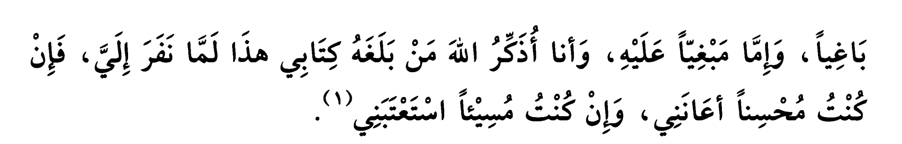
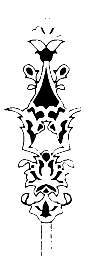
(٧) النزوة: من نزا ينزو، أي وثب.

(٨) الحفيظة: الغضب.

(٩) وقمه: قهره، وقمعه: ردّه وكسره.

(١٠) روى نحوه الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٣: ٥١٢.



بَاغِياً، وَإِمَّا مَبْغِيّاً عَلَيْهِ، وَأنا أُذَكِّرُ اللهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أعَانَنِي، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً اسْتَعْتَبَنِي(١).

[٥٨] ومن كتاب كتبه عليه السلام

إلى أهل الأمصار يقتصّ فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين

وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا الْتَقَيْنَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي الإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ، لَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الإِيمَانِ بِاللهِ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ صلى الله عليه وآله، وَلا يَسْتَزِيدُونَنَا، وَالأَمْرُ وَاحِدٌ، إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بُرَاءٌ(٢).

فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِي مَا لا يُدْرَكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ(٣)، وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ، حَتَّى يَشْتَدَّ الأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ، فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ. فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ(٤)، فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ(٥) الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ(٦)، وَوَقَدَتْ نِيرَانُهَا وَحَمِشَتْ(٧). فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا(٨) وَإِيَّاهُمْ، وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا(٩)

---

(١) استعتبني: طلب العتاب منّي حتى أهمل هذا الأمر، أو طلب منّي إزالة العتب.

(٢) كلامه عليه السلام ورد قبل الاقتتال وصدق المحاربة، فمن الواضح أنّ حالهم كان على ظاهر الإسلام، ولكن بعد المحاربة فيصدق عليهم عنوان النصب للإمام، وهو موجب للكفر بلا خلاف، كما يشير إليه ذيل كلامه عليه السلام بأنّ من أذعن للحقّ منهم نجا من الهلكة، ومن تمادى ولجّ صارت دائرة السوء على رأسه، وكما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «حربك حربي».

(٣) النائرة: مفعلة من النار.

(٤) المكابرة: المعاندة.

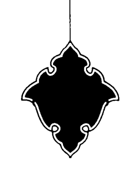
(٥) جنحت: مالت وأقبلت.

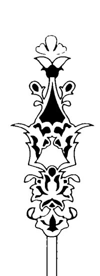
(٦) ركدت: سكنت ووقفت.

(٧) حمشت: استقرّت وشبّت.

(٨) ضرّستنا: عضّتنا بأضراسها.

(٩) المخلب: ظفر السبع.





فِينَا وَفِيهِمْ، أَجَابُوا عِنْدَ ذلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا، حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمُ الْمَعْذِرَةُ.

فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ[1] الَّذِي رَانَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ.

[٥٩] ومن كتاب له عليه السلام

إلى الأسود بن قُطَبَةَ صاحب جند حُلوان

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْوَالِيَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ[2] مَنَعَهُ ذلِكَ كَثِيراً مِنَ الْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ، فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ، وَابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ، رَاجِياً ثَوَابَهُ، وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا قَطُّ فِيهَا سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَداً، وَمِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ، وَالاحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ[3] بِجُهْدِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ، وَالسَّلَامُ.

[٦٠] ومن كتاب له عليه السلام

إلى العمال الذين يطأ عمَلَهُم الجيش

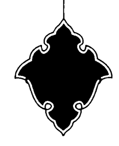
مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِالْمُؤمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ الْخَرَاجِ وَعُمَّالِ الْبِلَادِ.

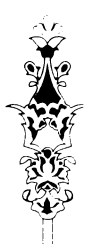
---

(١) الراكس: الناكث لعهده.

(٢) اختلف هواه: جرى تبعاً لمآربه الشخصيّة.

(٣) الاحتساب على الرعية: مراقبة أعمالها وإصلاح ما فسد منها.

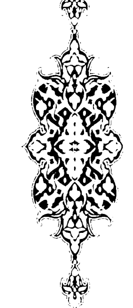




أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ للهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الأَذَى، وَصَرْفِ الشَّذَى[١]، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ[٢]، إِلَّا مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ، لا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَى شِبَعِهِ.

فَنَكِّلُوا[٣] مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَادَّتِهِمْ، وَالتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيما اسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ الْجَيْشِ، فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ، وَمَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَلا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللهِ وَبِي، أُغَيِّرْهُ بِمَعُونَةِ اللهِ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

[٦١] ومن كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي[٤]



وهو عامله على هيت، يُنكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالباً للغارة:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَا وُلِّيَ، وَتَكَلُّفَهُ مَا كُفِيَ، لَعَجْزٌ حَاضِرٌ، وَرَأْيٌ مُتَبَّرٌ[٥]، وَإِنَّ تَعَاطِيَكَ الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ قِرْقِيسِيَا، وَتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ[٦] الَّتِي وَلَّيْنَاكَ - لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا، وَلا يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا - لَرَأْيٌ شَعَاعٌ[٧]. فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ، غَيْرَ شَدِيدِ الْمَنْكِبِ[٨]، وَلا مَهِيبِ الْجَانِبِ، وَلا سَادٍّ ثُغْرَةً، وَلا

---

(١) الشذى: الضرّ والشرّ.

(٢) معرّة الجيش: أذاه ومضرّته.

(٣) نكّلوا: أوقعوا النكال والعقاب.

(٤) روى صدره البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ٤٧٣.

(٥) المتبّر: الهالك.

(٦) المسالح: المواضع التي يقام فيها طائفة من الجند لحمايتها.

(٧) شعاع: متفرق.

(٨) المنكب: مجتمع الكتف والعضد.





كَاسِرٍ لِعَدُوٍّ شَوْكَةً، وَلا مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ، وَلا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ، وَالسَّلامُ.

[٦٢] ومن كتاب كتبه عليه السلام إلى أهل مصر
مع مالك الأشتر لما ولّاه إمارتَها[(١)]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَمُهَيْمِناً[(٢)] عَلَى الْمُرْسَلِينَ.

فلمَّا مَضى صلى الله عليه وآله تنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَاللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي[(٣)]، وَلا يَخْطُرُ بِبَالِي، أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صلى الله عليه وآله عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ!

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلَامِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ، كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ[(٤)].

ومن هذا الكتاب:

إِنِّي وَاللهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِداً وَهُمْ طِلَاعُ الأَرْضِ[(٥)] كُلِّهَا مَا بَالَيْتُ وَلا

---

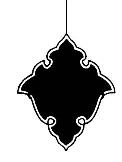
(١) رواه باختلاف ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٣٣، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ٣٠٥، والطبري الشيعي (ق ٤) في المسترشد: ٤١١.

(٢) المهيمن: الشاهد.

(٣) الروع: القلب.

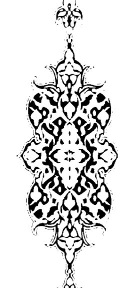
(٤) تنهنه: سكن.

(٥) طلاع الأرض: ملؤوها.



اسْتَوْحَشْتُ، وَإِنِّي مِنْ ضَلاَلِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَالْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي. وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللهِ لَمُشْتَاقٌ، وَلِحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ، وَلكِنَّنِي آسَى أَنْ يَلِيَ هذِهِ الأُمَّةَ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا، فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللهِ دُوَلاً[1]، وَعِبَادَهُ خَوَلاً[2]، وَالصَّالِحِينَ حَرْباً، وَالْفَاسِقِينَ حِزْباً، فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِي شَرِبَ فِيكُمُ الْحَرَامَ، وَجُلِدَ حَدّاً فِي الإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الإِسْلَامِ الرَّضَائِخُ، فَلَوْلَا ذلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ وَتَأْنِيبَكُمْ، وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيضَكُمْ، وَلَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ[3].

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدِ انْتَقَصَتْ[4]، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدِ افْتُتِحَتْ، وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تُزْوَى، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى! انْفِرُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، وَلا تَثَّاقَلُوا إِلَى الأَرْضِ فَتُقِرُّوا بِالْخَسْفِ[5]، وَتَبُوؤُوا[6] بِالذُّلِّ، وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ الأَخَسَّ، وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الأَرِقُ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عنْهُ، وَالسَّلَامُ.



[٦٣] ومن كتاب كتبه عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري

وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تثبيطُه الناسَ عن الخروج إليه لمّا ندبهم لحرب أصحاب الجمل:

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ. أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي

(١) دولاً: أي شيئاً يتداولونه بينهم يتصرفون فيه كما شاؤوا.

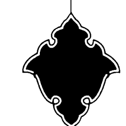
(٢) خولاً: خدماً وعبيداً.

(٣) ونيتم: أبطأتم عن إجابتي.

(٤) أطراف البلاد: جوانبها، وانتقاصها: استيلاء العدو عليها.

(٥) تقرّوا بالخسف: تعترفوا بالضيم.

(٦) تبوؤوا: تعودوا.





عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رَسُولي فَارْفَعْ ذَيْلَكَ، واشْدُدْ مِئْزَرَكَ[1]، واخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ[2]، وَانْدُبْ مَنْ مَعَكَ، فَإِنْ حَقَّقْتَ فَانْفُذْ[3]، وَإِنْ تَفَشَّلْتَ[4] فَابْعُدْ.

وَأَيْمُ اللهِ لَتُؤْتَيَنَّ حَيْثُ أَنْتَ، وَلا تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ، وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ[5]، وَحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قِعْدَتِكَ، وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ، وَمَا هِيَ بِالْهُوَيْنَى[6] الَّتِي تَرْجُو، وَلكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى، يُرْكَبُ جَمَلُهَا، وَيُذَلُّ صَعْبُهَا، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا.

فَاعْقِلْ عَقْلَكَ، وَامْلِكْ أَمْرَكَ، وَخُذْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ، فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ وَلا فِي نَجَاةٍ، فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ، حَتَّى لا يُقَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ[7]؟ وَاللهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ، وَمَا أُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ، وَالسَّلَامُ.

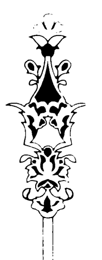
[٦٤] ومن كتاب له عليه السلام

كتبه إلى معاوية، جواباً عن كتاب منه[8]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَفَرَّقَ بَيْنَنَا

(١) رفع الذيل وشدّ المئزر: كناية عن التشمير للجهاد.
(٢) الجحر: بيت الضب أو الثعلب تحت الأرض.
(٣) إن حققت فانفذ: أي إن أخذت بالحقّ والعزيمة، فانفذ: أي امض إلينا.
(٤) تفشّلت: جبنت.
(٥) الخاثر: اللبن الغليظ، والزبد: خلاصة اللبن وصفوته، والكلام تمثيلٌ لاختلاط الأمر عليه من الحيرة.
(٦) الهوينى: الشيء الهيّن.
(٧) أي لست معدوداً عندنا ولا عند الناس من الرجال الذين تفتقر الحروب إليهم، ولا يقال: أين فلان؟.
(٨) رواه ابن قتيبة مختصراً في الإمامة والسياسة ١: ٧٠، ورواه الطبرسي في الاحتجاج =



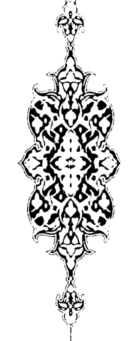


وَبيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَكَفرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كَرْهاً، وَبعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ[1] الإِسْلَامِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِزْباً. وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْر، وَشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ، وَنَزَلْتُ بيْنَ الْمِصْرَيْنِ! وَذلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ، فَلَا عَلَيْكَ، وَلا الْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ.

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ، فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ[2]، فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ، وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ:

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ ... بِحَاصِبٍ[3] بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلْمُودِ[4]

وَعِنْدِيَ السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ[5] بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّكَ وَاللهِ مَا عَلِمْتُ الأَغْلَفُ الْقَلْبِ[6]، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ[7]، وَالأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سَوْءٍ عَلَيْكَ لا لَكَ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ، وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلا فِي مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ!!



= ١ : ٢٦٣، وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ١٧ : ٢٥١ كتاب معاوية إلى عليّ عليه السلام وقال: «أما الكتاب الذي كتبه إليه معاوية وهذا الكتاب جوابه...» مما يدلّ على أنّ الشارح كان مطّلعاً على المصادر التي ذكرت الحدث.

(١) أنف كل شيء: أوّله وطرفه.

(٢) استرفه: تأنّ واسكن.

(٣) الحاصب: صغار الحصى.

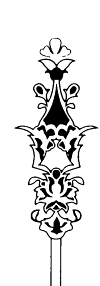
(٤) الأغوار: جمع غور، ما اطمأنّ من الأرض، والجلمود: الصخر.

(٥) أعضضته: جعلته يعضّه.

(٦) أغلف القلب: الذي لا يدرك، كأنّ قلبه في غلاف لا يصل إليه نور الحقّ.

(٧) المقارب العقل: الذي عقله ليس بجيد.





وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ! حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ، وَتَمَنِّي الْبَاطِلِ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ، لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً، بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلَا مِنْهَا الْوَغَى[1]، وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَى. وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمانَ، فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ، أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ.

وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ.

[٦٥] ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً[2]

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ[3] مِنْ عِيَانِ الأُمُورِ[4]، فَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِادِّعَائِكَ الأَبَاطِيلَ، وَإِقْحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ[5] وَالأَكَاذِيبِ، وَبِانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ، وَابْتِزَازِكَ[6] لِمَا قَدِ اخْتُزِنَ دُونَكَ، فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ، وَجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ، مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ، وَمُلِىءَ بِهِ صَدْرُكَ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ، فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَاشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا[7]، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا

---

(١) الوغى: الحرب.

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرحه ١٨ : ٢٧ : «وهذا الكتاب هو جواب كتاب وصل من معاوية إليه عليه السلام بعد قتل علي عليه السلام الخوارج» ممّا يدل على اطلاعه على المصادر.

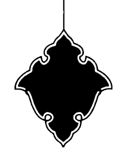
(٣) اللمح الباصر: الأمر الواضح.

(٤) عيان الأمور: مشاهدتها ومعاينتها.

(٥) الاقتحام، الإدخال على سبيل الشدّة. المين: الكذب.

(٦) ابتزازك: سلبك.

(٧) لبستها: إشكالها وعدم بيانها.



أَغْدَفَتْ جَلَابِيبَهَا(١)، وَأَعْشَتِ الأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا(٢). وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ(٣) مِنَ الْقَوْلِ ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السِّلْمِ، وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحُكْهَا(٤) مِنْكَ عِلْمٌ وَلا حِلْمٌ، أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ(٥)، وَالْخَابِطِ(٦) فِي الدِّيمَاسِ(٧)، وَتَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبَةٍ(٨) بَعِيدَةِ الْمَرَامِ، نَازِحَةِ الأَعْلَامِ(٩)، تَقْصُرُ دُونَهَا الأَنُوقُ(١٠)، وَيُحَاذَى بِهَا الْعَيُّوقُ(١١). وَحَاشَ لِلّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدْراً أَوْ وِرْداً، أَوْ أُجْرِيَ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً، فَمِنَ الآنَ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ، وَانْظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ(١٢) إِلَيْكَ عِبَادُ اللهِ أُرْتِجَتْ عَلَيْكَ الأُمُورُ، وَمُنِعْتَ أَمْراً هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ [وَالسَّلامُ].

[٦٦] ومن كتاب كتبه عليه السلام إلى عبدالله بن العباس رحمه الله(١٣)

وقد مضى هذا الكتاب فيما تقدّم بخلاف هذه الرواية:

---

(١) أغدفت: أرسلت، والجلابيب: جمع جلباب وهو الثوب الأعلى يغطي ما تحته.

(٢) أعشت الأبصار ظلمتها: أي أكسبتها العشى وهو ظلمة العين.

(٣) الأفانين: الأساليب المختلفة.

(٤) حاكه يحوكه: نسجه.

(٥) الدهاس: المكان السهل الليّن.

(٦) الخابط في السير: الذي لا يهتدي.

(٧) الديماس: المكان المظلم تحت الأرض.

(٨) المرقبة: الموضع العالي.

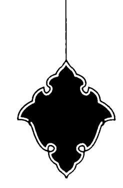
(٩) نازحة: بعيدة، والأعلام: جمع علم وهو ما ينصب ليهتدى به.

(١٠) الأنوق: طائر أصلع الرأس أصفر المنقار، يقال: أعزّ من بيض الانوق إذ تحرزه فلا تكاد تظفر به، لأنّ أوكارها في القلل الصعبة.

(١١) العيوق: كوكب معروف فوق زحل في العلوّ.

(١٢) ينهد: ينهض.

(١٣) رواه المنقري (ت٢١٢) في وقعة صفين: ١٠٧، والبلاذري (ت٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١١٦ عن هشام الكلبي عن أبيه، واليعقوبي (ت٢٨٤) في تاريخه٢: =





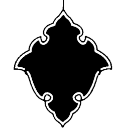
أَمَّا بَعْدُ، فإِنَّ العَبْدَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغُ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءُ غَيْظٍ، وَلكِنْ إِطْفَاءُ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءُ حَقٍّ. وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وَأَسَفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ، وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

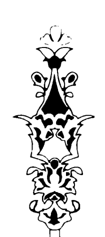
[٦٧] ومن كتاب كتبه عليه السلام
إلى قُثَمِ بن العباس رحمه الله وهو عامله على مكة

أَمَّا بَعْدُ، فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ، وَاجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ، فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِيَ، وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ، وَذَاكِرِ الْعَالِمَ، وَلا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ، وَلا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ، وَلا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا، فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا[1] لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا.

= ٢٠٥، وابن شعبة(ق٤) في تحف العقول: ٢٠٠، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٢٤٠ ح ٣٢٧ قال: «عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عليّ بن أسباط يرفعه»، امّا ابن عساكر (ت٥٧١) فقد رواه في تاريخ دمشق ٤٢: ٥٠٤ بهذه الأسانيد، قال: «أخبرنا أبوالقاسم إسماعيل بن أحمد، وأبوعبدالله الحسين بن عليّ بن أحمد السالنجي المقري، وأبوالبركات يحيى بن الحسن بن الحسين المدائني، وأبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزدي سنة أربع عشرة وثلاثمائة، أنبأنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس، قال: بلغني انّ ابن عباس كان يقول... أخبرنا بهذا أبو غالب البنا، أنبأنا أبو محمّد الجوهري، أنبأنا عبيد الله بن عبدالرحمن الزهري، أنبأنا أبوعمر حمزة بن القاسم بن عبدالعزيز الهاشمي، أنبأنا أبو عبدالله الحسين بن عبيدالله، حدّثني إبراهيم بن سعيد، حدّثني أميرالمؤمنين المأمون، حدّثني أميرالمؤمنين الرشيد، حدّثني أميرالمؤمنين المهدي، حدّثني أميرالمؤمنين المنصور، ح[حيلولة]، وأخبرنا أبو القاسم ابن السمرقندي... أنبأنا أبو إسحاق الصائغ، حدّثني المأمون، حدّثني الرشيد، حدّثني المهدي، حدّثني المنصور، حدّثني أبي عن أبيه، قال: قال لي عبدالله بن عباس ...».

(١) وردها: ورودها.





وَانْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ، مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْمَفَاقِرِ وَالْخَلَّاتِ[1]، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا. وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلَّا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾ فَالْعَاكِفُ: الْمُقِيمُ بِهِ، وَالْبَادِي: الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ، وَالسَّلَامُ.

[٦٨] ومن كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته[2]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ: لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سُمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا، لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا، أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ، أَوْ إِلَى إِينَاسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلى إِيْحَاشٍ.

[٦٩] ومن كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهَمَذاني رحمه الله

وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرآنِ، وَانْتَصِحْهُ، وَأَحِلَّ حَلَالَهُ، وَحَرِّمْ حَرَامَهُ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ، وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا، فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً، وَآخِرَهَا لَاحِقٌ بِأَوَّلِهَا، وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ. وَعَظِّمِ اسْمَ اللهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ. وَأَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوتِ، وَلا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ.

---

(١) الخلّة: الحاجة.

(٢) رواه باختلاف الشيخ المفيد (ت٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٣٣، وابن مسكويه (ت٤٢١) في الحكمة الخالدة: ١١١، وابن سلامة (ت ٤٥٤) في دستور معالم الحكم: ٣٨.





وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ، وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ، واحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوِ اعْتَذَرَ مِنْهُ.

وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ الْقَوْلِ[١]، وَلا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ، فَكَفَى بِذلِكَ كَذِباً، وَلا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ، فَكَفَى بِذلِكَ جَهْلاً.

وَاكْظِمِ الْغَيْظَ وَاحْلُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَتَجاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ، وَاصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ[٢]، تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ. وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَيْكَ، وَلا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللهِ عِنْدَكَ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً[٣] مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَإِنَّكَ مَا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ، وَمَا تُؤَخِّرْهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ. وَاحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ، وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ.

وَاسْكُنِ الأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ وَقِلَّةِ الأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَاقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ، وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الأَسْوَاقِ، فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ. وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ. وَلا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا فَاصِلاً[٤] فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ. وَأَطِعِ اللهَ فِي جُمَلِ أُمُورِكَ، فَإِنَّ طَاعَةَ اللهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا.

---

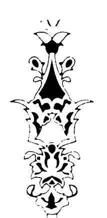
(١) أي لا تعرّض نفسك لمذمّة الناس بفعلك ما لا يليق وتركك ما يليق.

(٢) اصفح مع الدولة: أي عندما تكون لك السلطة.

(٣) تقدمة: أي بذلاً وانفاقاً.

(٤) فاصلاً: ذاهباً.





وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ، وَارْفُقْ بِهَا وَلا تَقْهَرْهَا، وَخُذْ عَفْوَهَا[1] وَنَشَاطَهَا، إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، فَإِنَّهُ لا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحلِّهَا. وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ، فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ. وَوَقِّرِ اللهَ وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ، وَاحْذَرِ الْغَضَبَ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ، وَالسَّلَامُ.

[٧٠] ومن كتاب له عليه السلام
إلى سهل بن حُنَيف الأنصاري

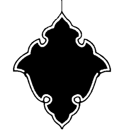
وهو عامله على المدينة، في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية[2]:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُونَ[3] إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكَفى لَهُمْ غَيّاً، وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً، فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى والْحَقِّ، وَإِيضَاعُهُمْ[4] إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ، وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا، قَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ، وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ، فَهَرَبُوا إِلَى الأَثَرَةِ[5]، فَبُعْداً لَهُمْ وَسُحْقاً[6].

إِنَّهُمْ ـ وَاللهِ ـ لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرٍ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هذَا الأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ اللهُ لَنَا صَعْبَهُ، وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزْنَهُ، إِنْ شَاءَ اللهُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

---

(١) ـ خذ عفوها: أي وقت فراغها وارتياحها.
(٢) ورواه باختصار البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١٥٧.
(٣) يتسلّلون: يهربون في خفى واستتار.
(٤) الإيضاع: الإسراع.
(٥) الأثرة: اختصاص النفس بالمنفعة وتفضيلها على غيرها بالفائدة.
(٦) السُحق: البعد أيضاً.





[٧١] ومن كتاب له عليه السلام
إلى المنذر بن الجارود العَبْدي
وقد خان في بعض ما ولّاه من أعماله(١)

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ(٢)، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ(٣) إِلَيَّ عَنْكَ لاتَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً، وَلا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً(٤)، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ.

وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً، لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ(٥) نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيَانَةٍ. فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هذَا إِنْ شَاءَ اللهُ.

والمنذر هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: **إنّه لنظّارٌ في عِطْفَيْهِ(٦)، مُختالٌ في بُرْدَيْه(٧)، تَفّالٌ في شِرَاكَيْهِ(٨).**

---

(١) ورواه البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١٦٣، واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٣.

(٢) الهدي: الطريقة والسيرة.

(٣) رُقي: رُفع.

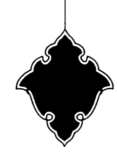
(٤) العتاد: الذخيرة المعدّة لوقت الحاجة.

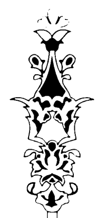
(٥) الشسع: سير بين الإصبع الوسطى والتي تليها في النعل العربي.

(٦) نظار: كثير النظر، والعِطف: الجانب، أي كثير النظر في جانبيه عجباً وخيلاء.

(٧) المختال: المعجب، والبرد: هو الثوب المخطّط.

(٨) التفل: مصدر تفل أي بصق، والشراك: السير الذي يكون في النعل على ظهر القدم، وإنّما يفعله المعجب والتائه في شراكيه ليذهب عنهما الغبار.





[٧٢] ومن كتاب له عليه السلام
إلى عبدالله بن العباس

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ، وَلا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ. وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ[١]، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.

[٧٣] ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ، وَالاسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ، لَمُوَهِّنٌ رَأْيِي، وَمُخَطِّئٌ فِرَاسَتِي. وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي الأُمُورَ وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ، كَالْمُسْتَثْقِلِ النَّائِمِ تَكْذِبُهُ أَحلاَمُهُ، وَالْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ[٢] مَقَامُهُ؛ لا يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ، وَلَسْتَ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ[٣].

وَأُقْسِمُ بِاللهِ لَوْلَا بَعْضُ الاسْتِبْقَاءِ لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ[٤]، تَقْرَعُ الْعَظْمَ[٥]، وَتَهْلِسُ اللَّحْمَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ، وَتَأْذَنَ[٦] لِمَقَالِ نَصِيحَتِكَ، وَالسَّلاَمُ.

[٧٤] ومن حِلْف كتبه عليه السلام بين اليمن وربيعة

نُقل من خط هشام ابن الكلبي:

---

(١) دُوَل: جمع دُولة ـ بالضم ـ ما يتداول من السعادة في الدنيا.

(٢) يبهظه: يثقله ويشق عليه مقامه.

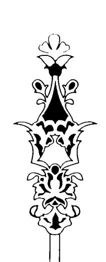
(٣) أي لست بمتحيّر حيرة حقيقية صادرة عن جهل بالحقّ وسبيله، وإنّما حيّرت نفسك عمداً وقصداً للدنيا.

(٤) القوارع: الدواهي.

(٥) تقرع العظم: تكسره.

(٦) تأذن: تسمع وتعي.





هذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا[١]، وَرَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا: أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ، وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ، لا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً، وَلا يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلاً، وَأَنَّهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَتَرَكَهُ، أَنْصَارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، لاَيَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَةِ[٢] عَاتِبٍ، وَلا لِغَضَبِ غَاضِبٍ، وَلا لِاسْتِذْلَالِ قَوْمٍ قَوْماً، وَلا لِمَسَبَّةِ قَوْمٍ قَوْماً.

عَلَى ذلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ، وَسَفِيهُهُمْ وَعَالِمُهُمْ، وَحَلِيمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذلِكَ عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ، إِنَّ عَهْدَ اللهِ كَانَ مَسْؤُوْلاً.

و كتب: عَلِيُّ بن أَبي طَالبٍ.

[٧٥] ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية من المدينة في أوّل ما بويع له بالخلافه

ذكره الواقدي في كتاب الجمل:

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي[٣] فِيكُمْ، وَإِعْرَاضِي عَنْكُمْ، حَتَّى كَانَ مَا لا بُدَّ مِنْهُ وَلا دَفْعَ لَهُ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ، وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ، وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ، فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ، وَأَقْبِلْ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ، وَالسَّلَامُ.

[٧٦] ومن وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصرة[٤]

سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ، وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ

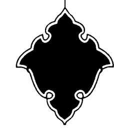
---

(١) الحاضر: ساكن المدينة، والبادي: المتردّد في البادية.

(٢) المعتبة: العتاب.

(٣) إعذاري: أي كوني ذا عذر لو لُمتكم.

(٤) رواه باختلاف ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ٧٩، والشيخ المفيد (ت٤١٣) في كتاب الجمل: ٢٢٤.



طَيْرَةٌ[١] مِنَ الشَّيْطَانِ. وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ.

[٧٧] ومن وصيته عليه السلام

لَهُ لما بعثه للاحتجاج على الخوارج

لَا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً.

[٧٨] ومن كتاب له عليه السلام

إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمَيْن

ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي:

فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ، فَمَالُوا مَعَ الدُّنْيَا، وَنَطَقُوا بِالْهَوى، وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هذَا الأَمْرِ مَنْزِلاً مُعْجِباً، اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، فَإِنِّي أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاً[٢] أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقاً[٣].

وَلَيْسَ رَجُلٌ ـ فَاعْلَمْ ـ أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ ـ وَأُلْفَتِهَا مِنِّي، أَبْتَغِي بِذلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ، وَكَرَمَ الْمَآبِ، وَسَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ[٤] عَلَى نَفْسِي، وَإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ وَالتَّجْرِبَةِ، وَإِنِّي لَأَعْبَدُ[٥]

---

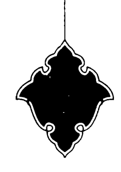
(١) طيرة: خفّة وطيش.

(٢) القرح: الجرح.

(٣) العلق: الدم الغليظ الجامد.

(٤) وأيت: وعدت والتزمت.

(٥) انّي لأعبد: أي آنف، والمراد: إنّي لآنف أن يقول غيري قولاً باطلاً، فكيف لا آنف أنا من ذلك لنفسي.





أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ، وَأَنْ أُفْسِدَ أَمْراً قَدْ أَصْلَحَهُ اللهُ، فَدَعْ مَا لا تَعْرِفُ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ، وَالسَّلَامُ.

[٧٩] ومن كتاب كتبه عليه السلام
لما استُخْلِفَ إلى أمراء الأجناد

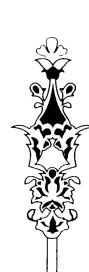
أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ، وَأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ(١).



(١) أخذوهم بالباطل فاقتدوه: كلّفوهم بإتيان الباطل فأتوه، وصار قدوة يتبعها الأبناء بعد الآباء.

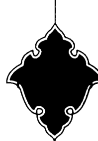


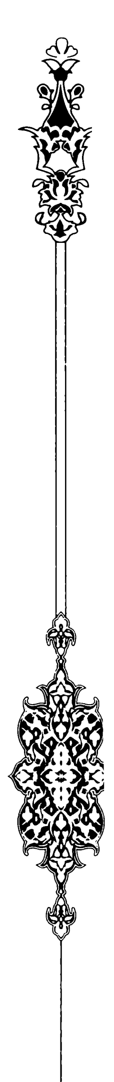


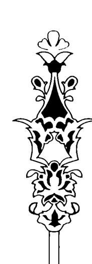




ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله
والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه





المختار من
حكم أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه

١ ـ قَال عليه السلام : **كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ[١]، لا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ، وَلا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ.**

٢ ـ وقَالَ عليه السلام : **أَزْرَى[٢] بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ[٣] الطَّمَعَ، وَرَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ ضُرَّهُ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ. وَالْبُخْلُ عَارٌ، وَالْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ، وَالفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ، وَالْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ، وَالْعَجْزُ آفَةٌ، وَالصَّبْرُ شَجَاعَةٌ، وَالزُّهْدُ ثَرْوَةٌ، وَالْوَرَعُ جُنَّةٌ، وَنِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضَا، وَالْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ، وَالأَدَبُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ، وَالْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ، وَصَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ، وَالْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ[٤] الْمَوَدَّةِ، وَالاحْتِمالُ[٥] قَبْرُ العُيُوبِ[٦].**

٣ ـ وروي عنه عليه السلام أنّه قال في العبارة عن هذا المعنى أيضاً: **الْمُسَالَمَةُ خَبْءُ الْعُيُوبِ، وَمَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاخِطُ عَلَيْهِ، وَالصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ، وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ، نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ.**

٤ ـ وقال عليه السلام : **اعْجَبُوا لِهَذا الإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ، وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ.**

---

(١) ابن اللبون: ابن الناقة إذا استكمل سنتين.

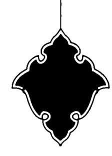
(٢) أزرى بها: حقّرها.

(٣) استشعر: جعله شعاره أي لازمه.

(٤) الحبالة: شبكة الصيد.

(٥) الاحتمال: تحمّل الأذى.

(٦) نحوه باختصار عند ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠١.



٥ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ.**

٦ ـ وقال عليه السلام: **خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ.**

٧ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.**

٨ ـ وقال عليه السلام: **أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الإِخْوَانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ.**

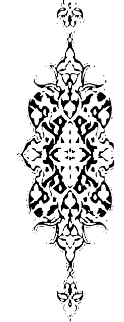
٩ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ**(١) **فَلَا تُنْفِرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ.**

١٠ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ ضَيَّعَهُ الأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الأَبْعَدُ.**

١١ ـ وقال عليه السلام: **مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ.**

١٢ ـ وقال عليه السلام: **تَذِلُّ الأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ، حَتَّى يَكُونَ الْحَتْفُ فِي التَّدْبِيرِ.**

١٣ ـ وسئل عليه السلام عن قول النَّبيّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآله] وَسلَّم: «**غَيِّرُوا الشَّيْبَ، وَلا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ**». **فَقَالَ** عليه السلام: **إِنَّمَا قَالَ** صلى الله عليه وآله **ذلِكَ وَالدِّينُ قُلٌّ**(٢)، **فَأَمَّا الآنَ وَقَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ**(٣)، **وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ**(٤)، **فَامْرُؤٌ وَمَا اخْتَارَ.**



١٤ ـ وقال عليه السلام في الذين اعتزلوا القتال معه: **خَذَلُوا الْحَقَّ، وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ**(٥).

---

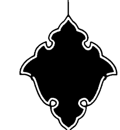
(١) أطراف النعم: أوائلها.

(٢) قُلّ: قليل.

(٣) النطاق: ثوب تلبسه المرأة لبسة مخصوصة ليس بصُدرة ولاسراويل، وهنا كناية عن سعة الإسلام ورفعته.

(٤) ضرب بجرانه: أقام وثبت، تشبيهاً بالبعير حين يبرك ويضع مقدم عنقه على الأرض.

(٥) رواها الجاحظ في المائة كلمة المختارة، وأنظر الأمالي للطوسي: ٨٣.





١٥ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ جَرَى فِي عِنَانِ[(١)] أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ[(٢)].**

١٦ ـ وقال عليه السلام: **أَقِيلُوا ذَوِي الْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ[(٣)]، فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَاثِرٌ إِلَّا وَيَدُهُ بِيَدِ اللهِ يَرْفَعُهُ.**

١٧ ـ وقال عليه السلام: **قُرِنَتِ الْهَيْبَةُ[(٤)] بِالْخَيْبَةِ، وَالْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ، وَالْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الْخَيْرِ[(٥)].**

١٨ ـ وقال عليه السلام: **لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ، وَإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الإِبِلِ وَإِنْ طَالَ السُّرَى[(٦)].**

وهذا القول من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه: أنّا إن لم نعط حقّنا كنّا أذلّاء، وذلك أنّ الرديف يركب عجُزَ البعير، كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما.

١٩ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ حَسَبُهُ.**

٢٠ ـ وقال عليه السلام: **مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ.**

٢١ ـ وقال عليه السلام: **يَابْنَ آدَمَ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ.**

---

(١) العنان: سير اللجام تمسك به الدابة.

(٢) عثر بأجله: أي سقط في أجله قبل أن يبلغ ما يريد.

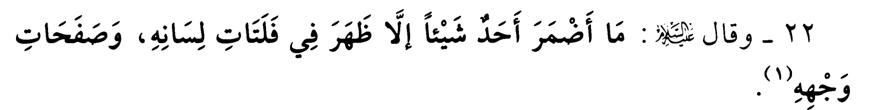
(٣) العثرة: السقطة.

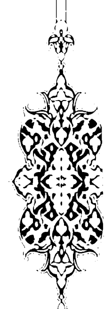
(٤) الهيبة: الخوف والإحجام، أي من هاب الأمور خابت مساعيه.

(٥) روى صدره ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠١، وذيله البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١١٥.

(٦) رواه ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في غريب الحديث ١: ٣٧٠ وقال: «يرويه يعقوب بن محمّد، عن أبي عمر الزهري، عن مسلم، عن نشيط، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس». ورواه الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٣: ٣٠٠، وابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ٢: ٣٣٢.







٢٢ ـ وقال عليه السلام: **مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ**[١].

٢٣ ـ وقال عليه السلام: **امْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِكَ.**

٢٤ ـ وقال عليه السلام: **أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ.**

٢٥ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ، وَالْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ، فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى!**

٢٦ ـ وقال عليه السلام: في كلام له: **الْحَذَرَ الْحَذَرَ! فَوَاللهِ لَقَدْ سَتَرَ، حتَّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ**[٢].

٢٧ ـ وسُئِلَ عليه السلام عَنِ الإيمَانِ، فَقَالَ: **الإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى الصَّبْرِ، والْيَقِينِ، وَالْعَدْلِ، وَالْجِهَادِ.**

فَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَربَعِ شُعَبٍ: عَلَى الشَّوْقِ، وَالشَّفَقِ[٣]**، وَالزُّهْدِ، وَالتَّرَقُّبِ، فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ، وَمَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ.**

وَالْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى تَبْصِرَةِ الْفِطْنَةِ، وَتَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ[٤]**، وَمَوْعِظَةِ الْعِبْرَةِ**[٥]**، وَسُنَّةِ الأَوَّلِينَ، فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ، وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ، وَمَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي الأَوَّلِينَ.**

---

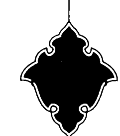
(١) رواه الجاحظ في المائة كلمة المختارة: ٤.

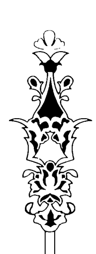
(٢) رواه الجاحظ في المائة كلمة المختارة: ٤.

(٣) الشفق: الخوف.

(٤) تأوّل الحكمة: الوصول إلى دقائقها.

(٥) العبرة: الاعتبار.





وَالْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى غائِصِ الْفَهْمِ، وَغَوْرِ الْعِلْمِ[1]، وَزُهْرَةِ الْحُكْمِ[2]، وَرَسَاخَةِ الْحِلْمِ، فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ، وَمَنْ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُكْمِ[3]، وَمَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ وَعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيداً.

وَالْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنكَرِ، وَالصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ، وَشَنَآنِ الْفَاسِقِينَ، فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ الْمُنَافِقِينَ، وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ، وَمَنْ شَنِئَ الْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ لِلّهِ غَضِبَ اللهُ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَالْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى التَّعَمُّقِ، وَالتَّنَازُعِ، وَالزَّيْغِ، وَالشِّقَاقِ، فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ إِلَى الْحَقِّ، وَمَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ، وَمَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ وَسَكِرَ سُكْرَ الضَّلَالَةِ، وَمَنْ شَاقَّ وَعُرَتْ[4] عَلَيْهِ طُرُقُهُ، وَأَعْضَلَ[5] عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَضَاقَ [عَلَيْهِ] مَخْرَجُهُ.

وَالشَّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى التَّمَارِي[6]، وَالْهَوْلِ، وَالتَّرَدُّدِ، والاسْتِسْلَامِ، فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدَناً لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ[7]، وَمَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ

---

(١) غور العلم: سرّه وباطنه.

(٢) زُهرة الحكم: حسنه.

(٣) صدر عن شرائع الحكم: أي رجع عنها بعدما اغترف ليفيض على الناس ممّا اغترف.

(٤) وعرت: خشنت.

(٥) أعضل: اشتد وأعجزت صعوبته.

(٦) التماري: التجادل.

(٧) لم يصبح ليله: أي لم يخرج من ظلام الشك إلى نهار اليقين.



يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَمَن تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنَابِكُ الشَّيَاطِينِ، وَمَنِ اسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا(١).

وبعد هذا كلام تركنا ذكره خوف الإطالة والخروج عن الغرض المقصود في هذا الكتاب.

٢٨ ـ وقال عليه السلام: **فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ، وَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ.**

٢٩ ـ وقال عليه السلام: **كُنْ سَمْحاً وَلا تكُنْ مُبَذِّراً، وَكُنْ مُقَدِّراً وَلا تكُنْ مُقَتِّراً.**

٣٠ ـ وقال عليه السلام: **أَشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنى**(٢).

٣١ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ، قَالُوا فِيهِ ما لا يَعْلَمُونَ.**

٣٢ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ أَطَالَ الأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ**(٣).

٣٣ ـ وقال عليه السلام وقد لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار، فترجّلوا له واشتدّوا بين يديه:

مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟ فقالوا: خُلُقٌ مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا. فقال عليه السلام: وَاللهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهذَا أُمَرَاؤُكُم، وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ بِهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ [فِي دُنْيَاكُمْ]، وَتَشْقَوْنَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ، وَمَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ، وَأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الأَمَانُ مِنَ النَّارِ(٤)!

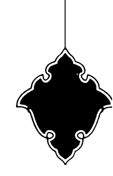
---

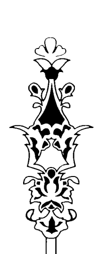
(١) رواه مسنداً وباختلاف كل من الثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ١٣٥، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٢: ٥١ ح ١، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الخصال: ٢٣١.

(٢) رواه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٢٣، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٩، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٩٧.

(٣) رواه الحسين بن سعيد الكوفي (ق ٣) في كتاب الزهد: ٨١، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٣: ٢٥٩.

(٤) رواه باختلاف المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ١٤٤.





٣٤ ـ وقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: **يَا بُنَيَّ، احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعاً وَأَرْبَعاً، لا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ، وَأَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحُمْقُ، وَأَوْحَشَ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ، وَأَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ. يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ. وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ، فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ. وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ، فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ. وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ: يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ، وَيُبَعِّدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ.**

٣٥ ـ وقال عليه السلام: **لا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضَرَّتْ بِالْفَرَائِضِ.**

٣٦ ـ وقال عليه السلام: **لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ الأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ.**

وهذا من المعاني العجيبة الشريفة، والمراد به أنّ العاقل لا يطلق لسانه إلّا بعد مشاورة الرَّوِيّةِ ومؤامرة الفكرة، والأحمق تسبق خذفاتُ[1] لسانه وفلتاتُ كلامه مراجعةَ فكره ومماخضة رأيه[2]، فكأنّ لسان العاقل تابع لقلبه، وكأنّ قلب الأحمق تابع للسانه.

٣٧ ـ وقد روي عنه عليه السلام هذا المعنى بلفظ آخر، وهو قوله: **قَلْبُ الأَحْمَقِ فِي فِيهِ، وَلِسَانُ الْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ**. ومعناهما واحد.

٣٨ ـ وقال عليه السلام لبعض أصحابه في علّة اعتلّها: **جَعَلَ اللهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ حَطّاً لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لا أَجْرَ فِيهِ، وَلكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ، وَيَحُتُّهَا حَتَّ الأَوْرَاقِ، وَإِنَّمَا الأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلِ بِالأَيْدِي وَالأَقْدَامِ، وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ**[3].

---

(١) خذفات اللسان: ما يلقيه الأحمق من العبارات العجلى بدون روية وتفكر.

(٢) مماخضة الرأي: تحريكه حتى يظهر صوابه.

(٣) رواه المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٥٢٩، والاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٩٣، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٤٤، والعياشي (ت ٣٢٠) في تفسيره ٢: ١٠٤، والشيخ الطوسي (ت٤٦٠) في الأمالي: ٦٠٢.



وأقول: صدق عليه السلام «**إِنَّ الْمَرَضَ لا أَجْرَ فِيهِ**»، لأنّه ليس من قبيل ما يُستحَقّ عليه العوض، لأنّ العوض يستحق على ما كان في مقابلة فعل الله تعالى بالعبد، من الآلام والأمراض، وما يجري مجرى ذلك، والأجر والثواب يستحقان على ما كان في مقابلة فعل العبد، فبينهما فرق قد بيَّنه عليه السلام، كما يقتضيه علمه الثاقب ورأيه الصائب.

٣٩ ـ وقال عليه السلام في ذكر خبَّاب بن الأرتّ: **يَرْحَمُ اللهُ خَبَّاباً، فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً، وَهَاجَرَ طَائِعاً، وَعَاشَ مُجَاهِداً. طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ، وَرَضِيَ عَنِ اللهِ**[1].

٤٠ ـ وقال عليه السلام: **لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ**[2] **الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا**[3] **عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي؛ وَذلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ** صلى الله عليه وآله **أَنَّهُ قَالَ: «لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ»**[4].

٤١ ـ وقال عليه السلام: **سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَاللهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ.**

٤٢ ـ وقال عليه السلام: **قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ، وَصِدْقُهُ عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِهِ، وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنَفَتِهِ، وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ.**

٤٣ ـ وقال عليه السلام: **الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ، وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ، وَالرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الأَسْرَارِ.**

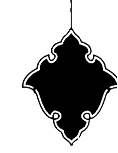
---

(١) رواه المنقري (ت ٢٢٠) في وقعة صفين: ٥٣٠، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٤٥، والطبراني (ت٣٦٠) في المعجم الكبير ٤: ٥٦.

(٢) الخيشوم: أصل الأنف.

(٣) الجمات: جمع جمة، وهي المكان يجمع فيه الماء.

(٤) رواه الثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ٤٣، وأورده مختصراً الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٢٦٨، وفرات الكوفي (ت ٣٥٢) في تفسيره: ٤٨٢، وأمّا حديث النبيّ صلى الله عليه وآله فقد ورد في كثير من الصحاح والسنن راجع على سبيل المثال: مسند أحمد ١: ٩٥، صحيح مسلم ١: ٦١، سنن الترمذي ٥: ٣٠٦، سنن النسائي ٨: ١١٦.





٤٤ ـ وقال عليه السلام: **احْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إذَا جَاعَ، واللَّئِيمِ إذَا شَبعَ.**

٤٥ ـ وقال عليه السلام: **قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحْشِيَّةٌ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ.**

٤٦ ـ وقال عليه السلام: **عَيْبُكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ**(١).

٤٧ ـ وقال عليه السلام: **أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ**(٢).

٤٨ ـ وقال عليه السلام: **السَّخَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً، فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وَتَذَمُّمٌ**(٣).

٤٩ ـ وقال عليه السلام: **لا غِنَى كَالْعَقْلِ، وَلا فَقْرَ كَالْجَهْلِ، وَلا مِيرَاثَ كَالأَدَبِ، وَلا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ.**

٥٠ ـ وقال عليه السلام: **الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ.**

٥١ ـ وقال عليه السلام: **الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ، وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ.**

٥٢ ـ وقال عليه السلام: **الْقَنَاعَةُ مَالٌ لا يَنْفَدُ**(٤).

٥٣ ـ وقال عليه السلام: **الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ.**

٥٤ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ.**

٥٥ ـ وقال عليه السلام: **اللِّسَانُ سَبُعٌ، إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ**(٥).

٥٦ ـ وقال عليه السلام: **الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللَّسْبَةِ**(٦).

---

(١) الجّد: الحظ.

(٢) رواه الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٧٣، ومعاني الأخبار: ١٩٦، ومن لا يحضره الفقيه ٤: ٣٩٦، عن عليّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) التذمّم: الفرار من الذم.

(٤) رواه ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٠٠، وأورده المؤلف في كتابه خصائص الأئمة: ١٢٥، وقال: «وقد روى بعضهم هذا الكلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله».

(٥) عَقَرَ: عضّ.

(٦) اللسبة: اللسعة.



[٥٧ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا حُيِّيتَ بِتَحِيَّةٍ فَحَيِّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا، وإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكَافِئْهَا بِمَا يُرْبِي عَلَيْهَا، وَالْفَضْلُ مَعَ ذلِكَ لِلْبَادِئِ**].

٥٨ ـ وقال عليه السلام: **الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ.**

٥٩ ـ وقال عليه السلام: **أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ.**

٦٠ ـ وقال عليه السلام: **فَقْدُ الأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ.**

٦١ ـ وقال عليه السلام: **فَوْتُ الْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا.**

٦٢ ـ وقال عليه السلام: **لا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ، فَإِنَّ الْحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ.**

٦٣ ـ وقال عليه السلام: **الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، [والشُّكْرُ زِينَةُ الغِنَى].**

٦٤ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلَا تُبَلْ كَيْفَ كُنْتَ.**

٦٥ ـ وقال عليه السلام: **لَاتَرَى الْجَاهِلَ إِلَّا مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطاً.**

٦٦ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ.**

٦٧ ـ وقال عليه السلام: **الدَّهرُ يُخْلِقُ الأَبْدَانَ، وَيُجَدِّدُ الآمَالَ، وَيُقَرِّبُ الْمَنِيَّةَ، ويُبَاعِدُ الأُمْنِيَّةَ، مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ، ومَنْ فَاتَهُ تَعِبَ.**

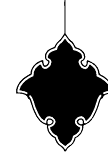
٦٨ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ.**

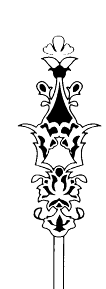
٦٩ ـ وقال عليه السلام: **نَفَسُ الْمَرْءِ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِهِ.**

٧٠ ـ وقال عليه السلام: **كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ.**

٧١ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ الأُمُورَ إذا اشْتَبَهَتِ اعْتُبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا.**

٧٢ ـ ومن خبر ضرار بن ضَمُرَةَ الضُّبابِيِّ عند دخوله على معاوية ومسألته له عن أميرالمؤمنين عليه السلام، قال: فأشهَدُ لقَدْ رَأَيْتُهُ في بعض مواقِفِهِ وقد أرخى





الليلُ سُدُولَهُ[(١)]، وهو قائمٌ في محرابِهِ قابِضٌ على لِحْيَتِهِ يَتَمَلْمَلُ[(٢)] تَمَلْمُلَ السَّليمِ[(٣)] ويبكي بُكاءَ الحَزينِ، ويقولُ: **يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا، إِلَيْكِ عَنِّي، أَبِي تَعَرَّضْتِ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ! لا حَانَ حِينُكِ[(٤)]، هيْهَاتَ، غُرِّي غَيْرِي، لا حَاجَةَ لِي فِيكِ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لا رَجْعَةَ فِيهَا، فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ، وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ. آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وَطُولِ الطَّرِيقِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ، وَعَظِيمِ الْمَوْرِدِ[(٥)].**

٧٣ ـ ومن كلام له عليه السلام للشامي لمّا سأله: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟ بعد كلام طويل هذا مختاره:

وَيْحَكَ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لَازِماً، وَقَدَراً حَاتِماً! وَلَوْ كَانَ ذلِكَ كَذلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ والْعِقَابُ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ. إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيراً، وَكَلَّفَ يَسِيراً، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، وَلَمْ يُرْسِلِ الأَنْبِيَاءَ لَعِباً، وَلَمْ يُنْزِلِ الكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً، وَلا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً، ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ[(٦)].

---

(١) السدول: جمع سديل، وهو ما أسدل على الهودج.

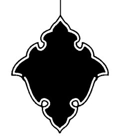
(٢) يتململ: لا يستقر من المرض.

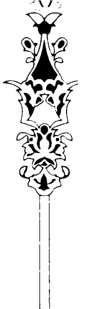
(٣) السليم: الملدوغ من حيّة ونحوها.

(٤) لا حان حينك: لا جاء وقت وصولك لقلبي.

(٥) رواه باختلاف محمّد بن سليمان الكوفي (ت ٣٠٠) في مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٢: ٥٢، والقاضي النعمان (ت ٣٦٣) في شرح الأخبار ٢: ٣٩١، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٧٢٤، وابن عبد البر (ت ٤٦٣) في الاستيعاب ٣: ١١٠٨.

(٦) رواه باختلاف ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ٤: ٢١٧، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ١: ١٥٥ ح١، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في التوحيد: ٣٨٠ ح ٨، وعيون الأخبار ٢: ١٢٧ ح ٣٨، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٤٦٨، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد: ٢٢٥.





٧٤ ـ وقال عليه السلام: **خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَتَلَجْلَجُ فِي صَدْرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِ**(١).

٧٥ ـ وقال عليه السلام في مثل ذلك: **الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَخُذِ الْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ**(٢).

٧٦ ـ وقال عليه السلام: **قِيمَةُ كُلِّ امْرِىءٍ مَا يُحْسِنُهُ**(٣).

وهذه الكلمة التي لا تُصابُ لها قيمةٌ، ولا توزن بها حكمةٌ، ولا تُقرنُ إليها كلمةٌ.

٧٧ ـ وقال عليه السلام: **أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الإِبِلِ**(٤) **لَكَانَتْ لِذلِكَ أَهْلاً: لا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ، وَلا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَلا يَسْتَحْيِيَنَّ**

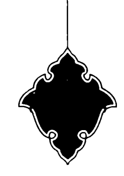
---

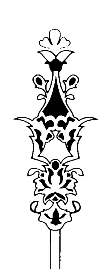
(١) روى نحوه ابن قتيبة (ت٢٧٦) في غريب الحديث ١ : ٣٧٦، والشيخ الطوسي (ت٤٦٠) في الأمالي: ٦٢٥.

(٢) رواه باختلاف ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠١، والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) في تاريخ بغداد ٨: ٢٤٥، وأورد صدره الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٧١.

(٣) رواه بأدنى اختلاف البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١٦٩، واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢ : ٢٠٦، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٥٣٢، والخصال: ٤٢٠ ح ١٤، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠١، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١ : ٣٠٠.
وقال ابن عبد البر (ت ٤٦٣) في (جامع بيان العلم وفضله): ٩٩ ـ ١٠٠؛ «إن قول علي بن أبي طالب: «قيمة كل امريء ما يحسن» لم يسبقه إليه أحد، وقالوا: ليس كلمة أحض على طلب العلم منها، قال أبوعمرُ: قول عليّ رحمه الله: «قيمة كل امرئ ما يحسن» من الكلام العجيب الخطير، وقد طار الناس إليه كل مطير، ونظمه جماعة من الشعراء إعجاباً به وكلفاً بحسنه». ثم أورد شواهد على ما نظمه الشعراء والأدباء في ذلك أمثال الخليل بن أحمد وغيره.

(٤) ضربتم آباط الإبل: أي سافرتم لتعلّمها والاستيصاء بها.





أَحَدٌ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لا أَعْلَمُ، وَلا يَسْتَحْيِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ. وَ[عَلَيْكُمْ] بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لا رَأْسَ مَعَهُ، وَلا فِي إِيمَانٍ لا صَبْرَ مَعَهُ(١).

٧٨ ـ وقال عليه السلام لرجل أفرط في الثناء عليه، وكان له مُتَّهماً: **أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ، وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ**(٢).

٧٩ ـ وقال عليه السلام: **بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى عَدَداً، وَأَكْثَرُ وَلَداً.**

٨٠ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ تَرَكَ قَوْلَ لا أَدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ.**

٨١ ـ وقال عليه السلام: **رَأْيُ الشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلَدِ الْغُلامِ**(٣).

وَرُوِي: مِنْ مَشْهَدِ الْغُلَامِ(٤).

٨٢ ـ وقال عليه السلام: **عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ الاسْتِغْفَارُ.**

٨٣ ـ وحكى عنه أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام أنّه قال: **كَانَ فِي الأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا، فَدُونَكُمُ الآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ: أَمَّا الأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله .وَأَمَّا الأَمَانُ الْبَاقِي فَالاسْتِغْفَارُ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ:** ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط.

٨٤ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ**

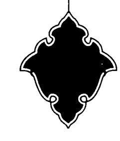
---

(١) رواه باختلاف الصدوق (ت ٣٨١) في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٤٨، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢١٩، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١ : ٢٩٧.

(٢) رواه البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١٨٨.

(٣) روى نحوه البيهقي (ت ٤٥٨) في السنن الكبرى ١٠ : ١١٣.

(٤) جلد الغلام: صبره على القتال، ومشهد الغلام: إيقاعه بالأعداء.



النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ[1].

٨٥ ـ وقال عليه السلام: **الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللهِ**[2].

٨٦ ـ وقال عليه السلام: **أَوْضَعُ الْعِلْمِ**[3] **مَا وُقِفَ عَلَى اللِّسَانِ**[4]**، وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالأَرْكَانِ.**

٨٧ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ هذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الأَبْدَانُ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ**[5].

٨٨ ـ وقال عليه السلام: **لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، وَلكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، وَمَعْنَى ذلِكَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ وَالرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ، وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلكِنْ لِتَظْهَرَ الأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَيَكْرَهُ الإِنَاثَ، وَبَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ الْمَالِ**[6] **وَيَكْرَهُ انْثِلَامَ الْحَالِ**[7].

---

(١) روى صدره البرقي (ت ٢٧٤) في المحاسن ١ : ٢٩ ح ١٣.

(٢) رواه باختلاف الدارمي (ت ٢٥٥) في سننه ١ : ٨٩، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ١ : ٣٦ ح ٣، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في معاني الأخبار: ٢٢٦.

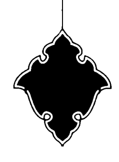
(٣) أوضع العلم: أدناه.

(٤) وقف على اللسان: أي لم يظهر أثره في الأخلاق والأعمال.

(٥) رواه البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١٣٦، وابن أبي الدنيا (ت ٢٨١) في كتاب العقل وفضله: ٣٥، وابن عبد ربه في العقد ٦ : ٢٧١، وابن عبد البر (ت ٤٦٣) في أدب المجالسة: ١٠٨، وجامع بيان العلم وفضله ١ : ١٠٥.

(٦) تثمير المال: تكثيره.

(٧) انثلام الحال: نقصه.





وهذا من غريب ما سمع منه عليه السلام في التفسير.

٨٩ ـ وسئل عليه السلام عن الخير ما هو؟ فقال: **لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ، وَلكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللهَ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللهَ. وَلا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٌ أَذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ، وَرَجُلٌ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ. وَلا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ**(١)!

٩٠ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاؤُوا بِهِ، ثُمَّ تَلَا** عليه السلام: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: **إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ**(٢)**، وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللهَ وَإِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ!**

٩١ ـ وقال عليه السلام وقد سمع رجلاً من الحرورية يتهجّد ويقرأ، فقال: **نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاةٍ فِي شَكٍّ.**

٩٢ ـ وقال عليه السلام: **اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لا عَقْلَ رِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ**(٣).

٩٣ ـ وقال عليه السلام وقد سمع رجلاً يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ .فقال: **إِنَّ قَوْلَنَا: (إِنَّا للهِ) إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْمُلْكِ، وقولَنَا: (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهُلْكِ**(٤).

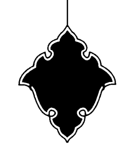
---

(١) رواه الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٥١، والبرقي في المحاسن ١: ٢٢٤، وأبو نعيم في الحلية ١: ٧٥، ١٠: ٢٨٨.

(٢) لحمته: أي نسبه.

(٣) رواه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٣٩١ ح ٥٨٦، بلفظ: «اعقلوا الحقّ...».

(٤) تحف العقول: ٢٠٩.



٩٤ ـ وقال عليه السلام وقد مدحه قوم في وجهه: **اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْراً مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لَنَا مَا لا يَعْلَمُونَ**(١).

٩٥ ـ وقال عليه السلام: **لَا يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ إِلَّا بِثَلَاثٍ: بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ، وَبِاسْتِكْتَامِهَا لِتَظْهَرَ، وَبِتَعْجِيلِهَا لِتَهْنُؤَ.**

٩٦ ـ وقال عليه السلام: **يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا الْمَاحِلُ**(٢)**، وَلا يُظَرَّفُ**(٣) **فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ، وَلا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُنْصِفُ، يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْماً**(٤)**، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنّاً، وَالْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَى النَّاسِ**(٥)**! فَعِنْدَ ذلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ الإِمَاءِ، وَإِمَارَةِ الصِّبْيَانِ، وَتَدْبِيرِ الْخِصْيَانِ**(٦)**!**

٩٧ ـ ورُؤيَ عليه إزارٌ خَلِقٌ مرقوعٌ، فقيل له في ذلك، فقال عليه السلام: **يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ، وَتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ، وَيَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ**(٧).

٩٨ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ، وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الآخِرَةَ وَعَادَاهَا، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمَاشٍ بَيْنَهُمَا كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الآخَرِ، وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ**(٨)**!**

---

(١) أنساب الأشراف: ١٨٨.

(٢) الماحل: الماكر، والمحل: المكر والخديعة.

(٣) يظرّف: يُعدّ ظريفاً.

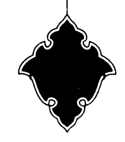
(٤) الغرم: الغرامة.

(٥) الاستطالة على الناس: التفوق عليهم والتزيد عليهم بالفضل.

(٦) روى نحوه اليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٩، والمبرد في الكامل ١: ١٧٧، والراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ١: ٨٩.

(٧) رواه مختصراً البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١٢٩، والقاضي النعمان (ت ٣٦٣) في دعائم الإسلام ٢: ١٥٩.

(٨) الطبقات لابن سعد ٣: ٢٨، وتحف العقول لابن شعبة: ٢١٢.





٩٩ ـ وعن نوف البكاليّ، قال: رأيت أميرالمؤمنين عليه السلام ذاتَ ليلةٍ، وقد خرج من فراشهِ، فنظر إلى النجوم فقال: **يَا نَوْفُ، أَرَاقِدٌ أنتَ أَمْ رَامِقٌ**[١] قلتُ: **بَلْ رَامِقٍ يَا أَميرَالمؤمِنِينَ. قال: يَا نَوْفُ، طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ، أُولئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الأَرْضَ بِسَاطاً، وَتُرَابَهَا فِرَاشاً، وَمَاءَهَا طِيباً، وَالْقُرْآنَ شِعَاراً، وَالدُّعَاءَ دِثَاراً، ثُمَّ قَرَضوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ.**

يَا نَوْفُ، إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ فِى مِثْلِ هذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: إِنَّهَا سَاعَةٌ لا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً[٢] **أَوْ عَرِيفاً**[٣] **أَوْ شُرْطِيّاً أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ (وهي الطنبور) أَوْ صَاحِبَ كَوْبَةٍ** (وهي الطبل)[٤].

وقد قيل أيضاً: إنّ العَرْطَبَةَ: الطبلُ، والكوبةَ: الطنبورُ.

١٠٠ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَنَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا**[٥]**، وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدَعْهَا نِسْيَاناً فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا**[٦].

---

١) الرامق: الناظر أي مستيقظ ينظر إلى السماء والنجوم.

٢) العشار: من يتولّى أخذ أعشار المال.

٣) العريف: من يعرف الناس للظلمة.

٤) رواه باختلاف الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٦٣، وابن أبي الدنيا (ت ٢٨١) في كتاب التواضع والخمول: ٥١ (مختصراً)، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الخصال: ٣٣٧ ح ٤٠، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الأمالي: ١٣٣ ح ١، والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) في تاريخه ٧: ١٧٣.

٥) الانتهاك: خرق الستر.

٦) رواه عن عليّ عليه السلام الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في من لا يحضره الفقيه ٤: ٧٥، لكن رواه الشيخ المفيد (ت٤١٣) في الأمالي: ١٥٩ ح ١، وكذلك الشيخ الطوسي(ت٤٦٠) في الأمالي: ٥١٠ ح٢٣ عن عليّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله ورُوي في =



١٠١ ـ وقال عليه السلام: **لا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ.**

١٠٢ ـ وقال عليه السلام: **رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لا يَنْفَعُهُ**[١].

١٠٣ ـ وقال عليه السلام: **لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ**[٢] **هذَا الإِنْسَانِ بَضْعَةٌ**[٣] **هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ: وَذلِكَ الْقَلْبُ، وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا، فَإِنْ سَنَحَ لَهُ**[٤] **الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ، وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الأَسَفُ، وإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ، وَإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَا نَسِيَ التَّحَفُّظَ، وإِنْ غَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ، وَإِنِ اتَّسَعَ لَهُ الأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ، وَإِن أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الْجَزَعُ، وَإِنْ أَفَادَ مَالاً أَطْغَاهُ الغِنَى، وَإِنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلَاءُ، وَإِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وإِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ**[٥] **الْبِطْنَةُ، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ**[٦].

١٠٤ ـ وقال عليه السلام: **نَحْنُ النُّمْرُقَةُ**[٧] **الْوُسْطَى، بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي، وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي**[٨].

= المصادر السنّية عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما عند الطبراني (ت ٣٦٠) في المعجم الأوسط ٨: ٣٨١، والكبير ٢٢: ٢٢٢، وكما عند الدارقطني (ت ٣٨٥) في سننه ٤: ١٠٩.

(١) رواه الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٥٤، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٤٧.

(٢) النياط: عرق متصل بالقلب.

(٣) البَضعة ـ بفتح الباء ـ: قطعة من اللحم.

(٤) سنح له: بدا وظهر.

(٥) كظّته: آلمته وكربته.

(٦) رواه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٢١، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في علل الشرائع ١: ١٠٩ ح ٧، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٩٥ في ضمن خطبة الوسيلة، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٣٠١.

(٧) النمرقة: الوسادة.

(٨) ابن قتيبة في عيون الأخبار ١: ٣٢٦، وابن دريد في الاشتقاق: ٤٦٢



١٠٥ ـ وقال عليه السلام: **لا يُقِيمُ أَمْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لا يُصَانِعُ**[١]**، وَلا يُضَارِعُ**[٢]**، وَلا يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ.**

١٠٦ ـ وقال عليه السلام وقد توفي سهل بن حُنَيْفٍ الأنصاريُّ بالكوفةِ بعد مرجعه معه من صفين، وكان من أحبّ الناس إليه: **لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ.**

معنى ذلك: أنّ المحنة تَغلُظ عليه، فَتُسْرعُ المصائبِ إليه، ولا يفعل ذلك إلّا بالأتقياءِ الأبرارِ والمصطفينَ الأخيارِ، وهذا مثل قوله عليه السلام: مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً. وقد تُؤُوّل ذلك على معنى آخر ليس هذا موضعَ ذكرِهِ.

١٠٧ ـ وقال عليه السلام: **لا مَالَ أَعْوَدُ**[٣] **مِنَ الْعَقْلِ، وَلا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ، وَلا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلا كَرَمَ كَالتَّقْوَى، وَلا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلْقِ، وَلا مِيرَاثَ كَالأَدَبِ، وَلا قَائِدَ كَالتَّوْفِيقِ، وَلا تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلا رِبْحَ كَالثَّوَابِ، وَلا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، وَلا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ، ولَا عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ، وَلا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَلا إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ، وَلا حَسَبَ كَالتَّوَاضُعِ، وَلا شَرَفَ كَالْعِلْمِ، وَلا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِن مُشَاوَرَةٍ**[٤].

١٠٨ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا اسْتَوْلَى الصَّلَاحُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ خَزْيَةٌ فَقَدْ ظَلَمَ، وَإِذَا اسْتَوْلَى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وأَهْلِهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ**[٥].

---

(١) لا يصانع: لا يداري في الحق.

(٢) لا يضارع: لا يضعف أي لا يعامل بالضعف والرخاوة.

(٣) أعود: أنفع.

(٤) رواه باختلاف الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٢٠ في ضمن حديث ٤، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٩٤، وروى بعض مقاطعه عن عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله البرقي (ت ٢٧٤) في المحاسن ١: ١٧، والطبراني (ت ٣٦٠) في المعجم الكبير ٣: ٦٩، والشيخ الصدوق (ت٣٨١) في كتاب التوحيد: ٣٧٦ ح ٢٠.

(٥) غرّر: أي أوقع بنفسه في الغرر وهو الخطر. راجع أمالي الصدوق: ١٩٣، والعقد الفريد ٢: ٢٥٢، وتحف العقول: ٩٤.



١٠٩ ـ وقيل له عليه السلام: كيف تجدك يا أميرالمؤمنين؟ فقال: **كَيْفَ يَكُونُ مَنْ يَفْنَى بِبَقَائِهِ، وَيَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ، وَيُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ**(١)!

١١٠ ـ وقال عليه السلام: **كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ ! وَمَا ابْتَلَى اللهُ أَحَداً بِمِثْلِ الإِمْلَاءِ لَهُ**(٢).

١١١ ـ وقال عليه السلام: **هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ غَالٍ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ**(٣).

١١٢ ـ وقال عليه السلام: **إِضَاعَةُ الْفُرْصَةِ غُصَّةٌ.**

١١٣ ـ وقال عليه السلام: **مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ: لَيِّنٌ مَسُّهَا، وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا الْغِرُّ الْجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ الْعَاقِلُ**(٤).

١١٤ ـ وقال عليه السلام وقد سُئل عن قريشٍ: **أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ، نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ، وَالنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ، وَأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْياً، وَأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا، وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وَأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا، وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمْكَرُ وَأَنْكَرُ، وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ**(٥).

---

(١) روى نحوه الطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ٦٤١ ح ١٥.

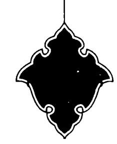
(٢) رواه باختلاف اليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٦، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠٣، والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ٤٤٣ ح ٤٩.

(٣) ورد في عديد من المصادر بألفاظ متقاربة، راجع: عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١) في المصنف ١١: ٣١٩ ح ٢٠٦٤٧، وابن أبي شيبة (ت ٢٣٥) في المصنف ٧: ٥٠٦ ح ٧١ و٧٣، وأحمد بن حنبل] (ت٢٤١) في مسنده ١: ١٦٠، والبلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١١٩، والثقفي (ت٢٨٣) في الغارات ٢: ٥٨٨، وابن أبي عاصم (ت ٢٨٧) في كتاب السنة: ٤٦٢، والكوفي (ت ٣٠٠) في مناقب أميرالمؤمنين ٢: ٢٨٤، والقاضي النعمان (ت ٣٦٣) في شرح الأخبار ١: ١٦١، والشيخ الصدوق (ت٣٨١) في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢١٧، والكراجكي (ت ٤٤٩) في معدن الجواهر: ٢٧.

(٤) رواه باختلاف الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٢: ١٣٦ ح٢٢، والثعالبي (ت٤٢٩) في يتيمة الدهر ٥: ٣٠.

(٥) روى ذيله ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣: ٣١٥.







١١٥ ـ وقال عليه السلام: **شَتَّانَ بَيْنَ عَمَلَيْنِ: عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مَؤُونَتُهُ وَيَبْقَى أَجْرُهُ.**

١١٦ ـ وتبع جنازة فسمع رجلاً يضحك، فقال عليه السلام: **كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ الأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ، نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ، وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ، قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ، وَرُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ[١] [وَدَاهِيَةٍ مُسْتَأْصِلَةٍ]. طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ، وَطَابَ كَسْبُهُ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ، أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى الْبِدْعَةِ[٢].**

ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

١١٧ ـ وقال عليه السلام: **غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ، وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ.**

١١٨ ـ وقال عليه السلام: **لأَنْسُبَنَّ الإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي: الإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ، وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، وَالتَّصْدِيقُ هُوَ الإِقْرَارُ، وَالإِقْرَارُ هُوَ الأَدَاءُ، وَالأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ[٣].**

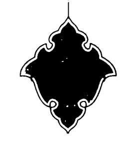
١١٩ ـ وقال عليه السلام: **عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَيَفُوتُهُ الْغِنَى الَّذِي إِيَّاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَيُحَاسَبُ فِي الآخِرَةِ حِسَابَ الأَغْنِيَاءِ. وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالأَمْسِ نُطْفَةً، وَيَكُونُ غَداً جِيفَةً، وَعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللهِ، وَهُوَ يَرَى خَلْقَ اللهِ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ**

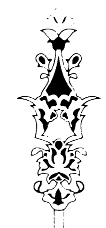
---

(١) الجائحة: الآفة تهلك الأصل والفرع.

(٢) رواه القمي (ت ٣٢٩) في تفسيره ٢: ٧٠، ورواه عن النبيّ صلى الله عليه وآله اليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ١٠٠.

(٣) رواه مسنداً كل من البرقي (ت ٢٧٤) في المحاسن ١: ٢٢٢، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٢: ٤٥ ح ١، والقمي (ت ٣٢٩) في تفسيره ١: ١٠٠، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٤٣٢ ح٤، ومعاني الأخبار: ١٨٥.





الْمَوْتَ، وهُوَ يَرَى الْمَوْتَى، وَعَجِبْتُ لِمَن أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الأُخْرَى، وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الأُولَى، وَعَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ، وَتَارِكٍ دَارَ الْبَقَاءِ.

١٢٠ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ قَصَّرَ فِي الْعَمَلِ ابْتُلِيَ بِالْهَمِّ، وَلا حَاجَةَ للهِ فِيمَنْ لَيْسَ لِلّهِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ نَصِيبٌ.**

١٢١ ـ وقال عليه السلام: **تَوَقَّوا الْبَرْدَ فِي أَوَّلِهِ، وَتَلَقَّوْهُ فِي آخِرِهِ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي الأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ فِي الأَشْجَارِ، أَوَّلُهُ يُحْرِقُ وَآخِرُهُ يُورِقُ**[١].

١٢٢ ـ وقال عليه السلام: **عِظَمُ الْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ الْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ.**

١٢٣ ـ وقال عليه السلام وقد رجع من صفين، فأشرف على القبور بظاهر الكوفة: **يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ، وَالْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ**[٢]**، وَالْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ. يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لَاحِقٌ، أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ، وَأَمَّا الأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ، وَأَمَّا الأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ. هذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا، فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ؟**

ثم التفت إلى أصحابه فقال: **أَمَا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**[٣].

١٢٤ ـ وقال عليه السلام وقد سمع رجلاً يذم الدنيا: **أَيُّهَا الذَّامُّ للدُّنْيَا، الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا، الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا؛ أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا! أَأَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ**[٤] **عَلَيْهَا، أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ!**

مَتَى اسْتَهْوَتْكَ[٥]**، أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ! أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَى**[٦]**، أَ**

---

(١) رواه ابن سابور الزيات (ت ٤٠١) في طب الأئمّة: ٤.

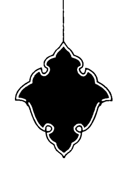
(٢) المقفرة: من أقفر المكان إذا لم يكن له ساكن ولا نابت.

(٣) رواه باختلاف الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٤٥، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١ في الأمالي: ١٦٩ ح ١، ومن لا يحضره الفقيه١: ١٧١.

(٤) المتجرّم: ادعى عليه الجرم.

(٥) استهواه: ذهب بعقله وأذلّه فحيّره.

(٦) البِلى: الفناء بالتحلّل.





بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى! كَمْ عَلَّلْتَ[1] بِكَفَّيْكَ، وَكَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ تَبْغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ، وَتَسْتَوْصِفُ[2] لَهُمُ الأَطِبَّاءَ [غَدَاةَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ، وَلا يُجْدِي عَلَيْهِمْ بُكَاؤُكَ]، لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ[3]، وَلَمْ تُسْعَفْ فِيهِ بِطِلْبَتِكَ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ! قَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ، وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ. إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنىً لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللهِ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ، وَمَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللهِ، اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ.

فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا وَقَدْ آذَنَتْ[4] بِبَيْنِهَا، وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا، فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلَائِهَا الْبَلَاءَ، وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ! رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ، وَابْتَكَرَتْ[5] بِفَجِيعَةٍ، تَرْغِيباً وَتَرْهِيباً، وَتَخْوِيفاً وَتَحْذِيراً، فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النَّدَامَةِ، وَحَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ذَكَّرَتْهُمُ الدُّنْيَا فَذَكَرُوا، وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا، وَوَعَظَتْهُمْ فَاتَّعَظُوا[6].

---

(١) علّل المريض: خدمه في علّته ومرضه.

(٢) تستوصف: طلبت الصفة أي الدواء.

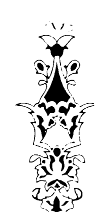
(٣) اشفاقك: شفقتك.

(٤) آذنت: أعلمت أهلها.

(٥) ابتكرت: من البكورة أي غدت.

(٦) روي بإسناد وغير إسناد وباختلاف عند الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٦٨، والحسين بن سعيد الكوفي (ق ٣) في كتاب الزهد: ٤٧، واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٨، والقاضي النعمان (ت ٣٦٣) في شرح الأخبار ٢: ٢٢٤، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٨٨، والشيخ المفيد (ت٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٩٦، والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ٥٩٤ ح ٥، والخطيب البغدادي (ت٤٦٣) في تاريخ بغداد ٧: ٢٩٧ ح ٣٧٨٩.





١٢٥ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ للهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ: لِدُوا لِلْمَوْتِ، وَاجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ، وَابْنُوا لِلْخَرَابِ.**

١٢٦ ـ وقال عليه السلام: **الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ إلى دَارِ مَقَرٍّ، وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ: رَجُلٌ بَاعَ نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا، وَرَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا.**

١٢٧ ـ وقال عليه السلام: **لا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ: فِي نَكْبَتِهِ، وَغَيْبَتِهِ، وَوَفَاتِهِ**[١].

١٢٨ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الإجَابَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ.**

وتصديقُ ذَلِكَ في كتَابِ اللهِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في الدُّعَاءِ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وَقَالَ في الاسْتِغْفَارِ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، وَقَالَ في الشُّكْرِ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وَقَالَ في التَّوْبَةِ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

١٢٩ ـ وقال عليه السلام: **الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَالْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ، وَجِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ**[٢].

١٣٠ ـ وقال عليه السلام: **اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ، وَمَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ**[٣].

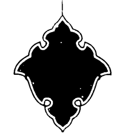
١٣١ ـ وقال عليه السلام: **تَنْزِلُ الْمَعُونَةُ عَلَى قَدْرِ الْمَؤُونَةِ.**

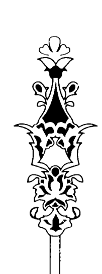
---

(١) رواه ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢١٩.

(٢) رواه الصدوق (ت ٣٨١) في الخصال: ٦٤٠، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١١٠.

(٣) روى ذيله الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٥٣٣، والخصال: ٦٢٠.





١٣٢ ـ وقال عليه السلام: **مَا عَالَ امرؤٌ اقْتَصَدَ**[١].

١٣٣ ـ وقال عليه السلام: **قِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ، وَالتَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ، وَالْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ**[٢].

١٣٤ ـ وقال عليه السلام: **يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ**[٣].

١٣٥ ـ وقال عليه السلام: **كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الظَّمَأُ وَالْجُوعُ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا [السَّهَرُ وَ] الْعَنَاءُ، حَبَّذَا نَوْمُ الأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ!**

١٣٦ ـ وقال عليه السلام: **سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ.**

١٣٧ ـ ومن كلام له عليه السلام لكُمَيْل بن زياد النخعي، قال كُمَيْل بن زياد: أخذ بيدي أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأخرجني إلى الجبّان[٤]، فلمّا أصحر[٥] تنفّس الصّعَدَاء[٦]، ثمّ قال:

يَا كُمَيْلُ بْن زِيَادٍ، إِنَّ هذهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ

---

(١) رواه الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الخصال: ٦٢٠، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١١١.

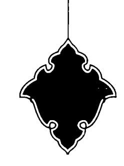
(٢) رواه الشيخ الصدوق (٣٨١) في الخصال: ٦٢٠، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٢١.

(٣) روى ذيله الشيخ الصدوق (ت٣٨١) في الخصال: ٦٢١، وصدره ابن شعبة(ق٤) في تحف العقول: ٢٢١.

(٤) الجبان: صحراء البلد.

(٥) أصحر: صار في الصحراء.

(٦) تنفس الصعداء: هو نفس بمدّ طويل مرفوع.



رَعَاعٌ[١]، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَؤُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ. يَا كُمَيْلُ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ: الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الإنْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ. يَا كُمَيْلُ بْن زِيَادٍ، مَعْرِفَةُ العِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الإنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ. يَا كُمَيْلُ بْن زِيادٍ، هَلَكَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ: أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ.

هَا إِنَّ هاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً (وَأَشَارَ إِلى صَدرِهِ) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً! بَلَى أَصَبْتُ لَقِناً[٢] غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، مُسْتَعْمِلاً آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، وَمُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللهِ عَلَى عِبادِهِ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الْحَقِّ، لا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ؛ يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ.

أَلا لا ذَا وَلا ذَاكَ! أَوْ مَنْهُوماً[٣] بِاللَّذَّةِ، سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ، أَوْ مُغْرَماً[٤] بِالْجَمْعِ وَالادِّخَارِ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِمَا الأَنْعَامُ السَّائِمَةُ! كَذلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ.

اللَّهُمَّ بَلَى! لا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، أَوْ خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَبَيِّنَاتُهُ. وَكَمْ ذَا وَأَيْنَ أُولئِكَ؟ أُولئِكَ -

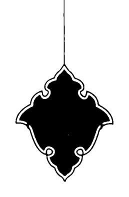
---

(١) الهمج: الحمقى من الناس، والرعاع: الأحداث الطغام الذين لا منزلة لهم في الناس.

(٢) اللقن: من يفهم بسرعة.

(٣) المنهوم: المفرط في شهوة الطعام وغيره.

(٤) المغرم: المولع بجمع المال.





وَاللهِ ـ الأَقَلُّونَ عَدَداً، وَالأَعْظَمُونَ قَدْراً، يَحْفَظُ اللهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ، حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الأَعْلَى، أُولئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ، آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ!

انْصَرِفْ إذَا شِئْتَ[1].

١٣٨ ـ وقال عليه السلام: **الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ**[2].

١٣٩ ـ وقال عليه السلام: **هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ**[3].

١٤٠ ـ وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه: **لا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ، وَيُرْجِئُ التَّوْبَةَ**[4] **بِطُولِ الأَمَلِ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ، وَيَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ، يَنْهَى وَلا يَنْتَهِي، وَيَأْمُرُ بِمَا لا يَأْتِي، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، وَيُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ، إِنْ سَقِمَ**

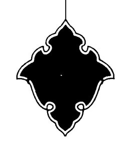
---

(١) رواه الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٧٩، والثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ١٤٨، واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٦، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في كمال الدين: ٢٩٠، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٦٩، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٢٧، والأمالي: ٢٤٧ ح ٣.

(٢) رواه الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٥٣٢، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٩، والشيخ المفيد (ت٤١٣) في الإرشاد ١: ٣٠٠.

(٣) روى الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الخصال: ٤٢٠ بلفظ: «وما هلك امرؤ عرف قدره».

(٤) يرجّي التوبة: يؤخّر التوبة.



ظَلَّ نَادِماً، وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِياً، يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ، وَيَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ، إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرّاً، وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرّاً، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ، وَلا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ، يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ، وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ، إِنِ اسْتَغْنَى بَطِرَ وَفُتِنَ، وَإِنِ افْتَقَرَ قَنَطَ وَوَهَنَ، يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ، وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ، إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ[1] الْمَعْصِيَةَ وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ، وَإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ انْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ[2]، يَصِفُ الْعِبْرَةَ وَلا يَعْتَبِرُ، وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلا يَتَّعِظُ، فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ[3]، وَمِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ، يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى، وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى، يَرَى الْغُنْمَ مَغْرَماً، وَالْغُرْمَ مَغْنَماً، يَخْشَى الْمَوْتَ وَلا يُبَادِرُ الْفَوْتَ، يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ، وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ، اللَّغْوُ مَعَ الأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ، يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَلا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ، يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ، فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصِي، وَيَسْتَوْفِي وَلا يُوفِي، وَيَخْشَى الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ، وَلا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ.

ولو لم يكن في هذا الكتاب إلّا هذا الكلام لكفى به موعظةً ناجعةً، وحكمةً بالغةً، وبصيرةً لمبصر، وعبرةً لناظر مفكّر[4].

١٤١ ـ وقال عليه السلام: **لِكُلِّ امْرِئٍ عَاقِبَةٌ حُلْوَةٌ أَوْ مُرَّةٌ.**

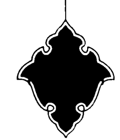
---

(١) أسلف: قدّم.

(٢) انفرج عن شرائط الملّة: أي خرج عن قانون الدين بالجزع والسخط.

(٣) أدلّ على أقرانه: استعلى عليهم.

(٤) رواه الحراني في التحف: ١٥٧، الجاحظ روى بعضه في البيان ١: ٨٧، العسكري في الصناعتين: ٢٣٣، أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال ١: ٢٧٢، الحصري في زهر الآداب ١: ٣٩، ابن عبد ربه في العقد ٣: ١٨٥ ذكر منها قوله عليه السلام: «لاتكن كمن يعجز عن شكر ما أُوتي... ينهي ولا ينتهي».





١٤٢ ـ وقال عليه السلام: **لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبَارٌ، وَمَا أَدْبَرَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ.**

١٤٣ ـ وقال عليه السلام: **لا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ وَإِنْ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ.**

١٤٤ ـ وقال عليه السلام: **الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ، وَعَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانِ: إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ، وَإِثْمُ الرِّضَا بِهِ.**

١٤٥ ـ وقال عليه السلام: **اعْتَصِمُوا بِالذِّمَمِ[١] فِي أَوْتَادِهَا[٢].**

١٤٦ ـ وقال عليه السلام: **عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ[٣].**

١٤٧ ـ وقال عليه السلام: **قَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَقَدْ هُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ، وأُسْمِعْتُمْ إِنِ اسْتَمَعْتُمْ.**

١٤٨ ـ وقال عليه السلام: **عَاتِبْ أَخَاكَ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالإِنْعَامِ عَلَيْهِ.**

١٤٩ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهَمَةِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ[٤].**

١٥٠ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ.**

١٥١ ـ وقال عليه السلام: **مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُوْلِهَا.**

---

(١) الذمم: العهود.

(٢) الأوتاد ـ هنا ـ: الرجال أهل النجدة الذين يوفون بالذمم. بيَّن ابن أبي الحديد أنّ هذه الكلمة قالها الإمام بعد انقضاء أمر الجمل وحضور قوم من الطلقاء بين يديه ليبايعوه، فيهم مروان بن الحكم، فقال: وماذا أصنع ببيعتك؟ ألم تبايعني بالأمس!... ثم قال: «فاستعصموا بالذمم في أوتارها» الشرح ١٨ : ٣٧٢ فهو يعرف المناسبة ومتى قيلت ومن كان حاضرها فهو عليم بمصدرها!!

(٣) رواه القاضي النعمان (ت٣٦٣) في دعائم الإسلام ١ : ٩٨، والشيخ المفيد (ت٤١٣) في الإرشاد ١ : ٢٣٢.

(٤) روى نحوه الشيخ الكليني(ت٣٢٩) في الكافي ٨: ١٥٢ ح١٣٧، والشيخ الصدوق (ت٣٨١) في الأمالي: ٣٨٠ ح٨، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٢٠، والشيخ المفيد(ت٤١٣) في الاختصاص: ٢٢٦.



١٥٢ ـ وقال عليه السلام : **مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتِ الْخِيرَةُ بِيَدِهِ.**

١٥٣ ـ وقال عليه السلام : **الْفَقْرُ الْمَوْتُ الأَكْبَرُ**(١).

١٥٤ ـ وقال عليه السلام : **مَنْ قَضَى حَقَّ مَنْ لا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُ.**

١٥٥ ـ وقال عليه السلام : **لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**(٢).

١٥٦ ـ وقال عليه السلام : **لا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ، إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ.**

١٥٧ ـ وقال عليه السلام : **الإِعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ الازْدِيَادِ.**

١٥٨ ـ وقال عليه السلام : **الأَمْرُ قَرِيبٌ وَالاصْطِحَابُ قَلِيلٌ.**

١٥٩ ـ وقال عليه السلام : **قَدْ أَضَاءَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ**(٣).

١٦٠ ـ وقال عليه السلام : **تَرْكُ الذَّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ.**

١٦١ ـ وقال عليه السلام : **كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلاتٍ!**

١٦٢ ـ وقال عليه السلام : **النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا**(٤).

١٦٣ ـ وقال عليه السلام : **مَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَإِ**(٥).

١٦٤ ـ وقال عليه السلام : **مَن أَحَدَّ سِنَانَ الْغَضَبِ لله قَوِيَ عَلَى قَتْلِ أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ.**

---

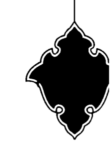
(١) رواه العياشي (ت ٣٢٠) في تفسيره ١ : ١٢٠ ح ٣٧٩، والصدوق (ت ٣٨١) في الخصال: ٦٢٠، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٢٠.

(٢) رواه القاضي النعمان (ت ٣٦٣) في دعائم الإسلام ١ : ٣٥٠، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الخصال: ١٣٩ ح ١٥٨، وفي أكثر المصادر عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) رواه الثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١ : ٣١٧ بلفظ: «وقد بين الصبح»، وابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ٤ : ٢٦٠.

(٤) رواه الشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الاختصاص: ٢٤٥.

(٥) رواه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨ : ٢٢، والصدوق (ت ٣٨١) في من لا يحضره الفقيه ٤ : ٣٨٨، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٩٠.





١٦٥ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا هِبْتَ أَمْراً فَقَعْ فِيهِ، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ.**

١٦٦ ـ وقال عليه السلام: **آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ.**

١٦٧ ـ وقال عليه السلام: **أُزْجُرِ الْمُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ.**

١٦٨ ـ وقال عليه السلام: **أُحْصُدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ.**

١٦٩ ـ وقال عليه السلام: **اللَّجَاجَةُ تَسُلُّ الرَّأْيَ.**

١٧٠ ـ وقال عليه السلام: **الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ.**

١٧١ ـ وقال عليه السلام: **ثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ النَّدَامَةُ، وَثَمَرَةُ الْحَزْمِ السَّلَامَةُ**(١).

١٧٢ ـ وقال عليه السلام: **لا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ**(٢).

١٧٣ ـ وقال عليه السلام: **مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً.**

١٧٤ ـ وقال عليه السلام: **مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ**(٣).

١٧٥ ـ وقال عليه السلام: **مَا كَذَبْتُ وَلا كُذِّبْتُ، وَلا ضَلَلْتُ وَلا ضُلَّ بِي**(٤).

١٧٦ ـ وقال عليه السلام: **لِلظَّالِمِ الْبَادِي غَداً بِكَفِّهِ عَضَّةٌ**(٥).

---

(١) رواه الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ٢: ٣١٣.

(٢) رواه البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١١٥، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٢٠، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٩٤.

(٣) رواه المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٥٤.

(٤) رواه المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٣١٥، والاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٦١، وأبو يعلى (ت ٣٠٧) في المسند ١: ٣٩٧، والطبري (ت ٣١٠) في التاريخ: حوادث سنة ٣٦، والمبرد في الكامل ٢: ١٢٠، ١٤٠، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٤٩١ ح ١٠.

(٥) رواه القمي (ت ٣٢٩) في تفسيره ٢: ٢٨٧.



١٧٧ ـ وقال عليه السلام: **الرَّحِيلُ وَشِيكٌ.**

١٧٨ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ**[١] **لِلْحَقِّ هَلَكَ**[٢].

١٧٩ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ.**

١٨٠ ـ وقال عليه السلام: **وَاعَجَبَاهُ! أَتَكُونُ الْخِلَافَةُ بِالصَّحَابَةِ وَلَا تَكُونُ بِالصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ!** وروي له شعر في هذا المعنى، وهو:

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ ... فَكَيْفَ بِهذَا وَالْمُشِيرُونَ غُيَّبُ؟
وَإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ ... فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ

١٨١ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ**[٣] **الْمَنَايَا، وَنَهْبٌ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ، وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ**[٤]**، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ، وَلا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلا يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ. فَنَحْنُ أَعْوَانُ الْمَنُونِ، وَأَنْفُسُنَا نَصْبُ الْحُتُوفِ**[٥]**، فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ وَهذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً إِلَّا أَسْرَعَا الْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيَا، وَتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا**[٦]**!**

١٨٢ ـ وقال عليه السلام: **يَابْنَ آدَمَ مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوتِكَ، فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ**[٧].

---

(١) يقال لمن خالف وكاشف: قد أبدى صفحته.

(٢) رواه الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٩٢، واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢١٢، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٦٨ ح ٢٣، والقاضي النعمان (ت ٣٦٣) في شرح الأخبار ١: ٣٧٣، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٤٠.

(٣) تنتضل فيه: أي تصيبه وتثبت فيه.

(٤) الشرق: وقوف الماء في الحلق.

(٥) الحتوف: جمع حتف وهو الهلاك.

(٦) رواه أبو علي القالي في الأمالي ٢: ٥٣.

(٧) رواه البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١١٥، والشيخ الصدوق (ت٣٨١) في الخصال: ١٦ ح٥٨، والشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١: ٢٣٥.



١٨٣ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالاً وَإِدْبَاراً، فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ**(١).

١٨٤ ـ وكان عليه السلام يقول: **مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ! أَحِينَ أَعْجِزُ عَنِ الانْتِقَامِ فَيُقَالُ لِي: لَوْ صَبَرْتَ؟ أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لِي: لَوْ عَفَوْتَ**(٢).

١٨٥ ـ وقال عليه السلام وقد مرّ بقذر على مزبلة: **هذا مَا بَخِلَ بِهِ الْبَاخِلُونَ**(٣).

وروي في خبر آخر أنّه قال: **هذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِالأَمْسِ**.

١٨٦ ـ وقال عليه السلام: **لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ**(٤).

١٨٧ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ هذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الأَبْدَانُ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ**(٥).

١٨٨ ـ وقال عليه السلام لما سمع قول الخوارج ـ لا حكم إلّا لله ـ: **كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ**(٦).

١٨٩ ـ وقال عليه السلام في صفة الغوغاء: **هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا**. وقيل: بل قال: **هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا**

---

(١) روى نحوه البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١١٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٣٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٣٦.

(٥) رواه البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١٣٦، وابن أبي الدنيا (ت ٢٨١) في كتاب العقل وفضله: ٣٥، وابن عبد البر (ت ٤٦٣) في أدب المجالسة: ١٠٨.

(٦) ورد في كثير من المصادر راجع على سبيل المثال: الصنعاني (ت ٢١١) في المصنف ١٠: ١٥٠ ح ١٨٦٥٥، والاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٧٠، وابن أبي شيبة (ت ٢٣٥) في المصنف ٨: ٧٤١ ح ٥٠، والفضل بن شاذان (ت٢٦٠) في الإيضاح: ٤٧٤، ومسلم (ت٢٦١) في صحيحه ٣: ١١٦، والبلاذري (ت٢٧٩) في أنساب الأشراف:٣٥٢، وابن أبي عاصم (ت٢٨٧) في كتاب السنّة: ٤٣٩ ح٩٢٧، وغيرها.



نَفَعُوا .فقيل: قد علمنا مضرة اجتماعهم، فما منفعة افتراقهم؟ فقال: **يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمِهَنِ إِلَى مِهَنِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إِلَى بِنَائِهِ، وَالنَّسَّاجِ إِلَى مَنْسَجِهِ، وَالْخَبَّازِ إِلَى مَخْبَزِهِ**(١).

١٩٠ ـ وقال عليه السلام وقد أُتي بجان ومعه غوغاءُ: **لا مَرْحَباً بِوُجُوهٍ لا تُرى إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوْأَةٍ**(٢).

١٩١ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنَّ الأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ**(٣).

١٩٢ ـ وقال عليه السلام وقد قال له طلحة والزبير: نبايعك على أنّا شركاؤُكَ في هذا الأَمر. فقال: **لا، وَلكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ فِي الْقُوَّةِ وَالاسْتِعَانَةِ، وَعَوْنَانِ عَلَى الْعَجْزِ وَالأَوَدِ**(٤).

١٩٣ ـ وقال عليه السلام: **أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ، وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ، وَبَادِرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ أَدْرَكَكُمْ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ**(٥).

١٩٤ ـ وقال عليه السلام: **لا يُزَهِّدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لا يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ، وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.**

---

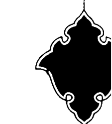
(١) ورد عند الجاحظ في رسالة نفي التشبيه: ١٠٦، روى صدره فقط البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١١٥.

(٢) رواه البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١١٦، واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٩.

(٣) رواه ابن سعد (ت ٢٣٠) في طبقاته ٣: ٣٤، وابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٤٠، والبلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ٥٠٠، واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٩، والطبري (ت ٣١٠) في تفسيره ١٣: ١٥٦، والثعلبي (ت ٤٢٧) في تفسيره ٥: ٢٧٦.

(٤) رواه اليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ١٨٠.

(٥) راجع الكامل للمبرد ١: ٢٢٣.





١٩٥ ـ وقال عليه السلام: **كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وِعَاءَ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ [بِهِ].**

١٩٦ ـ وقال عليه السلام: **أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ.**

١٩٧ ـ وقال عليه السلام: **إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ.**

١٩٨ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ، وَمَنْ خَافَ أَمِنَ، وَمَنِ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ.**

١٩٩ ـ وقال عليه السلام: **لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ**[١] **عَلَى وَلَدِهَا** .وتلا عقيب ذلك: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[٢].

٢٠٠ ـ وقال عليه السلام: **اتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيداً، وَجَدَّ تَشْمِيراً، وَكَمَّشَ**[٣] **فِي مَهَلٍ، وَبَادَرَ عَنْ وَجَلٍ، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْئِلِ**[٤]**، وَعَاقِبَةِ الْمَصْدَرِ، وَمَغَبَّةِ**[٥] **الْمَرْجِعِ**[٦].

٢٠١ ـ وقال عليه السلام: **الْجُودُ حَارِسُ الأَعْرَاضِ، وَالْحِلْمُ فِدَامُ**[٧] **السَّفِيهِ،**

---

(١) الشماس: امتناع ظهر الفرس من الركوب، والضروس: الناقة السيئة الخلق تعض حالبها.

(٢) رواه باختلاف ابن أبي الجعد (ت ٢٣٠) في مسنده: ٣١٦، وفرات الكوفي (ت ٣٥٢) في تفسيره: ٣١٤، والآية في سورة القصص: ٥.

(٣) كمش: بادر وأسرع.

(٤) الموئل ـ هنا ـ: ما ينتهي إليه الإنسان من سعادة وشقاء.

(٥) المغبة: العاقبة.

(٦) رواه ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢١١.

(٧) الفدام: خرقة تجعل على فم الإبريق، فيشبّه الحلم بها.



وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ، وَالسُّلُوُّ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ، وَالاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ، وَقَد خَاطَرَ مَنِ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ، وَالصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْحَدَثَانَ[1]، والْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ، وَأَشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى، وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوَىٰ أَمِيرٍ! وَمِنَ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجْرِبَةِ، وَالْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ، وَلا تَأْمَنَنَّ مَلُولاً.

٢٠٢ ـ وقال عليه السلام: **عُجْبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ.**

٢٠٣ ـ وقال عليه السلام: **أَغْضِ عَلَى الْقَذَى وَالأَلَمِ تَرْضَ أَبَداً.**

٢٠٤ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ[2].**

٢٠٥ ـ وقال عليه السلام: **الْخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ.**

٢٠٦ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ نَالَ اسْتَطَالَ[3].**

٢٠٧ ـ وقال عليه السلام: **فِي تَقَلُّبِ الأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ[4].**

٢٠٨ ـ وقال عليه السلام: **حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّةِ.**

٢٠٩ ـ وقال عليه السلام: **أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ[5].**

٢١٠ ـ وقال عليه السلام: **لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَى الثِّقَةِ بِالظَّنِّ[6].**

---

(١) يناضل: يدافع، والحدثان: نوائب الدهر.

(٢) كثفت أغصانه: أي مَنْ حسن خلقه ولانت كلمته كثر محبوه وأعوانه وأتباعه كالشجرة التي غلبت عليها الرطوبة بكثرة فروعها.

(٣) نال: أعطى، الاستطالة: الاستعلاء بالفضل.
رواه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٢٣، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٩٨.

(٤) رواه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٢٣، والصدوق (ت ٣٨١) في من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٨، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٩٧.

(٥) رواه الراغب في المحاضرات ١: ٢٥١.

(٦) رواه الصدوق (ت ٣٨١) في من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٩٠.

٢١١ ـ وقال عليه السلام: **بِئْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ**(١).

٢١٢ ـ وقال عليه السلام: **مِنْ أَشْرَفِ أَفْعَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ.**

٢١٣ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ**(٢).

٢١٤ ـ وقال عليه السلام: **بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ، وَبِالنَّصَفَةِ يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ، وَبِالإِفْضَالِ تَعْظُمُ الأَقْدَارُ، وَبِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ، وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤَنِ**(٣) **يَجِبُ السُّؤْدَدُ، وَبِالسِّيرَةِ الْعَادِلَةِ يُقْهَرُ الْمُنَاوِئُ**(٤)، **وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الأَنْصَارُ عَلَيْهِ**(٥).

٢١٥ ـ وقال عليه السلام: **الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلَامَةِ الأَجْسَادِ!**

٢١٦ ـ وقال عليه السلام: **الطَّامِعُ فِي وِثَاقِ الذُّلِّ.**

٢١٧ ـ وقال عليه السلام وقد سئل عن الإيمان: **الإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ**(٦).

٢١٨ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِيناً فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللهِ سَاخِطاً، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّهُ، وَمَنْ أَتَى غَنِيّاً فَتَوَاضَعَ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللهِ هُزُواً، وَمَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا الْتَاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ:**

---

(١) رواه الصدوق (ت٣٨١) في الأمالي: ٥٣١، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٨، وابن شعبة (ق٤) في تحف العقول: ٩١.

(٢) رواه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٢٣، والصدوق (ت ٣٨١) في من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٩١، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٩٨.

(٣) المؤن: القوت.

(٤) المناوئ: المخالف المعاند.

(٥) عيون الأخبار ١٠: ٢٨٤، العقد الفريد ٢: ٢٧٩.

(٦) رواه عليّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما عند ابن ماجه (ت ٢٧٣) في سننه ١: ٢٦، والطبراني (ت ٣٦٠) في المعجم الأوسط ٦: ٢٢٦، والصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ١٧٨، والثعلبي (ت٤٢٧) في تفسيره ١: ١٤٧، والحافظ أبو نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠) في ذكر أخبار أصفهان ١: ١٣٨.

هَمٍّ لا يُغِبُّهُ[١]**، وَحِرْصٍ لا يَتْرُكُهُ، وَأَمَلٍ لا يُدْرِكُهُ**[٢].

٢١٩ ـ وقال عليه السلام: **كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكاً، وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيماً.**

٢٢٠ ـ وسئل عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾، فقال: **هِيَ الْقَنَاعَةُ**[٣].

٢٢١ ـ وقال عليه السلام: **شَارِكُوا الَّذِي قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ، فَإِنَّهُ أَخْلَقُ لِلْغِنَى، وَأَجْدَرُ بِإِقْبَالِ الْحَظِّ عَلَيْهِ.**

٢٢٢ ـ وقال عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾: **الْعَدْلُ الإِنْصَافُ، وَالإِحْسَانُ التَّفَضُّلُ**[٤].

٢٢٣ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ**[٥].

ومعنى ذلك: أنّ ما ينفقه المرء من ماله في سبيل الخير والبر ـ وإن كان يسيراً ـ فإنّ الله تعالى يجعل الجزاء عليه عظيماً كثيراً، واليدان هاهنا عبارتان عن النعمتين، ففرّق عليه السلام بين نعمة العبد ونعمة الرب، فجعل تلك قصيرة وهذه طويلة، لأنّ نعم الله سبحانه أبداً تُضعَّف على نعم المخلوقين أضعافاً كثيرة، إذ كانت نعمه تعالى أصل النعم كلها، فكل نعمة إليها تَرجِعُ ومنها تنزع.

٢٢٤ ـ وقال لابنه الحسن عليه السلام: **لا تَدْعُوَنَّ إِلَى مُبَارَزَةٍ، وَإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ، فَإِنَّ الدَّاعِيَ بَاغٍ، وَالبَاغِيَ مَصْرُوعٌ**[٦].

---

(١) لا يغبّه: لا يأخذه غبّاً، بل يلازمه دائماً.

(٢) رواه باختصار العياشي(ت٣٢٠) في تفسيره ١: ١٢٠ ح٣٧٩، وابن شعبة (ق٤) في تحف العقول: ٢١٧.

(٣) رواه الثعلبي (ت ٤٢٧) في تفسيره ٦: ٤٠.

(٤) رواه العياشي (ت٣٢٠) في تفسيره ٢: ٢٦٧ ح٦١، والصدوق (ت ٣٨١) في معاني الأخبار: ٢٥٧ ح١.

(٥) رواه ابن عساكر (ت ٥٧١) في تاريخ دمشق ٥٠: ١٦٢.

(٦) عيون الأخبار ١: ١٢٨، كامل المبرد ١: ١٢١.





٢٢٥ ـ وقال عليه السلام: **خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ: الزَّهْوُ وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ، فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا، وَإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ بَعْلِهَا، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا.**

٢٢٦ ـ وقيل له عليه السلام: صف لنا العاقل. فقال عليه السلام: **هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ**. قيل: فصف لنا الجاهل، قال: **قَدْ فَعَلْتُ.**

يعني: أنّ الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه، فكأن ترك صفته صفة له، إذ كان بخلاف وصف العاقل.

٢٢٧ ـ وقال عليه السلام: **وَاللهِ لَدُنْيَاكُمْ هذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْذُومٍ**[١].

٢٢٨ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الأَحْرَارِ.**

٢٢٩ ـ وقال عليه السلام: **الْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا، وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْهَا**[٢].

---

١) أمالي الصدوق: ٣٧٠.

٢) وفي التعليق على هذا المقطع نقول:

أولاً: لم تصل هذه الرواية لنا مسندة لنرى رجال السند ونحكم على الرواية بالصحة أو الضعف أو الوضع، فالرضي رحمه الله حذف الأسانيد والمصادر، ومجرد ورودها في النهج لا يعطيها صبغة الصحة.

ثانياً: إنّ الله تعالى لمّا خلق الإنسان الذكر والأنثى قال: «فتبارك الله أحسن الخالقين». فامتدح نفسه بهذه الخلقة، فالمرأة وفقاً للنص القرآني مكتملة الخلقة إلى درجة أنّ الله تعالى يبارك هذه الخلقة.

ثالثاً: انّ الفلاسفة يؤكدون على أنّه من المحال أن يخلق مخلوق شرّ كلّه، فلابدّ أن يكون كلّه خيراً أو يكون خيره أكثر من شرّه، لأنّ ماهية الشر عدم وثبت أنّ الوجود خير محض، وكل موجود لابدّ وأن يكون له حظ من الخير حتى يمكن أن يوجد.

رابعاً: لو سلّمنا صحة الرواية وأغمضنا جهة إرسالها، فربما تكون ناظرة إلى =

٢٣٠ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِيَ ضَيَّعَ الْحُقُوقَ، وَمَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ.**

٢٣١ ـ وقال عليه السلام: **الْحَجَرُ الْغَصِيبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا.**

و يروى هذا الكلام للنبي صلى الله عليه وآله، ولا عجب أن يشتبه الكلامان، فإنّ مستقاهما من قليب، ومفرغهما من ذنوب.

٢٣٢ ـ وقال عليه السلام: **يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ.**

٢٣٣ ـ وقال عليه السلام: **اتَّقِ اللهَ بَعْضَ التُّقَى وَإِنْ قَلَّ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سِتْراً وَإِنْ رَقَّ.**

٢٣٤ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا ازْدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ.**

٢٣٥ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ لِلّهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقّاً، فَمَنْ أَدَّاهُ زَادَهُ مِنْهَا، وَمَنْ قَصَّرَ مِنْهُ خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ**[١].

٢٣٦ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا كَثُرَتِ الْمَقْدِرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ.**

٢٣٧ ـ وقال عليه السلام: **احْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ، فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ.**

٢٣٨ ـ وقال عليه السلام: **الْكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ.**

٢٣٩ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ**[٢].

٢٤٠ ـ وقال عليه السلام: **أَفْضَلُ الأعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ.**

٢٤١ ـ وقال عليه السلام: **عَرَفْتُ اللهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ، وَحَلِّ الْعُقُودِ [وَنَقْضِ الْهِمَمِ]**[٣].

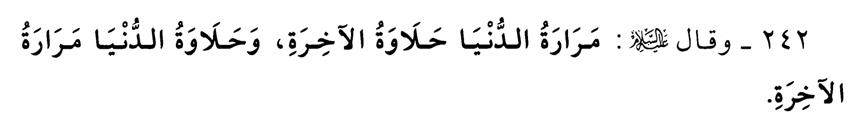
= حالات معينة، فإنّ بعض النساء فعلن شرّاً، فكلامه عليه السلام يؤخذ على النحو القضية الخارجية لا القضية الحقيقية.

(١) رواه ابن شعبة (ق٤) في تحف العقول: ٢٠٦.

(٢) المصدر نفسه: ٨٢.

(٣) رواه الصدوق في الخصال: ٦ وفي التوحيد: ٢٠٩.





٢٤٢ ـ وقال عليه السلام: **مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الآخِرَةِ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الآخِرَةِ.**

٢٤٣ ـ وقال عليه السلام: **فَرَضَ اللهُ الإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ، وَالزَّكَاةَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ، وَالصِّيَامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ، وَالْحَجَّ تَقْرِبَةً لِلدِّينِ، وَالْجِهَادَ عِزّاً لِلإِسْلَامِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعاً لِلسُّفَهَاءِ، وَصِلَةَ الأَرْحَامِ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاءِ، وَإِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ، وَتَرْكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ، وَمُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ إِيجاباً لِلْعِفَّةِ، وَتَرْكَ الزِّنَى تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ، وَتَرْكَ اللَّوَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ، وَالشَّهَادَاتِ اسْتِظْهَاراً عَلَى الْمُجَاحَدَاتِ، وَتَرْكَ الْكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ، وَالسَّلَامَ أَمَاناً مِنَ الْمَخَاوِفِ، وَالإِمَامَةَ نِظَاماً لِلأُمَّةِ، وَالطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلإِمَامَةِ**(١).

٢٤٤ ـ وكان عليه السلام يقول: **أَحْلِفُوا الظَّالِمَ ـ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ ـ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِباً عُوجِلَ الْعُقُوبَةَ، وَإِذَا حَلَفَ بِاللهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعَاجَلْ، لِأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَهُ سُبْحَانَهُ**(٢).

٢٤٥ ـ وقال عليه السلام: **يَابْنَ آدَمَ، كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ، وَاعْمَلْ فِي مَالِكَ مَا تُؤْثِرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ.**

٢٤٦ ـ وقال عليه السلام: **الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ.**

٢٤٧ ـ وقال عليه السلام: **صِحَّةُ الْجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ.**

٢٤٨ ـ وقال عليه السلام لِكُمَيْلِ بن زيادٍ النَّخعِي: **يَا كُمَيْلُ، مُرْ أَهْلَكَ أَنْ**

---

(١) روى نحوه الحلواني (ق ٥) في نزهة الناظر: ٤٦.

(٢) الكافي ٦: ٤٤٥، مقاتل الطالبيين: ٤٧٧، مروج الذهب ٣: ٣٥١.



يَرُوحُوا[1] فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ، وَيُدْلِجُوا[2] فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نائِمٌ، فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلَّا وَخَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ ذلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الإِبلِ.

٢٤٩ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللهَ بِالصَّدَقَةِ**[3].

٢٥٠ ـ وقال عليه السلام: **الْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللهِ، وَالْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللهِ**[4].

٢٥١ ـ وقال عليه السلام: **كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ، وَمَا ابْتَلَى اللهُ سُبْحَانَهُ أَحَداً بِمِثْلِ الإِمْلَاءِ لَهُ.**

و قد مضى هذا الكلام فيما تقدّم، إلّا أنَ فيه هاهنا زيادة مفيدة.

***

(١) الرواح: السير من بعد الظهر.

(٢) الإدلاج: السير من أوّل الليل.

(٣) رواه الخوارزمي (ت ٥٦٨) في المناقب: ٣٧٦ نقلاً عن الجاحظ.

(٤) رواه اليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٧، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠٤.



فصل
نذكر فيه شيئاً من اختيار غريب كلامه عليه السلام
المحتاج إلى التفسير

١ ـ في حديثه عليه السلام : **فَإِذَا كَانَ ذلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ، فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ**[١].

يعسوب الدين: السيد العظيم المالك لأمور الناس يومئذٍ، والقزع: قطع الغيم التي لا ماء فيها.

٢ ـ وفي حديثه عليه السلام : **هذَا الْخَطِيبُ الشَّحْشَحُ**[٢].

يريد: الماهر بالخطبة الماضي فيها، وكل ماضٍ في كلام أو سير فهو شحشح، والشحشح في غير هذاالموضع: البخيل الممسك.

٣ ـ وفي حديثه عليه السلام : **إنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحَماً**[٣].

يريد بالقحم المهالك، لأنّها تُقحِمُ أصحابَها في المهالك والمتالف في الأكثر، ومن ذلك قُحْمَةُ الأعراب، وهو أن تصيبهم السَّنةُ فتتعرّق أموالهم، فذلك تقحّمها فيهم. و قيل فيه وجهٌ آخر: وهو أنّها تُقْحِمُهُمْ بلادَ الريف، أي تحوجهم إلى دخول الحضر عند مُحولِ البَدْوِ.

---

(١) رواه ابن سلام (ت٢٢٤) في غريب الحديث ١ : ١٨٥ ، والقاضي النعمان (ت ٣٦٣) في شرح الأخبار ٣: ٣٦١.

(٢) رواه ابن سلام (ت ٢٢٤) في غريب الحديث ٣: ٤٤١ ، وأحمد بن حنبل (ت ٢٤١) في مسنده ١ : ١٤٧.

(٣) رواه ابن سلام (ت ٢٢٤) في غريب الحديث ٣ : ٤٥١.



٤ ـ وفي حديثه عليه السلام: **إِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الْحِقَاقِ فَالْعَصَبَةُ أَوْلَى**[(١)].

والنص: منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها كالنص في السير، لأنّه أقصى ما تقدر عليه الدابة، وتقول: نَصَصْتُ الرجل عن الأمر، إذا استقصيت مسألته عنه لتستخرج ما عنده فيه، فنصّ الحقاق يريد به الإدراك، لأنّه منتهى الصغر، والوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حد الكبير، وهو من أفصح الكنايات عن هذا الأمر وأغربها، يقول: فاذا بلغ النساء ذلك فالعَصَبَةُ أولى بالمرأة من أمها إذا كانوا مَحْرَماً، مثل الإخوة والأعمام،بتزويجها إن أَرادوا ذلك.

والحِقاق: مُحاقّةُ الأم للعصبةِ في المرأة، وهو الجدال والخصومة، وقول كلّ واحد منهما للآخر: أنا أحق منك بهذا، ويقال منه: حاققته حقاقاً، مثل جادلته جدالاً. و قد قيل: إن نصّ الحقاق بلوغ العقل، وهو الإدراك، لأنّه عليه السلام إنّما أراد منتهى الأمر الذي تجب فيه الحقوق والأحكام، ومَن رواه: «نص الحقائق» فإنّما أراد جَمْعَ حَقيقة. هذا معنى ما ذكره أبو عُبيد القاسم بن سلام.

والذي عندي: أنّ المراد بنص الحِقاق هاهنا بلوغ المرأة إلى الحد الذي يجوز فيه تزويجها وتصرّفها في حقوقها، تشبيهاً بالِحقاق من الإبل، وهي جمع حِقّة وحِقّ، وهو الذي استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة، وعند ذلك يبلغ إلى الحد الذي يُتمكّن فيه من ركوب ظهره، وَنَصِّهِ في السير، والحقائقُ أيضاً: جمع حِقّة.

فالروايتان جميعاً ترجعان إلى معنىً واحد، وهذا أشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور أولاً.

---

(١) رواه ابن سلام (ت ٢٢٤) في غريب الحديث ٣: ٤٥٦، والجوهري (ت ٣٩٣) في الصحاح ٣: ١٠٥٩، وابن فارس (ت ٣٩٥) في معجم مقاييس اللغة ٢: ١٦.



٥ ـ وفي حديثه عليه السلام: **إنَّ الإيمَانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِي الْقَلْبِ، كُلَّمَا ازْدَادَ الإيمَانُ ازْدَادَتِ اللُّمْظَةُ**(١).

اللُّمْظَةُ مثل النكتة أو نحوها من البياض، ومنه قيل: فرس ألمظ، إذا كان بجحفلته شيء من البياض.

٦ ـ وفي حديثه عليه السلام: **إنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ الظَّنُونُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى إِذَا قَبَضَهُ**(٢).

فالظَّنُونُ: الذي لا يَعْلَمُ صاحبُهُ أيقبضُه من الذي هو عليه أم لا، فكأنّه الذي يُظَنُّ به، فمرة يرجوه ومرة لا يرجوه. و هو من أفصح الكلام، وكذلك كلّ أمر تطلبه ولا تدري على أي شيء أنت منه فهو ظَنون، وعلى ذلك قول الأعشى:

ما يُجْعَلُ الْجُدُّ الظَّنُونُ الَّذِي ... جُنِّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الْمَاطِرِ

مِثْلَ الْفُرَاتِيِّ إِذَا مَا طَمَا ... يَقْذِفُ بِالْبُوصِيِّ وَالْمَاهِرِ

والجُدّ: البئر، والظنون: التي لا يُدرى هل فيها ماء أم لا.

٧ ـ وفي حديثه عليه السلام: أنّه شيّع جيشاً يغْزِيهِ فقال: **اعْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُمْ**(٣).

ومعناه: اصدِفوا عن ذكر النساء وشُغُلِ القلب بهنّ، وامتنعُوا من المقاربة لهنّ، لأنّ ذلك يَفُتُّ في عضُد الحميّة، ويقدح في معاقد العزيمة، ويكسِر عن العَدْوِ، وَيلفِتُ عن الإبعاد في الغزو، وكلُّ من امتنع من شيء فقد أعْذَبَ عنه، والعاذبُ والعَذُوب: الممتنع من الأكل والشرب.

٨ ـ وفي حديثه عليه السلام: **كَالْيَاسِرِ الْفَالِجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ**(٤).

---

١) رواه ابن سلام (ت ٢٢٤) في غريب الحديث ٣: ٤٦٠.

٢) المصدر نفسه ٣: ٤٦٤.

٣) المصدر نفسه ٣: ٤٦٧.

٤) رواه ابن سلام (ت ٢٢٤) في غريب الحديث ٣: ٤٦٨، والثقفي (ت ٢٨٣) في =



الياسرون: هم الذين يتضاربون بالقِداح على الجَزُورِ، والفالجُ: القاهرُ الغالبُ، يقال: قد فلج عليهم وفَلَجَهُم، وقال الراجز:

«لمّا رأيتُ فالجاً قد فَلَجا»

٩ ـ وفي حديثه عليه السلام: **كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ**[١].

ومعنى ذلك: أنه إذا عَظُم الخوفُ من العدو واشتد عِضَاضُ الحربِ، فَزِعَ المسلمون إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه، فينزل الله تعالى النصر عليهم، ويأمنون ما كانوا يخافونه بمكانه. وقوله عليه السلام: «**إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ**» كناية عن اشتداد الأمر، وقد قيل في ذلك أقوال أحسَنُها: أنّه شبّه حَمْيَ الحرب بالنار التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلِها ولونها، وممّا يقوي ذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله، وقد رأى مُجْتَلَدَ الناس يوم حُنين وهي حرب هوازنَ: «الآن حَمِيَ الوَطِيسُ» فالوطيسُ: مستوقَدُ النار، فشبّه رسول الله صلى الله عليه وآله ما استحرّ من جلاد القوم باحتدامِ النار وشدةِ التهابها.

انقضى هذا الفصل، ورجعنا إلى سنن الغرض الأوّل في هذا الباب.

***

٢٥٢ ـ وقال عليه السلام لما بلغه إغارةُ أصحاب معاويةَ على الأنبار، فخرج

= الغارات ١: ٨٠، واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٧، والكليني (ت٣٢٩) في الكافي ٥: ٥٧ ح٦، وابن فارس (ت٣٩٥) في معجم مقاييس اللغة ٤: ٤٤٩.

(١) رواه المنقري (ت ٢١٢) في وقعة صفين: ٩٠، وابن سلام (ت ٢٢٤) في غريب الحديث ٣: ٤٧٩، وأحمد (ت ٢٤١) في مسنده ١: ١٥٦، وابن أبي الدنيا (ت ٢٨١) في مكارم الأخلاق: ٥٦، والنسائي (ت ٣٠٣) في السنن الكبرى ٩: ١٩١ ح٨٦٣٩، وأبو يعلى (ت ٣٠٧) في مسنده ١: ٢٥٨ ح٣٠٢، وابن فارس (ت٣٩٥) في معجم مقاييس اللغة ٢: ١٠١.



بنفسه ماشياً حتى أتى النُّخَيْلَةَ، فأدركه الناسُ وقالوا: يا أميرالمؤمنين نحن نكفيكَهُمْ.

فقال عليه السلام: **وَاللهِ مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ، فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ! إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا، وَإِنَّنِي الْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي، كَأَنَّنِيَ الْمَقُودُ وَهُمُ الْقَادَةُ، أَوِ الْمَوْزُوعُ وَهُمُ الْوَزَعَةُ!**

فلما قال عليه السلام هذا القول، في كلام طويل قد ذكرنا مختارَه في جملةِ الخُطَب، تقدّم إليه رجلان من أصحابه، فقال أحدهما: إنّي لا أملك إلّا نفسي وأخي، فَمُرْنا بأمرك يا أميرالمؤمنين نُنْفِذ له. فقال عليه السلام: **وأَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ**[1]!

٢٥٣ ـ وقيل: إنّ الحارث بن حَوْط أتاه عليه السلام فقال: أتُراني أظنّ أصحابَ الجمل كانوا على ضلالة؟

فقال عليه السلام: **يَا حَارِث، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ؛ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ، وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ.**

فقال الحارث: فإنّي أعتزل مع سعيد بن مالك وعبدالله بن عمر. فقال عليه السلام: **إِنَّ سَعِيداً وَعَبْدَاللهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ، وَلَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ**[2].

٢٥٤ ـ وقال عليه السلام: **صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الأَسَدِ: يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ.**

٢٥٥ ـ وقال عليه السلام: **أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ.**

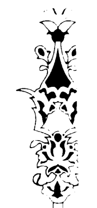
٢٥٦ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ كَلَامَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً كَانَ دَوَاءً، وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً.**

---

(١) الكامل للمبرد ١: ١٤، البيان للجاحظ ١: ١٧٠.

(٢) روى مضمونه البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ٢٧٤، واليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢١٠، والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ١٣٤ ح ٢٩.





٢٥٧ ـ وسأله عليه السلام رجل أن يعرّفه ما الإيمان، فقال: **إِذَا كَانَ غَدٌ فَأْتِنِي حَتَّى أُخْبِرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ النَّاسِ، فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَفِظَهَا عَلَيْكَ غَيْرُكَ، فَإِنَّ الْكَلَامَ كَالشَّارِدَةِ، يَنْقُفُهَا[1] هذَا وَيُخْطِئُهَا هذَا.**

وقد ذكرنا ما أجابه به عليه السلام فيما تقدّم من هذا الباب، وهو قوله: الإيمان على أربع شعب.

٢٥٨ ـ وقال عليه السلام: **يَابْنَ آدَمَ، لا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ مِنْ عُمُرِكَ يَأْتِ اللهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ**[2].

٢٥٩ ـ وقال عليه السلام: **أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَّا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَّا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَّا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَّا**[3].

٢٦٠ ـ وقال عليه السلام: **النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلَانِ: عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا، قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ، يَخْشَى عَلَى مَنْ يَخْلُفُهُ الْفَقْرَ، وَيَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنْفَعَةِ غَيْرِهِ. وَعَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعاً، وَمَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعاً، فَأَصْبَحَ وَجِيهاً عِنْدَاللهِ، لا يَسْأَلُ اللهَ حَاجَةً فَيَمْنَعَهُ.**

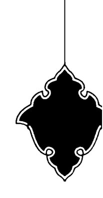
٢٦١ ـ وروي أنه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حَلْي الكعبةِ وكثرتُهُ، فقال قوم: لو أخذته فجهزتَ به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبةُ بالْحَلْي؟ فهمّ عمر بذلك، وسأل عنه أميرالمؤمنين عليه السلام، فقال: **إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَالأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ: أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ، وَالْفَيْءُ فَقَسَّمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ، وَالْخُمُسُ فَوَضَعَهُ اللهُ**

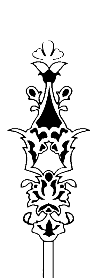
---

(١) نقفه: ضربه، وهنا: يصيبها، لأنّ (الشاردة) هنا: الضّالة.

(٢) رواه الحلواني (ق ٥) في نزهة الناظر: ٥٢.

(٣) رواه ابن أبي شيبة (ت٢٣٥) في المصنف ٨: ٣٤١ ح١٤٤، والبخاري (ت ٢٥٦) في الأدب المفرد: ٢٨٠، والحربي (ت ٢٨٥) في غريب الحديث ٣: ١٠٥٩، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠١.





حَيْثُ وَضَعَهُ، وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللهُ حَيْثُ جَعَلَهَا. وَكَانَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ، فَتَرَكَهُ اللهُ عَلَى حَالِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَاناً، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكَاناً، فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ.

فقال له عمر: لولاك لافتضحنا، وترك الحَلْي بحاله.

٢٦٢ ـ وروي أنّه عليه السلام رُفع إليه رجلان سرقا من مال الله، أحدهما عبدٌ من مالِ الله، والآخر من عُرْضِ الناس، فقال عليه السلام: **أَمَّا هذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ اللهِ وَلا حَدَّ عَلَيْهِ، مَالُ اللهِ أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَمَّا الآخَرُ فَعَلَيْهِ الْحَدُّ، فقطع يده**[1].

٢٦٣ ـ وقال عليه السلام: **لَوْ قَدِ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هذِهِ الْمَدَاحِضِ[2] لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ.**

٢٦٤ ـ وقال عليه السلام: **اعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ ـ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ طِلْبَتُهُ، وَقَوِيَتْ مَكِيْدَتُهُ ـ أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقِلَّةِ حِيلَتِهِ وَبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَالْعَارِفُ لِهذَا الْعَامِلُ بِهِ أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعَةٍ، وَالتَّارِكُ لَهُ الشَّاكُّ فِيهِ أَعْظَمُ النَّاسِ شُغُلاً فِي مَضَرَّةٍ. وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَى، وَرُبَّ مُبْتَلًى مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَى، فَزِدْ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ فِي شُكْرِكَ، وَقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقِكَ**[3].

٢٦٥ ـ وقال عليه السلام: **لا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً، وَيَقِينَكُمْ شَكّاً، إِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا، وَإِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا.**

٢٦٦ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ[4]، وَضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ. وَرُبَّمَا**

---

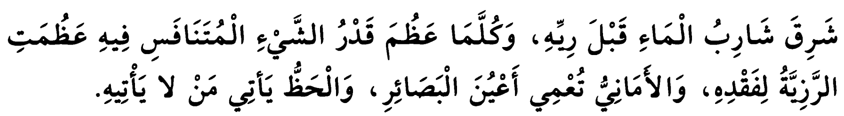
(١) روى نحوه الكليني (ت٣٢٩) في الكافي ٧: ٢٦٤ ح ٢٤، والقاضي النعمان في دعائم الإسلام ٢: ٤٧١.

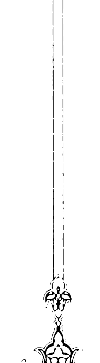
(٢) المداحض: المزالق.

(٣) روى نحوه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٥: ٨١ ح ٩، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٥٥.

(٤) مورد غير مصدر: أي من ورده هلك فيه ولم يصدر عنه.







شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيِّهِ، وَكُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ، وَالأَمَانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ، وَالْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لا يَأْتِيهِ.

٢٦٧ ـ وقال عليه السلام: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَحْسُنَ فِي لَامِعَةِ الْعُيُونِ عَلَانِيَتِي، وَتَقْبُحَ فِيمَا أُبْطِنُ لَكَ سَرِيرَتِي، مُحَافِظاً عَلَى رِيَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي، فَأُبْدِيَ لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي، وَأُفْضِيَ إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي، تَقَرُّباً إِلَى عِبَادِكَ، وَتَبَاعُداً مِنْ مَرْضَاتِكَ**(١).

٢٦٨ ـ وقال عليه السلام: **لا وَالَّذِي أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِي غُبْرِ**(٢) **لَيْلَةٍ دَهْمَاءَ**(٣)**، تَكْشِرُ**(٤) **عَنْ يَوْمٍ أَغَرَّ**(٥)**، مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا.**

٢٦٩ ـ وقال عليه السلام: **قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ.**

٢٧٠ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا.**

٢٧١ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ.**

٢٧٢ ـ وقال عليه السلام: **لَيْسَتِ الرَّوِيَّةُ**(٦) **كَالْمُعَايَنَةِ مَعَ الإِبْصَارِ، فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا، وَلا يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ.**

٢٧٣ ـ وقال عليه السلام: **بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْغِرَّةِ.**

٢٧٤ ـ وقال عليه السلام: **جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ**(٧)**، وَعَالِمُكُمْ مُسَوِّفٌ**(٨).

٢٧٥ ـ وقال عليه السلام: **قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ.**

---

(١) العقد الفريد ٣: ٢٢٢.

(٢) غبر الشيء: بقاياه.

(٣) الدهماء: السوداء.

(٤) تكشر: تكشف.

(٥) الأغرّ: الأبيض.

(٦) الرويّة: إعمال العقل في طلب الصواب.

(٧) جاهلكم مزداد: أي يغالي ويزداد في العمل على غير بصيرة.

(٨) عالمكم مسوّف: أي يؤخّر العمل عن وقته.





٢٧٦ ـ وقال عليه السلام: **كُلُّ مُعَاجَلٍ يَسْأَلُ الإنْظَارَ، وَكُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بالتَّسْويفِ.**

٢٧٧ ـ وقال عليه السلام: **مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ: طُوبَى لَهُ، إلَّا وَقَدْ خَبَأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سَوْءٍ.**

٢٧٨ ـ وسئل عن القدر، فقال: **طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوهُ، وَبَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجُوهُ، وَسِرُّ اللهِ فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ**[١].

٢٧٩ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا أَرْذَلَ اللهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ.**

٢٨٠ ـ وقال عليه السلام: **كَانَ لِي فِيما مَضَى أَخٌ فِي اللهِ، وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَا يَشْتَهِي مَا لا يَجِدُ وَلا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ، وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً، فَإِنْ قَالَ بَذَّ**[٢] **الْقَائِلِينَ، وَنَقَعَ غَلِيلَ**[٣] **السَّائِلِينَ، وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً، فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ، وَصِلُّ**[٤] **وَادٍ، لا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً، وَكَانَ لا يَلُومُ أَحَداً عَلَى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ، وَكَانَ لا يَشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ، وَكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَلا يَقُولُ مَا لا يَفْعَلُ، وَكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ، وَكَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَكَان إِذَا بَدَهَهُ**[٥] **أَمْرَانِ نَظَرَ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَخَالَفَهُ. فَعَلَيْكُمْ بِهذِهِ الْخَلَائِقِ فَالْزَمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ**[٦].

---

(١) روى نحوه الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في التوحيد: ٣٦٥ ح٣، والثعلبي (ت٤٢٧) في تفسيره ٢: ٢٢٥.

(٢) بذّهم: سبقهم وغلبهم.

(٣) نقع الغليل: أزال العطش.

(٤) الصل: الحية.

(٥) بدهه الأمر: فجأه وبغته.

(٦) رواه عن الإمام الحسن عليه السلام الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٣: ٢٣٧ ح ٢٦، وابن=





٢٨١ ـ وقال عليه السلام: **لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ لَكَانَ يَجِبُ أَنْ لا يُعْصَى شُكْراً لِنِعَمِهِ.**

٢٨٢ ـ وقال عليه السلام، وقد عزّى الأشعثَ بن قيس عن ابن له: **يَا أَشْعَثُ، إِنْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِكَ فَقَدِ اسْتَحَقَّتْ ذلِكَ مِنْكَ الرَّحِمُ، وَإِنْ تَصْبِرْ فَفِي اللهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ، يَا أَشْعَثُ، إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ، وَإِنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ، ابْنُكَ سَرَّكَ وَهُوَ بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ، وَحَزَنَكَ وَهُوَ ثَوَابٌ وَرَحْمَةٌ**(١).

٢٨٣ ـ وقال عليه السلام على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة دُفِنَ: **إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلَّا عَنْكَ، وَإِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ، وَإِنَّ الْمُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ، وَإِنَّهُ قَبْلَكَ وَبَعْدَكَ لَجَلَلٌ.**

٢٨٤ ـ وقال عليه السلام: **لا تَصْحَبِ الْمَائِقَ فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ، وَيَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ.**

٢٨٥ ـ وقال عليه السلام وقد سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب: **مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ**(٢).

٢٨٦ ـ وقال عليه السلام: **أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ، وَأَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ: فَأَصْدِقَاؤُكَ: صَدِيقُكَ، وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ، وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ. وَأَعْدَاؤكَ: عَدُوُّكَ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ، وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ**(٣).

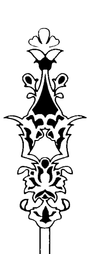
= شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٣٥، والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) في تاريخ بغداد١٢: ٣١١ ح ٦٧٥٧.

(١) رواه باختلاف الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٣: ٢٦١ ح ٤٠، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠٩، وفيهما أنّه عليه السلام عزاه بأخيه، وعند ابن عساكر (ت ٥٧١) في تاريخ دمشق ٩: ١٣١، أنّه عزاه بإبنه.

(٢) رواه الثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ١٨٠.

(٣) العقد الفريد ٢: ٣٠٦.





٢٨٧ ـ وقال عليه السلام لرجل رآه يسعى على عدوّ له بما فيه إضرار بنفسه: **إِنَّمَا أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ**(١).

٢٨٨ ـ وقال عليه السلام: **مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وأَقَلَّ الاعْتِبَارَ.**

٢٨٩ ـ وقال عليه السلام: **مَن بَالَغَ فِي الْخُصومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظُلِمَ، وَلا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَنْ خَاصَمَ**(٢).

٢٩٠ ـ وقال عليه السلام: **مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَأَسْأَلَ اللهَ الْعَافِيَةَ.**

٢٩١ ـ وسئل عليه السلام: كيف يحاسب الله الخلق على كَثْرتهم؟ فقال عليه السلام: **كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ**. فقيل: كيف يُحاسِبُهُم ولا يَرَوْنَهُ؟ قال عليه السلام: **كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلا يَرَوْنَهُ.**

٢٩٢ ـ وقال عليه السلام: **رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ.**

٢٩٣ ـ وقال عليه السلام: **مَا الْمُبْتَلَى الَّذِي قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلاءُ، بِأَحْوَجَ إِلَى الدُّعَاءِ مِنَ الْمُعَافَى الَّذِي لا يَأْمَنُ البَلاءَ.**

٢٩٤ ـ وقال عليه السلام: **النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا، وَلا يُلامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ**(٣).

٢٩٥ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ الْمِسْكِينَ رَسُولُ اللهِ، فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللهَ، وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَى اللهَ**(٤).

٢٩٦ ـ وقال عليه السلام: **مَا زَنَى غَيُورٌ قَطُّ.**

٢٩٧ ـ وقال عليه السلام: **كَفَى بِالأَجَلِ حَارِساً**(٥).

---

(١) رواه الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٣: ٣٣٠.

(٢) رواه الشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الاختصاص: ٢٣٩، والإرشاد ١: ٢٩٨.

(٣) الراغب في محاضرات الأدباء ٢: ١٦٩.

(٤) دعائم الإسلام ١: ٢٤٣.

(٥) رواه الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) في كتاب التوحيد: ٣٦٨ ح ٥، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٢٤، وفيه: «حرزاً» بدل: حارساً.



٢٩٨ ـ وقال عليه السلام: **يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَى الثُّكْلِ، وَلا يَنَامُ عَلَى الْحَرَبِ.**

ومعنى ذلك: أنّه يصبر على قتل الأولاد، ولا يصبر على سلب الأموال.

٢٩٩ ـ وقال عليه السلام: **مَوَدَّةُ الآبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ الأبْنَاءِ، وَالْقَرَابَةُ إِلَى الْمَوَدَّةِ أَحْوَجُ مِنَ الْمَوَدَّةِ إِلَى الْقَرَابَةِ.**

٣٠٠ ـ وقال عليه السلام: **اتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ.**

٣٠١ ـ وقال عليه السلام: **لا يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ، حَتّى يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ سُبْحَانَهُ أَوْثَقَ مِنهُ بِمَا فِي يَدِهِ**(١).

٣٠٢ ـ وقال عليه السلام لأنس بن مالك، وقد كان بعثه إلى طلحةَ والزبيرِ لما جاءا إلى البصرة يذكرهما شيئاً سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في معناهما، فلوى عن ذلك، فرجع إليه، فقال: إِنِّي أُنسيتُ ذلك الأمرَ.

فَقال عليه السلام: **إنْ كُنْتَ كَاذِباً فَضَرَبَكَ اللهُ بِهَا بَيْضَاءَ لَامِعَةً لا تُوَارِيهَا الْعِمَامَةُ**(٢).

يعني البرص، فأصاب أَنَساً هذا الداء فيما بعدُ في وجهه، فكان لا يُرى إلّا مُبَرقعاً.

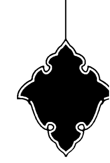
٣٠٣ ـ وقال عليه السلام: **إنَّ لِلْقُلُوبِ إقْبَالاً وَإِدْبَاراً، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ**(٣).

---

(١) مروج الذهب ٤: ٤٣٤.

(٢) رواه ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في المعارف: ٥٨٠، والطبري الشيعي (ق ٤) في المسترشد: ٦٧٤، وأشار البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١٥٧ إلى إصابته بالبرص بسبب كتمان الشهادة.

(٣) رواه الكليني (ت٣٢٩) في الكافي ٣: ٤٥٤ ح١٦ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكلاهما نور واحد.





٣٠٤ ـ وقال عليه السلام: **فِي الْقُرْآنِ نَبأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَابَيْنَكُمْ**[١].

٣٠٥ ـ وقال عليه السلام: **رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ، فَإِنَّ الشَّرَّ لا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ.**

٣٠٦ ـ وقال عليه السلام لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع: **أَلِقْ**[٢] **دَوَاتَكَ، وَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ**[٣]**، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطورِ، وقَرْمِطْ بَيْنَ الْحُرُوفِ**[٤]**، فَإِنَّ ذلِكَ أَجْدَرُ بِصَباحَةِ الْخَطِّ.**

٣٠٧ ـ وقال عليه السلام: **أَنا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ**[٥].

ومعنى ذلك أنّ المؤمنين يتبعونني، والفجار يتبعون المال، كما تتبع النحل يعسوبها، وهو رئيسها.

٣٠٨ ـ وقال له بعض اليهود: ما دَفَنْتُم نَبيَّكُم حتّى اختلفتم فيه. فقال عليه السلام له: **إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لا فِيهِ، وَلكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

٣٠٩ ـ وقيل له: بأيّ شيء غلبتَ الأقران؟ فقال عليه السلام: **مَا لَقِيتُ رَجُلاً إِلَّا أَعَانَنِي عَلَى نَفْسِهِ.**

---

(١) روى نحوه الدارمي (ت ٢٥٥) في سننه ٢: ٤٣٥، والترمذي (ت ٢٧٩) في سننه ٤: ٢٤٥ ح ٣٠٧٠، وفيه: عن عليّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) ألق دواتك: ضع الليقة فيها.

(٣) جلفة القلم: هيئة فتحته التي يستمد بها المداد.

(٤) القرمطة بين الحروف: المقاربة بينها وتضييق فواصلها.

(٥) رواه الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ٢٥١، والصدوق (ت ٣٨١) في الخصال: ٦٣٣، ومعاني الأخبار: ٣١٤ بلفظ «والمال يعسوب الظلمة»، وانظر أيضاً: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم ٣: ٤٣٩ - ٤٤٠، الفائق ٢: ١٥٠، النهاية ٣: ٢٣٤.



يومئ عليه السلام بذلك إلى تمكّن هيبته في القلوب.

٣١٠ ـ وقال عليه السلام لابنه محمّد ابن الحنفية: **يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ، فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْه، فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ، مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ، دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ.**

٣١١ ـ وقال عليه السلام لِسائل سأله عن معضلة: **سَلْ تَفَقُّهاً وَلا تَسْأَلْ تَعَنُّتاً، فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ الْمُتَعَنِّتِ.**

٣١٢ ـ وقال عليه السلام لعبدالله بن العباس، وقد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه: **لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وأَرَى، فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَأَطِعْنِي**(١).

٣١٣ ـ وروي أنّه عليه السلام لما ورد الكوفة قادماً من صفين مرّ بالشّباميين، فسمع بكاء النساء على قتلى صفين، وخرج إليه حرب بن شُرَحْبِيل الشّبامي، وكان من وجوه قومه، فقال عليه السلام: **أَتَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ! أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هذَا الرَّنِينِ!**

وأقبل يمشي معه وهو عليه السلام راكب، فقال عليه السلام له: **ارْجِعْ، فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي، وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ**(٢).

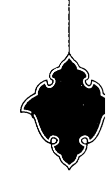
٣١٤ ـ وقال عليه السلام وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النَّهْرَوَان: **بُؤْساً لَكُمْ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ**. فقيل له: مَن غرّهم يا أميرالمؤمنين؟ فقال: **الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ، وَالأَنْفُسُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، غَرَّتْهُم بِالأَمَانِيّ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ فِي الْمَعَاصِي، وَوَعَدَتْهُمُ الإِظْهَارَ، فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ**(٣).

---

(١) الطبري في تاريخه ٦ / ٣٠٨٩ حوادث سنة ٣٥، والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٣٦٥.

(٢) رواه الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٩٣، والطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٤٥.

(٣) رواه الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤: ٦٦ بتفاوت، والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٤١٨.





٣١٥ ـ وقال عليه السلام: **اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللهِ فِي الْخَلَوَاتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ.**

٣١٦ ـ وقال عليه السلام لمّا بلغه قتل محمّد بن أبي بكر: **إِنَّ حُزْنَنَا عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ، إِلَّا أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضاً، وَنَقَصْنَا حَبِيباً**[(١)].

٣١٧ ـ وقال عليه السلام: **الْعُمْرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللهُ فِيهِ إِلَى ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً**[(٢)].

٣١٨ ـ وقال عليه السلام: **مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الإِثْمُ بِهِ، وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ.**

٣١٩ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مَنَعَ بِهِ غَنِيٌ، وَاللهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذلِكَ.**

٣٢٠ ـ وقال عليه السلام: **الاسْتِغْنَاءُ عَنِ الْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ.**

٣٢١ ـ وقال عليه السلام: **أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ للهِ أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ.**

٣٢٢ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةَ الأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجَزَةِ.**

٣٢٣ ـ وقال عليه السلام: **السُّلْطَانُ وَزَعَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ**[(٣)].

٣٢٤ ـ وقال عليه السلام في صفة المؤمن: **الْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ، وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ، أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً، وَأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً، يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ، وَيَشْنَأُ السُّمْعَةَ، طَوِيلٌ غَمُّهُ، بَعِيدٌ هَمُّهُ، كَثِيرٌ صَمْتُهُ، مَشْغُولٌ وَقْتُهُ، شَكُورٌ صَبُورٌ، مَغْمُورٌ**[(٤)]

---

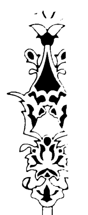
(١) روى نحوه الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤ : ٨٢.

(٢) رواه الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٤ : ٤٢٧، وفي تفسيره ٢٣ : ١٧٠ عن ابن عباس، وذكر البغوي (ت٥١٠) في تفسيره ٣: ٥٧٣ انّ ابن عباس يرويه عن عليّ عليه السلام.

(٣) وقعة صفين: ١٢٦، النهاية لابن الأثير (و/ ز/ ع)، وتهذيب الألفاظ للأزهري ٣: ٩٩.

(٤) مغمور: أي غريق في فكرته.





بِفِكْرَتِهِ، ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ، سَهْلُ الْخَلِيقَةِ، لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ؛ نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ، وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ(١).

٣٢٥ ـ وقال عليه السلام: **لَوْ رَأَى الْعَبْدُ الأَجَلَ وَمَسِيرَهُ لأَبْغَضَ الأَمَلَ وَغُرُورَهُ(٢).**

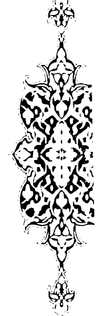
٣٢٦ ـ وقال عليه السلام: **لِكُلِّ امْرِىءٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ: الْوَارِثُ، وَالْحَوَادِثُ.**

٣٢٧ ـ وقال عليه السلام: **الْمَسْؤُولُ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَ(٣).**

٣٢٨ ـ وقال عليه السلام: **الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا وَتَرٍ(٤).**

٣٢٩ ـ وقال عليه السلام: **الْعِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ، وَلا يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ.**

٣٣٠ ـ وقال عليه السلام: **صَوَابُ الرَّأْيِ بِالدُّوَلِ: يُقْبِلُ بِإِقْبَالِهَا، وَيَذْهَبُ بِذَهَابِهَا.**



٣٣١ ـ وقال عليه السلام: **الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى(٥).**

٣٣٢ ـ وقال عليه السلام: **يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَومِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ!**

٣٣٣ ـ وقال عليه السلام: **الْغِنَى الأَكْبَرُ الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ(٦).**

٣٣٤ ـ وقال عليه السلام: **الأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ، وَالسَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ(٧)، وَكُلُّ نَفْسٍ بِمَا**

---

(١) رواه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٢: ٢٢٦ ح ١، وسبط ابن الجوزي في التذكرة: ١٣٨.

(٢) رواه الحسين بن سعيد الكوفي (ق ٣) في كتاب الزهد: ٨١، الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٣: ٢٥٩، والصدوق (ت ٣٨١) في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٤٣ ح ٦٢٠، والمفيد (ت ٤١٣) في الأمالي: ٣٠٩.

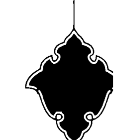
(٣) رواها ابن مسكويه في الحكمة الخالدة: ١١٢.

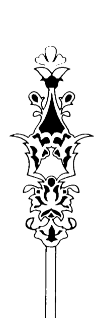
(٤) رواه الصدوق (ت ٣٨١) في الخصال: ٦٢١، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١١٢.

(٥) رواه ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٩٠.

(٦) رواها أبو نعيم في حلية الأولياء: ٨ / ٣٠٥.

(٧) السرائر مبلوّة: أي بلاها الله واختبرها وعلمها.





كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، وَالنَّاسُ مَنْقُوصُونَ[١] مَدْخُولُونَ[٢] إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ، سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ، يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْياً يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَا وَالسُّخْطُ، وَيَكَادُ أَصْلَبُهُمْ عُوداً تَنْكَؤُهُ اللَّحْظَةُ[٣]، وَتَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ اتَّقُوا اللهَ، فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَا لا يَبْلُغُهُ، وَبَانٍ مَا لا يَسْكُنُهُ، وَجَامِعٍ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ، أَصَابَهُ حَرَاماً، وَاحْتَمَلَ بِهِ آثَاماً، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ آسِفاً لاهِفاً، قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

٣٣٥ ـ وقال عليه السلام: مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعَاصِي.

٣٣٦ ـ وقال عليه السلام: مَاءُ وَجْهِكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤَالُ، فَانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ.

٣٣٧ ـ وقال عليه السلام: الثَّنَاءُ بِأَكْثَرَ مِنَ الاسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ، وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الاسْتِحْقَاقِ عَيٌّ أَوْ حَسَدٌ.

٣٣٨ ـ وقال عليه السلام: أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ.

٣٣٩ ـ وقال عليه السلام: مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ كَابَدَ الأُمُورَ[٤] عَطِبَ[٥]، وَمَنِ اقْتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ، وَمَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ، وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَاكَ الأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ.

---

(١) المنقوص: المأخوذ عن رشده وكماله.

(٢) المدخول: المغشوش.

(٣) تنكؤه: تسيل دمه وتجرحه. واللحظة: النظرة إلى مشتهى.

(٤) كابد الأمور: قاساها بلا إعداد أسبابها.

(٥) عطب: انكسر، والمراد خسر.



وَالْقَنَاعَةُ مَالٌ لا يَنْفَدُ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ[(١)].

٣٤٠ ـ وقال عليه السلام: **لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ: يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ، وَيُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّلَمَةَ**[(٢)].

٣٤١ ـ وقال عليه السلام: **عِنْدَ تَنَاهِي الشِّدَّةِ تَكُونُ الْفُرْجَةُ، وَعِنْدَ تَضَايُقِ حَلَقِ الْبَلَاءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ**[(٣)].

٣٤٢ ـ وقال عليه السلام لبعض أصحابه: **لا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغُلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ: فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ، وَإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللهِ، فَمَا هَمُّكَ وَشُغُلُكَ بِأَعْدَاءِ اللهِ!**

٣٤٣ ـ وقال عليه السلام: **أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ.**

٣٤٤ ـ وهنّأ بحضرته عليه السلام رجل رجلاً بغلام ولد له فقال له: لِيَهْنِئْكَ الْفَارِسُ.

فقال عليه السلام: **لا تَقُلْ ذلِكَ، وَلكِنْ قُلْ: شَكَرْتَ الْوَاهِبَ، وَبُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ، وَرُزِقْتَ بِرَّهُ**[(٤)].

٣٤٥ ـ وبنى رجل من عمّاله بناءً فخماً، فقال عليه السلام: **أَطْلَعَتِ الْوَرِقُ**[(٥)] **رُؤُوسَهَا؛ إِنَّ الْبِنَاءَ لَيَصِفُ عَنْكَ الْغِنَى.**

---

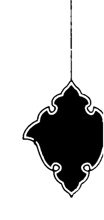
(١) رواه باختلاف الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ١٩، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٨٨.

(٢) رواه اليعقوبي (ت٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٧، والكليني (ت٣٢٩) في الكافي ١: ٣٧ ح٧ بلفظ: «للمتكلّف ثلاث علامات».

(٣) رواه القاضي التنوخي (ت ٣٨٤) في الفرج بعد الشدّة ١: ٤٤.

(٤) رواه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٦: ١٧ ح ١ عن الإمام الحسن عليه السلام.

(٥) الورق: الفضة.





٣٤٦ ـ وقيل له عليه السلام: لو سُدَّ على رجل بَابُ بيته وتُرِكَ فيه، من أين كان يأتيه رزقُه؟ فقال عليه السلام: **مِنْ حَيْثُ كَانَ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ.**

٣٤٧ ـ وعَزّى عليه السلام قوماً عن ميّتٍ ماتَ لهم فقال: **إِنَّ هذَا الأَمْرَ لَيْسَ بِكُمْ بَدَأَ، وَلا إِلَيْكُمُ انْتَهَى، وَقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هذَا يُسَافِرُ، فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ.**

٣٤٨ ـ وقال عليه السلام: **أَيُّهَا النَّاسُ، لِيَرَكُمُ اللهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجِلِينَ، كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّقْمَةِ فَرِقِينَ، إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذلِكَ اسْتِدْرَاجاً فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً، وَمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذلِكَ اخْتِبَاراً فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولاً**[١].

٣٤٩ ـ وقال عليه السلام: **يَا أَسْرَى الرَّغْبَةِ أَقْصِرُوا فَإِنَّ الْمُعَرِّجَ**[٢] **عَلَى الدُّنْيَا لا يَرُوعُهُ**[٣] **مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ**[٤] **أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ**[٥]**. أَيُّهَا النَّاسُ تَوَلَّوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا، وَاعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ**[٦] **عَادَاتِهَا.**

٣٥٠ ـ وقال عليه السلام: **لا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءاً، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلاً**[٧].

٣٥١ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ**

---

(١) رواه محمّد بن همام الاسكافي(ت٣٣٦) في كتاب التمحيص: ٤٨، وابن شعبة(ق٤) في تحف العقول: ٢٠٦.

(٢) المعرّج: المائل إلى الشيء.

(٣) يروعه: يفزعه.

(٤) الصريف: صوت الأسنان ونحوها عند الاصطكاك.

(٥) الحدثان: النوائب.

(٦) الضراوة: اللهج بالشيء والولوع به.

(٧) رواه الكليني (ت٣٢٩) في الكافي ٢: ٣٦٢ ح ٣، والمحاملي (ت ٣٣٠) في الأمالي: ٣٩٦، والصدوق (ت٣٨١) في الأمالي: ٣٨٠ ح ٨، والمفيد (ت ٤١٣) في الاختصاص: ٢٢٦.



الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيّ ﷺ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ، فَإِنَّ اللهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ، فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الأُخْرَى[١].

٣٥٢ ـ وقال عليه السلام: مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ الْمِرَاءَ[٢].

٣٥٣ ـ وقال عليه السلام: مِنَ الْخُرْقِ[٣] الْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ الإِمْكَانِ، وَالأَنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ[٤].

٣٥٤ ـ وقال عليه السلام: لاتَسْأَلْ عَمَّا لا يَكُونُ، فَفِي الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغُلٌ[٥].

٣٥٥ ـ وقال عليه السلام: الْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ، وَالاعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ، وَكَفَى أَدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ[٦].

٣٥٦ ـ وقال عليه السلام: الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ[٧].

٣٥٧ ـ وقال عليه السلام: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ[٨] فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ، قُلْعَتُهَا أَحْظَى[٩] مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا، وَبُلْغَتُهَا[١٠] أَزْكَى مِنْ ثَرْوَتِهَا، حُكِمَ

---

(١) رواه الحلواني (ق٥) في نزهة الناظر: ٤٨.

(٢) رواه الحلواني (ق ٥) في نزهة الناظر: ٤٨.

(٣) الخرق: الحمق، وضد الرفق.

(٤) رواه الحلواني (ق ٥) في نزهة الناظر: ٤٨.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) رواه ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠٢، والمفيد (ت ٤١٣) في الأمالي: ٣٣٦ ح ٧، والكراجكي (ت ٤٤٩) في كنز الفوائد: ٢٢٥، والطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ١١٥ ح ٢٩.

(٧) رواه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ١: ٤٤ ح ٢ عن أبي عبدالله عليه السلام.

(٨) موبئ: ذو وباء.

(٩) القلعة: عدم سكونك للتوطن. وأحظى: أسعد.

(١٠) البلغة: مقدار ما يتبلّغ به من القوت.



عَلَى مُكْثِرٍ مِنْهَا بِالْفَاقَةِ، وَأُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا[١] بِالرَّاحَةِ، مَنْ رَاقَهُ زِبْرِجُهَا[٢] أَعْقَبَتْ نَاظِرَيْهِ كَمَهاً[٣]، وَمَنِ اسْتَشْعَرَ الشَّغَفَ[٤] بِهَا مَلأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجَاناً، لَهُنَّ رَقْصٌ عَلى سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ: هَمٌّ يَشْغَلُهُ، وَغَمٌّ يَحْزُنُهُ، كَذلِكَ حَتَّى يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ[٥] فَيُلْقَى بِالْفَضَاءِ، مُنْقَطِعاً أَبْهَرَاهُ[٦]، هَيِّناً عَلى اللهِ فَنَاؤُهُ، وَعَلَى الإِخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ.

وَإِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ، وَيَقْتَاتُ[٧] مِنْهَا بِبَطْنِ الاضْطِرَارِ[٨]، وَيَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ وَالإِبْغَاضِ، إِنْ قِيلَ أَثْرى[٩] قِيلَ أَكْدَى[١٠]، وَإِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ، هذَا وَلَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ[١١].

٣٥٨ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِيَاشَةً[١٢] لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ.

٣٥٩ ـ وروي أنّه عليه السلام قلّما اعتدل به المنبر إلّا قال أمام خطبته: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ، فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُوَ، وَلا تُرِكَ سُدىً فَيَلْغُوَ، وَمَا دُنْيَاهُ

---

(١) غَني عنها: استغنى عنها.
(٢) راقه: أعجبه. والزبرج: الزينة.
(٣) الكمه: العمى.
(٤) الشغف: الولع وشدّة التعلّق.
(٥) الكظم: مجرى النفس.
(٦) الأبهران: عرقان متصلان بالقلب.
(٧) يقتات: يأخذ من القوت.
(٨) ببطن الاضطرار: بقدر الضرورة.
(٩) أثرى: استغنى.
(١٠) أكدى: افتقر.
(١١) أبلس: انقطع رجاؤه. رواه ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٢١ بتفاوت يسير.
(١٢) حياشة: من حاش الصيد أي جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحبالة ليصيده.



التِي تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلَفٍ[1] مِنَ الآخِرَةِ الَّتِي قَبَّحَها سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ، وَمَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بأَعْلَى هِمَّتِهِ كَالآخَرِ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الآخِرَةِ بِأَدْنَى سُهْمَتِهِ[2].

٣٦٠ ـ وقال عليه السلام: لا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الإسْلَامِ، وَلا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى، وَلا مَعْقِلَ أَحْصَنُ مِنَ الْوَرَعِ، وَلا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ، وَلا مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَا بِالْقُوتِ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدِ انْتَظَمَ الرَّاحَةَ[3]، وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ[4]، وَالرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ، وَمَطِيَّةُ التَّعَبِ، وَالْحِرْصُ وَالْكِبْرُ وَالْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ، وَالشَّرُّ جَامِعُ مَسَاوِئِ الْعُيُوبِ[5].

٣٦١ ـ وقال عليه السلام: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يَبْقى فِيهِمْ مِنَ الْقُرآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، وَمِنَ الإسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبُنَى، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ، يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا، وَيَسُوقُونَ مَن تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا، يَقُولُ اللهُ تعالى: فَبِي حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولئِكَ فِتْنَةً أَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ، وَقَدْ فَعَلَ، وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ[6].

٣٦٢ ـ وقال عليه السلام لجابر بن عبدالله الأنصاري: يَا جَابِرُ، قِوَامُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ: عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ، وَجَاهِلٍ لا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَجَوَادٍ لا يَبْخَلُ

---

(١) خلف: ما يخلف الشيء ويأتي بعده.

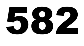
(٢) السُهمة: النصيب.

(٣) انتظم الراحة: أي ظفر بالراحة.

(٤) تبوأ: أنزل، والدعة: السعة.

(٥) رواه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ١٩، والصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٣٩٩، والتوحيد: ٧٣، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٩٣.

(٦) روى صدره باختلاف الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٣٠٨ ح ٤٧٩.





بِمَعْرُوفِهِ، وَفَقِيرٍ لا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ؛ فَإِذَا ضَيَّعَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَإِذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ. يَا جَابِرُ، مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَامَ لله فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ لله فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ[1].

٣٦٣ ـ وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبدالرحمن ابن أبي ليلى الفقيه ـ وكان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الأشعث ـ أنّه قال فيما كان يحضُّ به الناسَ على الجهاد: إنّي سمعتُ علياً عليه السلام يقول يوم لقينا أهل الشام:

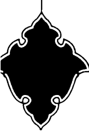
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَراً يُدْعَى إِلَيْهِ، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ السُّفْلَى، فَذلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ[2].

٣٦٤ ـ وقد قال عليه السلام في كلام غير هذا يجري هذا المجرى: فَمِنْهُمُ الْمُنْكِرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ الْخَيْرِ، وَمِنْهُمُ الْمُنْكِرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ فَذلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ وَمُضَيِّعٌ خَصْلَةً، وَمِنْهُمُ الْمُنْكِرُ بِقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَذلِكَ الَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلاثِ وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ، وَمِنْهُمْ تَارِكٌ لإِنْكَارِ الْمُنكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ فَذلِكَ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ، وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، عِنْدَ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنكَرِ، إِلَّا كَنَفْثَةٍ[3] فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ، وَإِنَّ

(١) رواه ابن شعبة (ق٤) في تحف العقول: ٢٢٣، والخوارزمي (ت٥٦٨) في المناقب: ٣٦٨ ح٣٨٨.

(٢) رواه الطبري (ت ٣١٠) في تاريخه ٥ : ١٦٣.

(٣) النفث: إلقاء ما في الفم والرمي به.



الأمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنكَرِ لا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وَأَفضَلُ مِنْ ذلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ.

٣٦٥ ـ وعن أبي جُحَيْفَةَ قال: سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: **إِنَّ أَوَّلَ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ؛ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً، وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَراً، قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلاهُ أَسْفَلَهُ، وَأَسْفَلُهُ أَعْلَاهُ**[1].

٣٦٦ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيءٌ**[2].

٣٦٧ ـ وقال عليه السلام: **لا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هذِهِ الأُمَّةِ عَذَابَ اللهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالى:** ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ **.وَلا تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هذِهِ الأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللهِ، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

٣٦٨ ـ وقال عليه السلام: **الْبُخْلُ جامِعٌ لِمَسَاوِئِ الْعُيُوبِ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ.**

٣٦٩ ـ وقال عليه السلام: **الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ، كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَاقَسَمَ لَكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ لِمَا لَيْسَ لَكَ، وَلَنْ يَسْبِقَكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ، وَلَنْ يُبْطِىءَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ**[3].

وقد مضى هذا الكلام فيما تقدّم من هذا الباب، إلّا أنه ها هنا أوضح وأشرح، فلذلك كرّرناه على القاعدة المقرّرة في أوّل هذا الكتاب.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥) في المصنّف ٨: ٦٦٧ ح ١٢٤، ونعيم بن حمّاد (ت ٢٨٨) في كتاب الفتن: ٣٧، والقمي (ت ٣٢٩) في تفسيره ١: ٢١٣.

(٢) رواه ابن أعثم (ت ٣١٤) في كتاب الفتوح ٢: ٣٩٥.

(٣) رواه الصدوق (ت ٣٨١) في من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٦ ح ٥٨٣٤.





٣٧٠ ـ وقال عليه السلام: **رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ، وَمَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ**[١].

٣٧١ ـ وقال عليه السلام: **الْكَلَامُ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ، فَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً**[٢].

٣٧٢ ـ وقال عليه السلام: **لا تَقُلْ مَا لا تَعْلَمُ، [بَلْ لا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ،] فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قد فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**[٣].

٣٧٣ ـ وقال عليه السلام: **احْذَرْ أَنْ يَرَاكَ اللهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ، فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَإِذَا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ**[٤].

٣٧٤ ـ وقال عليه السلام: **الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا تُعَايِنُ مِنْهَا جَهْلٌ، وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ إذَا وَثِقْتَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ، وَالطُّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الاخْتِبَار عَجْزٌ.**

٣٧٥ ـ وقال عليه السلام: **مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللهِ أَنَّهُ لا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا، وَلا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا.**

٣٧٦ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ.**

٣٧٧ ـ وقال عليه السلام: **مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دوُنَ الْجَنَّةِ مَحْقُورٌ، وكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ**[٥].

---

(١) المصدر نفسه ٤: ٣٨٦ ح ٥٨٣٤.

(٢) المصدر نفسه ٤: ٣٨٨.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٦٢٦ ح ٣٢١٥، والمفيد (ت ٤١٣) في الإختصاص: ٢٣١.

(٤) رواه مختصراً الصدوق (ت ٣٨١) في من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٥٦ ح ٤٩١١.

(٥) رواه الكليني (ت٣٢٩) في الكافي ٨: ٢٤، والصدوق (ت٣٨١) في الأمالي: ٣٩٩ ح ٩ والتوحيد: ٧٤ ح٢٧، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٩٩.



٣٧٨ ـ وقال عليه السلام: **أَلَا وإِنَّ مِنَ الْبَلَاءِ الْفَاقَةَ، وَأَشَدُّ مِنَ الْفَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ، وَأشدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ، أَلا وإِنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةَ الْمَالِ، وَأَفْضَلُ مِن سَعَةِ الْمَالِ صِحّةُ الْبَدَنِ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ**(١).

٣٧٩ ـ وقال عليه السلام: **لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ: فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَرُمُّ**(٢) **مَعَاشَهُ، وَسَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ. وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ، أَوْ خُطْوَةٍ فِي مَعَادٍ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ**(٣).

٣٨٠ ـ وقال عليه السلام: **ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبَصِّرْكَ اللهُ عَوْرَاتِهَا، وَلا تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ.**

٣٨١ ـ وقال عليه السلام: **تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ**(٤).

٣٨٢ ـ وقال عليه السلام: **خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ**(٥).

٣٨٣ ـ وقال عليه السلام: **رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ.**

٣٨٤ ـ وقال عليه السلام: **كُلُّ مُقْتَصَرٍ عَلَيْهِ كَافٍ.**

٣٨٥ ـ وقال عليه السلام: **الْمَنِيَّةُ وَلا الدَّنِيَّةُ، وَالتَّقَلُّلُ وَلا التَّوَسُّلُ، وَمَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِداً لَمْ يُعْطَ قَائِماً، وَالدَّهْرُ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ؛ فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلا**

---

(١) رواه ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠٣، والشيخ الطوسي (ت٤٦٠) في الأمالي: ١٤٦ ح٥٣.

(٢) يرمّ: يصلح.

(٣) رواه ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠٣، والطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ١٤٧ ح ٥٣، وروى ذيله فقط البرقي (ت ٢٧٤) في المحاسن ٢: ٣٤٥ ح ٤.

(٤) روى ذيله الصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٥٣٢.

(٥) رواه ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٧٨.



تَبْطَرْ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ[1].

[٣٨٦ ـ وقال عليه السلام: **نِعْمَ الطِّيبُ الْمِسْكُ، خَفِيفٌ مَحْمِلُهُ، عَطِرٌ رِيحُهُ.**

٣٨٧ ـ وقال عليه السلام: **ضَعْ فَخْرَكَ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ، وَاذْكُرْ قَبْرَكَ**[2].

٣٨٨ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ لِلْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ حَقّاً، وَإِنَّ لِلْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ حَقّاً: فَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ.**

٣٨٩ ـ وقال عليه السلام: **الْعَيْنُ حَقٌّ، وَالرُّقَى حَقٌّ، وَالسِّحْرُ حَقٌّ، وَالْفَأْلُ**[3] **حَقٌّ، وَالطِّيَرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ، وَالْعَدْوَى لَيْسَتْ بِحَقٍّ، والطِّيبُ نُشْرَةٌ**[4]**، وَالْعَسَلُ نُشْرَةٌ، وَالرُّكُوبُ نُشْرَةٌ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْخُضْرَةِ نُشْرَةٌ**].

٣٩٠ ـ وقال عليه السلام: **مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ.**

٣٩١ ـ وقال عليه السلام لبعض مخاطبيه، وقد تكلم بكلمة يُسْتَصْغَرُ مثلُه عن قول مثلها: **لَقَدْ طِرْتَ شَكِيراً، وَهَدَرْتَ سَقْباً.**

والشكير هاهنا: أوّل ما ينبت من ريش الطائر قبل أن يقوى ويستحصف، والسقب: الصغير من الإبل ولا يهدر إلا بعد أن يستفحل.

٣٩٢ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ أَوْمَأَ**[5] **إِلَى مُتَفَاوِتٍ**[6] **خَذَلَتْهُ الْحِيَلُ.**

٣٩٣ ـ وقال عليه السلام وَقَدْ سُئِلَ عن معنى قولهم: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ:

---

(١) رواه باختلاف الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٢٠، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٩٥.

(٢) رواه ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٥٦ بتفاوتٍ يسير عما في النهج.

(٣) الفأل: الكلمة الحسنة يُتفاءل بها.

(٤) النشرة: العوذة والرّقية.

(٥) أومأ: أشار أي طلب أمراً مدبراً عنه غير مقبل.

(٦) تفاوت الأمر: أُعسر تحصيله.



إِنَّا لا نَمْلِكُ مَعَ اللهِ شَيْئاً، وَلا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَّكَنَا، فَمَتَى مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا، وَمَتى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا.

٣٩٤ ـ وقال عليه السلام لعمّار بن ياسر رحمه الله، وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً: **دَعْهُ يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَتْهُ الدُّنْيَا، وَعَلَى عَمْدٍ لَبَّسَ عَلَى نَفْسِهِ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَاذِراً لِسَقَطَاتِهِ.**

٣٩٥ ـ وقال عليه السلام: **مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللهِ! وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الأَغْنِيَاءِ اتِّكَالاً عَلَى اللهِ**(١).

٣٩٦ ـ وقال عليه السلام: **مَا اسْتَوْدَعَ اللهُ امْرَأً عَقْلاً إِلَّا اسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْماً مَا.**

٣٩٧ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ**(٢).

٣٩٨ ـ وقال عليه السلام: **الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ.**

٣٩٩ ـ وقال عليه السلام: **التُّقَى رَئِيسُ الأَخْلَاقِ.**

٤٠٠ ـ وقال عليه السلام: **لا تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ**(٣) **لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ، وَبَلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ.**

٤٠١ ـ وقال عليه السلام: **كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ**(٤).

٤٠٢ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ صَبَرَ صَبْرَ الأَحْرَارِ، وَإِلَّا سَلَا**(٥) **سُلُوَّ الأَغْمَارِ**(٦).

وفي خبر آخر أنّه عليه السلام قال للأشعث بن قيس معزياً: **إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ الأَكَارِمِ، وَإِلَّا سَلَوْتَ سُلُوَّ الْبَهَائِمِ.**

---

(١) رواه الثعلبي (ت ٤٢٧) في تفسيره ٢ : ٢٦١، والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) في تاريخه ٩ : ٤٣٢.

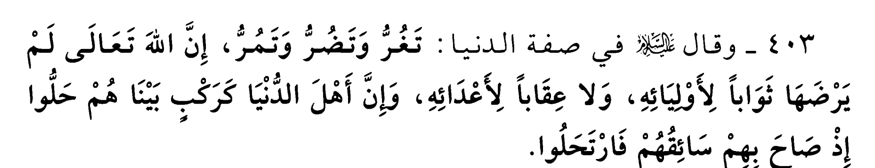
(٢) رواه الشيخ المفيد (ت ٤١٣) في الإرشاد ١ : ٣٠٠.

(٣) الذرب: الحدّة.

(٤) رواه ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٩٧.

(٥) سلا: نسي.

(٦) الأغمار: جمع غمر، وهو من لا يعلم شيئاً.


٤٠٣ ـ وقال عليه السلام في صفة الدنيا: **تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لِأَوْلِيَائِهِ، وَلا عِقَاباً لِأَعْدَائِهِ، وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا.**

٤٠٤ ـ وقال لابنه الحسن عليه السلام: **يا بُنَيَّ لا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنَّكَ تُخَلِّفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلى مَعْصِيَتِهِ، وَلَيْسَ أَحَدُ هذَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ**(١).

و يروى هذا الكلام على وجه آخر، وهو: **أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلٍ بَعْدَكَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ اللهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، أَوْ رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ، وَلَيْسَ أَحَدُ هذَيْنِ أَهْلاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَلا [أَنْ] تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ، فارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللهِ، وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللهِ**(٢).

٤٠٥ ـ وقال عليه السلام لقائل قال بحضرته أَسْتَغْفِرُ اللهَ:

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، أَتَدْرِي مَا الاسْتِغْفَارُ؟ إِنَّ الْاسْتِغْفَارَ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ، وَهُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ:

أَوَّلُهَا: النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى، وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبداً، وَالثَّالِثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ، وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ

---

(١) رواه ابن عساكر (ت ٥٧١) في تاريخ دمشق ٤٢: ٥٠٩، والمتقي الهندي (ت ٩٧٥) في كنز العمال ٣: ٧٢١ ح ٨٥٧٢.

(٢) رواه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٧٢، وانّه عليه السلام قاله لمولى له هرب منه إلى معاوية فأصاب مالاً.

حَقَّهَا، وَالْخَامِسُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالأَحْزَانِ، حَتَّى يَلْصِقَ الْجِلْدُ بِالْعَظْمِ، وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ، وَالسَّادِسُ: أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلاَوَةَ الْمَعْصِيَةِ، فَعِنْدَ ذلِكَ تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُاللهَ[1].

٤٠٦ ـ وقال عليه السلام: **الْحِلْمُ عَشِيرَةٌ.**

٤٠٧ ـ وقال عليه السلام: **مِسْكِينٌ ابْنُ آدَمَ: مَكْتُومُ الأَجَلِ، مَكْنُونُ**[2] **الْعِلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ، تَؤْلِمُهُ الْبَقَّةُ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ**[3]**، وَتُنْتِنُهُ الْعَرْقَةُ**[4].

٤٠٨ ـ وروي أنّه عليه السلام كان جالساً في أصحابه، فمرّت بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بأبصارهم.

فقال عليه السلام: **إِنَّ أَبْصَار هذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ**[5]**، وَإِنَّ ذلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا**[6]**، فإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلاَمِسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَةٍ.**

فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه، فوثب القوم لِيقتلوه، فقال عليه السلام: **رُوَيْداً، إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ.**

٤٠٩ ـ وقال عليه السلام: **كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ لَكَ سَبِيلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ.**

٤١٠ ـ وقال عليه السلام: **افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ، وَلا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنَّ أَحَداً أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَاللهِ**

---

(١) روى نحوه ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٩٧، والثعلبي (ت ٤٢٧) في تفسيره ٨: ٣١٥.

(٢) مكنون: مستور.

(٣) الشرقة: الغصّة بالريق.

(٤) رواه الخوارزمي (ت ٥٦٨) في المناقب: ٣٧٧ عن الجاحظ.

(٥) طمح: أبعد في الطلب.

(٦) هبّ الفحل: إذا هاج للضراب أو للسفاد.

كَذلِكَ، إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلاً، فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ.

٤١١ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلانِيَتَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وبَيْنَ اللهِ كَفَاهُ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ(١).

٤١٢ ـ وقال عليه السلام : الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ، وَالْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ، وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ(٢).

٤١٣ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ لِلّهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ(٣).

٤١٤ ـ وقال عليه السلام : لا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ: الْعَافِيَةِ، وَالْغِنَى، بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافىً إِذْ سَقِمَ، وَغَنِيّاً إِذِ افْتَقَرَ.

٤١٥ ـ وقال عليه السلام : مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا شَكَاهَا إِلَى اللهِ، وَمَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَا اللهَ.

٤١٦ ـ وقال عليه السلام في بعض الأعياد: إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللهُ صِيَامَهُ وَشَكَرَ قِيَامَهُ، وَكُلُّ يَوْمٍ لا يُعْصَى اللهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ.

٤١٧ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالاً فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ، فَوَرَّثَهُ رَجُلاً فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ، وَدَخَلَ الأَوَّلُ بِهِ النَّارَ.

٤١٨ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً، وَأَخْيَبَهُمْ سَعْياً، رَجُلٌ أَخْلَقَ

---

(١) رواه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٣٠٧ ح ٤٧٧، والصدوق (ت ٣٨١) في الأمالي: ٨٧ ح ٦، والخصال: ١٢٩ ح ١٣٣.

(٢) رواه باختلاف الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ١: ٢٠ ح ١٣.

(٣) رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١) في قضاء الحوائج: ١٦، والطبراني (ت٣٦٠) في المعجم الأوسط ٥: ٢٢٨.

بَدَنَهُ فِي طَلَبِ آمَالِهِ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ، وَقَدِمَ عَلَى الآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ.

٤١٩ ـ وقال عليه السلام: **الرِّزْقُ رِزْقَانِ: طَالِبٌ، وَمَطْلُوبٌ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا، وَمَنْ طَلَبَ الآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا.**

٤٢٠ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا، وَاشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ، وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ، وَرَأَوُا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلالاً، وَدَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتاً، أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ، وَسِلْمُ مَا عَادَى النَّاسُ، بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وَبِهِ عُلِمُوا، وَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا، لا يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ، وَلا مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ**[1].

٤٢١ ـ وقال عليه السلام: **اذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَّذَّاتِ، وَبَقَاءَ التَّبِعَاتِ.**

٤٢٢ ـ وقال عليه السلام: **اخْبُرْ تَقْلِهِ.**

ومن الناس من يروي هذا لرسول الله صلى الله عليه وآله، ومما يُقوّي أنّه من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب قال: حدّثنا ابن الأعرابي قال: قال المأمون: لولا أنّ علياً عليه السلام قال: «**اخبُر تَقْلِهِ**» **لقلت أنا: اقْلِهِ تَخْبُرْ.**

٤٢٣ ـ وقال عليه السلام: **مَا كَانَ اللهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ، وَلا لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الإِجَابَةِ، وَلا لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ.**

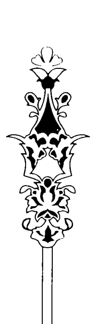
[٤٢٤ ـ وقال عليه السلام: **أَوْلَى النَّاسِ بِالْكَرَمِ مَنْ عُرِقَتْ**[2] **بِهِ الْكِرَامُ**].

٤٢٥ ـ وسئل عليه السلام أيّما أفضل: العدل أو الجود؟ فقال: **الْعَدْلُ يَضَعُ**

---

(١) حلية الأولياء لأبي نُعيم ١: ١٠.

(٢) عرقت: أي ضُربت عروقه في الكرم.



الأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، والْجُودُ يُخْرِجُهَا عَنْ جِهَتِهَا، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا.

٤٢٦ ـ وقال عليه السلام: **النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا**[١].

٤٢٧ ـ وقال عليه السلام: **الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾، فَمَنْ لَمْ يَأْسَ**[٢] **عَلَى الْمَاضِي، وَلَمْ يَفْرَحْ بِالآتِي، فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ.**

٤٢٨ ـ وقال عليه السلام: **الْوِلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ**[٣].

٤٢٩ ـ وقال عليه السلام: **ما أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ.**

٤٣٠ ـ وقال عليه السلام: **لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ، خَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ.**

٤٣١ ـ وقال عليه السلام وقد جاءه نعي الأشتر رحمه الله: **مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ! وَاللهِ لَوْ كَانَ جَبَلاً لَكَانَ فِنْداً، وَلَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً، لا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ، وَلا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ**[٤].

[قال الرضي]: الفند: المنفرد من الجبال.

٤٣٢ ـ وقال عليه السلام: **قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ.**

٤٣٣ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِعَةٌ فَانْتَظِرْ أَخَوَاتِهَا.**

٤٣٤ ـ وقال عليه السلام لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق، في كلام دار بينهما: **مَا فَعَلَتْ إِبِلُكَ الْكَثِيرَةُ؟** قال: ذَعْذَعَتْها[٥] الحُقُوقُ يا أميرالمؤمنين. فقال عليه السلام:

---

(١) الاختصاص للمفيد: ٢٤٥.

(٢) لم يأس: لم يحزن.

(٣) أي تعرف الرجال بها كما تعرف الخيل بالمضمار.

(٤) رواه باختلاف الثقفي (ت ٢٨٣) في الغارات ١: ٦٥، والمفيد (ت ٤١٣) في الاختصاص: ٨١.

(٥) ذعذع المال: فرّقه وبدّده.





ذَاكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا[1].

٤٣٥ ـ وقال عليه السلام: **مَنِ اتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ ارْتَطَمَ**[2] **فِي الرِّبَا**[3].

٤٣٦ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ ابْتَلَاهُ اللهُ بِكِبَارِهَا.**

٤٣٧ ـ وقال عليه السلام: **مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ.**

٤٣٨ ـ وقال عليه السلام: **مَا مَزَحَ امْرُؤٌ مَزْحَةً إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً.**

٤٣٩ ـ وقال عليه السلام: **زُهْدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ، وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ.**

[٤٤٠ ـ وقال عليه السلام: **مَا زَالَ الزُّبَيْرُ رَجُلاً مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ حَتَّى نَشَأَ ابْنُهُ الْمَشْؤُومُ عَبْدُ اللهِ**][4].

٤٤١ ـ وقال عليه السلام: **مَا لابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ: أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ، وَلَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ، وَلا يَدفَعُ حَتْفَهُ.**

٤٤٢ ـ وقال عليه السلام: **الغِنَى والْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْضِ عَلَى اللهِ.**

٤٤٣ ـ وسئل عليه السلام: من أشعر الشعراء؟ فقال: **إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعْرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا، فَإِنْ كَانَ وَلابُدَّ فَالْمَلِكُ الضِّلِّيلُ.**

يريد امرأ القيس.

٤٤٤ ـ وقال عليه السلام: **أَلَا حُرٌّ يَدَعُ هذِهِ اللُّمَاظَةَ**[5] **لِأَهْلِهَا؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ، فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّابِهَا.**

---

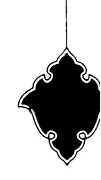
(١) رواه باختلاف العسكري (ت ٣٨٢) في تصحيفات المحدّثين ٢: ٤٢٢، والزمخشري (ت ٥٣٨) في الفائق ١: ٣٩٩، وابن الأثير (ت ٦٠٦) في النهاية ٢: ١٦٠.

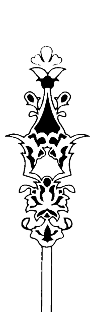
(٢) ارتطم: وقع في الورطة فلم يمكنه الخلاص.

(٣) رواه الكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٥: ١٥٤ ح ٢٣، والصدوق (ت ٣٨١) في من لا يحضره الفقيه ٣: ١٩٣ ح ٣٧٢٥، والزمخشري (ت ٥٣٨) في الفائق ٢: ٤٢.

(٤) رواه ابن قتيبة (ت٢٧٦) في الإمامة والسياسة ١: ١٨، بتفاوت.

(٥) اللماظة: بقية الطعام في الفم.





٤٤٥ ـ وقال عليه السلام: **مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا.**

٤٤٦ ـ وقال عليه السلام: **عَلامَةُ الإيمَانِ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ، وَأَلّا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عِلْمِكَ، وَأَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ.**

٤٤٧ ـ وقال عليه السلام: **يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ، حَتَّى تَكُونَ الآفَةُ فِي التَّدْبِيرِ**(١).

وقد مضى هذا المعنى فيما تقدّم برواية تخالف بعض هذه الألفاظ.

٤٤٨ ـ وقال عليه السلام: **الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ تَوْأَمَانِ يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ الْهِمَّةِ**(٢).

٤٤٩ ـ وقال عليه السلام: **الْغِيبَةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ.**

٤٥٠ ـ وقال عليه السلام: **رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ**(٣).

٤٥١ ـ وقال عليه السلام: **الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا، ولَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا.**

٤٥٢ ـ وقال عليه السلام: **إنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مِرْوَداً يَجْرُونَ فِيهِ، وَلَوْ قَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمُ**(٤) **الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ**(٥).

وَالْمِرْوَدُ هاهنا مفعَل من الإرْوَاد، وهو الإمهال والإنظار، وهذا من أفصح الكلام وأغربه، فكأنّه عليه السلام شبّه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذى يجرون فيه إلى الغاية، فاذا بلغوا مُنقَطَعها انتقضَ نظامُهم بعدها.

٤٥٣ ـ وقال عليه السلام في مدح الأنصار: **هُمْ وَاللهِ رَبَّوا الإسْلَامَ كَمَا يُرَبَّى**

---

(١) رواه باختلاف ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٢٣.

(٢) روى نحوه الباقلاني (ت ٤٠٣) في إعجاز القرآن: ٦٨.

(٣) رواه اليعقوبي (ت ٢٨٤) في تاريخه ٢: ٢٠٧، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٢٠٣، والطوسي (ت ٤٦٠) في الأمالي: ٤٤٣ ح ٤٩.

(٤) كادتهم: مكرت بهم.

(٥) روى ذيله ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥) في المصنف ٨: ٦١٢ ح ١٣٧.



الْفَلُوُّ[1] **مَعَ غَنَائِهِمْ، بِأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ**[2] **وَأَلْسِنَتِهِمُ السِّلَاطِ**[3].

٤٥٤ ـ وقال عليه السلام: **الْعَيْنُ وِكَاءُ السَّهِ**[4].

وهذه من الاستعارات العجيبة، كأنّه شبّه السّهَ بالوعاء، والعين بالوكاء، فإذا أُطلق الوكاءُ لم ينضبطِ الوعاءُ، و هذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبيّ عليه السلام، وقد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام، ذكر ذلك المبرّد في كتاب المقتضب في باب اللفظ بالحروف، وقد تكلّمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم: بمجازات الآثار النبوية.

٤٥٥ ـ وقال عليه السلام في كلام له: **وَوَلِيَهُمْ وَالٍ فأَقَامَ واسْتَقَامَ، حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ**[5].

---

(١) الفلو: ولد الفرس.

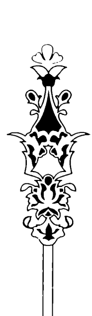
(٢) السباط: يقال رجل سبط اليدين أي سخي.

(٣) السلاط: جمع سليط وهو الشديد وذو اللسان الطويل.

(٤) رواه عن عليّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله ابن ماجه (ت ٢٧٣) في سننه ١: ١٦١، وأبو داود (ت ٢٧٥) في سننه ١: ٥٢، والدارقطني (ت ٣٨٥) في سننه ١: ١٦٨.

(٥) جران البعير والفرس: مقدم عنقهما.

وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ٢٠: ٢١٨ أنّ هذا الكلام من خطبة خطبها عليه السلام في أيّام خلافته طويلة، ويظهر منه ومن سائر المصادر انّ المشار إليه هو عمر بن الخطاب، أقول: لو سلّمنا صحة النصّ فهو لا يدلّ على مزية ومدح من الإمام، بل إنّما سرد عليه السلام أحوال الخلفاء، فذكر أبا بكر وعمر، وذكر عثمان وانّه لم يملك من أمر نفسه شيئاً، وامّا الاستقامة الحاصلة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب كانت ببركة جهود أميرالمؤمنين عليه السلام حيث لمّا رأى راجعة الناس قد رجعت وخشي على ذهاب الإسلام إن لم ينصره ـ كما صرّح عليه السلام به فيما كتبه إلى أهل مصر ـ فشمّر عن ساعديه وقام لنصرة الإسلام] مهما كلّفه الأمر، واستفاد عمر بن الخطاب من خبرة أميرالمؤمنين عليه السلام وجهوده المخلصة في تمشية الأُمور، فاستقام الأمر في زمانه وضرب الدين بجرانه، امّا في مدّة حكم عثمان فقد مكّن أقرباءه فقادوه إلى ما آل إليه أمره، وترك مناصحة أميرالمؤمنين عليه السلام فحدث ما حدث، لله درّك يا أميرالمؤمنين من مخلص ومجاهد ومدافع عن حريم الإسلام.



٤٥٦ ـ وقال عليه السلام: **يَأتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ**(١)**، يَعَضُّ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ**(٢) **وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذلِكَ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، تَنْهَدُ**(٣) **فِيهِ الأَشْرَارُ، وَتُسْتَذَلُّ الأَخْيَارُ، وَيُبَايَعُ الْمُضْطَرُّونَ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ**(٤).

٤٥٧ ـ وقال عليه السلام: **يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ**(٥)**، وَبَاهِتٌ**(٦) **مُفْتَرٍ.**

وهذا مثل قوله عليه السلام: **هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ غَالٍ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ.**

٤٥٨ ـ وسئل عليه السلام عن التوحيد والعدل فقال: **التَّوْحِيدُ أنْ لا تَتَوَهَّمَهُ، وَالْعَدْلُ أَلَّا تَتَّهِمَهُ.**

٤٥٩ ـ وقال عليه السلام: **لا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ**(٧).

٤٦٠ ـ وقال عليه السلام في دعاء استسقى به: **اللَّهُمَّ اسْقِنَا ذُلُلَ السَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا.**

وهذا من الكلام العجيب الفصاحة، وذلك أنّه عليه السلام شبّه السحاب ذوات

---

(١) العضوض: الشديد.

(٢) يعضّ على ما في يديه: يمسكها بخلاً.

(٣) تنهد: ترتفع.

(٤) رواه أحمد بن حنبل (ت٢٤١) في مسنده ١: ١١٦، وأبو داود (ت٢٧٥) في سننه ٢: ١٢٠ ح٣٣٨٢، وابن أبي حاتم (ت ٣٢٧) في تفسيره ٢: ٤٤٦ ح ٢٣٦٥، والصدوق (ت ٣٨١) في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٠ ح ١٦٨.

(٥) بهته: قال عليه ما لم يفعل.

(٦) روى نحوه الصنعاني (ت ٢١١) في المصنّف ١١: ٣١٨ ح ٢٠٦٤٧، وأبو يعلى (ت ٣٠٧) في مسنده ١: ٤٠٧ ح ٥٣٤.

(٧) رواه البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف: ١١٤، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٨: ٢٠، وابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ٩٤.



الرُّعود والبوارق والرياح والصواعق بالإبل الصّعاب التي تَقْمُصُ[1] برحالها وتتوقّص[2] بركبانها، وشبّه السحاب خاليةً من تلك الروائع[3] بالإبل الذُّلُلِ التي تُحْتَلَبُ طَيِّعَةً وتُقْتَعَدُ مُسْمِحَةً.

٤٦١ ـ وقيل له عليه السلام: **لو غيَّرتَ شيبك يا أميرالمؤمنين، فقال** عليه السلام: **الْخِضَابُ زِينَةٌ، وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ.**

يريد برسول الله صلى الله عليه وآله.

[٤٦٢ ـ وقال عليه السلام: **مَا الْمُجَاهِدُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَعْظَمَ أَجْراً مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ، لَكَادَ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ**].

٤٦٣ ـ وقال عليه السلام: **الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَايَنْفَدُ**[4].

وقد روى بعضهم هذا الكلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

٤٦٤ ـ وقال عليه السلام لزياد ابن أبيه، وقد استخلفَهُ لعبدالله بن العباس على فارس وأعمالها، في كلام طويل كان بينهما، نهاه فيه عن تقدّم الخَراج: **اسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ، وَاحْذَرِ الْعَسْفَ**[5] **والْحَيْفَ**[6]، **فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ، وَالْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ.**

٤٦٥ ـ وقال عليه السلام: **أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهِ صَاحِبُهُ.**

٤٦٦ ـ وقال عليه السلام: **مَا أَخَذَ اللهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى**

---

(١) قمص الفرس وغيره: رفع يديه وطرحها معاً وعجن برجليه.

(٢) وقصت به راحلته: تقحّمت به فكسرت عنقه.

(٣) الروائع: جمع رائعة أي مفزعة.

(٤) رواه ابن شعبة (ق ٤) في تحف العقول: ١٠٠، ورواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله الطبراني (ت٣٦٠) في المعجم الأوسط ٧: ٨٤.

(٥) العسف: الشدّة في غير حقّ.

(٦) الحيف: الميل عن العدل إلى الظلم.





أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا[1].

٤٦٧ ـ وقال عليه السلام: **شَرُّ الاخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ.**

لأنّ التكليف مستلزمٌ للمشقة، وهو شرٌ لازمٌ عن الأخ المتَكلّفِ له، فهو شرُّ الإخوان.

٤٦٨ ـ وقال عليه السلام: **إِذَا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ.**

يقال: حشمه وأحشمه: إذا أغضبه، وقيل: أخجله، واحتشمه: طلب ذلك له، وهو مَظِنّة مفارقته[2].

وهذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قطع المختار من كلام أميرالمؤمنين صلوات الله عليه، حامدين لله سبحانه على ما منّ به من توفيقنا لضمّ ما انتشر من أطرافه وتقريب ما بعد من أقطاره، ومقرّرين العزم ـ كما شرطنا أولاً ـ على تفضيل أوراق من البياض في آخر كلّ باب من الأبواب، لتكون لاقتناص الشارد واسْتلحاق الوارد، وما عساه أن يظهر لنا بعد الغموض ويقع إلينا بعد الشذوذ.

وما توفيقنا إلا بالله عليه توكّلنا

وهو حسبنا ونعم الوكيل

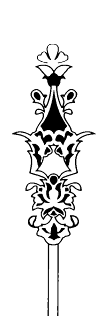


(١) رواه الثعلبي (ت ٤٢٧) في تفسيره ٣: ٢٢٩.

(٢) كسابقه.







فهرس المصادر

حرف الألف

١ ـ الاحتجاج ـ أحمد بن علي الطبرسي (ت ٥٦٠) ـ منشورات دار النعمان.

٢ ـ الأخبار الطوال ـ أبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢)، الطبعة الأولى ١٩٦٠، دار إحياء الكتب العربية.

٣ ـ الاختصاص ـ الشيخ المفيد (ت ٤١٣)، مؤسسة النشر الإسلامي.

٤ ـ أدب المجالسة ـ ابن عبد البر (ت ٤٦٣) ط الأولى ١٤٠٩ دار الصحابة للتراث.

٥ ـ الأدب المفرد ـ البخاري (ت ٢٥٦) ط الأولى ١٤٠٦، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.

٦ ـ الإرشاد ـ الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣) ـ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٧ ـ أسد الغابة ـ ابن الأثير علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠)، انتشارات إسماعيليان.

٨ ـ أصول الكافي ـ محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٨) ـ الطبعة السادسة عام١٣٧٥ش ـ دار الكتب الإسلامية.

٩ ـ إعجاز القرآن ـ أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣)، دار المعارف بمصر.





١٠ ـ الإعجاز والإيجاز ـ أبو منصور عبدالملك الثعالبي (ت ٤٢٩) ط الثانية عام ١٤٠٣، دار الرائد العربي.

١١ ـ إعلام الورى ـ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨)، ط الأولى ١٤١٧ هـ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

١٢ ـ الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦) ـ الطبعة الرابعة ١٤٢٢ دار الكتب العلمية.

١٣ ـ الأمالي ـ أبو علي القالي.

١٤ ـ الأمالي ـ الشيخ المفيد (ت ٤١٣)، مؤسسة النشر الإسلامي.

١٥ ـ الأمالي ـ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠) ـ الطبعة الأولى عام ١٤١٤، مؤسسة البعثة.

١٦ ـ الإمامة والسياسة ـ ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦) ـ الطبعة الأولى عام ١٤١٣، منشورات الشريف الرضي.

١٧ ـ أنساب الأشراف ـ أحمد بن يحيى البلاذري، الطبعة الأولى ١٤١٧، دار الفكر.

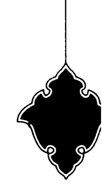
١٨ ـ أوائل المقالات ـ الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، الطبعة الثانية ١٤١٤، دار المفيد.

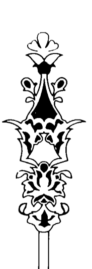
١٩ ـ الإيضاح ـ الفضل بن شاذان (ت ٢٦٠)، تحقيق السيد جلال الدين الأرموي.

حرف الباء

٢٠ ـ بحار الأنوار ـ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١) ـ الطبعة الثانية المصححة عام ١٤٠٣، مؤسسة الوفاء.

٢١ ـ بشارة المصطفى ـ عماد الدين الطبري (ت ٥٢٥)، الطبعة الأولى ١٤٢٠، مؤسسة النشر الإسلامي.





٢٢ ـ بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ـ محمد تقي التستري، الطبعة الأولى ١٤١٨، دار أمير كبير.

حرف التاء

٢٣ ـ تاج العروس ـ محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥) ـ مكتبة الحياة.

٢٤ ـ تاريخ الأمم والملوك ـ ابن جرير الطبري (ت ٣١٠)، مؤسسة الأعلمي.

٢٥ ـ تاريخ المدينة المنورة ـ عمر بن شبة النميري (ت ٢٦٢) الطبعة الثانية ١٤١٠، دار الفكر.

٢٦ ـ تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر (ت ٥٧١) طبع عام ١٤١٥، دار الفكر.

٢٧ ـ تاريخ اليعقوبي ـ أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤)، دار صادر.

٢٨ ـ تأويل مختلف الحديث ـ عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦)، نشر دار الكتب العلمية.

٢٩ ـ تجارب الأمم وتعاقب الهمم ـ ابن مسكويه (ت ٤٢١)، نشر ليوني ستاني عام ١٩١٣.

٣٠ ـ تحف العقول عن آل الرسول ـ الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، (ق٤)، طبع عام ١٤٠٤، مؤسسة النشر الإسلامي.

٣١ ـ تذكرة الخواص ـ سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤).

٣٢ ـ تصحيح اعتقادات الإمامية ـ الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣)، الطبعة الثانية ١٤١٤، دار المفيد.

٣٣ ـ تصحيفات المحدّثين ـ العسكري (ت ٣٨٢) ط الأولى ١٤٠٢ المطبعة العربية الحديثة القاهرة.





٣٤ ـ تفسير ابن أبي حاتم ـ ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧) مطبعة صيدا ـ المكتبة العصرية.

٣٥ ـ تفسير البغوي ـ البغوي (ت ٥١٠) دار المعرفة بيروت.

٣٦ ـ تفسير الثعلبي ـ الثعلبي (ت ٤٢٧) ط ١٤٢٢ دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣٧ ـ تفسير العيّاشي ـ محمد بن مسعود العيّاشي (ت ٣٢٠)، نشر في المكتبة العلمية الإسلامية طهران.

٣٨ ـ تفسير فرات ـ فرات بن إبراهيم الكوفي (ت ٣٥٢)، الطبعة الأولى ١٤١٠، وزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية.

٣٩ ـ تفسير القرآن العظيم ـ إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤)، طبع عام ١٤١٢، دار المعرفة.

٤٠ ـ تفسير القمي ـ علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩)، الطبعة الثالثة ١٤٠٤، مؤسسة دار الكتاب.

٤١ ـ التمحيص ـ محمد بن همام الإسكافي (ت٣٣٦) ط مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام.

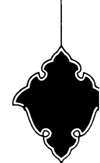
٤٢ ـ التمهيد ـ ابن عبد البر (ت ٤٦٣) طبع عام ١٣٨٧ مطبعة المغرب.

٤٣ ـ تهذيب الأحكام ـ الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠)، الطبعة الرابعة ١٣٦٥ ش، دار الكتب الإسلامية.

٤٤ ـ تهذيب اللغة ـ محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠) الطبعة الأولى ١٤٢١، دار إحياء التراث العربي.

٤٥ ـ التواضع والخمول ـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١) ط عام ١٤٠٩، دار الكتب العلمية بيروت.

٤٦ ـ التوحيد ـ الشيخ الصدوق (ت ٣٨١)، مؤسسة النشر الإسلامي.





حرف الثاء

٤٧ ـ الثقات ـ محمد بن حبان (ت ٣٥٤) ـ ط الأولى ١٣٩٣، مؤسسة الكتب الثقافية.

حرف الجيم

٤٨ ـ جامع البيان ـ ابن جرير الطبري (ت ٣١٠) ط ١٤١٥ دار الفكر بيروت.

٤٩ ـ جامع بيان العلم وفضله ـ ابن عبد البر (ت ٤٦٣) ط الأولى ١٣٩٨، دار الكتب العلمية بيروت.

٥٠ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١) طبع عام ١٤٠٥، دار إحياء التراث العربي.

٥١ ـ الجمل ـ الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣) ـ مكتبة الداوري.

٥٢ ـ جواهر المطالب ـ محمد بن أحمد الباعوني (ت ٨٧١) الطبعة الأولى ١٤١٦، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

حرف الحاء

٥٣ ـ الحكمة الخالدة ـ أحمد بن محمد مسكويه.

٥٤ ـ حلية الأولياء ـ أبو نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠)، الطبعة الثانية عام ١٤٢٣هـ، دار الكتب العلمية.

حرف الخاء

٥٥ ـ خصائص الأئمّة ـ الشريف الرضي (ت ٤٠٦)، طبع عام ١٤٠٦، مجمع البحوث الإسلامية للآستانة الرضوية.





٥٦ ـ خصائص أميرالمؤمنين ـ أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣)، مكتبة نينوى الحديثة.

٥٧ ـ الخصال ـ الشيخ الصدوق (ت ٣٨١)، تحقيق علي أكبر الغفاري.

حرف الدال

٥٨ ـ دعائم الإسلام ـ نعمان بن محمد المغربي (ت ٣٦٣)، طبع عام ١٣٨٣ هـ دار المعارف.

٥٩ ـ الدر المنثور ـ جلال الدين السيوطي (ت٩١١) الطبعة الأولى ١٣١٥، دار المعرفة.

٦٠ ـ دستور معالم الحكم ـ محمد بن سلامة (ت ٤٥٤)، مكتبة المفيد.

حرف الذال

٦١ ـ ذكر أخبار اصفهان ـ الحافظ الأصفهاني (ت ٤٣٠) ط ١٩٣٤، ليدن.

حرف الراء

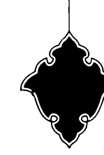
٦٢ ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ـ محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨)، الطبعة الأولى عام ١٤١٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٦٣ ـ الرحلة في طلب الحديث ـ أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (ت ٤٦٣) الطبعة الأولى ١٣٩٥، دار الكتب العلمية.

٦٤ ـ روضة الواعظين ـ الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨)، منشورات الشريف الرضي.

حرف الزاي

٦٥ ـ الزهد ـ الحسين بن سعيد الكوفي الأهوازي (ق٣) طبع عام ١٣٩٩هـ، المطبعة العلمية.





حرف السين

٦٦ ـ السنن ـ محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت ٢٧٣)، ط دار الفكر.

٦٧ ـ سنن أبي داود ـ سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥) ـ الطبعة الأولى ١٤١٠، دار الفكر.

٦٨ ـ سنن الدارقطني ـ علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥) الطبعة الأولى ١٤١٧، دار الكتب العلمية.

٦٩ ـ السنن الكبرى ـ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨) ـ دار الفكر.

٧٠ ـ السنن الكبرى ـ أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣) الطبعة الأولى ١٤١١، دار الكتب العلمية.

٧١ ـ السيرة النبوية ـ ابن هشام، طبع عام ١٣٨٣، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده.

حرف الشين

٧٢ ـ شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار ـ نعمان بن محمد المغربي (ت ٣٦٣)، مؤسسة النشر الإسلامي.

٧٣ ـ شرح نهج البلاغة ـ عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٥)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤٠٧ ق، دار الجيل.

حرف الصاد

٧٤ ـ الصحاح ـ إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣)، الطبعة الرابعة ١٤٠٧، دار العلم للملايين.

٧٥ ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الطبعة الثانية ١٤١٤، مؤسسة الرسالة.





٧٦ ـ صحيح البخاري ـ محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) ـ طبع عام ١٤٠١، دار الطباعة العامرة.

٧٧ ـ صحيح مسلم ـ مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١) ـ دار الفكر.

حرف الطاء

٧٨ ـ طب الأئمّة ـ ابن سابور الزيات (ت ٤٠١) ط الثانية عام ١٤١١، منشورات الشريف الرضي.

٧٩ ـ الطبقات الكبرى ـ ابن سعد (ت ٢٣٠)، دار صادر.

حرف العين

٨٠ ـ عبدالله بن عباس ـ السيد محمد تقي الحكيم، ط الأولى ١٤٢٢، دار الهادي بيروت.

٨١ ـ العقد الفريد ـ أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي(ت٣٢٨)، دار الكتاب العربي.

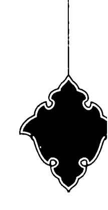
٨٢ ـ علل الشرايع ـ الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١) طبع عام ١٣٨٦ هـ المطبعة الحيدرية.

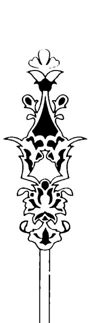
٨٣ ـ العلل ومعرفة الرجال ـ أحمد بن حنبل (ت ٢٤١)، الطبعة الأولى ١٤٠٨، المكتب الإسلامي.

٨٤ ـ علي والأسس التربوية ـ السيد حسن القبانجي، ط الأولى ١٤١٩، نشر الهادي قم.

٨٥ ـ العين ـ خليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥)، الطبعة الثانية ١٤٠٩ مؤسسة دار الهجرة.

٨٦ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ـ الشيخ الصدوق (ت ٣٨١)، الطبعة الأولى ١٤٠٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.





٨٧ ـ عيون الأخبار ـ عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦) ـ طبع عام ١٣٤٣ هـ، مطبعة دار الكتب المصرية.

حرف الغين

٨٨ ـ الغارات ـ إبراهيم بن محمد الثقفي (ت ٢٨٣)، مطبعة بهمن.

٨٩ ـ غريب الحديث ـ القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤) الطبعة الأولى ١٣٩٦، دار الكتاب العربي.

٩٠ ـ غريب الحديث ـ عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦) ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨، دار الكتب العلمية.

٩١ ـ غريب الحديث ـ إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥)، الطبعة الأولى ١٤٠٥ طبع في جدّة.

٩٢ ـ الغيبة ـ محمد بن إبراهيم النعماني (ت ٣٨٠) ـ مكتبة الصدوق.

حرف الفاء

٩٣ ـ الفائق في غريب الحديث ـ محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨) الطبعة الأولى ١٤١٧، دار الكتب العلمية.

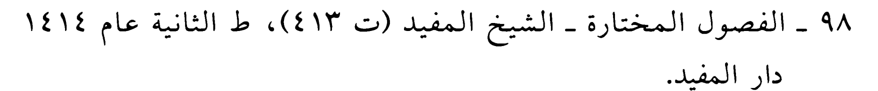
٩٤ ـ الفتن ـ نعيم بن حماد المروزي (ت ٢٢٩) ـ طبع عام ١٤١٤، دار الفكر.

٩٥ ـ الفتوح ـ ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤)، الطبعة الأولى ١٤١١، دار الأضواء.

٩٦ ـ الفرج بعد الشدة ـ القاضي التنوخي (ت ٣٨٤) ط الثانية ١٣٦٤، منشورات الشريف الرضي بقم.

٩٧ ـ فرج المهموم ـ السيد ابن طاووس علي بن موسى (ت ٦٦٤) ـ الطبعة الأولى، دار الذخائر للمطبوعات.





٩٨ ـ الفصول المختارة ـ الشيخ المفيد (ت ٤١٣)، ط الثانية عام ١٤١٤ دار المفيد.

٩٩ ـ فضائل الصحابة ـ أحمد بن حنبل (ت ٢٤١)، الطبعة الأولى ١٤٠٣، مؤسسة الرسالة.

١٠٠ ـ الفهرست ـ الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠)، ط الأولى سنة ١٤١٧ مؤسسة نشر الفقاهة قم.

حرف القاف

١٠١ ـ القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي (ت ٨١٧).

١٠٢ ـ قرب الإسناد ـ عبدالله الحميري (ت ٣٠٠) الطبعة الأولى ١٤١٣، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

١٠٣ ـ قضاء الحوائج ـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١)، مكتبة القرآن القاهرة.

حرف الكاف

١٠٤ ـ كتاب السنّة ـ عمرو بن أبي عاصم (ت ٢٨٧) ط الثالثة ١٤١٣ المكتب الإسلامي بيروت.

١٠٥ ـ كتاب سليم ـ سليم بن قيس الهلالي (ق١)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي.

١٠٦ ـ كتاب الصمت وآداب اللسان ـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١)، ط الأولى ١٤١٠، دار الكتاب العربي.

١٠٧ ـ كتاب العقل وفضله ـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١) ط الأولى عام ١٤١٣، مؤسسة الكتب الثقافية.

١٠٨ ـ كشف المحجة ـ علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤) ـ طبع عام ١٣٧٠ هـ، المطبعة الحيدرية.





١٠٩ ـ كفاية الأثر ـ الخزاز القمي (ت ٤٠٠)، انتشارات بيدار عام ١٤٠١.

١١٠ ـ كمال الدين وتمام النعمة ـ الشيخ الصدوق (ت ٣٨١)، طبع عام ١٤٠٥، مؤسسة النشر الإسلامي.

١١١ ـ كنز العمال ـ المتقي الهندي (ت ٩٧٥) ـ مؤسسة الرسالة.

١١٢ ـ كنز الفوائد ـ محمد بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩)، الطبعة الثانية، مكتبة المصطفوي.

حرف اللام

١١٣ ـ لسان العرب ـ ابن منظور(ت٧١١) ط الأولى ١٤٠٥، دار إحياء التراث العربي.

حرف الميم

١١٤ ـ المحاسن ـ أحمد بن محمد البرقي (ت ٢٧٤)، نشر دار الكتب الإسلامية.

١١٥ ـ مجلة تراثنا ـ تصدرها مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث في قم المشرفة.

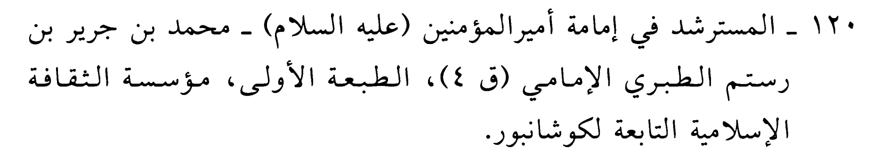
١١٦ ـ مجمع الزوائد ـ نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧) طبع عام ١٤٠٨ دار الكتب العلمية.

١١٧ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦) ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة.

١١٨ ـ المسائل العكبرية ـ الشيخ المفيد (ت ٤١٣)، ط الثانية عام ١٤١٤ دار المفيد.

١١٩ ـ المستدرك على الصحيحين ـ الحاكم النيسابوري محمد بن محمد (ت ٤٠٥) طبع عام ١٤٠٦، دار المعرفة.





١٢٠ ـ المسترشد في إمامة أميرالمؤمنين (عليه السلام) ـ محمد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي (ق ٤)، الطبعة الأولى، مؤسسة الثقافة الإسلامية التابعة لكوشانبور.

١٢١ ـ المسند ـ أحمد بن حنبل (ت ٢٤١)، دار صادر.

١٢٢ ـ المسند ـ علي بن الجعد (ت ٢٣٠) ـ ط ١٤١٧ دار الكتب العلمية.

١٢٣ ـ مسند أبي يعلى ـ أبو يعلى الموصلي (ت ٣٠٧)، دار المأمون للتراث.

١٢٤ ـ مسند ابن راهويه ـ إسحاق بن إبراهيم (ت٢٣٨) ط.الأولى عام ١٤١٢ مكتبة الإيمان.

١٢٥ ـ المصباح المتهجد ـ الشيخ الطوسي (ت٤٦٠) الطبعة الأولى مؤسسة فقه الشيعة.

١٢٦ ـ المصنف ـ ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥) ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩، دار الفكر.

١٢٧ ـ المصنف ـ عبدالرزاق الصنعاني (ت ٢١١) منشورات المجلس العلمي.

١٢٨ ـ المعارف ـ ابن قتيبة (ت ٢٧٦)، دار المعارف القاهرة.

١٢٩ ـ المعجم الأوسط ـ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠) دار الحرمين.

١٣٠ ـ المعيار والموازنة ـ أبو جعفر الإسكافي محمد بن عبدالله (ت ٢٢٠) ـ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي.

١٣١ ـ مشكاة الأنوار ـ أبو الفضل علي الطبرسي (ق ٧) طبع عام ١٣٨٥ المكتبة الحيدرية.

١٣٢ ـ معاني الإخبار ـ الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١) ـ طبع عام ١٣٦١ ش، انتشارات إسلامي.





١٣٣ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي (ت ٦٢٦)، دار إحياء التراث العربي.

١٣٤ ـ معجم مقاييس اللغة ـ أحمد بن فارس (ت ٣٩٥) ط ١٤٠٤ مكتبة الإعلام الإسلامي.

١٣٥ ـ معدن الجواهر ـ أبو الفتوح الكراجكي (ت ٤٤٩) ط عام ١٣٩٤ مطبعة، قم.

١٣٦ ـ مفاتيح الغيب ـ فخر الدين محمد بن عمر الرازي، الطبعة الثالثة ١٤٠٥، دار الفكر.

١٣٧ ـ مقاتل الطالبيين ـ أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦)، المطبعة الحيدرية.

١٣٨ ـ مقتل الإمام أميرالمؤمنين ـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١)، مؤسسة الطبع والنشر، عام ١٤١١.

١٣٩ ـ مكارم الأخلاق ـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١)، الناشر مكتبة القرآن القاهرة.

١٤٠ ـ المناقب ـ الموفق بن أحمد الخوارزمي (ت ٥٦٨) الطبعة الثانية ١٤١١، مؤسسة النشر الإسلامي.

١٤١ ـ مناقب آل أبي طالب ـ ابن شهرآشوب (ت ٥٨٨)، طبع عام ١٣٧٦ هـ المطبعة الحيدرية.

١٤٢ ـ من لا يحضره الفقيه ـ الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) الطبعة الثانية ١٤١٤، مؤسسة النشر الإسلامي.

١٤٣ ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ـ قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣) طبع عام ١٤٠٦، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي.



١٤٤ ـ منهاج السنّة ـ ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨)، تحقيق محمد رشاد سالم.

١٤٥ ـ ميزان الإعتدال ـ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨)، الطبعة الأولى ١٣٨٢، دار المعرفة.

حرف النون

١٤٦ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤) ط الأولى ١٤١٣ هـ دار الكتب العلمية بيروت.

١٤٧ ـ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ـ الحسين بن محمد الحلواني (ق ٥)، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام.

١٤٨ ـ النهاية في غريب الحديث ـ ابن الأثير (ت ٦٠٦) الطبعة الرابعة ١٣٦٤ ش، مؤسسة إسماعيليان.

١٤٩ ـ نهج البلاغة لمن ـ محمد حسن آل ياسين، المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

حرف الواو

١٥٠ ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي (ت ١١٠٤)، دار إحياء التراث العربي.

١٥١ ـ وقعة صفين ـ نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢) الطبعة الثانية ١٣٨٢، المؤسسة العربية الحديثة.

حرف الهاء

١٥٢ ـ الهداية الكبرى ـ الحسين بن حمدان الخصيبي (ت ٣٣٤)، ط الرابعة ١٤١١ هـ مؤسسة البلاغ.







حرف الياء

١٥٣ ـ يتيمة الدهر ـ الثعالبي (ت ٤٢٩) ط الأولى ١٤٠٣، دار الكتب العلمية.

١٥٤ ـ اليقين ـ السيّد ابن طاووس (ت ٦٦٤)، ط الأولى عام ١٤١٠، مؤسسة الثقلين.









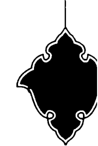
فهرس الكتاب

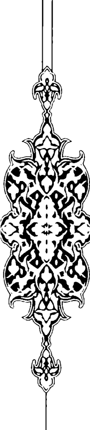
باب المختار في خطب أمير المؤمنين وأوامره





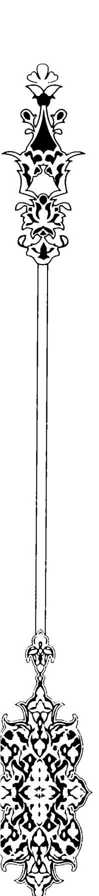






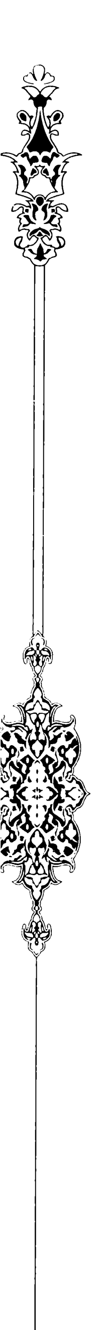












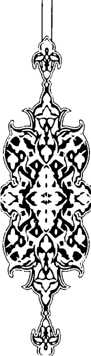










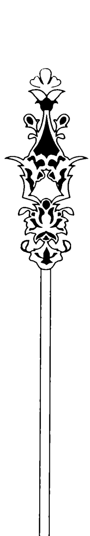












باب المختار في كتب
أمير المؤمنين ورسائله



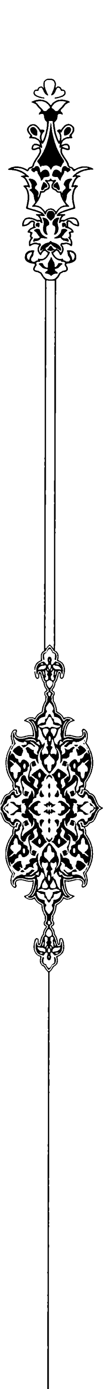












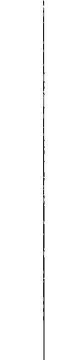
any of its provisions except in piety and Allah-wariness." (Sermon No. 111)

123. "I warn you of the world, for it certainly appears sweet and green, surrounded by carnal and base desires." (Sermon No. 111)

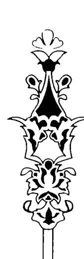
124. "There is no dignity like knowledge." (Apothegm No. 113)

A remark and a request: The above text has been prepared at the suggestion of Hujjatalislam Sayyid Hashim al-Milani, the esteemed Curator of the Library of Imam 'Ali's Sacred Sanctuary at Najaf, Iraq. No doubt, any achievements gained in developing these pages are all due to the Divine grace and the crucial help of Imam 'Ali. Certainly all shortcomings are mine for which nobody else is to be blamed. Any comment or criticism is very much appreciated.

(Dr. Muhammad-Reza Fakhr-Rohani, University of Qom, Qom, Iran.)







114. "When someone has a praiseworthy quality then expect her/him to have other such qualities." (Apothegm No. 445)

115. "Allah has imposed [...] the abandonment of drinking alcohol in order to safeguard the intellect." (Apothegm No. 252)

116. "When you fear a matter or deal drive straight into it, for indeed the intensity of your wariness of it is greater than what you actually fear." (Apothegm No. 175)

117. "Indeed the worst betrayal is that of the [religious] community, and the most repulsive deceit is that of the leaders." (Letter No. 26)

118. "Goodness does not lie in the increase of your wealth and your progeny, rather it lies in the increase of your knowledge, the heightening of your clemency, and in your vying with other people in worshiping Allah. If you do good, then you should praise Allah; however, if you commit evil, then seek forgiveness from Allah." (Apothegm No. 94)

119. "Do good and do not underestimate it at all, for indeed a little good is actually a lot and a small amount of it is much." (Apothegm No. 422)

120. "The Hereafter is secured through this world." (Sermon No. 156)

121. "Get away from me, O World! Your rein is on your own shoulders as I have released myself from your ditches, removed myself from your snares and avoided walking into your slippery places." (Letter No. 45)

122. "It [the world] is deceitful and all that is in it is deceptive. It is perishable and all that is in it will perish. There is no good in



108. “Indeed the greatest loser with the worst end of the deal and the most unsuccessful in her/his striving is the one who exerts her-/himself in the quest for her/his wealth even though fate does not help her/him in her/his aims, and s/he consequently leaves this world with regret while heading towards the Hereafter, where s/he will face its ill consequences.” (Apothegm No. 430)

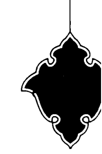
109. Imam ‘Alī’s instruction to one of his scribes ‘Ubayd Allah b. Abī Rāfi‘: “Put cotton flake in the inkpot, keep the nib of your pen long, leave space between the lines and join up the letters because this is most suited to creating a beautiful handwriting.” (Apothegm No. 315)

110. “Stay with the greater majority, for indeed Allah’s hand is with the [larger] group. Beware of Separation, for indeed the deviant amongst you is the victim of the Satan just as the deviant amongst the cattle is the victim of a wolf.” (Sermon No. 127)

111. “By Allah! I anticipate that this group [the foes] will overcome you through getting united upon their falsehood and you are divided on your truth.” (Sermon No. 25)

112. “Indeed you are brethren in the Religion of Allah [Islam], nothing will make you separated except ill natures and bad consciences; consequently, you do not bear the burdens of each other, nor do you advise each other, nor spend on each other, nor love each other.” (Sermon No. 113)

113. “[O Allah!] May glory be to you! How great is Your creation that we see! But how small is every greatness when compared with Your might! How awe-inspiring is what we see from Your kingdom! But how low this is when compared with what is hidden from us by Your authority.” (Sermon No. 109)





101. “Wisdom is the lost property of the believer, so that wisdom is appreciated even from the people of hypocrisy.” (Apothegm No. 80)

102. “Clemency and forbearance are the twins that produce great resolution.” (Apothegm No. 460)

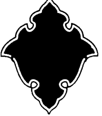
103. “If you are not one of clement people, then simulate clemency, for indeed few people who imitate a group fail to become one of them.” (Apothegm No. 207)

104. “Any person who pries into faults of people and rebukes them but adopts those faults for her-/himself, s/he is indeed a fool.” (Apothegm No. 349)

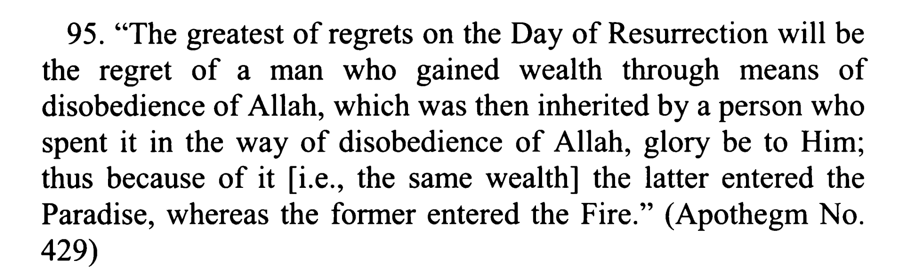
105. “Know that man gets satiated and wired with everything except life, for s/he does not find any comfort in death.” (Sermon No. 133)

106. While walking past the slain bodies of the Kharajites (the Seceders), Imam ‘Alī said, “How wretched you are! The one who misled you has brought harm to you.” Thereupon, someone asked him “Who has misled them, O Leader of the Faithful?” In response to this question, he remarked thus: “The deceptive Satan and the carnal soul which command toward the evil have misled them by giving them a wide opening for disobedience and promising them victory, but through them they have plunged into the Fire.” (Apothegm No. 323)

107. “Do not fight (or kill) the Kharijites (the Seceders) after me, for the one who seeks the truth and mistakes it for something else is not like the one who seeks falsehood and finds it.” (Sermon No. 61)







95. "The greatest of regrets on the Day of Resurrection will be the regret of a man who gained wealth through means of disobedience of Allah, which was then inherited by a person who spent it in the way of disobedience of Allah, glory be to Him; thus because of it [i.e., the same wealth] the latter entered the Paradise, whereas the former entered the Fire." (Apothegm No. 429)

96. "Indeed the truth is heavy but sweet, whereas falsehood is light but plagued." (Apothegm No. 376)

97. "The best of people before Allah is one who likes to act according to what is right – even if it brings her/him loss and misery – more than what is wrong–even if it brings her/him profit and increase of wealth." (Sermon No. 152)



98. "The truth is the widest thing for description but the narrowest for practicing justice. No sooner does it side with someone than it will side against her/him [at another time], and no sooner does it side against someone than it will side for her/him later. And, if anyone is to side with it, never going against it, then person would be purely for Allah, glory be to Him." (Sermon No. 216)

99. "Allah, may glory be to Him, has made it His right upon people to obey Him, and has made its requital for there an increase in their reward [for acts of obedience] out of His Grace." (Sermon No. 216)

100. "The greatest of those rights that He [viz., Allah], may glory be to Him, has made obligatory are the right of the ruler upon the subjects, and the right of the subjects upon the ruler." (Sermon No. 216)



89. At the Battle of Siffin, "By Allah! I did not postpone the war even for one day unless if I hoped a group of people would join me to be guided by me and response in my light, and I love that more than killing them for their [choosing to remain in] error." (Sermon No. 55)

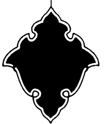
90. Do not fight them [the foes] unless they initiate the fighting because, by the grace of Allah, you are in the right path, and to leave them until they begin the fighting will be another proof for your side's being right against them. If, by the will of Allah, the enemy is defeated, then do not kill the one who runs away, nor strike a helpless person, nor finish off the wounded, nor inflict harm on the females." (Letter No. 14)

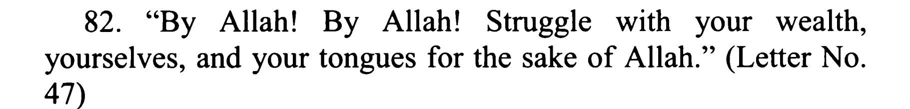
91. To his companions at the Battle of Siffin: "Repeat the attack and feel ashamed of running away, for it is a disgrace that remains throughout the generations and a burden on their necks and will be fire on the Day of Reckoning. Therefore, sacrifice your lives for others and cheerfully walk towards death." (Sermon No. 66)

92. At the time of confronting an enemy on the battleground: "O Allah! Hearts have merged to You and necks have been put forward... O Allah! We complain to You the absence of our Prophet, the great number of our enemies, and the dispersion of our desires!" (Letter No. 15)

93. Describing the hypocrites, "They are the companions of the Satan, and the incinerating Sting of the Fire. They are the party of the Satan; indeed, it is Satan's parties who are the losers." (Sermon No. 194)

94. "He who is negligent in her/his job will be afflicted by anxiety." (Apothegm No. 127)





82. “By Allah! By Allah! Struggle with your wealth, yourselves, and your tongues for the sake of Allah.” (Letter No. 47)

83. “Where there are several answers, the correct one will remain hidden.” (Apothegm No. 243)

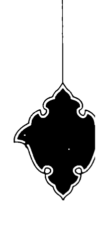
84. While on his deathbed, “[Fear] Allah and [mind] Allah in matters regarding your neighbors, for they were the subject of your Prophet’s advice. He continuously advised in their favor such that we thought he would allow them a share in inheritance.” (Letter No. 47)

85. “Expression of love does not need kinship so much as kinship needs the expression of love.” (Apothegm No. 308)

86. In his will at his demise, “I exhort you, by Allah, by Allah, to take care of the House of your Lord – [the Kaaba]! Do not leave it empty for as long as you live, for if it is deserted, you will be given no respite.” (Letter No. 47)

87. “And He [Allah] made mandatory for you the hajj to His Sacred House which He made the Qiblah for all people. They come to it like the cattle coming to water, and eagerly turn to it like the birds eagerly returning to their nest; He, glory be to Him, made it a sign of their humbleness before His grandeur and their yielding to His Might.” (Sermon No. 1)

88. “Beware that I have called you to fight those people [the foes] day and night both secretly and openly, and I have told you: ‘Attack them before they would attack you’, for, by Allah, no sooner are any people attacked in the midst of their abodes than they are disgraced.” (Sermon No. 27)





75. "He [Allah] sent him [the Prophet Muhammad] while the people were strained in perplexity and engaged in corruption... He [the Prophet Muhammad] advised extensively and kept on the Right Path and called for wisdom and gentle exhortation." (Sermon No. 95)

76. "Be informed that Allah the Most High unconcern the people, not because He was ignorant of their well-kept secrets and inner thoughts, but in order to test them [to see] which of them is the best in conduct so that reward becomes the prize and punishment becomes the penalty." (Sermon No. 144)

77. "Allah tries His servants when they commit evil deeds with shortage of crops, disallowance of blessings, and closing the treasury of bounties so that a repenting man may repent, a man likely to quit may quit, a man likely to remember may remember, and a man likely to be deterred may be deterred." (Sermon No. 143)

78. "People swore allegiance to me being neither forced nor reluctant, but with the sense of obedience and willingly." (Letter No. 1)

79. "Cowardice is a defect." (Apothegm No. 3)

80. "Sitting with people of base desires causes heedlessness of one's faith, and invites the Satan thereat." (Sermon No. 86)

81. "Indeed I have not seen anything like the Paradise, the seeker whereof is sleeping, nor have I seen anything like the Fire, whose escape is sleeping." (Sermon No. 28)



66. “Be liberal, but do not squander; and be calculating, but do not be parsimonious.” (Apothegm No. 33)

67. “Miserliness encompasses all vices, and it is a rein with which one is led to every defeat.” (Apothegm No. 378)

68. “Indeed, the insightful one is he who listens and contemplates, looks and sees, derives benefits from lessons, then he takes a clear path on which he avoids the falls into abysses.” (Apothegm No. 153)

69. “I will rip falsehood open until the truth emerges from its belly.” (Sermon No. 33)

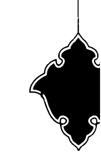
70. “Isn’t there indeed anything between truth and falsehood but a span of four fingers?... Falsehood is to say, ‘I heard’, while the truth is to say, ‘I witnessed.’” (Sermon No. 141)

71. “If falsehood was isolated from being mixed with the truths it would not be indefinable by those who aspire it; and if the truth was free from being disguised as falsehood, the tongues of its opponents would still be silenced; but it is often made by taking a little from one and a little from the other.” (Sermon No. 50)

72. “Whoever draws the sword of aggression will [himself] be killed by it.” (Apothegm No. 349)

73. “And keep your residence in large ties, for they are the gathering places of Muslims, and stay away from places of ignorance and coarseness.” (Letter No. 69)

74. “No land claims you more than another; the best land is the one that supports you.” (Apothegm No. 442)





brother, let there remain some link with you so that he may return to you on any day, if he so desires. Confirm the opinion of one who thinks well of you (i.e., prove yourself worthy of the good opinion which someone holds of you and do not disappoint him by behaving in a different manner)." (Ibid.)

59. "Make sure (i.e., ask, or investigate) about your companion before embarking on a journey, and (find out) about the neighbor before adopting a place as your home." (Ibid.)

60. "Honor your family members, for they are the wings with which you fly, and are your origin towards which you return as well as they are your hands with which you attack (i.e., fight your enemy)." (Ibid.)

61. "The best of believers is the one who is best at dedicating himself, his family, and his wealth (for Allah)." (Letter No. 64)

62. "Adhere to sureties [that you are liable for] in all firmness." (Apothegm No. 155)

63. "A part of faith is that which is firm and steadfast in the hearts, and another part is that which remains temporarily in the hearts and the breasts up until a certain time." (Sermon No. 189)

64. "Pitiable is the son of Adam! His death is hidden [from him], his illnesses are invisible, and his actions are recorded. A mosquito causes him pain, a gasp can kill him, and a little sweat makes him stink." (Apothegm No. 419)

65. "No sooner is a heresy initiated than it leaves behind a common practice. Therefore, eschew heresies and adhere to the clear path. Indeed the established traditions are the best, while the fabricated ones are the worst." (Sermon No. 145)



52. "Keep yourself away from every meanness, even though it may drive you towards desirable objects, because you shall never find a substitute for having degraded yourself. Be not a slave to any other person when Allah has made you a free man, and what is the benefit of a good thing which can be achieved only by doing something evil, or of prosperity which cannot be attained except through adversity?" (Ibid.)

53. "Poverty with chastity is better than richness with debauchery (i.e., sin or immorality). Remember a man can guard his secrets best himself (i.e., nobody can guard your secrets better than you)." (Ibid.)

54. "Cruelty or oppression to a weak is the worst from of crime." (Ibid.)

55. "Beware of placing your reliance on vain desires, for they are the merchandise of the fools. Wisdom lies in guarding your experience and the best of what you have experienced is what admonishes you." (Ibid.)

56. "There is no good in a contemptible helper or a suspect friend." (Ibid.)

57. "Do not take the enemy of your friend to be your friend lest you antagonize your friend. Be sincere in your advice to your brother, whether it is good or bad, and swallow up your anger, for I have not seen any draught sweeter than it in its result (taste), or more delicious in its aftermath. Be soft to him who treats you with haughtiness, for he may soon soften towards you." (Ibid.)

58. "Conquer your enemy by kindness, for this is the sweeter of the two victories. When you intend to dissociate from your





educate you, before your heart becomes too hard and your mind becomes too engrossed, so that you may acquire by the efforts of your own judgment something whose search and experience have been vouchsafed to you by the men of experience." (Ibid.)

48. "Originally I wanted to teach you first (of all) the Book of Allah and its interpretation, the laws of Islam and its ordinances, and what is lawful (*halāl*) in it and what is unlawful (*harām*) and for the time being not to touch any other subject (i.e., not going beyond this to anything else)." (Ibid.)

49. "O my son! I have explained to you about this world and its (ever-changing) condition, its ephemeral, evanescent, declining, as well as its transitional, changing and momentary nature. I have, likewise, told you about the next world and what has been prepared for the people there, and have quoted for you examples about both of them (the world here and the hereafter) so that you may take a lesson from them and try to equip yourself (for both of the worlds)." (Ibid.)

50. "O my son! Think of death most of your time as also of that which you would have to come upon and arrive at after your death, so that it (viz., death) may come to you when you have already taken due precaution against it and have girded up your loins to meet it, and it may not, thus, come to you suddenly and over-power you." (Ibid.)

51. "My son! Know that he who rides the night and the day (viz., Time) is made to travel (i.e., move onward), although he may feel himself standing, and indeed, traverses the distance, even though he may be stationary and motionless (i.e., every day is carrying him a step farther in his journey towards death and thus man is destined to proceed to his final destination)." (Ibid.)



begging for forgiveness: 'Behold, the partisans of Allah are the ones who attain salvation.' " (Ibid.)

44. "Expose your heart to the account (viz., news) of the past generations and remind it what befell those of the early peoples who lived before you. Travel in their (ruined) dwellings and among their vestiges and see wherein they worked and where from they departed, and where they halted and alighted. You will find that they moved away (i.e., parted company with and disappeared) from their dear and near ones and settled down in a strange and solitary abode (i.e., grave). It will appear to you as if you would soon become like one of them. So be prepared and set a right for your permanent abode, do not sell the life Hereafter for the worldly life, and give up talking about what you do not know or speaking about what has not been imposed upon you. Restrain yourself from a path wherein you fear of going astray, for desisting at the time of misguided bewildering is better than embarking on frightful courses." (Imam 'Alī's Testament to His Son Imam al-Hasan)

45. "Enjoin upon the people to do good and be one of those who perform good deeds (and thus are counted among the most virtuous of men). Denounce what is evil with your hands and tongue (i.e., by your deeds and words). Keep aloof as best as you can from him who commits evil, and strive, as one should strive, in the path of Allah, by not taking to heart in this way the reproach of any reviler." (Ibid.)

46. "Seek for yourself the protection of your Allah in all your concerns, for you would thus be making it (self) resort to a safe and well-protected shelter and a powerful defender." (Ibid.)

47. "The heart of a youth is like a fallow land; it grows whatever seeds are cast into it. I have, therefore, made haste to





waste or dissipate it [by making it too short] for there may be among them some who are ill or have some job to do." (Ibid.)

39. "Beware of shedding blood unlawfully; for nothing brings more hate, and is more serious of consequence, quicker to cause the disappearance of one's bliss or terminate the duration of his rule than the shedding of blood unlawfully." (Ibid.)

40. "Beware of holding your subjects under obligation to you for your kindness, or exaggerating what you have done, or making a promise to them and following up by breaking it; for to consider others under obligation to oneself obliterates the kind act, exaggeration takes away the light of truth, and breach of promise earns hate from both Allah and men. Allah, the Exalted has said, 'It is very hateful to Allah that you say what you do not do.' " (Ibid.)

41. "Keep off from me, O world, for your rein is on your shoulder. I have escaped out of your talons, have slipped away from your snares and have avoided going into your pitfalls." (From Imam 'Alī's Letter to 'Uthmān b. Hunayf al-Ansārī)

42. "Go away from me (O World), for by Allah, I shall not submit to you that you may humiliate me and shall not be obedient to you that you may lead me." (Ibid.)

43. "Happy is the one who renders to Allah His due, bears patiently his own miseries, discards his sleep in the night, so that when drowsiness overcomes him, he lies down on the ground and makes a pillow of his hand! He is one of those men whose eyes are made sleepless by the fear of their next life, whose sides eschew their beds, whose lips pronounce in low tones the name of their Lord, and whose sins are wiped off by their prolonged



or rainfall or the deterioration of any land which has been submerged by flood water or stricken by drought, you should grant them such relief as you consider to be conducive to their welfare." (Ibid.)

35. "Then carefully examine the integrity of your scribes or secretaries and entrust your work only to those who are the best among them; and assign such of your confidential correspondence (viz., letters) which contains your strategic plans and your secrets [of the state affairs] exclusively to those who combine in themselves all the noble traits and are not emboldened by their privileged position to misbehave with you in the presence of the common people." (Ibid.)

36. "Treat them (the destitute) in such a way that Allah may forgive you on the day you meet Him, for of all the subjects these (destitute) stand more in need of justice (i.e., benevolent treatment) than the others, although you should do your best in paying each one her/his due." (Ibid.)

37. "Assign a part of your time for the needy people in which you may be free to deal with them (i.e., with their problems) personally and sit for them in public audience, showing due humility to Allah who has created you. [On such occasions] keep away from them your soldiers and your aids from among the members of your bodyguard and your police officers, so that each one of them may speak without reserve and fearlessly, for I have heard the Prophet of Allah, peace be upon him, say on more than one occasion: 'No nation shall ever be blessed in which the right of the weak is not wrested from the strong without fear (and/or favor).' " (Ibid.)

38. "When you get up to offer prayers with the people (i.e., lead the prayers) do not scare them [by making it so lengthy] nor





(*kharāj*) from the covenanted people (*dhimmīs*) as well as the Muslims, still another of the merchants and artisans, and lastly, the lowest one consisting of needy and destitute people. Allah has prescribed for each of them their due share and has fixed their rights and duties in His Prophet (*sunna*) which is preserved for us." (Ibid.)

31. "Appoint as commander that one of your soldiers who, in your opinion, is the most sincere of them to Allah, to the Prophet and to your Imam, who is the cleanest of them of character (lit. pocket) and the best of them in gentleness – he who is slow to get angry, is fond of accepting excuses, is kind and compassionate to the weak, and is stern to the strong, his displeasure does not goad him to violence, and his calmness does not make him helpless and inactive." (Ibid.)

32. "The real satisfaction and happiness of the governors is the establishment of justice in their land, and the manifestation of love and affection which the subjects have for them; but (remember) that the subjects' affection does not appear unless their hearts are free from rancor [against the rulers] and that they feel themselves safe and secure." (Ibid.)

33. "Pay careful attention to the matter of land revenue (i.e., its collection) in such a way as must ensure the welfare of those who pay it, because on the proper arrangement of tax [collection] and the better conditions of those who pay it depends the welfare of all others [sections of the population]; nay! The others cannot prosper without their (i.e., tax payers') prosperity. Indeed, the entire population is wholly dependent on the land-revenue as well as those who pay it." (Ibid.)

34. "If the tax-payers complain of any undue burden (i.e., heavy taxation) or an obstacle or the stoppage of irrigation water



Allah expects you to manage their affairs efficiently and through them He will test you." (Ibid.)

27. "Do not include in your consultation a miser who may turn you away from generosity and frighten you of poverty; nor [take counsel of] a coward who may weaken your performance of state affairs, or a greedy one who may embellish for your avarice with injustice. Indeed, miserliness, cowardice and greed are (only) different characteristics which all go to make up a lack of faith in Allah." (Ibid.)

28. "Let not the virtuous and wicked be equal in position in your sight, for this would discourage the good men from doing good and encourage the wicked ones in doing evil; impose upon each of them what he had imposed upon himself." (Ibid.)

29. "Do not break any virtuous practice which the leaders of this nation had followed, by which mutual love had been secured and due to which the subjects had prospered. Do not create any new practice which may harm any one of those old practices, for in that case the reward would be for him who had established them and the onus of having broken any one of them would be on you." (Ibid.)

30. "You should remember that the subjects are composed of various classes, each of which cannot prosper without the other and cannot dispense with each other's help. One of these classes consists of the soldiers of Allah, another of the secretaries dealing either directly with the masses or working for the officials of the state, another of the dispensers of justice (judges), another of the officials or functionaries (of the department) of justice and redress (i.e., those who enforce and maintain law and order and guard the peace and prosperity of the country), another of the collectors of the poll-tax (*jizya*) and the land revenue



23. “No land claims you more than another; the best land is the one that supports you.” (Apothegm No. 442)

24. “Allah the Exalted decreed reward for obeying Him and chastisement for disobeying him in order to protect His servants against His wrath and to herd them to His Paradise.” (Apothegm No. 368)

25. “Then know, O Mālik! That I am sending you (as governor) to a country over which there have passed before your time several periods of justice and injustices (i.e., dynasties of just and unjust rulers). The people there will watch your doings as you watch the doings of the governors before you and will say about you what you say about them. And, remember that the virtuous ones can only be pointed out (i.e., recognized) by what Allah makes to pass on the tongues of His slaves (i.e., people); and so let the dearest treasure to you be the treasure of virtuous acts. Control, therefore, your desires and appetites and be niggardly to yourself in what is unlawful to you, for such niggardliness towards one’s self is justice to it concerning what it likes or dislikes.” (From Imam ‘Alī’s Letter to Mālik al-Ashtar)

26. “Let your heart be imbued with mercy for your subjects as well as love and kindness for them. You must not be like a fierce beast to them relishing devouring them. For, your subjects are of to categories: either a brother of yours in faith, or similar to you in build (i.e., human beings like you). Both of them make many mistakes and are subject to many defects. They do commit certain mistakes either intentionally or unintentionally. Extend to them (all) your forgiveness and pardon, just as you would wish Allah grant you His forgiveness and pardon, for you are above them, and he who has appointed you governor is above you, while Allah is above him who has appointed you; and, indeed,



17. “Certainly the worst of people before Allah is the oppressive leader who himself has gone astray and misleads others. He destroys the prophetic practice and revives abandoned heresies. I have heard the Messenger of Allah – the Prophet Muhammad – saying, ‘On the Day of Resurrection the oppressive leader will be brought without any helper or anyone to advance excuses on his behalf, and then he will be thrown into the fire of Hell, where he will turn as the hand-mill turns, then he will be confined to its abyss.” (Sermon No. 165)

18. “Consider the *Ahl al-Bayt* of your Prophet [Muhammad]. Adhere to their direction, follow their footsteps because they will never remove you from guidance, and will never throw you into destruction. If they sit down [i.e., desist from revolting], you sit down, and if they rise up, you rise up.” (Sermon No. 97)

19. “Indeed the Imams are the vicegerents of Allah over His creation, and they make the creatures know Allah. None will enter the Paradise except he who acknowledges them and who himself is acknowledged by them, and none will enter the Hell except he who denies them and is himself denied by them.” (Sermon No. 152)

20. “I have been oppressed ever since the Prophet [Muhammad] passed away.” (Sermon No. 5)

21. “Indeed, the insightful one is he who listens and contemplates, looks and sees, derives benefit from lessons, then he takes a clear path on which he avoids the falls into abyss.” (Sermon No. 153)

22. “Whoever draws the sword of aggression will be killed by it.” (Apothegm No. 349)



12. “If you want to cut off relations with your brother, make sure to leave a place for him in your heart, so he can return to it one day when he so wishes.” (Letter No. 31)

13. (Addressing Imam al-Hasan) “The heart of a youth resembles an empty land – it receives all that is thrown into it. This is why I have started to teach you good manners before your heart is hardened and your soul is preoccupied.” (Letter No. 31)

14. ‘Abd Allah b. ‘Abbās entered Imam ‘Alī’s tent while he was mending his sandal, and told him that the pilgrims had gathered to listen to him. “I swear by Allah, these [sandals] have more value to me than ruling over you, except for being able to uphold the law and prevent wrongdoings.” (Sermon No. 33)

15. “One who appoints himself as a leader of the people must first begin with educating himself before educating others; he must discipline through his own behavior, before disciplining with his tongue.” (Apothegm No. 73)

16. “You certainly know that he who is in charge of the honor, the lives, the booty [enforcement of], the commandments and the leadership of the Muslims must not be a miser, as he would avidly crave their wealth, nor an ignorant man as he would then mislead them with his ignorance, nor crude in his manner, for he would estrange them with his crudeness, nor one who deals unjustly with distribution of wealth thus preferring one group over another, nor one to accept bribes in his ruling lest he would forfeit people’s rights and pass judgments without them [their rights], nor one to suspend recommended practices whereby he would ruin the community.” (Sermon No. 131)



2. “By Allah, this world of yours is much worthless in my eyes than a pig’s bone in the hand of a leper.” (Apothegm No. 236)

3. “Never initiate a war, but answer the aggressor, for its initiator is an aggressor and the aggressor is (finally) defeated.” (Apothegm No. 233)

4. “There is no treasure more precious than contentment.” (Apothegm No. 371)

5. “There is no wealth like the intellect.” (Apothegm No. 54)

6. “Tolerance is the grave of faults.” (Apothegm No. 6)

7. “A man’s breath is his step towards his death.” (Sermon No. 91)

8. “Everything has a fixed duration and an end.” (Apothegm No. 74)

9. “He [Allah] created the duration [of every life] and made them short or long; He expedited some and postponed others, and connected their causes with the death.” (Sermon No. 91)

10. “This world is turning away from you and the Hereafter is close to you.” (Letter No. 32)

11. “Every aspect of this world seems greater upon hearing than when it is seen and every aspect of the Hereafter is greater when it will be seen than when it is heard about. So be satisfied with the hearing in lieu of the seeing and with the tale in lieu of the concealed.” (Sermon No. 114)





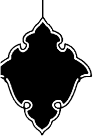
Imam Ja'far al-Sādiq showed it to the public, and thirty years later, the first gravestone and burial chamber were constructed over the precise tomb of Imam 'Alī.

A large number of the discourses of Imam 'Alī have come down to us; this collection is generally known as the *Nahj al-Balāghah* (The Path of Eloquence). The book is collection of 241 sermons, 79 letters, and 480 apothegms of Imam 'Alī. Packed with instructions, the *Nahj al-Balāghah* stands next to the Holy Quran. As an outstanding poet, literary critic, and religious scholar, Muhammad b. Tāhir, commonly and better known as al-Sharif al-Radī (359–406 AH/ 670–1015 AD) collected a large corpus of Imam 'Alī 's discourses in the present way and gave the collection the title the *Nahj al-Balāghah*, a title well indicative of its collector's predilection for Arabic rhetoric and literature. It is markworthy to mention that there had been several other collections of Imam 'Alī's discourses prior to al-Sharif al-Radī's present collection.

The *Nahj al-Balāghah* has deservedly been regarded as a vast ocean of knowledge. Produced by the Infallible Imam 'Alī who spent his life as the most intimate companion of the Prophet Muhammad, the *Nahj al-Balāghah* has been regarded a collection of lessons whose cases of application and percepts never fade away or diminish.

This being so, a selection of Imam 'Alī's wisdom and instructive quotations are presented below:

1. "Belief is cognizance by heart, [its] pronouncement by tongue, and practicing its rituals." (Apothegm No. 227)

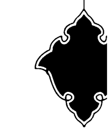


report that his governor of Basra had attended a party held at the house of a well-to-do family, Imam ʻAlī scolded him for such an utterly risky practice, for it would imply that the governor might have had some leanings toward the rich at the cost of neglecting the poor.

On dispatching his companion Mālik b. al-Hārith al-Ashtar al-Nakha'ī to Egypt with the mission of governorship of that region, Imam ʻAlī issued a letter – in fact a charter – packed with to and instructions. The instructions included therein are well applicable in other human communities.

The golden chapter of world Divine justice came to its end on 21 Ramadan 40 AH/ 25 January 661 AD: Imam ʻAlī was assassinated while performing his dawn prayer at the Kufa Mosque. He was hit on the head on 19th Ramadan and the injury led to his tragic martyrdom two days later. Although Imam ʻAlī was tolerant with the al-Khawārij (the Seceders), it was in fact their plot to slay him. Despite being severely injured, he ordered his elder son, the Infallible Imam al-Hasan, to treat ʻAbd al-Rahmān b. Muljam al-Murādī (his assassin) fairly. During the few days Imam ʻAlī was severely injured, he used to enquire of the well-being of his assassin. Any time some food, meal, or a bowl of milk was taken to him, he used to enquire if his assassin was provided with such a service. Not only of his companions, he was also very considerate of his assassin.

After breathing his last, Imam ʻAlī's body was taken from Kufa to a place called variously as al-Najaf and/or al-Gharī. Attended by his son, the funeral was arranged secretly and at nighttime, for the opponents of Imam ʻAlī would certainly cause troubles. Parenthetically, the funeral of his first wife, Fātimah al-Zahrā', was conducted in the same way. His burial place was hidden from the public until 135 AH/ 725 when the 6th Infallible



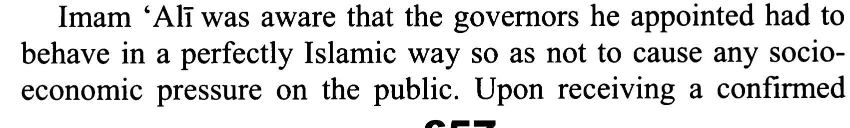


he regarded himself individually on a par with any other citizen but administratively in charge of implementing social justice.

Words fail to render an adequate description of the enchanting and marvelous panorama of the beauties of the ideal Islamic state, as typified in Imam 'Alī's administration.

Freedom of expression had hardly had any heyday more brilliant than the time of Imam 'Alī. While he was in power, some of his political opponents – called variously as al-Khawārij, Khārijis, Kharijites (the Seceders) – were faced with no censorship to express their dissident views, rather they could come to the *bayt al-māl* (public house of treasure) to receive their monthly allowance. Time and again, they interrupted Imam 'Alī's sermons and lectures; they were not pursued by any police for doing so thanks to the real, prevailing freedom of expression available during Imam 'Alī's administration.

Rights of citizenship were the same for all. Contrary to the practices of certain rulers before Imam 'Alī to give priority to Arabs over non-Arabs, hence deliberately neglecting the explicit Quranic injunction and criterion of being Allah-fearing and Allah-conscious, they introduced false *Jahiliyyah* standards into the Islamic state and stirred much social discrimination and paved a way for different types of abuses. Notwithstanding, Imam 'Alī's administration made a radical change and shift to the Prophetic standards and noble Islam. It was Imam 'Alī's firm belief in the noble human character that he felt deeply annoyed and agitated at receiving a piece of news that an anklet was removed by force from a Jewish girl's leg.



Imam 'Alī was aware that the governors he appointed had to behave in a perfectly Islamic way so as not to cause any socio-economic pressure on the public. Upon receiving a confirmed



horrible and shameful crimes that led to the tragic and unforgettable martyrdom of Fātimah al-Zahrā.

Imam 'Alī gave priority to maintaining the geopolitical integrity of the greater Islamic state. Although Imam 'Alī's right of imamate was usurped for almost 25 years, he never stopped his activities for the public welfare. Moreover, he helped the ruling people with his wise solutions for the problems and questions encountered. Evidently, the usurpers of his right of leadership repeatedly confessed that he was the most deserved and appropriate person for leadership, a responsibility whose best practitioner was Imam 'Alī, all due to his matchless religio-moral as well as intellectual capacities.

Thanks to the Allah-granted knowledge of Imam 'Alī the Arabic linguistic tradition received its firm academic basis. In response to a request made by Abu al-Aswad al-Du'alī, a companion of Imam 'Alī at Kufa, Iraq, Imam 'Alī laid down the foundations of Arabic grammatical tradition by formulating the definitions and characteristics of the three major categories of nouns, verbs, and particles. Had it not been in effect of the profound, Allah-granted knowledge of Imam 'Alī and his perceptive definitions, the Arabic linguistic scholarship would certainly have encountered linguistic dead-ends and contradictions with which other linguistic traditions have been coping with.

The most brilliant and conspicuous period in the life of Imam 'Alī was the five years when political leadership was entrusted to him. No doubt, he was not to be credited with attaining political leadership; it was political leadership that was blessed to have such a noble statesman like Imam 'Alī. During the short time span he was the political leader of the then vast Islamic empire,



mission would remain unaccomplished and imperfect unless he introduced Imam 'Alī as his immediate successor and the leader for the people. Therefore, the Prophet Muhammad gathered all the accompanying pilgrims at Ghadīr Khumm and conveyed this sublime Divine message to them. At the Divine command, Imam 'Alī has since been referred to by the honorific designation *'Amīr al-Mu'minīn*, 'The Leader of the Believers'. Needless to say, this leadership was determined by Allah, hence comprehensive.

The Prophet Muhammad delivered a long instructive lecture at Ghadīr Khumm. The contents of the lecture straddles basic Islamic teachings in the realms of articles of faith, moral and social responsibilities of the Muslims, and the meritorious characteristics of Imam 'Alī for which only he achieved the unique status of succeeding the Prophet Muhammad. The Prophet Muhammad then ordered each and every pilgrim present there to convey his message to others. He also kept them there for three days to come and pledge allegiance with Imam 'Alī as his immediate successor.

Contrary to the explicit instructions of the Prophet Muhammad, both before and after Ghadīr Khumm, Imam 'Alī was denied of his rightful status of succeeding the Prophet Muhammad. A series of melancholic and saddening events followed the demise of the Prophet Muhammad, among them, the tragic martyrdom of Fātimah al-Zahrā, daughter of the Prophet Muhammad and the first wife of Imam 'Alī. Needless to say, Fātimah al-Zahrā was a staunch defender of Imam 'Alī's right for succeeding the Prophet Muhammad to the effect of safeguarding Islam from going astray and preventing the public from resorting to the *Jahilliyah* norms and customs. The usurpers of the rights Imam 'Alī falsely intended to exert back-breaking pressures on him through committing a series of



braveness was decisive. In the Battle of the Trench, Salmān the Persian suggested the Prophet Muhammad to dig a trench around Medina to protect it from the foes. It was in the same battle that 'Amr b. 'Abd Wud, a famous Arab warrior, had to battle with Imam 'Alī, then a young man. 'Amr, whose name and presence always frightened others, was defeated outright.

Next to the Prophet Muhammad, Imam 'Alī was the most admired servant of Allah, hence highly praised. There are over 100 Quranic verses whose cases of revelation are none but Allah's appreciation of Imam 'Alī. In addition, he was the only one for whom Allah has ordered Muslims to refer to him as "The Leader of the Believers" (*'Amīr al-Mu'minīn)* out of respect and veneration.

Imam 'Alī was credited with being the Prophet Muhammad's envoy to Yemen. His preaching, teachings, and invitation to Islam proved highly influential. On the way back from Yemen, he joined the Prophet Muhammad at Mecca for the Farewell Hajj, together with over 10,000 Muslims. The Farewell Hajj was one of the most significant and conspicuous events in the history of Islam shortly after which the epoch-making event of Ghadīr Khumm took place. It was there that Allah the Almighty ordered the Prophet Muhammad to perfect his Divine mission through nominating and introducing Imam 'Alī as his immediate successor. This is evident in the Ghadīr sermon.

The epoch-making and significant event of Ghadīr Khumm has been a mark of perfection of the Islamic religion. Having performed his Hajj rituals, on the way back from Mecca to Medina, the Prophet Muhammad received a piece of revelation on 18 Dhu al-Hajjah 10 AH/ 10 March 632 AD: he had to announce Imam 'Alī as his immediate successor. The piece of revelation (The Holy Quran 5: 67) stressed that his Prophetic



Imam 'Alī was always ready to sacrifice his life for Islam. On the eve of the Prophet Muhammad's epoch-making exodus from Mecca to Medina, he accepted with alacrity the risk of sleeping in the Prophet Muhammad's bed to help the Prophet carry out his Divine mission of leaving Mecca. Since the universal spread of Islam and its exemplary community and state at Medina was a significant step in the development of Islam, Imam 'Alī's matchless sacrifice contributed greatly to all achievements of Islam. It was on such a sacrifice that the Quranic verse (2: 207) was revealed unto the Prophet Muhammad to mark the Divine appreciation for Imam 'Alī's sacrifice.

Imam 'Alī was a trustee of the Prophet Muhammad. This exceptionally honorific and significant position found expression several times in the lifetime of the Prophet. To adduce but one example, Imam 'Alī had been entrusted with the mission to return the treasures of the Meccans to their owners after the Prophet's exodus to Medina. Not only for the Meccans' properties but also for the Prophet's family members Imam 'Alī proved a reliable trustee. It was such that this trustee of the Prophet Muhammad took some of his important family members – e.g., his mother Fātimah, his wife Fātimah al-Zahrā – and joined the Prophet at a place outside Medina, and they together entered the Prophet Muhammad's destination – Medina. This implies that Imam 'Alī was a significant member in the Prophet's Divine mission such that his company was credited with the Divine approval. The Prophet Muhammad always appreciated Imam 'Alī's contributions and sacrifice.

Imam 'Alī was known for his braveness. Since the opponents of Islam, e.g., the Meccan idol-worshippers and the Jews of Medina, imposed several wars upon the small but flourishing Islamic community, Muslims had to defend their religion and identity. In such harsh and critical circumstances Imam 'Alī's



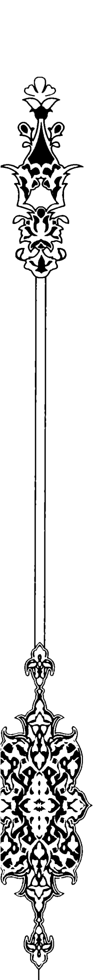
Imam ‘Alī:

Glimpses of His Life and Wisdom

On Friday 13th Rajab, just 10 years before the advent of Islam (*ca.* 598 AD), Imam ‘Alī – the 1st Infallible Imam as well as the trustee and legatee of the Prophet Muhammad – was born quite exceptionally inside the Kaaba, the House of Allah, at Mecca. His mother was Fātimah bt. Asad; his father was Abū Tālib, the devout, faithful uncle and supporter of the Prophet Muhammad.

Imam ‘Alī was the first man who bore witness to Islam and was credited with being the first Muslim man next to the Prophet Muhammad. A cousin of the Prophet Muhammad, he was grown up together with the Prophet. Almost 30 years younger than the Prophet Muhammad, he was honored with receiving his moral education directly from him. When Imam ‘Alī was at the age of ten or so, he witnessed the advent of Islam. Having grown up with the Prophet Muhammad was a unique opportunity for Imam ‘Alī to appreciate and support his Divine mission. Therefore, he was the 3rd Muslim next to the Prophet Muhammad and his wife Khadījah. Imam ‘Alī’s staunch belief in Islam and his readiness to sacrifice his life for it was exemplary and matchless.


The Nahj al-Balaghah







The First Infallible Imam

‘Alī b. Abī Tālib



The Nahj al-Balāghah

(The Path of Eloquence)

